

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

‘وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم’

‘قال الشيخ الإمام العالم العلامة ذو الفنون العديدة ، والتصانيف المفيدة ، والأقاويل السديدة ، أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط^٢ بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى آمين : هـ

(١-١) هكذا ثبتت العبارة في النسخة المخزونة بالرباط - المرائش التي جعلناها أصلا وأساسا للثبوت ، وكذا في نسخة مكتبة المدينة ورمزها «مد» ، وموضعها في نسخة دار الكتب المصرية ورمزها «م» : رب زدني علما يافتاح .
(٢-٢) في م ومد : قال أقرر الخلائق إلى عفوا الخالق ؛ وفي الأصل : أبو اسحاق - مكان : أبو الحسن ، والتصحيح من الأعلام للزركلي ج ١ ص ٥٠ وعكس المخطوطة أمام ص ٥٦ وهاشم الأنساب للسمعاني ج ٢ ص ٢٨٠ .
(٣) ضبطه في الأعلام بضم الراء وتخفيف الباء .

(٤) ضبطه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله في تعليقه على الأنساب ج ٢ ص ٢٨٠ وقال : البقاعي بكسر الموحدة وفتح القاف مخففة و بعد الألف عين مهملة بلد معروف بالشام ينسب إليه جماعة أشهرهم الإمام المفسر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي أبو الحسن برهان الدين من أجلة أهل القرن التاسع له عدة مؤلفات ولد سنة ٨٠٩ هـ وتوفي سنة ٨٨٥ هـ - ٨١٠ هـ .
(٥-٥) في م ومد : لطف الله بهم أجمعين ، إلا أن لفظ «أجمعين» ليس في مد . =

الحمد لله الذى أنزل الكتاب متناسبا سورة وآياته ، متشابها فواصله
وغاياته ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله الذى تمت كلماته ، وعمت مكرماته ،
وأشهد أن سيدنا محمدا عبده الذى ختمت به نبواته ، وكملت برسالاته^١
رسالاته ؛ توالى عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأحبابه
صلواته ، وتواتر تسليمه وبركاته ما دامت حياته وبقيت ذاته وصفاته .

وبعد فهذا كتاب عجاب ، رفيع الجنب ، فى فنٍ ما رأيت من
سبقى إليه ، ولا عول ثاقب فكره عليه ؛ أذكر فيه إن شاء الله مناسبات
ترتيب السور والآيات ، أطلت فيه التدبر وأنعمت فيه^٢ التفكير لآيات
الكتاب ، امتثالا لقوله تعالى ”لِيَذْكُرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ“^٣ ،
واستنانا بما أشار إليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه
ورضى عنه فيما خرجه البخارى^٤ فى الجهاد^٥ وغيره عن أبى جحيفة
قال : قلت لعلى رضى الله عنه : هل عندكم شيء من الوحى إلا ما فى
كتاب الله ؟ قال : لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ! ما^٦ أعلمه إلا فهم^٧

= والعبرة من « وآله » إلى هنا ليست فى نسخة المكتبة الظاهرية ورمزها « ظ » .

(١) فى م ومد وظ : برسالاته . (٢) ليس فى م ومد وظ .

(٣) سورة ٣٨١ آية ٢٩ (صا)

(٤) فى م وظ : أخرجه .

(٥-٥) ليس فى م .

(٦) فى النسخ كلها : لا ، وفى البخارى : ما ، وقول على رضى الله عنه نقل من
البخارى فأثبتناها .

(٧) فى ظ : فهم ، وفى متن البخارى كذلك ، وعلى حاشيته : فهم .

يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الضحيفة - الحديث ؛ و تعرضا لنفحات
 ما أشار إليه ما أخرجه البخارى وغيره عن عبد الله بن عمر ' رضى الله
 عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بلغوا^١ عنى ولو آية ، و البخارى
 وغيره أيضا عن أبى بكر^٢ وغيره رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه
 وسلم قال : ليلغ^٣ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع ؛ و وقفا^٥
 على الباب الذى اطلع عليه حبر الامة و بحر علومها الجمة عبد الله بن عباس
 رضى الله عنهما فيما رواه الشيخان و الطبرانى ° و هذا^٤ لفظه : إنه رضى الله
 عنه كان فى بيت خالته ميمونة رضى الله عنها^٦ فوضع للنبي صلى الله عليه
 وسلم طهورا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من وضعه ؟ قيل : ابن عباس -
 رضى الله عنهما ! قال : فضرب على منكبي وقال : اللهم ! فقهه^٧ فى الدين ١٠
 و علمه التأويل . و روى عنه الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى
 مقدمة تفسيره و الإمام أبو بكر بن الانبارى فى مقدمة كتاب الوقف

(١) فى ظ و مد : عمرو .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فاببلغوا .

(٣) من م و مد و ظ ، و هو الصحيح لما فى البخارى : عن عبد الرحمن بن
 أبى بكر^٢ ، و فى الأصل : بكر .

(٤) زيد فى م : عنى .

(٥ - ٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : هذا و - كذا .

(٦) و فى مد : عنها .

(٧) فى م : فقه .

و الابتداء أنه قال رضى الله عنه: تفسير القرآن على أربعة وجوه: تفسير يعلمه العلماء، وتفسير يعرفه العرب، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالة، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل، فن ادعى علماً به فهو كاذب؛ وقال شيخ الإسلام ولى الله بحى الدين النواوى فى آخر كتاب الفصل من شرح المذهب: ويحرم تفسيره بغير علم والسكلام فى معانيه لمن ليس من أهله، وهذا يجمع عليه، وأما تفسير العلماء فحسن بالإجماع؛ فأمدنى فيه والحمد لله تأييد سماوى فجعلته كالرديف لتفسير القاضى ناصر الدين البيضاوى، ولعل تسهيله كان ببركة مبشرة من آثار النبوة رأيتها فى صباى وأنا فى حدود العاشرة من سنى فى قريتنا من بلاد البقاع،

(١) قال الشيخ العارف بالله أبو محمد روزبهان ابن أبى النصر البقلى الشيرازى فى تفسيره المسمى بعرائس البيان فى حقائق القرآن ما نصه: قال جعفر بن محمد: كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة والإشارة واللائف والحقائق، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللائف للأولياء والحقائق للأتبياء. وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه: ما من آية إلا ولها أربعة معان: ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد هو احكام الحلال والحرام والمطلع هو مراد الله من العبد به، قيل: القرآن عبارة - الخ؛ لتزيد التفصيل فليراجع ج ١ ص ٤.

(٢) فى م ومد: تعرفه.

(٣) زيد فى م وظ: يعنى علما.

(٤-٤) ليست هذه العبارة فى ظ و لفظ «الدين» فقط ليس فى م.

(٥) من م ومد وظ: وفى الأصل: فامدى.

(٦) وفى م ومد: مبشر.

رأيت روح القدس جبريل المنزل لهذا الروح والمؤيد بروح القدس محمداً
 النبي المنزل عليه هذا الروح صلى الله عليها ٣ وسلم ٣ في صورتي شابين أمردين
 في أحسن صورة راكبين فرسين أخضرين في غاية الحسن متوجهين نحو
 المشرق؛ / فأيدني الله^٤ ببركتها^٥، في تفسيره وتصنيفه^٦ بروح منه، كما
 يشهد من طالع^٧ه وتدبره - والله ولي التوفيق^٨ وسميته «نظم الدرر»^٩
 في تناسب الآيات و السور، ويناسب أن يسمى «فتح الرحمن» في تناسب
 أجزاء القرآن، وأنسب الأسماء له «ترجمان القرآن» ومبدى مناسبات
 الفرقان^{١٠} . و علم المناسبات الأهم^{١١} من مناسبات القرآن وغيره [علم -^{١٢}
 تعرف منه علل الترتيب . وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسباته من
 حيث الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء^{١٣} بسبب ما له
 بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة^{١٤} النسب؛

(١) من ظ، وفي الأصل وم ومد : مجد .

(٢) زيد في م وظ ومد : الأمي .

(٣ - ٣) ليس في ظ .

(٤) زيد في مد : تعالى .

(٥ - ٥) ليست في مد؛ وفي م وظ : في تصنيفه .

(٦) في م : يطالع .

(٧) في م وظ : الأعم .

(٨) زيد من م وظ .

(٩) من م وظ، وفي الأصل ومد : الجزا .

(١٠) من م وظ، و وقع في الأصل ومد : كلمة - كذا مصحفاً .

فلم مناسبة القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها. ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبتُه من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو. وطالعت على ذلك كتاب العلامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الأندلسي المعلم بالبرهان في ترتيب سور القرآن، وهو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط، لا يتعرض فيه للآيات، وسأذكر في أول كل سورة ما قاله فيها بلفظه. كما ستراه إن شاء الله تعالى، ثم ظفرت بكتاب الإمام ١٠ بدر الدين [محمد - ٤] بن عبد الله الزركشي المصري الشافعي سماه «البرهان في علوم القرآن»، فرأيت ذكر فيه ما يعرف بمقدار كتابي هذا فقال في النوع الثاني منه: وهو في المناسبة قد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته، ومن أكثر منه الإمام غفر الدين وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، وقال القاضي أبو بكر بن العربي

(١) في م وظ: المقال.

(٢) كرر في الأصل «لما اقتضاه» ثانيا.

(٣) من م ومد، وفي الأصل: الاجازة، وفي ظ: الاجارة.

(٤) زيد من ظ ومد.

(٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: الفرع.

(٦) وفي ظ: اسرار.

في "سراج المريدين": ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يُكوّن^١ كالكلمة الواحدة مُتّسعة^٢ المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له^٣ إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلما لم نجد له حملة^٤ ورأينا الخلق^٥ بأوصاف البطلة ختمنا^٦ عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه . ونقل الزركشي عن سلطان العلماء الشيخ عز الدين^٧ ابن عبد السلام أنه قال ما حاصله: المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن^٨ ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد^٩ مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصاب عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة^{١٠} شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، قال الزركشي: وقال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم^١ من قال: لا يطلب

(١) من ظ، وفي الأصل م و مد: تكون .

(٢) كذا في الأصل، وفي م ومد وظ: منسقة .

(٣) ليس في ظ .

(٤) من م ومد، وفي الأصل وظ: جملة .

(٥) في م: الخلائق .

(٦) في م: حتمنا - بالخاء المهملة .

(٧) من م ومد وظ، وفي الأصل: احسن .

(٨) من م وظ، وفي الأصل ومد: متجه .

(٩) زيد في م: على .

الآى الكريمة مناسبة ، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة ، وفضل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا ، مرتبة سورة كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر ؛ والذي ينبغي فى كل آية ٣ أن يبحث أول كل شئ عن كونها تكملة ٥ لما قبلها أو مستقلة ، ثم المستقلة

٤ / ما وجه مناسبتها لما قبلها ، فى ذلك علم جم - انتهى . قلت : و الشيخ المشار إليه هو العارف ولى الله محمد بن أحمد الملوى المنفلوطى الشافعى

(١) فى تفسير القرآنسمى بتبصير الرحمن للإمام الشيخ العلامة على المهاشمى : فأمكننى أن أبرزهن من خدورهن ليرى البرايا جمالهن صور الإعجاز من بديع ربط كلماته و ترتيب آياته من بعد ما كان يعد من قبيل الإنغاز فيظهر به انها جوامع الكلمات ولوامع الآيات لا مبدل لكلماته ولا معدل عن تحقيقاته نكل كلمة سلطان دارها وكل آية برهان جارها ، وإن ما توهم فيها من التكرار فمن قصور الأنظار الحاجزة عن الاستكبار ، ولا بد منه لتوليد الفوائد الجملة من العلوم المهمة و تقرير الأدلة القويمة وكشف الشبه المدلّمة مأخوذة من تلك العبارات من غير تأويل لها ولا تطويل فى إحصاء المقدمات ولا إبعاد فى اعتبار المناسبات - الخ .

(٢) فى الأصل والنسخ كلها : سورة - كذا .

(٣) زيد فى ظ : فى .

(٤) ليس فى م .

(٥) وفى ظ : مكملة .

(٦) وفى م وظ : الدين .

'ذكر ذلك' في كلام مفرد على قوله تعالى "وهو الذي جعلكم خلائف^١ الارض" "ونريد ان نن^٢ على الذين استضعفوا في الارض^٣".
ونقل الإمام شمس الدين محمود الأصفهاني في تفسير قوله تعالى "امن الرسول^٤" عن الإمام الرازي أنه قال : ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة^٥ ألفاظه^٦ و شرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته^٧، ولعل الذين^٨ قالوا : إنه معجز بسبب أسلوبه^٩، أرادوا ذلك ؛ إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين^{١٠} لهذه الأسرار . وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل^{١١} :

و النجم تستصغر الأبصار صورته
١٠ فالذنب^{١٢} للطرف لا للنجم في الصغر - انتهى .

(١-١) في مد : ذكرته .

(٢) زيد في م : في - راجع سورة ٦ آية ١٦٦ . ١٦٥

(٣) سورة ٢٨ آية ٥ .

(٤) سورة ٢ آية ٢٨٥ .

(٥) من م وظ ومد ، وفي الأصل : الطائفة .

(٦) في الأصل فقط : الذي .

(٧) في م : متنبهين .

(٨) في ظ : قال .

(٩) في الأصل فقط : والذنب .

و اتفعت في هذا الكتاب كثيرا بتفسير على وجه كلى للامام الربانى
 أبى الحسن على بن أحمد بن الحسن التجيبى الحرّالى - بمهملتين مفتوحتين
 ومد و تشديد اللام - المغربى نزيل حماة من بلاد الشام سماه مفتاح
 الباب المقفل لفهم القرآن المنزل و كتاب اعروة لهذا المفتاح يذكر فيه
 ٥ وجه إنزال الأحرف السبعة و ما تحصل به قراءتها و كتاب التوشية
 و التوفية في فصول تتعلق بذلك ، و قد ذكرت أكثر هذا الكتاب في
 تضاعيف كتابى [هذا - '] معزوا إليه في مواضع تليق [به - '] ثم
 بعد وصولى إلى سورة الأنفال ملكت جزءا من تفسيره فيه من أوله
 إلى " ان الله اصطفى " في آل عمران فرأيت عديم النظر و قد ذكرت ٣ فيه
 ١٠ المناسبات و قد ذكرت ما أعجبنى منها و عزوته إليه ، يتر الله الاطلاع
 على بقیته بحوله وقوته ؛ و بعد أن وصلت إلى سورة "كهف" ذكر لي
 أن تفسير ابن النقيب الحنفى و هو فى نحو ستين مجلدا يذكر فيه المناسبات
 و فى خزائنه جامع الحاکم كثير منه ، فطلبت منه جزءا فرأيت الأمر
 كذلك بالنسبة إلى الآيات لا جملها و إلى القصص لا جميع آياتها ؛ و من
 ١٥ نظر كتابى هذا مع غيره علم النسبة بينهما ، والله الموفق . و بهذا العلم

(١) زيد من م .

(٢) زيد من م و ظ .

(٣) من م ، و فى الأصل ومد و ظ : ذكر .

يرسخ الإيمان في القلب و يتمكن من اللب [و ذلك - '] أنه^١ يكشف أن
 للإعجاز طريقين: أحدهما نظم كل جملة على حياها بحسب التركيب،
 و الثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، و الأول أقرب تناولاً
 و أسهل ذوقاً، فإن كل من سمع القرآن من ذكي و غبي يهتز لمعانيه
 و تحصل له عند سماعه روعة^٢ بنشاط و رهبة مع انبساط لا تحصل^٣ عند
 سماع غيره، و كلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع^٤ الإعجاز، ثم
 إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تدلّسه^٥ و ما تلاها
 خفي عليه وجه ذلك و رأى أن الجمل متباعدة^٦ الأغراض متتابة^٧ المقاصد
 فظن أنها متافرة، فحصل له من القبض و الكرب أضعاف ما كان حصل
 له بالسماع من الهز و البسط^٨ ربما^٩ شككه ذلك [بكثير- '] و زلزل إيمانه^{١٠}
 و زحزح إيقانه، و ربما وقف مكيس من أذكياء المخالفين عن الدخول

(١) زيد من م و ظ .

(٢) ليس في م .

(٣) من م و ظ، وفي الأصل ومد: روعة .

(٤) من م، وفي الأصل ومد و ظ: لا يحصل .

(٥) في م: معظم، و فوته: موقع .

(٦) وقع في الأصل فقط: تلقه - محرراً .

(٧) زيد في م: و .

(٨) قد م: متتابة .

(٩) في مد: النشاط .

(١٠) من ظ، و في م ومد: وربما، وفي الأصل: بما .

في هذا الدين بعد ما وضحت لديه دلالته ورزت له من حجاجها دقائقه
وجلائله لحكمة أرادها منزله وأحكمها مجمله ومفصله؛ فاذا استعان
بالله^١ وأدام الطرق لباب الفرج بانعام / التأمل وإظهار العجز والوثوق
بأنه في الذروة من أحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى
واللفظ ليكونه كلام من جل عن شوائب النقص وحاز صفات الكمال
إيماناً بالغيب وتصديقاً للرب قائلاً [ما -^٢] قال الراسخون في العلم
”ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت
الوهاب“^٣ فانفتح له ذلك الباب ولاحت له^٤ من ورائه بوارق أنوار^٥
تلك الأسرار رقص الفكر منه طرباً وشكروا الله استغراباً وعجباً وشاط^٦
لعظمة ذلك جناحه فرسخ من غير مرية^٧ [إيمانه -^٨] ورأى أن المقصود
بالترتيب معانٍ جليلة الوصف بديعة الرصف^٩ عالية^{١٠} الأمر عظيمة

(١) من م، وفي الأصل ومد، ظ : الله - بدون حرف الجر .

(٢) زيد من م و ظ .

(٣) سورة ٣ آية ٨ .

(٤) ليس في م ومد و ظ .

(٥) ليس في م .

(٦) أي احترق، وفي م وظ ومد : طاش، أي ذهب .

(٧) من م و ظ و مد : وفي الأصل : مربية .

(٨) زيد من م ومد و ظ .

(٩) في النسخ كلها : الوصف، والصحيح : الرصف، أي ضم البعض إلى
البعض .

(١٠) في م ومد : عليته .

القدر مباحدة لمعانى الكلام على أنها منها أخذت، فسبحان^١ من أنزله
 وأحكمه وفصله وغطاه وجللاه، وبينه غاية البيان وأخفاه؛ وبذلك
 أيضا يوقف على الحق من معانى آيات حار فيها المفسرون لتضييع^٢ هذا
 الباب من غير ارتياب، منها^٣ قوله تعالى في سورة البقرة «ام كنتم شهداء
 إذ حضر يعقوب الموت»^٤ - الآيتين، و منها قوله تعالى في سورة النساء «
 فضل الله المجتهدين بأموالهم و انفسهم على القعدين درجة»^٥، مع قوله
 عقيقه «و فضل الله المجتهدين على القعدين اجرا عظيما»^٦ درجت^٦، و قوله
 تعالى في آخر هود «فلا تلك في مرية بما بعد هؤلاء»^٧ الآية^٨ - إلى غير
 ذلك، و قوله تعالى في سبحان «و يستلونك عن الروح»^٩ الآية، و قوله
 تعالى في السجدة «قل يتوفكم ملك الموت»^{١٠}، و قوله تعالى في يس^{١٠}

(١) في مد: سبحان .

(٢) من مد و ظ، وفي الأصل و م: لتضييع - كذا .

(٣) من م و مد و ظ، وفي الأصل: منه .

(٤) سورة ٢ آية ١٣٣ .

(٥) سورة ٤ آية ٩٥ .

(٦) سورة ٤ آية ٩٥ و ٩٦ .

(٧) سورة ١١ آية ١٠٩ .

(٨) ليست في م من هنا إلى «الموت» .

(٩) سورة ١٧ آية ٨٥ .

(١٠) سورة ٣٢ آية ١١ .

هـ انهم اليهم لا يرجعون^١، 'مما تراه و ينكشف لك غامض معناه ،
 و به يتبين^٢ لك أسرار^٣ القصص المكررات ، و أن كل سورة أعيدت
 فيها قصة فلبغى ادعى في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير
 المعنى الذى سبقت^٤ له في السورة السابقة ؛ و من هنا اختلفت الالفاظ
 بحسب تلك الأغراض و تغيرت^٥ النظم بالتأخير و التقديم و الإيجاز
 و التطويل مع أنها^٦ لا يخالف^٧ شئ من ذلك أصل المعنى الذى تكونت
 به القصة ، و على قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد
 انكشافها . و لقد شفى بعض فضلاء المعجم و قد سأله عن شئ من
 ذلك فرآه مشكلا ، ثم قررت^٨ إليه^٩ وجه مناسبه و سأله هل وضع
 له^{١٠} فقال : يا سيدى ! كلامك هذا يتسابق إلى الذهن . فلا تظن أيها
 الناظر لكتابتى هذا أن المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها

(١) سورة ٣٦ آية ٣١ .

(٢) زيد فى م و مد : الى غير ذلك .

(٣) فى م : تبين .

(٤) فى م : احرار .

(٥) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : سبقت - بالباء الموحدة .

(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تغير .

(٧) فى ظ و مد : انه .

(٨) فى الأصل و النسخ كلها : تخالف .

(٩) كذا ، و الظاهر : قربت .

(١٠) و فى م و ظ و مد : له .

والرفع لسورها^١، قرب آية أقت^٢ في تأملها شهورا^٣، منها دواذ
 غدوت من اهلك^٤، في آل عمران، ومنها دويستفتونك في النساء قل الله
 يفتيكم فيهن^٥، ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلفة^٦، ومن أراد تصديق
 ذلك فلي تأمل شيئا من^٧ الآيات قبل أن ينظر ما قلته ثم لينظره يظهر له
 مقدار ما تعبت وما حصل [لى-٢] من قبل الله ومن العون سواء كان ه
 ظهر له وجه لذلك عند تأمله أولا، وكذا إذا رأى ما ذكر غيرى من
 مناسبات بعض الآيات. وبه أيضا يتضح أنه لا وقف تام في كتاب الله
 ولا على آخر سورة قل اعوذ برب الناس، بل^٨ هي متصلة مع كونها
 آخر القرآن بالفتحة التي هي^٩ أوله كاتصالها بما قبلها بل أشد، إلا أن
 يحمل/ نقيهم لتعلقه على اللفظ مطلقا ولو خفيا^{١٠}، و'' في الكافي'' على ١٠ / ٦

(١) في م: لسورها - كذا.

(٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: اتت.

(٣) سورة ٣ آية ١٢١. وزيد في م: تبوى المؤمنين.

(٤) سورة ٤ آية ١٢٧.

(٥) سورة ٤ آية ١٧٦.

(٦) زيد في م: ذلك - كذا.

(٧) زيد من م وظ ومد.

(٨) في م: هل - كذا.

(٩) من م ومد وظ، وفي الأصل: من.

(١٠) من م ومد وظ، ووقع في الأصل: جفنا - كذا محرفا.

(١١-١١) من م ومد وظ، في الأصل: الكافي.

اللفظ بقيد الجلاء، ولا تنكشف هذه الأغراض أتم انكشاف إلا لمن
خاض غمرة هذا الكتاب وصار من أوله وآخره وأثنائه على ثقة
وصواب، وما يذكر إلا أولوا الالباب .

وقد ذكر الزركشى نحو أربع ورقات من مناسبات بعض الآيات،
هـ وإذا تأملتها عظم عندك ما في هذا البحر الزاخر من نقائس الجواهر
وبدائع السرائر، وقد أدرجت فيه مما ليس من بابہ الیسیر من خرائب
التفسیر مما لم أظفر به فی کتاب مع أنه كالمثل یسیر، والله أسأل أن
یجعله موجبا لرضوانه والفوز الدائم فی أعلى جناته .

(١) من ظ، وفي الأصل وم ومد: هذا.

(٢) من م ومد وظ، وفي الأصل: املا.

سورة الفاتحة

بسم الله القيوم الشهيد الذي لا يعزب شيء عنه ، ولا يكون شيء إلا بأذنه ؛ الرحمن الذي عَمَّت رحمته الموجودات ، وطبع في مرأى القلوب عظمتة فتعالت تلك السبحات ، وأجرى على الألسنة ذكره في العبادات والعبادات ؛ الرحيم الذي تَمَّت نعمته بتخصيص أهل ولايته ه بأرضى العبادات .

قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبي عبدالله محمد ابن العلامة القدوة أبي القاسم محمد المشدالي^١ المغربي^٢

(١) في م ومد وظ : فاتحة الكتاب .

(٢) من م وظ ، وفي الأصل : المشدالي ، وفي مد : البشرالى ، ترجم له في معجم المؤلفين ٢٥٩/١١ وقال : محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد ابن حسن بن عبد المحسن المشدالي ، البجائي ، المغربي ، المالكي ، فاضل ؛ ولد بعد سنة ٨٢٠ هـ ، وتوفي بعينتاب (سنة ٨٦٥ هـ) . من آثاره شرح جمل الخونجي في المنطق - انتهى .

(٣) من م ومد وظ ، وفي الأصل : العربي ؛ قال أبو سعد في الأنساب (البجاي) ٨٨/٢ : وهذه النسبة إلى بجاية وهي من بلاد المغرب ، وعلق عليه شيخنا عبد الرحمن المعلى اليافى رحمه الله وقال : وقع لأبي سعد رحمه الله في فصل (البجاي) أو هام الأول قوله انه نسبة إلى بجاية ، وهذا وإن جاز عربية فلم نعلمه استعمل و(بجاية) الموجودة بلدة بساحل المغرب بنيت في حدود سنة ٤٥٧ و نسب إليها من نسب بعد ذلك « البجائي » الخ .

البجائي^١ المالمكي علامة الزمان سق^٢ الله عهده سحائب الرضوان، وأسكنه
أعلى^٣ الجنان: الأمر الكلى المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو
أنك تنظر الغرض الذى سيقى له السورة، و تنظر ما يحتاج إليه ذلك
الغرض من المقدمات [و تنظر إلى مراتب تلك المقدمات - ^٤] في
القرب و البعد من المطلوب، و تنظر عند انجرار الكلام في المقدمات
إلى ما يستتبعه* من استشراف نفس السامع إلى الأحكام و اللوازم التابعة
له التى تقتضى البلاغة شفاء العليل^٥ يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف
عليها؛ فهذا هو الأمر الكلى المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء
القرآن^٦، و إذا^٧ فعلته تبين لك إن شاء الله^٨ وجه النظم مفصلاً بين
١٠ كل آية و آية في كل سورة سورة و الله الهادى - انتهى . و قد ظهر لى
باستعالي لهذه القاعدة بعد وصولى إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من
ابتدأى في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها

(١) فى م و مد: البجائى، وفى ظ: البجائى، وفى الأصل: البخارى .

(٢) فى الأصل و النسخ الأخرى: يبقى - كذا .

(٣) من م و مد و ظ، وفى الأصل: على .

(٤) زيد من م و مد و ظ .

(٥) من م و ظ، وفى الأصل: يستبقه، وفى مد: يستقبه .

(٦) فى م و ظ و مد: القليل - كذا بالعين المعجمة .

(٧-٧) فى م و مد: فاذا .

(٨) زيد فى م: تعالى .

لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه، وذلك هو الذي أنبأ به آدم عليه الصلاة والسلام عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة والسلام، ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها^١، فأذكر المقصود من كل سورة، وأطبق بينه وبين اسمها، وأفسر كل بسملة بما يوافق مقصود السورة، ولا أخرج عن معاني كلماتها^٢، فالفاتحة اسمها «ام الكتاب»، و«الأساس»، و«المثاني»، و«الكنز»، [و«الشافعية»^٣] و«الكافية»، و«الوافية»، [و«الواقية»^٤] و«الرقية»، و«الحمد»، و«الشكر»، و«الدعاء»، و«الصلاة»، فدار هذه الأسماء كما ترى^٥ على أمر خفي كاف لكل مراد وهو المراقبة التي

(١) في م وظ ومد: تلحظ.

(٢-٢) ليست في م ومد وظ.

(٣) في م: متناسبها.

(٤-٤) ليست في ظ، ولفظ «لا» في «لا أخرج» ليس في م.

(٥) في تفسير عرائس البيان: سمي الفاتحة لأنها مفتاح أبواب خزائن أسرار الكتاب، ولأنها مفتاح كنوز لطائف الخطاب، بانجلائها ينكشف جميع القرآن لأهل البيان، لأن من عرف معانيها يفتح بها أقفال التشابهات، و يقتبس بسنائها أنوار الآيات - انتهى.

(٦) في مد: المباني - كذا.

(٧) زيد من م ومد وظ، لأن المصنف فسرهما بعد - طر بقوله: شافية.

(٨) سقط من الأصل والنسخ الأخرى وقد فسرهما المصنف بعد بقوله: واقية من كل سوء، فردناه.

(٩-٩) ليست في مد. (١٠) في م: عن.

سأقول إنها ' مقصودها فكل شيء لا يفتح بها لا اعتداد به '، وهي أم كل خير، وأساس كل معروف، ولا يمتد بها إلا إذا ثبتت ' فكانت دأمة التكرار، وهي كنز لكل شيء ٣، شافية لكل داء، كافية لكل هم، وافية ٥ بكل مرام، واقية من كل سوء، رقية لكل ملم، وهي إثبات للحمد الذي / هو الإحاطة بصفات الكمال، وللشكر ٦ الذي هو تعظيم المنعم، وهي عين ٧ الدعاء فانه التوجه إلى المدعو، وأعظم بجامعها الصلاة ٨.

إذا تقرر ذلك فالغرض ٩ الذي سيقت له الفاتحة و ١٠ هو إثبات

(١) ليس في م .

(٢) من م ومد و ظ، وفي الأصل: ثبتت، خطأ عن قلم الناسخ وهو تفسير « الثاني » .

(٣) من مد، وفي الأصل وم و ظ: منى - كذا .

(٤) في مد و ظ: مهم .

(٥) من م ومد و ظ، وفي الأصل: كافية - كرهه الكاتب .

(٦) في م و ظ: الشكر .

(٧) في مد: غير .

(٨) زيد في الأصل: الذي - كذا، وليس في م ومد و ظ لحذفناه .

(٩) في ظ: تقرر .

(١٠) وفي تفسير المهائمي ما نصه: ومعرفة اسمائه بأنها الوسائط القرية له بينه

وبين خلقه بها يربى ويرحم ويفضل، ومعرفة توحيده بأنه رب كل شيء

ما عداه، ومعرفة استحقاقه للعبادة بأنه المنعم المتفضل الرجوع إليه، ومعرفة =

استحقاق الله تعالى لجميع المحامد و صفات الكمال ، و اختصاصه بملك
الدنيا و الآخرة ، و باستحقاق العبادة و الاستعانة ، بالسؤال في المنّ بالزام
صراط الفائزين و الإنقاذ من طريق الهالكين محتصا بذلك كله ،
و مدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم^١ ، ٣ لإفراده بالعبادة^٢ ، فهو مقصود
الفاخرة بالذات و غيره وسائل إليه ، فانه لا بد في ذلك من إثبات إحاطته ه
تعالى بكل شيء و لن يثبت حتى يعلم أنه المختص بأنه الخالق الملك المالك ،
لأن المقصود من إرسال الرسل و إنزال الكتب نصب الشرائع ،
و المقصود^٣ من نصب الشرائع جمع الخلق على الحق ، و المقصود من
جمعهم تعريفهم الملك^٤ و بما يرضيه^٥ ، و هو مقصود القرآن الذي انتظمته

= انتقار العبد إليه ابتداء بأنه الرب و وسطا بأنه الرحمن الرحيم و انتهاء بأنه
ملك يوم الدين ، و معرفة النبوة و الولاية و الإيمان بالإنعام ، و معرفة الكفر
و البدعة و الفسق بالغضب و الضلالة ، و معرفة السعادة و الشقاوة بذلك
أيضا - الخ .

(١) في الأصل بالغاء الموحدة ، و الصواب بالقاف المثناة .

(٢) زيد في م : و المقصود من جمعهم تعريفهم بالملك و بما يرضيه و هو إفراده
بالعبادة و هو مقصود القرآن الذي انتظمته الفاتحة (و لاجابة إلى هذه الزيادة
لأن المصنف قد حررها بعد أسطر ، و هي على محلها) .

(٣-٣) ليست في ظ .

(٤) ليس في م و ظ .

(٥) في م و مد و ظ : بالملك .

(٦) زيد في م و مد : و هو إفراده بالعبادة .

الفاحة بالقصد الأول، ولن يكون ذلك إلا بما ذكر علما وعملا؛ ولما كان المقصود من جمعهم على الله تعالى معرفته لأجل عبادته^١ وكان التزام اسمه تعالى في كل حركة وسكون قائدا إلى مراقبته وداعيا إلى مخافته واعتقاد أن مصادر الأمور ومواردها منه^٢ وإليه شرعت التسمية أول كل شيء فصدرت بها الفاتحة . وقدم^٣ التعوذ الذي هو من [دره -^٤] المفسد تعظيما للقرآن بالإشارة إلى أن^٥ يتعين لتاليه^٦ أن يجتهد في تصفية سره وجمع متفرق أمره، لينال سؤله^٧ و مراده بما^٨ أودعه من خزان السعادة باعراضه عن العدو الحسود وإقباله على الولي الودود؛ ومن هنا^٩ تعرف مناسبة المعوذتين بالفاتحة^{١٠} . ولما افتتح التعوذ

(١) في م ومد و ظ : عبادته .

(٢) زيد في م ومد : به .

(٣) أطلب في تبصير الرحمن تحت عنوان « الكلام في الاستعاذة » فالتحقيق أنيق، إن شئت الاطلاع عليه فراجع ج ١ ص ٦ .

(٤) زيد من مد، وفي م : درم - كذا، وفي ظ : دراه .

(٥) في م و ظ ومد : انه .

(٦) في م : لهاليه - كذا .

(٧) في م : سؤاله .

(٨) من م ومد و ظ، وفي الأصل : بما .

(٩) من م ومد و ظ، وفي الأصل : هذا .

(١٠) من م ومد و ظ، وفي الأصل : من الفاتحة .

بالهمزة إشارة^١ إلى ابتداء الخلق و ختم بالميم إيماء إلى المعاد فجعلت البسمة كلها للمعاد لا ابتدائها بحرف شفوي^٢ ، و ختام أول كلماتها وآخرها بآخر إشارة إلى أن الرجوع إليه في الدنيا معنى بتدبير الأمور وإن كان أكثر الخلق غافلا عنه ، و في البرزخ حسا^٣ بالموت ، و في الآخرة كذلك بالبعث ؛ كما أشار إلى ذلك تكرير الميم^٤ المختتم [بها - °] في اسمها ه بذكرها فيه مرتين إشارة إلى المعادين الحسنيين^٥ و الله أعلم ؛ والمراد بالاسم^٦ الصفات العليا^٧ . وقال الأستاذ أبو الحسن الحرالي^٨ في تفسيره في

(١) من م و مد و ظ ، و في الأصل : أشار .

(٢) في م : معنوى .

(٣) في ظ : حسبا - كذا .

(٤) ليس في مد .

(٥) زيد من م و مد .

(٦) و في الأصل : الحسين - كذا .

(٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : باسم .

(٨) في م فقط : العلى .

(٩) قال الشيخ عبد الرحمن العلمي الجاني رحمه الله في تعليقه على الإكمال ٨/٣ هـ :

والمشهور بهذه النسبة واللام مشددة أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن إبراهيم التجيبي الحرالي - وحرارة من أعمال مرسية بالأندلس - رحل إلى المشرق

ثم قل ثم رجع إلى المشرق وكان مفتنا ، ألف في التفسير وغيره وعنده تفلسف وتصوف ونجوم وتخليط ... وذكره صاحب القاموس (ح ر ل) وأخطأ

في اسمه فينبه شارحه - اه .

غريب ألفاظ البسلة: الباء معناها^١ أظهره الله سبحانه من حكمة التسبب^٢؛ «الاسم» ظهور ما غاب أو غمض للقلوب بواسطة الآذان على صورة الأفراد^٣؛ «الله»^٤ اسم ما تغنو إليه القلوب عند موقف العقول فتأله^٥ فيه أى تحجير قتالها^٦ و تلهو به أى تغنى به عن كل شئ^٧؛ «الرحمن» شامل الرحمة لكافة ما تناولته الربوبية؛ «الرحيم» خاص الرحمة^٨ بما ترضاه الإلهية. وقال فى غريب معناها: لما أظهر^٩ الله سبحانه حكمة التسبب وأرى^{١٠} الخلق استفادة^{١١} بعض الأشياء من أشياء أخر متقدمة عليها كأنها

(١) فى م ومد وظ: معناه اسم ما .

(٢) من ظ، وفى الأصل وم ومد: التسبب .

(٣) فى عرائس البيان: «بسم» الباء كشف البقاء لأهل الفناء، والسين كشف سناء القدس لأهل الأنس، والميم كشف الملكوت لأهل النعوت والياء بره للعموم - وما بقى من الحقائق فليراجع ثمة .

(٤) زيد فى ظ: ظهور ما معما - كذا .

(٥) فى الأصل: فقال .

(٦) فى ظ ومد: قتاله، وزيد بعده فى م ومد وظ: أى تعجده له .

(٧) وفى عرائس البيان: وأما «الله» فانه اسم الجمع لا ينكشف إلا لأهل الجمع - ثم كشف المصنف ما أراد الله به فليراجع ثمة .

(٨) من م وظ ومد، وفى الأصل: الربوبية .

(٩) فى الأصل والنسخ الأخرى: أظهره - كذا .

(١٠) فى م: اولى .

(١١) من م ومد وظ، وفى الأصل: استناده .

أسبابها، وقف بعض الناس عند أول سبب فلم ير ما قبله، ومنهم من وقف عند سبب السبب إلى ما عساه ينتهى إليه عقله^١، فطوى^٢ الحق تعالى تلك الأسباب وأظهر بالبسملة أى بتقديم الجار أن كل شيء باسمه لا بسبب^٣ سواء . وقال :^٤ أستفتح أم القرآن بالبسملة لما كانت نسبتها من متلو الصحف و المکتب الماضية نسبة^٥ أم القرآن من القرآن . الكتاب الجامع للصحف و الكتب لموضع طيها الأسباب ، كما تضمنت أم القرآن سر ظهور / الأفعال بالناية^٦ من الحميد المجيد في آية «ياك نعبد و اياك نستعين» . هذا في ظاهر الخطاب إلى ما وراء ذلك من باطنه فان لكل آية ظهرا و بطنا و ليلزمها الخلق في ابتداء أقوالهم و أفعالهم ، هكذا قال . و أشد منه أنه لما كانت نسبة البسملة من الفاتحة نسبة الفاتحة^٧ من القرآن صُدّرت^٨ بها الفاتحة كما صَدّر القرآن بالفاتحة ، لأنها لما أفادت نسبة الأمور كلها إليه سبحانه وحده أفادت أنه الإله وحده وذلك

(١) في م : غفلة - كذا .

(٢) في ظ : و طوى .

(٣) في ظ : سبب .

(٤) زيد في م و ظ : و .

(٥) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : نسبته .

(٦) وفي م و ظ و مد : بالاعانة ، وهو الأظهر ، كما يدل عليه « و اياك نستعين » .

(٧) وفي تفسير المهاشمي : و تقديم الاستعاذة على التسمية مع أنها لا شتمها على البدئية بالبداية أولى للاشعار بأنه لا بد من رفع الحجب التي أعظمها الشيطان أولا و أما ترتيب الحمد على التسمية مع أنه أيضا ثناء فلأنه لما ذكر =

هو [إجمال تفصيل الفاتحة كما أن الفاتحة - ١] إجمال تفصيل القرآن من الأصول و الفروع و المعارف و اللطائف . و لما كان اسم الجلالة علما و كان جامعا لجميع معاني الأسماء الحسنى أولية و الرحمن . من حيث أنه كالعلم في أنه لا يوصف به غيره ، و من حيث أنه أبلغ من الرحيم ، ه فأولى الأبلغ [الأبلغ - ٢] ، و ذلك موافق لترتيب الوجود ، الإيجاد ثم النعم العامة ثم الخاصة بالعبادة ، و ذكر الوصفان ترغيا ، و طويت النعمة في إفهام اختصاص الثاني^٢ لتنام الترغيب بالإشارة^٣ إلى التهيب . و المراد بهما هنا أنه سبحانه يستحق الاتصاف بهما لذاته ، و كررها بعد تنبيها^٤ على وجوب ذلك للربوبية و الملك ، و للدلالة^٥ على أن الرحمة غلبت^٦ الغضب ، و فيها^٧ إلى ما ذكر من الترغيب الدلالة على سائر

= الكامل بذاته و صفاته و أفعاله عقبها بالحمد ليكون على الجميع بعد معرفة المحمود و جهات حمده ، و تخصيص التسمية بهذه الأسماء ليعلم أن الأولى تتعلق بجامع الكلمات ليفيضا ما يستحق من عامها أو خاصها بحسب الاستعداد الحاصل بالتعلق - انتهى .

(١) زيد من م و ظ و مد .

(٢) زيد من م و مد .

(٣) من ظ ، و في الأصل و م و مد : الثاني .

(٤) هكذا في الأصل و مد و ظ ، و في م : بلا إشارة .

(٥) من م و مد و ظ ، و في الأصل : تينها .

(٦) في م : الدلالة .

(٧) في ظ : سبقت .

(٨) في م : فيها .

الصفات الحسنى، لأن من ' عمت رحمته امتنع أن يكون فيه شوب نقص ،
 وفي آخر سبحان لهذا المكان مزيد بيان ؛ ' وكونها تسعة عشر حرفا
 خطية وثمانية عشر لفظية إشارة إلى أنها دوافع النعمة من النار التي
 أصحابها تسعة عشر ' ، ٣ وجواب للرحمة بركعات الصلوات الخمس وركعة
 الوتر اللاتي من أعظم العبادات الكبرى ٣ . و لما كانت البسمة نوعا ' من ٥
 الحمد ناسب كل المناسبة تعقيها باسم الحمد الكلى الجامع لجميع أفرادها ،
 فكأنه قيل : احمده لأنه المستحق ' لجميع المحامد ، و خصوا هذا النوع من
 الحمد في افتتاح أموركم لما ذكر من استشعار الرغبة إليه و الرهبة منه المؤدى
 إلى لزوم طريق الهدى ، والله الموفق .

ولما أثبت بقوله « الحمد لله » أنه المستحق لجميع المحامد لا لشيء غير ١٠
 ذاته الحائز لجميع الكمالات أشار إلى أنه يستحقه أيضا من حيث كونه
 ربا مالكا منعا فقال « رب » ، وأشار بقوله « الغلبن » إلى ابتداء الخلق
 تنبيها على الاستدلالات ١ بالمصنوع على الصانع وبالبداءة على الإعادة

(١) في م : ضمن - كذا .

(٢-٢) ليست في ظ ، و وقع في الأصل : خطيئة - مكان : خطية ، خطأ ،
 والتصحيح من م و مد .

(٣-٣) ليست في ظ ، وفي م و مد : الكبير - مكان : الكبرى .

(٤) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : نوع - كذا .

(٥) في م : مستحق .

(٦) في م و ظ و مد : الاستدلال .

كما ابتدأ التوراة بذلك [لذلك - '] قال الحرالي : ' و الحمد ، ' المدح الكامل الذى يحيط بجميع الأفعال و الأوصاف ، على أن جميعها إنما هو من الله سبحانه ٣ و تعالى ٢ و أنه كله مدح لا يتطرق إليه ذم ، فإذا اضمحل ازدواج المدح بالذم و علم سريان المدح فى الكل استحق عند ذلك ظهور اسم الحمد مكملًا معرفًا بكلمة ' ال ' ، ' وهى ' كلمة دالة فيما اتصلت به على انتهائه و كماله - انتهى .

و لما كانت مرتبة الربوية لا تستجمع الصلاح [إلا بالرحمة - '] اتبع ذلك بصفى ' الرحمن الرحيم ' ، ترغيبًا فى لزوم حمده ، و هى تتضمن تثنيةً تفصيل ما شمله الحمد أصلاً ؛ و - يأتى سر لتكرير^٦ هاتين الصفتين^٥

(١) زيد من م و ظ و مد .

(٢-٢) ليس فى مد .

(٣-٣) ليس فى م و مد .

(٤) وقع فى م : الى - كذا مصحفاً .

(٥) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : متى - كذا .

(٦) فى ظ : تنبيه .

(٧) وفى م : تكرير .

(٨) فى عرائس البيان مثل ما فى هذا الكتاب و زاد « قال الأستاذ : الرحمن خاص الاسم عام المعنى ، و الرحيم عام الاسم خاص المعنى ، فالرحمن بما روج و الرحيم بما لوج ، فالترجيع للعاد و التلويح بالأنوار ، و الرحمن بكشف تجليه و الرحيم بلطف توليه » ثم قال « أما من اختراعى أن اسم الرحمن محل طلوع أنوار العناية ، و الرحيم محل إشراق شمس الكفاية ، فبالعناية - راجع ج ١ ص ٨ إن شئت الإيضاح .

في الأنعام عند وفكّلوا بما ذكر اسم الله عليه، عن الإمام حجة الإسلام
الغزالي رحمه الله تعالى أنه لا مكرر في القرآن .

و لما كان الرب المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكا و كانت الربوية
لا تتم إلا بالملك المفيد لتمام التصرف ، و كان المالك قد لا يكون ملكا

و لا يتم ملكه إلا بالملك المفيد للعزة المقرون بالهيبة المثمرة للبش

و القهر المنتج / لنفوذ الأمر اتبع ذلك بقوله و ملك يوم الدين، ترهيا
من سطوات مجده . قال الحرالي : و اليوم مقدار ما يتم فيه أمر ظاهر،

(١) سورة ٦ آية ١١٨ .

(٢) في النسخ كلها بزيادة الواو .

(٣) في م فقط : مالكا .

(٤) في م و مد : للهيبة .

(٥) في النسخ كلها : الثمر - كذا .

(٦) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : لتعود ، و هو محرف .

(٧) قال المصنف في تفسيره : و الملاءمة للربط و الشدة ، فالك الشيء من اشتد

ارتباطه به فاستقل بالتصرفات فيه لو كل رأيه و لم يتعلق به حق الغير بعينه

و الملك من اشتد ارتباط الخلق به لقدرته على حفظ مصالحهم و دفع مفاسدهم

و نفوذ أمره و نهيه فيهم - الخ .

(٨) قال المصنف : و اليوم ما بين طلوع فجر الصادق إلى غروب الشمس

و قد يراد به مجرد الوقت و « يوم الدين » يوم القيامة ما بين النفخة الثانية

إلى استقرار أهل الجنة و النار فيهما و « الدين » الملة أى يوم ظهور نفع ملة

الإسلام أو حقيقتها للكل - و أطال البحث فليراجع .

ثم قال : و «يوم الدين» في الظاهر هو يوم ظهور انفراد الحق بامضاء المجازاة حيث تسقط دعوى المدعين، و هو من أول يوم الحشر إلى الخلود فالأبد، و هو في الحقيقة من أول يوم نفوذ الجزاء عند مقارفة^١ الذنب في باطن العامل أثر العمل إلى أشد^٢ انتهائه في ظاهره، لأن الجزاء لا يتأخر عن الذنب وإنما يخفى لوقوعه في الباطن و تأخره^٣ عن معرفة ظهوره في الظاهر، و لذلك يؤثر عنه عليه الصلاة و السلام : إن العبد إذا أذنب نكت^٤ في قلبه^٥ نكتة سوداء . و أيضا فكل عقاب يقع في الدنيا على أيدي الخلق فانما هو جزاء من الله و إن كان أصحاب الغفلة ينسبونه^٦ للعوائد، كما قالوا : «مس اباءنا الضراء و السراء» و يضيفونه للعتدين عليهم بزعمهم، و إنما هو كما قال^٧ تعالى «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم»^٨ و كما^٩ ورد عنه عليه الصلاة و السلام : الحى من فيح جهنم، و إن شدة^{١٠} الحر و القرم من نفسها . و هى سوط الجزاء الذى أهل الدنيا بأجمعهم مضروبون

(١) من م و ظ ، و وقع في الأصل و مد : مقارفة - خطأ .

(٢) من م و ظ و مد ، و في الأصل : اسد - كذا .

(٣) من م و مد و ظ ، و في الأصل : تأخر، بدون الإضافة الى الضمير .

(٤) ليست في م .

(٥) زيد في م : معا .

(٦) سورة ٧ آية ٩٥ .

(٧) زيد في م : الله .

(٨) سورة ٢٤ آية ٣٠ .

(٩) ليس في مد .

(١٠) من م و مد ، و في الأصل و ظ : اشد .

به، ومنهل التجهم^١ الذى أجمعهم^٢ واروده^٣ من حيث لا يشعر به أكثرهم، قال عليه الصلاة والسلام: المرض سوط الله فى الأرض يؤدب الله به عباده . وكذلك ما يصيبهم من عذاب النفس بنوع النعم والهم والقلق والحرص وغير ذلك، وهو تعالى مَلِكٌ ذلك كله ومالكه، سواء ادعى فيه مدع أو لم يدع، فهو تعالى بمقتضى ذلك [كله مَلِكٌ -^٤] يوم ٥ الدين ومالكه مطلقا فى الدنيا والآخرة وإلى الملك أنهى^٥ الحق تعالى تنزل أمره العلى لأن به رجوع الأمر عودا على بدء^٦ بالجزاء العائد على آثار ما جلاوا^٧ عليه من الأوصاف تظهر^٨ عليهم من الأفعال^٩ كما قال تعالى «سيجزىهم وصفهم^{١٠}» و«جزاء بما كانوا يعملون^{١١}» وبه تم انتهاء^{١٢}

- (١) وفى م: التجهم - كذا .
- (٢) وفى مد و متن م: أكثرهم، وبهامش م: اجمعهم .
- (٣) من م ومد و ظ، وفى الأصل: و اراده - كذا .
- (٤) زيد من مد، وفى م و ظ زيادة «ملك» فقط .
- (٥) من م و ظ، وفى الأصل ومد: انتهى .
- (٦) زيد فى ظ: ملك .
- (٧) من م ومد و ظ، وفى الأصل: جلاوا - كذا .
- (٨) فى م ومد: و ظهر .
- (٩) فى تفسير المصطفى: وحكمته بالفرقة بين المحسن والمسيء بالإنعام الصرف والانتقام الصرف والجزاء مصلح للظاهر والباطن رافع للحجب الظلمانية من متابعة الهوى والغضب وبه يتم التمدن .
- (١٠) سورة ٦ آية ١٣٩ .
- (١١) سورة ٣٢ آية ١٧ وسورة ٤٦ آية ١٤ وسورة ٥٦ آية ٥٢ .
- (١٢) من م ومد و ظ، وفى الأصل فقط: انتهى - كذا .

الشرف العلى' وهو المجد الذى عبر عنه قوله تعالى: مجدى عبدي - انتهى، ولما لم يكن فرق هنا فى الدلالة على الملك بين قراءة «مَلِك» وقراءة «مَلِك»، جاءت الرواية بهما، وذلك لأن المالك إذا أضيف إلى اليوم أفاد اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض، فلا يكون لاحد معه أمر ولا معنى للملك سوى هذا، ولما لم تُقدِّم إضاقة إلى الناس هذا المعنى لم يكن خلاف فى «مَلِك الناس». فلما استجمع الأمر استحقاقاً^٣ وتحبباً^٤ وترغيباً^٥ كان من شأن كل ذى لب الإقبال إليه وقصر الهمم عليه فقال^٦ عادلاً عن أسلوب الغيبة إلى الخطاب لهذا^٧ مقدماً^٨

(١) زيد فى م العبارة السابقة من «لأن به رجع» إلى «من الأفعال» مكررة.

(٢) فى م وظ: لم يقد.

(٣) زيد فى م: أى بتعليق الأمر بالذات فى الحمد لله.

(٤) زيد فى م: أى بالربوبية.

(٥) زيد فى م: بالرحمة.

(٦) زيد فى م: أى بالملك.

(٧) ليس فى مد.

(٨) فى تفسير المهانمى: وتقديم «إياك» للتنبيه على عظمة الله ليعبد على الخشية

فلا يلتفت يميناً وشمالاً، ولأن الابتداء بذكر المعبود أولى من الابتداء بصفة العبد وإنما خاطبه بعد الغيبة لأنه قبل ذكر الصفات لم ينكشف انكشافه

بعد ذكرها فكان فى حكم الغائب قبل ذكرها والمشاهدة بعدها - وإن أردت

الاطلاع على ما فيه من وجوه سواها فراجع ج ١ ص ١١. وفى انوار التنزيل

لليضاوى: وكرر الضمير للتنصيص على أنه المستعان به لا غير، وقدمت العبادة على

الاستعانة ليتوافق رؤس الآى، ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة =

للسيلة على طلب الحاجة لأنه أجدر بالإجابة^١: «اياك» أى يا من
 هذه الصفات صفاته^٢ «نعبد» إرشاداً^٣ لهم إلى ذلك؛ ومعنى «نعبد» كما قال
 الحرالى: تبلغ الغاية فى أنحاء التذلل، وأعقبه بقوله مكرراً للضمير حثاً^٤
 على المبالغة^٥ فى طلب العون «وياك نستعين» إشارة إلى أن عبادته
 لا تنهى إلا بمعونه و إلى أن ملاك^٦ الهداية بيده: فانظر كيف ابتدأ^٧
 سبحانه^٨ بالذات، ثم دل عليه بالأفعال، ثم رقى إلى الصفات، ثم رجع
 إلى الذات إيماءً إلى^٩ أنه الأول [و-^{١٠}] الآخر المحيط، فلما حصل^{١١} الوصول
 إلى شعبة^{١٢} من علم الأفعال و الصفات علم الاستحقاق للأفراد بالعبادة

= ادعى إلى الحاجة، واقول: لما نسب المتكلم العبادة إلى نفسه أوهم ذلك تبجّط
 واعتداداً منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله «اياك نستعين» ليدل على أن العبادة أيضاً
 مما لا يتم ولا يستتب إلا بمعونه منه وتوفيق - انتهى .

(١) وقع فى ظ: بلاجاة - كذا مصحفاً، و زيد بعدها فى مد: فقال .

(٢) فى م: ارشأ - كذا .

(٣) من م ومد، و وقع فى الأصل و ظ: حقا - خطأ .

(٤) زيد فى ظ: فى الاخلاص .

(٥) فى مد: ملك - كذا .

(٦) زيد فى م: و تعالى .

(٧) ليس فى ظ .

(٨) زيد من ظ .

(٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: جعل .

(١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: سعيه .

فعل العجز عن الوفاء بالحق^١ فطلبت الإعانة^٢ فهو كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم و أبو داود في الصلاة و الترمذى و ابن ماجه في الدعاء و النسائى و هذا لفظه في التعوذ عن عائشة رضى الله عنها: أعوذ بعفوك^٣ من عقوبتك^٤، و برضاك^٥ من سخطك^٦، و بك^٧ منك^٨؛ ثم أتبعه ه فيما زاد^٩ عن النسائى الاعتراف بالعجز في قوله: لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك^{١٠}. و فى آخر سورة اقرأ شرح بديع لهذا الحديث^{١١}.

قال الحرالى: و هذه الآيات أى هذه و ما بعدها مما جاء كلام الله فيه جاريا على لسان خلقه فان القرآن كله كلام الله لكن منه ما هو كلام الله عن نفسه^{١٢} و منه ما هو كلام الله عما كان يجب أن ينطق به الخلق على اختلاف

(١) وفى تفسير المهايمى ما نصه: «وترتب الاستعانة عليه لأنها إما لخوف الثواب او انقلاب سببه سببا للعقاب او لخوف الحجاب ولو بالعبادة عن المعبود و إنما يتم رفعه يومئذ الى ان قال المصنف: و نون نعيد للجمع ان قرأ فى الصلاة جماعة و إن صلى فيها منفردا فمع الملائكة ثم انه يذكر مع عبادته عبادة غيره معيانى حقه أو دلالة انه واحد من العباد نفيًا لتوهم ادعاء التفرد بها واستقصار المذكور عبادته وحده من غير أن يضمها إلى عبادة أخيه» إن شئت الاطلاع على ما بعده فراجع - ج ١ ص ٢٦ .

(٢) زيد فى م: هذا فعل .

(٣) زيد فى م: صفة الوهية .

(٤) زيد فى م: ذات .

(٥) فى ظ: زاده .

(٦ - ٧) ليست فى ظ .

أُستَتمُّهم وأحوالهم وترقى درجاتهم ورتب تفاضلهم بما لا يمكنهم البلوغ إلى كنهه^١ لقصورهم وعجزهم، فتولى الله الوكيل على كل شيء الإنباء^٢ عنهم بما كان يجب عليهم بما لا يبلغ إليه وسع خلقه وجعل تلاوتهم^٣ لما أنبأ به على ألسنتهم نازلاً لهم منزلة أن لو كان ذلك النطق ظاهراً منهم لطفاً بهم وإتماماً للنعمة عليهم^٤، لأنه تعالى لو وكلهم في ذلك إلى أنفسهم لم يأتوا بشيء يصلح^٥ به أحوالهم في دينهم وديارهم، ولذلك لا يستطيعون شكر هذه النعمة إلا أن يتولى هو تعالى بما يلقنهم^٦ من كلامه بما^٧ يكون أداء لحق^٨ فضله عليهم بذلك، وإذا كانوا لا يستطيعون الإنباء عن أنفسهم بما يجب عليهم من حق ربهم فكيف بما يكون نبأ عن تحميد الله وتمجيده، فأذا^٩ ليس لهم

(١) في الأصل: كنه - بدون الإضافة إلى الضمير .

(٢) من م وظ ومد، وفي الأصل: الإنباء .

(٣) قال عبد الله بن عمر الشافعي في تفسيره المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل: هذا وما بعده منقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل عن فضله .

(٤) زيد في ظ: و .

(٥) في مد: يصلح .

(٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: له .

(٧) وفي م: يلقينهم .

(٨) في م ومد: ما .

(٩-٩) من م، وكذا هو في الأصل وظ بزيادة الألف بعد الهجزة، وفي مد: إذ الحق .

(١٠) في مد: فاذن .

وصلة إلا تلاوة كلامه العلى بفهم كان ذلك أو 'بغير فهم' ، و تلك هي
 صلاتهم المقسمة التى [عبر-^٢] عنها فيما صح عنه عليه الصلاة والسلام
 من قوله تعالى : قسمت الصلاة بينى و بين عبدى نصفين - ثم تلا هذه
 السورة ؛ فجاءت الآيات الثلاث الأول بحمد^٣ الله تعالى نفسه ، فاذا تلاها
 العبد قبل الله منه تلاوة عبده كلامه و جعلها منه حمدا و ثناء و تمجيذا ،
 و جاءت هذه الآيات على لسان خلقه فكان ظاهرها التزام عهد العباد
 و هو ما^٤ يرجع إلى العبد^٥ و عمادها طلب المعونة من الله سبحانه و هو

(١-١) فى م : يعرفهم .

(٢) زيد من م و مد و ظ .

(٣-٣) ليست فى م و مد .

(٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : الحمد .

(٥) فى م و مد : ما .

(٦) و فى أنوار التنزيل : قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نعبدك و لا نعبد
 غيرك ، و تقديم ما هو مقدم فى الوجود و التنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون
 نظره إلى العبود أولا و بالذات و منه إلى العبادة لا من حيث أنها عبادة
 صدرت عنه بل من حيث أنها نسبة شريفة إليه و وصلة بينه و بين الحق فان
 العارف إنما يحى وصوله اذا استغرق فيه فى ملاحظة جناب القدس و غاب عما
 عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه و لاحالا من احوالها إلا من حيث انها ملاحظة له
 و منتسبة إليه .

ما^١ يرجع إلى الحق، فكانت بينه وبين عبده و تقدمت بينته^٢ تعالى،
 لأن المعونة مقدمة على العبادة و واقعة بها و هو مجاب فيما طلب من
 المعونة، فمن كانت عليه مؤنة شيء فاستعان الله فيها على مقتضى هذه الآية
 جاءته المعونة على قدر مؤنته، فلا يقع لمن اعتمد مقتضى هذه الآية عجز
 عن مرام أبدا و إنما يقع العجز ببخس^٣ الحظ من الله تعالى و الجهل^٤ ه
 بمقتضى ما أحكمته هذه الآية و الغفلة عن النعمة بها، و في قوله «نعبد»
 بنون الاستتباع إشعار بأن الصلاة بنيت على الاجتماع - انتهى . و في
 الآية نديب إلى اعتقاد العجز و استشعار الافتقار و الاعتصام بحوله و قوته،
 فاقضى ذلك توجيه الرغبات إليه بالسؤال فقال «اهدنا الصراط المستقيم»
 تلقينا لأهل لطفه و تنيها على محل السلوك الذي لا وصول بدونه، و الهدى ١٠
 قال الحرالي: مرجع الضال إلى ما ضل عنه، و الصراط الطريق الخطر^٥
 السلوك^٦ هو الآية من كلام الله تعالى على لسان العلية^٧ من خلقه، و جاء

(١) وفي م ومد و مما .

(٢) وفي ومد و ظ، وفي الأصل: بينته - كذا .

(٣) من م ومد و ظ، وفي الأصل: لبخس - كذا .

(٤) من م ومد و ظ، وفي الأصل: الجليل - و هو محرف .

(٥) من م ومد و ظ، وفي الأصل: الخطو - كذا .

(٦) قال الهائمي في تفسيره: و الصراط الطريق الواضح و أصله السين، سمي
 به لأنه يسطر السابلة أي يتتبعهم، و كأنه يشير إلى أن من عظمت أنة بحيث
 لا يظهر سالكوه و إن بلغوا ما بلغوا من بذل و سعيهم فيه .(٧) العلية و العلية، و هو من عليّة قومه أي من أهل الشرف و العلاء و الرفعة
 فيهم (نظر المحيط) و في ظ: العيلة .

مكملا بكلمة "ال" لأنه الصراط الذي لا يضل بمهتديه^١ لإحاطته
ولشمول سريانه^٢ وفقا لشمول معنى الحمد في الوجود كله وهو الذي
تشنت الآراء وتفرقت الفرق بالميل إلى واحد من جانبيه وهو الذي
ينصب مثاله - وعلى حذو^٣ معناه بين ظهرائي^٤ جهنم يوم الجزاء للعيان
٥ وتحفه^٥ مثل تلك الآراء خطاطيف وكلايب، تجري أحوال الناس معها^٦
في المعاد على حسب مجراهم مع حقائقها التي^٧ ابتداء^٨ في يوم العمل، وهذا
الصراط الأكمل و^٩ هو المحيط المترتب على الضلال الذي يعبر به عن/ حال
من لا وجهة له، وهو ضلال ممدوح لأنه يكون عن سلامة الفطرة
لأن من لا علم له بوجهة فحقه^{١٠} الوقوف عن كل وجهة وهو ضلال
١٠ يستلزم هدى محيطا^{١١} منه «ووجدك ضالا فهدى، وأما من هدى وجهة ما

/ ١١

(١) في م: الى - كذا .

(٢) كذا، والظاهر: مهتديه - بدون الباء .

(٣) من ظ، وفي الأصل وم ومد: سريانه .

(٤) من م ومد وظ، وفي الأصل: حذر .

(٥) من م ومد وظ، وفي الأصل: طرائي .

(٦) وفي م: تحفه، وفي ظ: تحفه .

(٧) في م: معها - كذا .

(٨) ليس في م ومد وظ .

(٩) كذا، والظاهر: ابتداءها .

(١٠) من م ومد وظ، وفي الأصل: منعه .

(١١) زيد في م ومد «و» .

فضلّ عن^١ مرجعها فهو ضلال مذموم لأنه ضلال بعد هدى وهو يكون عن اعوجاج في الجبلّة - انتهى . ثم أكد سبحانه وتعالى الإخبار بأن ذلك لن يكون إلا بانعامه منها بهذا التأكيد الذي أفاده الإبدال على عظمة هذا الطريق فقال « صراط الذين أنعمت عليهم » فأشار إلى [أن - ٢]
الاعتصام به في اتباع رسله ، ولما كان سبحانه عام^٢ النعمة لكل موجود ه
عدواً كان أو ولياً و كان حذف المنعم به لإرادة التعميم^٣ من باب تقليل اللفظ لتكثير المعنى فكان من المعلوم أن محط السؤال بعض أهل النعمة وهم أهل الخصوصية - يعنى^٤ لو قيل : اتبع طريق أهل مصر مثلاً لا أهل دمشق ، علم أن المنى غير داخل في الأول لأن شرطه أن يتبعاه^٥ متعاطفاه كما صرحوا به ، بخلاف ما لو قيل : اتبع طريق أهل مصر غير الظلمة ، فانه ١٠
يعلم أن الظلمة منهم ، فأريد هنا التعريف بأن النعمة عامة ولو لم تكن إلا بالإيجاد ، ومن المعلوم أن السلوك لا بد وأن يصادف طريق بعضهم وهم منعم عليهم فلا يفيد السؤال حيثئذ ، فعرف أن المسؤل إنما

(١) في م وظ ومد : في .

(٢) زيد من م وظ ومد .

(٣) كذا ، والظاهر : عم .

(٤) من م ومد وظ ، وفي الأصل : المنعم .

(٥) ليس في م ومد ، والعبارة الآتية إلى « هو طريق أهل النعمة » ليست في م ومد وظ .

(٦) في الأصل : ان يتبعاه - كذا .

هو طريق أهل النعمة بصفة^١ الرحيمية تشوقت النفوس إلى معرفتهم فيزهم^٢
 ببيان أضرارهم^٣ تحذيرا منهم^٤، فعرف أنهم قسمان: قسم أريد للشقاوة
 فأناد في إخلاله^٥ بالعمل فاستوجب الغضب، وقسم لم^٦ يرد للسعادة
 فضل من جهة إخلاله^٧ بالعلم فصار إلى العطب فقال مخوفا بعد الترجية^٨
 ليكمل الإيمان بالرجاء والخوف معرفا^٩ بأن النعمة عامة والمراد منها
 ما يخص أهل الكرامة: «غير المغضوب عليهم» أي الذين تعاملهم معاملة
 الغضبان لمن وقع عليه غضبه، و تعرفت «غيره» لتكون صفة للذين
 باضافتها إلى الضد فكان مثل: الحركة غير السكون، ولما كان المقصود
 من «غير» النفي^{١٠} لأن السياق له وإنما عبر بها دون أداة استثناء دلالة

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: خاصة .

(٢) زيد في ظ «بيان أنهم قسمان» .

(٣-٤) في ظ : تحذرا .

(٥) من م ومد، وفي الأصل وظ : خلاله .

(٦) ليس في مد .

(٧) من مد وظ ، و وقع في الأصل وم : التوجيه .

(٨) من م وظ ومد، وفي الأصل : معرفان .

(٩) من م ومد، وفي الأصل وظ : المنفى، وفي تفسير المصنف: وهذا أقرب حذر
 عن متابعتهم لأنها كتابعة أعداء الملوك يجعل التابع في حكم المتبوع، وابتداء باسم الله
 وحده وانتهى بذي الغضب والضلال لأن مطلع الخيرات الإقبال على الله
 وتوابعها بالسلامة عن الغضب والضلال، وفيه إشارة إلى سبب الرحمة، ثم إن
 جعل «غير» بدلا فكان الداعي رأى تصور نفسه عن سلوك صراط النعم =

على بناء الكلام بادئ^١ بدء على إخراج المتلبس بالصفة^٢ وصونا للكلام^٣ عن
إفهام أن ما يعد^٤ أقل ودون لا^٥ ولا الضالين، فلم مقدار النعمة على القسم
الأول وأنه لا نجاة إلا باتباعهم و أن من حاد عن سبيلهم عامدا أو مخطئا
شقي ليشمر^٦ أولو الجد عن^٧ ساق العزم وساعد الجهد في اقتفاء^٨ آثارهم^٩
للفوز بحسن جوارهم في سيرهم و قرارهم .

قال الحرالي : « المعضوب عليهم » الذين ظهر^{١٠} منهم المراغة و تعمد
= عليهم فأعرض عن طلبه وأخذ يطلب السلامة..... و لفظة « غير » تشعر
بالتأية الكلية و زيادة « لا » مشعرة بأن المطلوب الإخلاء عنه سواء قارنه
الغضب أم لا .

(١) في م : يادئ - كذا .

(٢) من هنا إلى « أقل » ليست في ظ .

(٣) في مد : للفظ .

(٤) من مد ، وفي الأصل وم : بعد .

(٥) زيد في م وظ ومد : للتنبيه على أن الصنفين من أهل النعمة وكانت « لا » مع

كونها أخصرو أرشق وأدل (في مد : أولى) بالنفي وأحق وأوفق تفيد مع

التأكيد أن المراد بجانب كل واحد من الصنفين على حياله قال .

(٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل : ليستمر .

(٧) من م ومد ، وفي الأصل وظ : على ، وهو الأوفق يستمر .

(٨) في م : الاقتفاء .

(٩) زيد في م ومد وظ : والاهتداء بمنارهم .

(١٠) في م ومد وظ : ظهرت .

المخالفة فيوجب ذلك الغضب من الأعلى والبغض من الأدنى . و « الضالين »
 الذين وجهوا وجهه هدى فزاغوا عنها من غير تعمد لذلك . « آمين » كلمة
 عزم من الأمن ، مدلولها أن المدعو مأمون منه أن يرد من دعاه لأنه
 « لا يعجزه شيء » ولا يمنعه شيء لا تصلح إلا لله لأن ما دونه لا ينفك عن عجز
 أو منع [انتهى - ٥] . وهو صوت سمي به الفعل الذي هو استجب وقد
 انعطف المنتهى على المبتدأ بمراقبة القسم الأول اسم الله فجازوا ثمرة
 الرحمة وخالف هذان القسمان فكانوا من حزب الشيطان فأخذتهم
 النقمة ، و علم أن نظم القرآن على ما هو عليه معجز ، ومن ثم اشترط

/ ١٢

- (١) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : فوجب .
- (٢) في مد : الذي .
- (٣) من م ، وفي الأصل ومد و ظ : عزمة .
- (٤ - ٤) ليست في م .
- (٥) زيد من م ومد و ظ .
- (٦) وفي تفسير المهائمي : آمين بمعنى استجب أو كذلك افعل أو قاصدين نحوك
 أو عاجزين عن بلوغ الثناء عليك أو راجين إجابة الدعوة أو مشتغلين بها عن
 سائر الأشياء أو راضين بما نصبت لنا أو علينا ، وبالجملة ففيه رجوع إلى الله وإدانة
 الانتقار إليه وهو أصل كل خير وبه يتم سلوك طريق الحق ويسلم من
 الآفات - انتهى .
- (٧) ليس في م .
- (٨) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : فجازوا .
- (٩) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : هذا .

في الفاتحة في الصلاة لكونها واجبة فيها الترتيب، فلو قدم فيها
أو أخر لم تصح الصلاة [وكذا لو أدرج فيها ما ليس منها للاخلال
بالنظم - ٢] .

قال الأصهباني: فإن القرآن معجز والركن الآيين الإعجاز يتعلق
بالنظم والترتيب - انتهى . والحاصل أنه لما رفعت تلك الصفات هـ
العلية لمخاطبتها الحجب وكشفت له بسمو مجدها وعلو جدها [وشرف
حمدها - ٧] جلائل السترة وأشرفت به رياض الكرم ونشرت له
لطائف عواطفها بسط البر والنعم ثم اخترقت به مهامه العظمة والكبرياء
وطوت في تيسيرها له مفاوز الجبروت والعز و أومضت له بوارق

(١) زيد في ظ : و .

(٢) من م ومد، وفي الأصل و ظ : و .

(٣) زيد من م مد .

(٤) زيد في م ومد : في .

(٥) من م ومد، وفي الأصل و ظ : وقعت، وزيدت بعده في الأصل و ظ :
ولذا لو أدرج فيها ما ليس منها للاخلال بالنظم (وزيد بعد « بالنظم » في
الأصل فقط « لا » .

(٦) من م ومد و ظ، وفي الأصل : كشف .

(٧) زيد من م ومد و ظ .

(٨) في مد : السير .

(٩) في مد و ظ : اشرفت .

(١٠) زيد في م ومد و ظ : على .

(١١) في م ومد و ظ : بطائف .

(١٢-١٣) ليست في مد .

النقم من ذلك الجنب الأشم^١ وصل إلى مقام الفناء عن^٢ الفاني وتمكن
 في^٣ رتبة شهود البقاء للباقي فبادر الخضوع له معرضا عن السوى حاكما
 على الأغيار بما لها من ذواتها [من - ^٤] العدم والتوى^٥ فقال «ياك
 نعبد، وفي تلك الحال تحقق العجز عن توفية^٦ ذلك المقام ما له من
 الحق فقال: «وياك نستعين» .

فكشف له الشهود في حضرات المعبود عن طرق عديدة و منازل
 سامية بعيدة ورأى أحوالاً جمّة وأودية مدلهمة وبحارا مغرقة^٧ وأنوارا^٨
 هادية وأخرى محرقة، ورأى لكل أهلا^٩ قد أسلكوا^{١٠} فجاء تارة حزنا
 وأخرى^{١١} سهلا، وعلم أن لا نجاة إلا بهدايته ولا عصمة بغير عنايته
 ١٠. ولا سعادة إلا برحمته ولا سلامة لغير أهل نعمته^{١٢}؛ فلما أشرق واستنار

(١) في مد نقط : الاسم .

(٢) في م : من .

(٣) من م ومد وظ ، وفي الأصل : من .

(٤) زيد من م ومد وظ .

(٥) في م : التوى .

(٦) في م : توفية .

(٧) من م ومد ، وفي الأصل وظ : معرفة .

(٨) في م : أنوارها .

(٩-٩) ليست في م .

(١٠) في م : تارة .

(١١) في تفسير المصنف «فن الأصول معرفة الله تعالى بأنه الذي قامت به الموجودات

قيام الأجساد بالأرواح ومعرفة وجوده بأنه الذي رجح من رحمته أحد طرفي

الممكنات ومعرفة صفاته بأنها الكمالات الموجبة للحمد والتربية تقتضي الحياة =

وعرف مواقع الأسرار [بالأقدار - '] كأنه قيل له : ما ذا تطلب
 [وفي - '] أى مذهب تذهب ؟ فقال : « اهدنا الصراط المستقيم » .
 ولما طلب أشرف طريق سأل أحسن رفيق فقال : « صراط الذين
 انعمت عليهم » ، ولما كانت النعمة قد تخص الديوية عينها واستعاذ^١
 من أولئك الذين شاهدتم فى التيه سائرين وعن القصد عاثرين حائرين ه
 أو جائرين فقال : « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

وقد أشير فى أم الكتاب - كما قال العلامة سعد الدين مسعود
 ابن عمر التفتازانى الشافعى - إلى جميع النعم فانها ترجع إلى إيجاد وإبقاء
 أولا و٣ [إلى - '] إيجاد وإبقاء ثانيا فى دار الفناء والبقاء ، أما الإيجاد
 الأول فبقوله « الحمد لله رب العالمين » فان الإخراج من العدم إلى الوجود ١٠
 أعظم تربية ، وأما الإبقاء الأول فبقوله « الرحمن الرحيم » أى المنعم
 بجلائل النعم ودقائقها التى بها البقاء ، وأما الإيجاد الثانى فبقوله « ملك

= العلم . . . ومعرفة أسمائه بأنها الوسائط القربية له بينه وبين خلقه بها يرى
 ويرحم ويفضل ومعرفة توحيده بأنه رب كل شىء ما عداه ومعرفة استحقاقه
 للعبادة بأنه المنعم المتفضل المرجوع إليه ومعرفة افتقار العبد إليه ابتداء بأنه الرب
 ووسطا بأنه الرحمن الرحيم وانتهاء بأنه مالك يوم الدين « أطال المصنف وأجاد
 من شاء الاطلاع عليه فليراجع .

(١) زيد من م وظ ومد .

(٢) فى م ومد : فاستعاذ ، وفى ظ : واستعاد .

(٣) ليس فى م .

(٤) زيد من ظ .

يوم الدين، وهو ظاهر، وأما الإبقاء الثاني فبقوله «إياك نعبد» - إلى آخرها، فإن منافع ذلك تغود إلى الآخرة .

ثم جاء التصدير بالحمد بعد الفاتحة في أربع سور أشير في [كل - ١] سورة منها إلى نعمة من هذه النعم على ترتيبها - انتهى، وسيأتي في أول [كل - ١] سورة من الأربع ما يتعلق بها من بقية كلامه . إن شاء الله تعالى، وهذا يرجع إلى أصل مدلول الحمد فإن مادته بكل ترتيب تدور على بلوغ الغاية ويلزم منه الاتساع والإحاطة والاستدارة فيلزمها مطأطأة الرأس وقد يلزم الغاية الرضا فيلزمه الشكر وسيبين وينزل على الجزئيات في سورة النحل إن شاء الله تعالى، ثم في أول ١٠ سبأ تحقيق ما قاله [الناس - ١] فيه وفي النسبة بينه وبين الشكر فقد بان سر الافتتاح بها من حيث تصديرها بالحمد^١ جزئياً فكلياً الذي / كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه^٢ فهو أجذم^٣؛ وتعقبه^٤ بمدح المحمود بما ذكر من

/ ١٣

(١) زيد من ظ و م و مد .

(٢) قال على المهاشمي في تفسيره: "ثم أشار إلى سر حمده بأنه ربي الكل تربية رحمة بأن خافه كما ينبني ثم أفاض ما يحتاج إليه في بقاءه وما يفيد سائر الكمالات التي لا تنهاى" وقال "(فمنها) فاتحة الكتاب لافتتاح قراءته و كتابته بها لأن تسميتها وحمدها مبدأ كل أمر ذى بال تحامياً عن البتر لأن وجود كل شيء بظهور اسم الله تعالى فيه و تقررده بشكره بل هو مستزید" انتهى .

(٣) وفي م و مد : به .

(٤) في م : جذم .

(٥) وفي م و مد و ظ : تعقبه .

أسمائه الحسنی مع اشتغالها على جملة ' معاني القرآن من الحكم النظرية
والاحكام العملية فهي أم القرآن لأنها [له - '] عنوان وهو كله
لما تضمنته على قصرها بسط و تبيان .

قال الاستاذ أبو الحسن الحرالي في مفتاح الباب المقفل لفهم
القرآن المنزل في آخر الباب التاسع منه : ولنته هذه الابواب بذكر ه
القرآن ومحتواه على الكتب وجمعه وقراءته وبيانه وتنزيله وإنزاله
وحكيمه^٢ ومبينه ومجیده وكریمه وعظيمه ومرجه إلى السبع المثاني
والقرآن العظيم أم القرآن ومحتواها عليه^١ ، فنذكر جميع ذلك في الباب
العاشر ، الباب العاشر في محل أم القرآن من القرآن ووجه محتوی
القرآن على جميع الكتب و الصحف المتضمنة لجميع الأديان . ١٠
اعلم أن الله سبحانه جمع نبأه العظيم كله عن شأنه العظيم جمعا في
السبع المثاني أم القرآن وأم الكتاب وكنزها تحت عرشه ليظهرها^٥
في الختم عند تمام أمر الخلق وظهور بادئ الحمد بمحمد صلى الله عليه
وسلم ، لأنه تعالى يختم بما به بدأ ولم يظهرها قبل ذلك ، لأن ظهورها

(١) في م : حملة .

(٢) زيد من م ومد وظ .

(٣) من م ومد ، وفي الأصل وظ : حكيمه ، وهو محرف .

(٤) وفي تفسير المصممي : و (منها) سورة الكنز لقول على رضي الله عنه : نزلت

سورة الفاتحة من كنز تحت العرش ، أي من أسرار المعارف المحيطة معرفة الذات

والأسماء والأفعال والمعاد والعراط المستقيم والجزاء والحاجة والأحكام .

(٥) في ظ : لتظهرها .

يذهب وهل الخلق ويمحو كفرهم ولا [يتم - '] بناء القرآن إلا
مع قائم بمشهود بيان الفعل لئتم الأمر مسمعا ومرأى^١ وذلك لمن^٢
يكون من خلقه كل خلق ليبين به ما من أمره كل أمر، ثم فيما بين
بدء الأمر المكنون وخاتم الخلق الكامل تدرج تنشؤ^٣ الخلق وبدو
ه الأمر على حسب ذلك الأمر صحفا فصحفا وكتابا فكتابا، فالصحف
لما يتبدل سريعا، والكتاب لما يثبت ويدوم أمداء، والآلواح لما
يقيم وقتا.

ففي التوراة أحكام الله على عباده في الدنيا بالحدود والمصائب
والضراء والبأساء، وفي القرآن منها ما شاء الله وما يظهره الفقه من
١٠ الحدود، ومعارف^٤ الصوفية من مواخذة المصائب؛ وفي الإنجيل أصول
تلك الأحكام والإعلام بأن المقصود بها ليست هي بل ما وراءها من
أمر الملكوت، وفي القرآن منها ما شاء الله مما يظهره^٥ العلم والحكمة
الملكوية، وفي الزبور تطريب الخلق وجدا^٦ وهم عن أنفسهم إلى
ربهم، وفي القرآن منه ما شاء الله مما تظهره الموعظة الحسنة، ثم أنهى

(١) من م ومد .

(٢) في م ومد : مرأى - كذا، ووقع في الأصل و ظ : امرا - مصحفا .

(٣) من مد، وفي الأصل و م و ظ : بمن .

(٤) من م و ظ، وفي الأصل و مد : تنشر .

(٥) من م و ظ و مد، وفي الأصل : مقارف - كذا .

(٦) زيد في م : الله .

الامر : الخلق من جميع وحوهه، فصار قرآنا جامعا لكل متما
للنعمه مكلا للدين : اليوم اكملت لكم دينكم - الآية : بعثت لأتمم مكارم
الأخلاق - وإن إلى ربك المنتهى .

و وجه فوت ٢ أم القرآن [للقرآن - ١] أن القرآن مقصود تنزيله
التفصيل و الجوامع، فيه نجوم مبثوثة غير منتظمة، واحدة إثر واحدة، ه
و الجوامع في أم القرآن منتظمة واحدة بعد واحدة إلى تمام السبع
على وفاة لا مزيد فيه ولا نقص عنه؛ أظهر تعالى "بما له" سورة صورة
تجليه من بدء الملك إلى ختم الحمد، و بما لعبده "سور مصورة" تأديه
من براءته من الضلال إلى هدى الصراط المستقيم، و وجدك ضالا
فهدى، و بما بينه وبينه قيام ذات الامر و الخلق فكان ذلك هو القرآن ١٠

(١) زيد بعده في الأصل : و الخلق - كذا .

(٢) وفي تفسير الهائمى : و اكل معنى جمع من علوم جملة ما لا يتناهى من فوائد
مهمة في الفاظ قليلة قريبة الفهم بعيدة الغور يشهد له العلوم و يشهد بها و يشتمل
على أصول مسائلها مع دلالتها و رفع الشبه عنها لا تجاهه بوجوه كثيرة باعتبار ربط
كلماته و ترتيب آياته للذى يقتدر فيه إلى تأمل كامل و تدبر تام من ذى علوم
كثيرة و باعتبار استقلالها بالزول - الخ .

(٣) من م و مد و حظ، وفي الأصل : يوت - كذا؛ وفي تاج العروس :
(ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) ... اختلافا و لا اضطرابا و عن الليث فأت
يفوت فوتا فهو فائت كما يقولون بون ما بينى و بينكم - الخ .

(٤) زيد من م و مد و حظ .

(٥-٥) ليس في مد .

(٦) في ظ : تجيله، وفي مد : تجيلته - كذا .

(٧-٧) في مد و حظ : سورة صورة .

العظيم الجامع لما حواه القرآن المطلق الذكر بما فيه من ذلك تفصيلا
 من ميبه^١ وهو ما عويقت آية مسموعة ، ومن مجيده وهو ما جربت
 أحكامه من بين عاجل^٢ ما شهد / وآجل ما علم ، يعلم ما شهد فكان
 معلوما بالتجربة المتيقنة^٣ بما تواتر من القصص الماضي^٤ وما شهد له من
 الأثر الحاضر وما يتجدد مع الأوقات من أمثاله وأشباهه ، ومن كريمه
 وهو ما ظهرت فيه أفانين إنعامه فيما دق وجل وخفى وبدا ، ومن
 حكيمة^٥ وهو ما ظهر في الحكمة المشهورة^٦ تقاضيه وانتظام مكتوب
 خلقه على حسب تنزيل أمره ، وما كان منه بتدرج وتقريب للأنفهام
 فقاءت^٧ من حال إلى حال وحكم إلى حكم كان تنزيلا ، وما أهوى
 ١٠ به^٨ من علو إلى سفلى^٩ كان إنزالا ، وهو إنزال حيث لا وسائط
 وتنزيل حيث الوسائط ؛ وبيانه حيث الإمام العامل به مظهره في أفعاله
 وأخلاقه كان خلقه القرآن ، وقرآنه تلفيق تلاوته على حسب
 ما تتقاضاه التوازل .

(١) من م ومد وظ ، وفي الأصل : بينه .

(٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل : جاعل ، وهو محرف العاجل المقابل بأجل .

(٣) في ظ : المتقنة .

(٤) كذا ، ولعله : الماضية .

(٥) في مد : حكيمة - كذا .

(٦) وفي م : الشهودة .

(٧) في م ومد وظ : ثأت .

(٨) زيد في م وظ : اهواء ، وفي مد : أهوى .

(٩) من م ، مد وظ ، وفي الأصل : اسفل .

آخر آية أنزلت « واثقوا بما ترجعون فيه الى الله » قال صلى الله عليه وسلم في مضمون قوله تعالى « ان علينا جمعه ^١ وقرانه ^٢ » : اجعلوها بين آية الدين والآية التي قبلها ، [لأنه - ^٣] ربما تقدم ^٤ كيان الآية وتأخر في النظم قرآنها ^٥ على ما تقدم عليها ، آية « يا أيها النبي انا احللتنا لك ازواجك » الآية متأخرة الكيان متقدمة ^٦ القرآن على آية « لا يحل لك النساء من ^٧ بعد ^٨ » فقد يتطابق ^٩ قرآن الأمر و تطوير الخلق وقد لا يتطابق والله يتولى إقامتهما ، وأما الجمع ففي قلبه نسبة جوامعه السبع في أم ^{١٠} القرآن إلى القرآن بمنزلة نسبة ^{١١} جمعه في قلبه لحا واحدا إلى أم القرآن « وما امرنا الا واحدة كلعج بالبصر ^{١٢} » فهو جمع في قلبه ، و قرآن على لسانه ،

(١) سورة ٢ آية ٨٢١ .

(٢-٣) ليست في م . سورة ٧٥ آية ١٧ .

(٣) زيد من م و ظ و مد .

(٤) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : يقدم .

(٥) في ظ : قرأتها .

(٦) سورة ٣٣ آية ٥٠ .

(٧) في م : بتقدمة .

(٨) سورة ٣٣ آية ٥٢ .

(٩) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : تطابق .

(١٠) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : امر .

(١١) زيد في ظ فقط : امر القرآن إلى ، وبهامشه : نسبة القرآن في .

(١٢) سورة ٤٤ آية ٥٠ .

و بيان في أخلاقه و أفعاله ، و جملة في صدره ، و تنزيل في تلاوته ،
 « و قال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » ، قال الله
 تعالى : كذلك - أى كذلك أنزلناه » ، إلا ما هو منك بمنزلة سماء الدنيا
 من الكون « انا أنزلنه في ليلة مباركة » ، أى إلى سماء الدنيا « و أنزلنه
 ٥ تنزيلًا » ، على لسانه في أمد أيام النبوة ، و قال في تفسيره : القرآن باطن
 و ظاهره محمد صلى الله عليه وسلم ، قالت عائشة رضى الله عنها : كان خلقه
 القرآن ، فحمد صلى الله عليه وسلم صورة باطن سورة القرآن ، فالقرآن
 باطنه و هو ظاهره « نزل به الروح الأمين » على قلبك » .

و قال في تفسير الفاتحة : و كانت سورة الفاتحة أما للقرآن ، لأن
 ١٠ القرآن جميعه مفصل من مجملها ، فالآيات الثلاث الاول شاملة لكل
 معنى تضمنته الأسماء الحسنى و الصفات العلى ، فكل ما في القرآن من
 ذلك فهو مفصل من جوامعها ، و الآيات الثلاث الآخر من قوله

(١) سورة ٢٥ آية ٣٢ .

(٢) في م و مد : نزلناه .

(٣) في م و مد : الى .

(٤) من م و مد و ظ ، و في الأصل : اسماء .

(٥) سورة ٤٤ آية ٣ .

(٦-٧) سورة ١٧ ، آية ١٠٦ ، و في م و مد و ظ : رتلناه ترتيلاً ، و زيد بعده

في ظ : اى .

(٧) في م : باطنه .

(٨) من م و مد و ظ ، و في الأصل : ظاهر .

(٩) سورة ٢٦ آية ١٩٤ .

و اهدنا ، شاملة لكل ما يحيط بأمر الخلق في الأصول إلى الله والتحيز
إلى رحمة الله و الانقطاع دون ذلك ، فكل ما في القرآن منه فمن تفصيل
جوامع هذه ، و كل ما يكون وصلة بين ذلك بما ظاهرهن ' هذه ' من
الخلق و مبدؤه و قيامه من الحق ففصل ٣ من آية ٣ ' اياك نعبد و اياك
نستعين ' انتهى .

و من أنفع الأمور في ذوق هذا المشرب استجلاء الحديث القدسي
الذي رواه مسلم في صحيحه و أصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة '

(١) في م و مد : ظاهره .

(٢) ليس في م و مد .

(٣-٣) ليس في م و مد و ظ .

(٤) نقل العلامة المہتمی فی تفسیره هذا الحديث بزيادة و شرح شرحا انيقا ما
نصه : روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى
قال : قسمت الصلاة - اى السورة التى هى اعظم اركان الصلاة - بينى وبين
عبدى نصفين - اى قسمين - فاذا قال العبد : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى
ذكرنى عبدى - اى الذكر الجامع لذاتى و اسمائى و صفاتى و أنعالى ، و إذا قال :
الحمد لله رب العالمين ، يقول الله : حمدنى عبدى - اى بالحمد الجامع الحمد للكل ،
و إذا قال : الرحمن الرحيم ، يقول الله : عظمنى عبدى - اى بنسبة إيجاد الكل إلى
على ما ينبغي ، و إذا قال : ملك يوم الدين ، يقول الله : مجدى عبدى - اى أفردنى
عبدى بالعظمة إذ لا ملك يومئذ لغيره اصلا ، و إذا قال : اياك نعبد ، يقول
الله : عبدنى عبدى - اى بعبادة الكل على أتم وجوه الإخلاص ، و إذا قال : و اياك
نستعين ، قال : هذا بينى وبين عبدى - اى جامع لحق العبودية من الاستعانة و حق
الربوبية من الاعانة ، و إذا قال : اهدنا الصراط المستقيم - الآية ، قال الله : هذا
لعبدى و لعبدى ما سأل - ما بقى من الشرح فليطلب من ج ١ ص ١٣ .

رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل. فإذا قال العبد « الحمد لله رب العالمين » قال الله تعالى: حمدنى عبدى، وإذا قال « الرحمن / الرحيم » قال الله: أثنى على عبدى، وإذا قال « ملك يوم الدين » قال الله: مجدنى عبدى - وقال مرة: فوض إلى عبدى، وإذا قال: « اياك نعبد و اياك نستعين » قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، وإذا قال « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل - 'والله أعلم'.

(١) فى م: حمد .

(٢-٣) ليس فى م ومد و ظ .

سورة البقرة

مقصودها إقامة الدليل على [أن - ١] الكتاب [هدى - ٢]
ليتبع^٣ في كل [ما - ٤] قال، وأعظم ما يهدى إليه الإيمان بالغيب،
وبجمعه الإيمان بالآخرة، فداره^٥ الإيمان بالبعث^٦ الذي أعربت^٧ عنه
قصة البقرة [التي مدارها الإيمان بالغيب - ٨] فلذلك سميت بها السورة هـ

(١) سميت بها للدلالة قصتها على وجود الصانع إذ حياة القتل ليست من ذاته
واللحي كل قتيل ولا يضرب بعض البقرة عليه وإلحصلت متى ضرب، وعلى
قدرته لأنه أحى بمحض قدرته لا بهذا السبب بل عنده، وعلى حكمته لأنه أشار
بذلك إلى إحياء القلب بذبج النفس الأمانة المظلمة له، وعلى النبوة لكونها
معجزة، وفيها إشارة إلى وجوب طاعة الأنبياء من غير تفتيش لتقل المؤنة
ولا تقع الفضيحة التي وقعت للقائلين « اتخذنا هزوا »، وعلى الاستقامة لأن
طلب الدنيا ذلة وطلب ما سوى الله شية - من تفسير المأتمى، ويطلب ما فيه
من التحقيق.

(٢) زيد من م ومد وظ .

(٣) في مد: فيتبع .

(٤) زيد من م .

(٥) من مد، وفي الأصل: مداره، وفي م وظ: ومداره .

(٦) من م وظ ومد، وفي الأصل قطع: بالغيب .

(٧) في م: أعرب .

(٨) زيد من م وظ ومد .

وكانت بذلك أحق من قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأنها في نوع البشر وما تقدمها في قصة بني إسرائيل من الإحياء بعد الإمامة بالصعق وكذلك ما شاكلها^١، لأن الإحياء في قصة البقرة عن سبب ضعيف في الظاهر بمباشرة من كان من آحاد الناس فهي أدل على القدرة ولا سيما

هـ وقد اتبعت بوصف القلوب^٢ والحجارة^٣ [بما عم -^٤] المهتدين بالكتاب والضالين فوصفها^٥ بالقوة الموجبة للشقوة^٦ ووصفت^٧ الحجارة^٨ بالخشية الناشئة في الجملة عن التقوى^٩ المانحة للدد^{١٠} المتعدى نفعه إلى عباد الله، وفيها^{١١} إشارة^{١٢} إلى أن هذا الكتاب فينا كما لو كان فينا^{١٣} خليفة من أولى العزم من الرسل يرشدنا في كل أمر إلى صواب

(١-١) ليس في م ومد .

(٢-٢) في ظ : كذا ما ساكلها، وفي م ومد : كذا ما شاكلها .

(٣-٣) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : بالحجارة .

(٤) زيد من م ومد و ظ ، غير أن في مد «ما» مكان «بما» .

(٥) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : بوصفها .

(٦-٦) في ظ : من وصف ، وفي م : وضعف .

(٧) زيد في م «و» .

(٨) في ظ : القوي - كذا .

(٩) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : المداد - كذا .

(١٠) ليس في م ، وفي مد : فيها .

(١١) من ظ ومد ، وفي الأصل وم : الإشارة .

(١٢) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : فيمن .

المخرج منه^١ فن أعرض خاب، ومن تردد كاد، ومن أجاب
اتقى وأجاد .

وسميت بالزهراء^٢ لإنارتها^٣ طريق الهداية والكفاية في الدنيا
والآخرة^٤، و^٥ لإيجابها إسفار الوجوه في يوم الجزاء لمن آمن بالغيب
ولم يكن في شك مريب فيحال^٦ بينه وبين ما يشتهى، وبالسنام لأنه^٧ ه
ليس في الإيمان بالغيب بعد التوحيد الذي هو الأساس الذي ينبئ^٨ عليه
كل خير و المنتهى^٩ الذي هو غاية^{١٠} السير و العالى^{١١} على كل غير بأعلى^{١٢}

(١) ليس في مد .

(٢) من م ومد وظ، وفي الأصل : الزهراء . والعبارة الآتية إلى « والآخرة »
ليست في م وظ .

(٣) من مد، وفي الأصل م وم وظ : لا تارتها - بالناء الثلاثة .

(٤) في مد : الأخرى .

(٥) ليس في ظ .

(٦) من ظ ولكنه بلا نقط فيه، وليس في م، وفي مد : فاحيل، وفي الأصل : فيما .

(٧) من م ومد وظ، وفي الأصل : لأن .

(٨) من م ومد وظ، وفي الأصل : ينبئ .

(٩) وفي ظ ومد : التاج .

(١٠) في م ومد وظ : نهاية .

(١١) من م ومد وظ، وفي الأصل : العالى .

(١٢) من ظ، وفي الأصل م وم ومد : اعلى .

ولا أجمع من الإيمان بالآخرة، و^١ لأن الستم أعلى ما في بطن^٢ المطية
الحاملة والكتاب الذي هي سوره^٣ هو أعلى ما في الحامل للامر^٤
وهو الشرع الذي أتاها به رسولهم صلى الله عليه وسلم^٥.

«بسم الله» الذي نصب مع كونه باطنا دلائل الهدى حتى كان
ظاهرا، «الرحمن» الذي أفاض رحمته على سائر خلقه بعد الإيجاد ببيان
الطريق، «الرحيم» الذي خص أهل وده بالتوفيق^٦. قال العلامة
أبو الحسن الحرالي في كتاب العروة لمفتاح الباب [المقفل - ^٧] في
معنى ما رواه عن ابن وهب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان الكتاب الأول ينزل من باب

(١) ليس في مد و ظ .

(٢) ليس في م و مد و ظ .

(٣) زيد في الأصل «او» ولم تكن الزيادة في م و مد و ظ لحذفناها .

(٤) في م و ظ : للامة، وفي مد : للامر، وفي الأصل : للامرة .

(٥) زيد بعده في الأصل « عن حياة عن عقيل بن خالد عن سلمة بن أبي سلمة
ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكر من غير ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم » ولم تكن الزيادة في م و مد و ظ لحذفناها وستجىء .

(٦) وفي تفسير المهاشمي ، ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم أى باسم الله الذي تجل
بذاته وصفاته في كتابه الشامل على بيان كمالاته ، الرحمن بنفى الريب عنه بجعله

معجزا لا لكل ، الرحيم بجعله هدى للتقين - اهـ .

(٧) زيد هنا في الأصل فقط «و» .

(٨) زيد من م و مد و ظ .

واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة
أحرف: زاجر و آمر و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال^١ فأحلوا
حلاله و حرموا حرامه و أفعلوا^٢ ما أمرتم به و انتهوا عما نهيتهم عنه
و اعتبروا بأمثاله و أعملوا بمحكمه و آمنوا بمتشابهه و قولوا: آمنا به،
كل من عند ربنا - وهذا الحديث رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده ٥
و أبو يعلى الموصلي و من طريقة ابن حبان في صحيحه، كلهم من طريق
ابن وهب^٣ عن حيوة^٤ عن عقيل بن خالد عن سلمة بن أبي سلمة بن
عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه - فذكره
من غير ذكر النبي صلى الله عليه وسلم؛ و قال العلامة الحافظ أبو شامة
عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي [الشافعي -^٥] في كتابه «المرشد الوجيز» ١٠
إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، بعد أن ساق هذا الحديث من رواية
سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود^٦ رضي الله عنه:

(١) في ظ: فَنَزَلَ.

(٢) في م: أمثاله.

(٣) من هنا إلى «وسلم» الآتي ليست في مد.

(٤) من م و ظ، وفي الأصل و مد: حياة - كذا؛ وهو حيوة بن شريح،

روى عن أبي هاني و شرحبيل بن شريك المعافى و جماعة، و عنه الليث و ابن

لهيعة و نافع بن يزيد و ابن وهب و غيرهم - راجع تهذيب التهذيب ٣/ ٦٩.

(٥) زيد من م و مد و ظ.

(٦) من م و مد و ظ، وفي الأصل: الرجيز - كذا.

(٧) من هنا إلى «ابن مسعود» الآتي ليست في م.

قال أبو عمر بن عبد البر: هذا حديث عند أهل الحديث لم يثبت، وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود، وابنه سلمة ليس بمن يحتج به، وهذا الحديث مجمع على ضعفه من جهة إسناده وقد رده قوم من أهل النظر منهم أحمد بن أبي عمران فيما سمعه الطحاوى منه، ويرويه الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن أم سلمة [عن أبي سلمة - ١] عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا^١، قال أبو شامة: وهكذا رواه البيهقي في كتاب المدخل وقال: هذا مرسل جيد، أبو سلمة لم يدرك ابن مسعود، ثم رواه موصولًا. قال: فإن صح فعنى قوله: سبعة أحرف، أى سبعة أوجه، وليس المراد به^٢ اللغات التى أبحاث القراءة عليها^٣. وهذا المراد به الأنواع التى^٤ نزل القرآن عليها والله أعلم.

قلت^٥: عزاه شيخنا العلامة مقرئ زمانه شمس الدين محمد بن محمد بن^٦ محمد بن^٧ الجزرى^٨ الدمشقى الشافعى فى أوائل كتابه^٩، والنشر فى

(١) زيد من م ومد و ظ .

(٢) ليس فى م .

(٣) زيد فى م ومد و ظ : ماورد فى الحديث الآخر من نزول القرآن على سبعة احرف ذلك المراد به .

(٤) فى ط : الذى .

(٥) زيد فى م ومد : انتهى .

(٦) فى مد : و - مكان : قلت ، وزيد بعده فى م و ظ : و .

(٧-٧) ليس فى م .

(٨) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : جزرى - كذا .

(٩) فى م فقط : كتاب .

القراءات العشر، إلى الطبراني من حديث عمر بن أبي سلمة المخزومي رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود رضي الله عنه: إن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد وإن القرآن أنزل من ^١ سبعة أبواب على سبعة أحرف: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وضرب أمثال و [أمر و - ^٢] زاجر ^٣، فأحل حلاله وحرم ^٥ حرامه وأعمل بمحكمه وقف عند متشابهه واعتبر أمثاله، فإن كلا من عند الله وما يذكر إلا أولوا الأبواب. ورواه الحافظ أبو بكر بن أبي داود في كتاب ^٤ المصاحف، من وجه آخر عن عبد الله قال: إن القرآن أنزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم من سبعة أبواب على سبعة أحرف - أو: حروف - وإن الكتاب قبلكم كان ينزل - أو: نزل - ١٠ من باب واحد على حرف واحد. ورواه البيهقي في فضل القرآن من الشعب عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: نزل القرآن على خمسة أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال.

قال الحرالي: وفي حديث آخر من طريق ابن عمر رضي الله عنهما: إن الكتب كانت تنزل من باب واحد وإن هذا القرآن أنزل من ١٥

(١) من م ومد وظ، وفي الأصل: على.

(٢) زيد من م وظ ومد، غير أن في مد: واوامر.

(٣) في مد: زواجر.

(٤) في م فقط: كتابه.

سبعة أبواب على سبعة أحرف ، وقال فى معنى ذلك ^١ : اعلم أن القرآن منزل ^٢ عند انتهاء الخلق وكمال كل الأمر بدءا فكان ^٣ المتخلق به جامعا لانتهاه كل خلق وكمال كل أمر ، فلذلك هو صلى الله عليه وسلم قُسم ^٤ الكون - وهو الجامع الكامل - [و-°] لذلك كان خاتما ، وكان كتابه ^٥ ختما ، وبدأ المعاد من حد ظهوره ، إنه هو يبدئ ويعيد ، فاستوفى ^٦

/ ١٧

(١) قال فى حاشية الإتيان: قوله: أنزل القرآن على سبعة أحرف ، قال فى القاموس: أى سبع لغات من لغات العرب ، وليس معناه أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه وأن جاء ع-لى سبعة وعشر أو أكثر ولكن المعنى هذه اللغات السبعة مفرقة فى القرآن - انتهى . وفى التوشيح: اختلف فى المراد بها على نحو أربعين قولاً وبسطتها فى الإتيان وأقربها قولان: أحدهما أن المراد سبع لغات . وتعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة ، وأجيب أن المراد بها أفصحها ، وعليه أبو عبيدة و ثعلب والأزهري وآخرون وصححه ابن عطية والبيهقى ؛ والثانى أن المراد سبعة أوجه من المعانى المتنقة بالفاظ مختلفة - إن شئت مزيد تحقيق فراجع الى حاشية الصحيح للبخارى ج ٢ ص ٧٤٦ .

(٢) وفى مد: ينزل .

(٣) من م ومد ، وفى الأصل: و كان .

(٤) من مد وظ ، وفى م: قسم ، وفى الأصل: قسم - بالفاء الموحدة ، والصواب بالقاف - راجع قطر المحيط ص ١٦٦ .

(٥) زيد من م وظ ومد .

(٦) فى متن م ومد: كخاتمه ، وفى هامشها: كتابه .

(٧) من م ومد وظ ، وفى الأصل: فاستوى .

صلاح هذه ' الجوامع الثلاث التي قد خلت في الأولين بداياتها وتمت
عنده نهاياتها^٢؛ بحث لآتمم مكارم الأخلاق - رواه أحمد عن معاذ
رضي الله عنه رفعه ، وهي صلاح الدنيا والدين والمعاد التي جمعها في قوله
صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : اللهم
أصلح لي ديني الذي^٣ هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها
معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي إليها^٤ معادي . وفي كل صلاح إقدام
وإحجام قصير الثلاثة الجوامع ستة انفصالات هي حروف القرآن
الستة التي لم يبرح يستزيدها^٥ من ربه حرفا^٦ حرفا ، فلما استوفى الستة
وهبه^٧ ربه حرفا جامعا سابعافردا لا زوج له ، قم إنزاله على سبعة أحرف .
فأدنى^٨ تلك الحروف هو^٩ حرف إصلاح^٩ الدنيا ، فلها حرفان : ١٠

(١) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : هدا - كذا .

(٢) في م : غاياتها .

(٣) ليس في م .

(٤) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : فيها .

(٥) في الصحيح للامام البخاري فضائل القرآن باب ه : ان ابن عباس رضي الله
عنهما حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأني جبرئيل على حرف
فراجعته فلم ازل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف .

(٦) زيد في ظ : واحد .

(٧) زيد في م : من .

(٨) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : قاوتى .

(٩-٩) في م ومد : حرفا صلاح .

أحدهما حرف الحرام الذى لا تصلح^١ النفس و البدن إلا بالتطهير^٢
 منه لبعده عن تقويمها^٣؛ والثانى حرف الحلال الذى تصلح النفس
 و البدن عليه لموافقته لتقويمها^٤؛ وأصل هذين الحرفين فى التوراة،
 و تمامهما فى القرآن .

٥ ثم يلى^٥ هذين حرفا صلاح المعاد: أحدهما حرف الزجر و النهى
 التى لا تصلح الآخرة إلا بالتطهير^٦ منه لبعده عن حسناتها ، و الثانى
 حرف الأمر الذى تصلح الآخرة عليه لتقاضيه بحسناتها^٧، و قد يتضرر
 على ذلك حال الدنيا، لأنه يأتى على كثير من حلالها لوجوب إثارة^٨
 الآخرة لبقائها و كليتها على الدنيا لقناتها و جزئيتها، لكون خير الدنيا
 ١٠ جزءا من مائة^٩ و شر الدنيا جزءا من سبعين [جزءا - ^{١٠}] و لا يؤثر^{١١}

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لا تصح ، و هو كما ترى .

(٢) من مد، و فى الأصل و م و ظ : بالتطهير .

(٣) فى الأصول : تقويمها .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تلى .

(٥) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : لحسناتها .

(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : آثار .

(٧) فى م : امامه - كذا .

(٨) زيد من ظ .

(٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يومر - كذا .

هذا الجزء الأدنى لحضوره على ذلك الكل الأنهى لغيابه إلا من سفه
نفسه و ضعف إيمانه ، فتخلص المرء^١ من حرف الحرام طهره و تحاشه
من النهى طيه ؛ و أصل هذين الحرفين فى الإنجيل و تمامهما فى القرآن .

ثم بلى^٢ هذين حرفا صلاح الدين : أحدهما حرف المحكم الذى بان
للعبد فيه خطاب ربه من جهة أحوال قلبه و أخلاق نفسه و أعمال بدنه ه
فيما بينه و بين ربه من غير التفات لغرض النفس فى عاجل الدنيا
ولا آجلها ، و الثانى حرف المتشابه الذى لا يتبين للعبد فيه خطاب ربه
من جهة قصور عقله عن إدراكه و وجوب تسليح ربه عن تمث^٣ عبده
إلى أن يؤيده الله بتأييده . و الحروف الخمسة للاستعمال و هذا الحرف

السادس للوقوف ليكون العبد قد وقف لله بقلبه عن حرف كما قد ١٠
كان أقدم لله على تلك الحروف ، و لينسخ بمعجزه^٤ و إيمانه عند هذا
الحرف السادس انتهاء ما تقدم من طوقه^٥ / و علمه^٦ فى تلك الحروف
ابتداء ؛ و أصل هذين الحرفين فى الكتب المتقدمة كلها و تمامها^٧

(١) فى ظ : المرء - كذا .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تلى .

(٣) و فى مد : تمثيل .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بمعجزه .

(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : طرقة .

(٦-٦) كرده فى الأصل ثانيا .

(٧) فى مد : تمامها .

في القرآن .

فهذه الحروف الستة يشترك فيها القرآن مع سائر الكتب ويزيد عليها تمامها وبركة جمعها ، ويختص القرآن بالحرف السابع الجامع مبین المثل الأعلى و مظهر المثل الأعظم حرف الحمد الخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم و هو حرف المثل ، وعن جمعه و كمال جمعه لمحمد صلى الله عليه وسلم في قلبه وقراءته على لسانه و بيانه في ذاته ظهرت عليه خواص خلقه الكريم و خلقه العظيم ، و لا ينال إلا موهبة من الله تعالى لعبده بلا واسطة ، و الستة تنزل بتوسطات من استواء الطبع و صفاء العقل بمثابة وحى النبی و إلهام الولی .

١٠ و لما كان حرف الحمد هو سابعها الجامع افتتح الله به ٣ سبحانه و تعالى الفاتحة أم القرآن و أم الكتاب و جمع فيها جوامع الحروف السبعة التي بثها في القرآن كما جمع في القرآن ما بث في جميع الكتب المتقدمة ، كفضة^٤ ثقلت على مريد^٥ السفر [فابتاع بها ذهباً فذلك مثل القرآن ثم ثقل عليه الذهب -^٦] فابتاع به جوهراً ، فذلك مثل أم القرآن ١٥ فاذن كمال الحروف [التي أنزل عليها القرآن -^٦] موجودة في جوامع

(١) في ظ : بمحمد .

(٢) في م و مد : ستة .

(٣) ليس في م و مد .

(٤) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : كقعة - كذا .

(٥) في مد : ثريد .

(٦) زيد من م و ظ و مد .

أم القرآن ، فالآية الأولى تشتمل على حرف الحمد السابع ، و الثانية تشتمل على حرفي الحلال والحرام اللذين أقامت الرحمانية بهما الدنيا ، يريد -^١ والله سبحانه وتعالى أعلم - أن الرحمانية وسعت على العباد الاستمتاع بالخلق من النعم والخيرات الموافقة لطباعهم وأمرجتهم وقبول نفوسهم في جميع جهات الاستمتاع ، فكان في ذلك رحمتان : رحمة ه بالإبادة وهي إزالة حرج الحظر ، ورحمة بمنع لحاق حرج الإثم أو يجعل المباح شهيا للطبع ، و أما الرحيمية فطهرتهم من مضار أبدانهم ورجاسة نفوسهم وبجھلة قلوبهم ، ففي ذلك رحمة واحدة وهي حماية المحبوب عن المضار ٣ من المحبوب . أو يريد - وهو والله تعالى أعلم أقرب - أن الرحمانية أقامت بعدمومها^٦ كل ما شملته الربوية من إفاضة النعم ١٠ وإزاحة النقم على وجه مسعد أو مشق ، والرحيمية أقامت بخصوصها كما تقدم بما ترضاه الإلهية إدراج النعم ودفع النقم على الوجه المسعد خاصة - انتهى .

و الآية الثالثة تشتمل على أمر الملك القيم على حرفي الأمر والنهي

(١) من م وظ ومد ، وفي الأصل : بهم .

(٢-٢) في م ومد وظ : الله اعلم .

(٣) من مد ، وفي الأصل وم وظ : الضار .

(٤) ليس في م ومد .

(٥) قدمه في ظ على « والله » .

(٦-٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل : كلما - كذا .

الذين يبدو أمرهما في الدين ، و الرابعة تشتمل على حرفي المحكم في قوله « اياك نعبد ، والمتشابه في قوله « و اياك نستعين » ، ولما كانت بناء خطاب محاضرة لم تردد^١ مسألتيها في السورة فانفرد هذان^٢ الحرفان عن الدعاء فيهما ، وعادت مسألة الآية الخامسة على حرف الحمد ومسألة الآية السادسة على آية النعمة من حرفي الحلال والحرام ومسألة الآية السابعة على آية^٣ الملك من حرفي الأمر والنهي ؛ فجمعت الفاتحة جوامع / الحروف السبعة .

/ ١٩

ولما ابتدئت^٤ الفاتحة^٥ أم القرآن بالسابع^٦ الجامع الموهوب^٧ ابتدئ^٨ القرآن بالحرف السادس^٩ المعجوز عنه وهو حرف المتشابه ، لأنه^{١٠} عن

(١) في م ومد : نبأ - كذا .

(٢) في ظ فقط : لم تردد .

(٣) في م : هذا .

(٤) من م ومد وظ ، وفي الأصل : انه - وهو حرف .

(٥) من م ومد وظ ، وفي الأصل : ابتدئنا .

(٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل : لفاتحة .

(٧) من م ومد وظ ، وفي الأصل : السامع - كذا .

(٨) من م ومد وظ ، وفي الأصل : الرهوب - كذا .

(٩) زيد في الأصل فقط « من » ولم تكن الزيادة في م ومد وظ فحذفناها .

(١٠) من م ومد وظ ، وفي الأصل فقط : السابع .

(١١) في الأصول كلها : لأن .

إظهار العجز ومحض الإيمان كانت الهبة^١ والتأييد^٢، وليكون العبد
يفتح القرآن بالإيمان بغيب^٣ متشابه في قوله «آلَمْ» فيكون أتم اعتيادا
لما دونه وبريثا من الدعوى في مستطاعه في سائر الحروف؛ ثم ولي
السادس المفتوح به القرآن الخامس المحكم من وجه في قوله «سبحانه
و^٤ تعالى» ويقيمون الصلوة^٥ وما رزقنهم ينفقون^٦، لأن من عمل بها
من قلبه شعبة إيمان وعلم كانت له من المحكم، ومن عمل بها اتتمارا
وإلجاء ولم يدخل الإيمان في قلبه كانت له حرف أمر^٧ وان تطيعوا الله
ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا^٨.

وهذا إنما وقع ترتيبه هكذا في القرآن المثلوث^٩، وأما تنزيله في
ترتيب البيان فإن أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم هو حرف ١٠
المحكم وهو قوله «سبحانه و^٤ تعالى» اقرا باسم ربك الذي خلق^{١٠}.

(١) في م: الهبة.

(٢) ليس في م ومد.

(٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: بالغيب.

(٤-٤) ليس في م ومد.

(٥) زيد بعده في الأصل «ويوتون الزكاة» ولم تكن الزيادة في م ومد
وظ ولا في القرآن لحذفناها.

(٦) سورة ٤٩ آية ١٤.

(٧) في الأصل فقط: التلوا - كذا.

'خلق الانسان من علقه اقرا وربك الاكرم'، الآيات الخمس، 'و أول ما أنزل إلى الامة في ترتيب البيان هو من حرف الزجر والنهي وهو قوله 'سبحانه' و 'تعالى' و 'بأيها المدثر' قم فانذرهم' [أى - ٥] و نذير لكم بين يدي عذاب شديد'، أغلبهم بما^١ تخاف^٢ عاقبته^٣ في الآخرة وإن كانوا قد اتخذوا في الدنيا مودة بأوثانهم و قال تعالى^٤ ' و إنما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض'، الآية، فابتدأ^٥ 'سبحانه' و^٦ تعالى ترتيل الامة باصلاح المعاد الأهم لأن عليه يصلح^٧ أمر الدنيا، من استقل بآخرته كفاه الله أمر دنياه؛

(١-١) ليس في م و مد .

(٢) سورة ٩٦ آية ١ - ٥ .

(٣) سورة ٧٤ آية ١ و ٢ .

(٤) زيد في الأصل فقط : وربك فكبر الى قوله تعالى .

(٥) زيد من م و مد و ظ .

(٦) سورة ٣٤ آية ٤٦ .

(٧) في م و ظ : ما .

(٨) من م و ظ ، وفي الأصل و مد : يخاف .

(٩) في ظ فقط : عاقبة .

(١٠) ليس في م و مد و ظ .

(١١) سورة ٢٩ آية ٢٥ .

(١٢-١٣) ليس في م و ظ ، وفي مد : الله .

(١٣) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : تصلح - كذا .

وبدأ منها بحرف الزجر والنهى وهو المبدوء به فى الحديث وردد النبي صلى الله عليه وسلم لفظ الزجر بلفظ النهى لأن المقصود بهما واحد وهو الردع عما يضر فى المعاد ، إلا أن الردع على وجهين : خطاب لمعرض ويسمى زجرا كما يسمى فى حق البهائم ، وخطاب لمقبل على التفهم ويسمى نهيا ؛ فكأن الزجر يزيع الطبع والنهى يزيع العقل - ٥ انتهى . وقد بان من هذا سر افتتاح البقرة بالحروف المقطعة .

ولما كان الذى ابتدئت به السور ٣ من ذلك شطر حروف المعجم كان كأنه قيل من زعم أن القرآن ليس كلام الله فليأخذ الشطر الآخر ويركب عليه كلاما يعارضه به ، نقل ذلك الزركشى فى البرهان عن القاضى أبى بكر قال : وقد علم ذلك بعض أرباب الحقائق ، وجمعها ١٠

(١) من مد ، وفي م : يزيع ، وفي الأصل و ظ : يريع - بالمهمتين .
(٢) وفي أنوار التنزيل وأسرار التأويل ما نصه : ثم إن مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبساطته التى تتركب منها افتتحت السور بطائفة منها إيقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبهها على أن التاويل عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة نصاحتهم عن الإتيان بما يدانيهم وليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا بنوع من الإعجاز فان النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فأما من الأمى الذى لم يخالط الكتاب فستغرب مستبعد خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى فى ذلك ما يعجز عنه الأديب الأريب الفائق فى فنه .

(٣) من مد و ظ ، وفي الأصل و م : السورة .

الزركشى فى قوله : نص حكيم قاطع له سر . وعن أبى بكر رضى الله عنه :
فى كل كتاب [سر -] وسر الله فى القرآن أوائل السور . وعن على رضى الله
تعالى عنه : وكرم وجهه : ان لكل كتاب صفوة ، و صفوة هذا الكتاب
حروف التهجى .

و لما كانت حروف المعجم تسعة^٦ وعشرين حرفا بالهمزة [و -^٧]
كان أحده شطرها على التحرير متعذرا فقسمت خمسة عشر وأربعة عشر ،
وأخذ الأقل من باب الأنصاف وفرق فى ' / تسع^٦ وعشرين سورة

/ ٢٠

(١) زيد فى م ومد : لله تعالى .

(٢) زيد من م ومد وظ . وفى أنوار التنزيل للبيضاوى : وقيل إنه سراساؤه
الله بعلمه ، وقد روى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه -
انتهى . وفى الحاشية : روى عن أبى بكر أنه قال : فى كل كتاب سر وسر الله فى
القرآن أوائل السور ، وعن عمرو عثمان وابن مسعود أنهم قالوا : الحروف
المقطعة من المكتوم الذى لا يفسر ، وعن على : فى كل كتاب صفوة و صفوة هذا
الكتاب حروف الهجاء .

(٣) زيد فى م ومد وظ : ابن أبى طالب .

(٤-٤) ليست فى م ومد .

(٥) من م ، و ليس فى مد ، وفى الأصل وظ : عيان - وهو خطأ .

(٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : تسعا .

(٧) لا بد من الواو فزيدت .

(٨) فى مد فقط : احر - كذا .

(٩) من م ومد وظ ، وفى الأصل : احد .

(١٠) زيد فى الأصل : وفرق بين فى ، ولم تكن الزيادة فى م ومد وظ فخذناها .

على عدد الحروف^١، وتحدى به على هذا الوجه . وأبدى الإمام
شمس الدين ابن قيم الجوزية الدمشقي^٢ الحنبلي في كتاب له كالتذكرة
سماه «بدائع الفرائد»^٣، سرا غريبا في ابتداء القرآن بقوله «الَمْ» حاصله
أن حروفه الثلاثة جمعت^٤ المخارج الثلاثة: الحلق و اللسان و الشفتان^٥ -

على ترتيبها، وذلك^٦ إشارة إلى البداية التي هي بدء الخلق و النهاية ه
التي^٧ هي المعاد و الوسط الذي هو المعاش من التشريع بالأوامر و النواهي؛
وفي ذلك تنبيه على أن هذا الكتاب الذي ركب من هذه الحروف
التي لا تعدو المخارج الثلاثة التي بها يخاطب جميع الأمم جامع لما

(١) قال البيضاوي في تفسيره: وهو أنه أورد في هذه الفواتح أربعة عشر اسما -
هي نصف أسامي حروف المعجم إن لم تعد فيها الألف حرفا برأسها - في تسع وعشرين
سورة بعددها إذا عدت فيها الألف مشتملة على انصاف أنواعها - إلى أن قال:
و لو استقرت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس
مكتورة بالذكور .

(٢) ليس في ظ .

(٣) في م و مد : الفوايد .

(٤) في ظ : جمع .

(٥) كذا، و الظاهر : الشفتين .

(٦) قال البيضاوي في تفسيره: وقيل الألف من أقصى الحلق وهو مبدأ
المخرج، و اللام من طرف اللسان وهو وسطها، و الميم من الشفة وهي
آخرها؛ جمع بينها إيماء إلى أن العبد ينبغي أن يكون أول كلامه وأوسطه
و آخره ذكر الله تعالى .

(٧) ليس في م و مد .

يصلحكم من أحوال بدء الخلق وإعادته وما بين ذلك، وكل سورة افتتحت بهذه الحروف ذكرت فيها الأحوال الثلاثة .

وقال الحرالي في تفسيره: «الف، اسم للقائم الأعلى المحيط ثم لكل مستخلف في القيام كآدم والكعبة، «ميم، اسم للظاهر الأعلى الذي من أظهره ملك يوم الدين، واسم للظاهر الكامل المؤتى جوامع الكلم» محمد صلى الله عليه وسلم، ثم لكل ظاهر دون ذلك كالسما والفلك والارض، «لام، اسم لما بين باطن الإلهية التي هي محار العقول» و ظاهر الملك الذي هو متجلي يوم الجزاء من مقتضى الأسماء الحسنى والصفات العلى التي هي وُصْلٌ تنزل ما بينهما كاللطيف ونحوه، ١٠ ثم للوصل الذي ٣ كالملائكة وما تتولاه» من أمر الملكوت . وهذه الألفاظ عند انعجام* معناها تسمى حروفا، والحرف طرف الشيء الذي لا يؤخذ منفردا وطرف القول الذي لا يفهم وحده، وأحق ما تسمى^٦ حروفا إذا نظر إلى صورها^٧ وقوعها أجزاء من الكلم

(١) من م ومد وظ، وفي الأصل: العلم - كذا؛ و لظاهر: الكلم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: أوتيت جوامع الكلم .

(٢) في م: العقل .

(٣) في م: الدنى - كذا .

(٤) من م، وفي الأصل: ما تنزلاه - وهو محرف تتولاه .

(٥) في م: العظام .

(٦) في ظ: يسمى .

(٧) ليس في م .

و لم تفهم لها دلالة فتضاف إلى مثلها جزء من كلمة مفهومة تسمى^١
عند ذلك حروفاً و عند النطق بها هكذا ألف لام ميم [فينبغي أن يقال
فيها أسماء و إن كانت غير معلومة الدلالة كحروف ألف باء تاء -^٢]
فانها كلها أسماء على ما فهمه الخليل و إنها إنما تسمى حروفاً عند ما تكون
أجزاء كلمة محركة للابتداء أو مسكنة للوقف و الانتهاء^٣ .

و أما حقيقتها فهي جوامع^٤ أصلها في ذكر أول من كلام الله
تعالى فزلت إلى الكلم العربية و ترجمت بها و نظم منها هذا القرآن
العربي المبين ، فهي في الكتب العلوية المملوكة المترتبة في الجمع و التفصيل
آية و كلم^٥ و ذات كتاب ، فلما نزلت إلى غاية مفصل القرآن أقيمت^٦

(١) من ظ ، و في الأصل : فيسمى .

(٢) زيدت من م و مد و ظ .

(٣) و في أنوار التنزيل : " الـم " و سائر الألفاظ التي يتجهجا بها أسماء مسمياتها
الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم و اعتوار ما يختص به
من التعريف و التنكير و الجمع و التصغير و نحو ذلك عليها و به صرح الخليل
و أبو علي ، و ما روى ابن مسعود أنه قال : من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة
و الحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : " الـم " حرف ، بل ألف حرف و لام حرف
و ميم حرف ، فالمراد به المعنى الذي اصطلاح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل
المراد المعنى اللغوي و لعله سماه باسم مدلوله - انتهى .

(٤) في م : جامع .

(٥) في مد : كلمة .

(٦) من م و ظ ، و في مد : ما بقيت ، و في الأصل : ألفت .

في افتتاحه لتكون علما على نقله للتفصيل من ذلك الكتاب ، ولأنها
 أتم وأوجز في الدلالة على الجمع من المفصل منها ودلالاتها جامعة
 للوجود كله من أبطن قيمه إلى أظهره وأظهر مقامه وما بينهما من
 الوصلة [و - ١] الواصلة وهي جامعة الدلالة على الكون المرتق للدين^١
 ٥ بالعين والوحي المسموع ؛ ولأجل ما اقتضته من الجمع لم تنزل في كتاب
 متقدم لأن كتاب كل وقت مطابق بحال الكون فيه والكون كان
 بعد لم يكمل فكانت كتبه وصحفه بحسبه ، ولما كمل الكون في وقت
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان كتابه كاملا^٢ جامعا فوجب ظهور
 هذه الجوامع فيه^٣ ليطابق الختم البدء ، لأنها طرفا كمال وما بينهما
 ١٠ تدرج^٤ إليه ، وقد كان وعد بانزالها في بعض تلك الكتب فكان
 نزولها نجاحا^٥ لذلك - انتهى^٦ .

(١) زيد من ظ .

(٢) ليس في م ومد .

(٣) في ظ : كلاً ، وفي مد : كله ما - كذا .

(٤) في م : فيها .

(٥) من م ومد وظ ، وفي الأصل : يدرج .

(٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل : نجاحا .

(٧) في السراج المنير للعلامة محمد الشرييني الخطيب : وقيل معناه ذلك الكتاب
 الموعود إنزاله بقوله تعالى « انا سنلقى اليك قولاً ثقيلاً » أوفى الكتب المتقدمة
 لأن سورة البقرة مدنية كما مر وأكثرها احتجاج على اليهود وعلى بنى إسرائيل =

و أما مناسبة ما بعد ذلك ' للفاتحة ' فهو أنه لما أخبر سبحانه
 ٣ وتعالى ٣ أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم
 الذى هو [غير - ٤] طريق الهالكين أرشدهم في أول التى تليها* إلى
 أن الهدى المسئول إنما هو فى [هذا - ٦] الكتاب ، وبين لهم صفات
 الفريقين الممنوحين بالهداية حثا على التخلق بها والممنوعين منها زجرا ه
 عن قربها. فكان / ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة ، لأنها
 سقت لنفى الريب عن هذا الكتاب و لأنه هدى للتقين ، ولوصف
 المتقين و ما يجازون به بما ٦ فى الآيات الثلاث و لوصف الكافرين الذين
 لا يؤمنون لما وقع من الحتم على حواسهم و الحتم ٨ لعقابهم ليعلم أن
 ما اتصف به المتقون هو الصراط المستقيم فيلزم و ما اتصف به من ١٠

= وقد كانت بنو إسرائيل أخبرهم موسى وعيسى عليهما السلام أن الله يرسل
 بهدا وينزل عليه كتابا فقال تعالى «ذلك الكتب» أى الذى أخبر الأنبياء المتقدمون
 بأن الله سينزل على النبي المبعوث من ولد إسماعيل .

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى ظ : الفاتحة .

(٣-٣) ليس فى م ومد وظ .

(٤) زيد من م ومد وظ .

(٥) من م ومد وظ ، وفى الأصل : يليها .

(٦) زيد من م وظ .

(٧) ليس فى مد .

(٨) وفى م ومد وظ : الحتم - كذا .

عدام^١ هو طريق الهالكين فيترك^٢؛ وفي الوصف بالتقوى بعد ذكر
 المغضوب عليهم^٣ والضالين إشارة إلى أن المقام مقام الخوف .
 وإن شئت قلت : مقصود^٤ هذه السورة وصف الكتاب فقط^٥ وما
 عدا ذلك فتوابع ولوازم ولن يثبت أنه هدى إلا بآيات أنه حق^٥ معنى
 هـ ونظما ، ولما كان المعنى أهم قدم الاستدلال عليه فأخبر من تلاميذهم
 على الكفر بما يكون تكذيبهم به تصديقا له ، واتبع ذلك بذكر المناقنين
 إعلاما بأن المنقى الإيمان^٦ بالقلب وأنه لا عبرة باللسان إذا تجرد عنه ،

(١) في م : عذابهم .

(٢) زيد في م « لا » .

(٣) ليس في م .

(٤) في تفسير المصنف : الأصل اللازم للاستدلال ذلك الكتاب البعيد درجة كماله
 بلجمعه ما في الكتب الإلهية قبله مع رفعه كل ريب بإقامة الحجج ورفع الشبه
 مؤيدا بالإيجاز وتصديق الكتب الإلهية له قبله وكشوف الأولياء بعده بل إنما
 يعرف صدق الجميع به ، والأدلة العقلية المحضة قلما تخلو عن معارضة أو مناقضة
 أو نقض والنقلية المحضة من سائر الكتب تحتل التحريف وقد ارتفع من
 هذا الكتاب ما ذكر مع كمال هدايته لما لا يقناهى من المطالب العلية والعملية
 أو أعلى لامع ماح للظلمات ذلك الكتاب .

(٥) وفي م : الحق .

(٦) وفي م : للإيمان .

و ساق ذلك على وجه يعلمون به أنه الحق بما هتك من سرائرهم و كشف
من ضمائرهم ، فلما تم ذلك و كان المقصود منه الدعاء إلى الله انتهزت
تلك الفرصة بقوله تعالى « يا أيها الناس اعبدوا ربكم » لما أسس لها من
الترغيب بالترهيب ، ثم أقيم الدليل على حقيقة نظمه بتقصيرهم عن مدى
سهمه ، فرجع حاصل ذلك إلى إثباته بعجزهم عن معارضته في معناه بإيجاد هـ
ما أخبر بنفيه و في نظمه بالإتيان بمثله ، فلما ثبت ذلك ثبت أنه من
عند الله فثبت تأهله لتعليم الشرائع فجعلها ضمن مجادلة أهل الكتاب بما
يعلمون حقيقته^١ بلا ارتياب من الدعاء إلى ما أخفوه من الدعائم الخس
التي بنى عليها الإسلام .

- و لما كان معنى « الـم » هذا كتاب^٢ من جنس حروفكم التي قد فُتِم^٣
في التكلم^٤ بها سائر الخلق فما عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله إلا لانه
كلام الله أتسج ذلك كماله ، فأشير إليه بأداة البعد و لام الكمال^٥ في
قوله^٦ « ذلك الكتب » لعلو مقداره بجلالة آثاره و بعد رتبته عن نيل
المطرودين . و لما علم كماله أشار إلى تعظيمه بالتصريح بما ينتجه و يستلزمه
ذلك التعظيم فقال « لا ريب فيه » أي في شيء من^٧ معناه و لا نظمه في ١٥

(١) في مد : حقيقته .

(٢) في ظ : الكتاب .

(٣-٣) ليس في مد .

(٤-٤) في مد : فقال .

(٥) في ظ : فهي - كذا .

نفس الامر عند من تحقق بالنظر ' فالمنفى ' كونه متعلقا للريب و مظنة له .
ولم يقدم الظرف لانه كان يفيد الاختصاص فيفهم أن غيره ٢ من
الكتب ٢ محل الريب .

قال الحرالي : « ذا ، اسم مدلوله المشار إليه ، واللام مدلوله معها
٥ بعد ما « الكتب » من الكتب وهو وصل الشيء المنفصل بوصلة خفية من
أصله كالخرز في الجلد بقدم منه والخياطة في الثوب بشيء من جنسه
ليكون أقرب لصورة اتصاله الأول ، فسمى به ما ألزمه الناس من الأحكام
وما أثبت بالرقوم من الكلام ، « لا » لنفي ما هو ممتنع مطلقا أو في
وقت ، « الريب » التردد بين موقعي تهمة بحيث يمتنع من الطمأنينة على
١٠ كل واحد منهما - انتهى . وأصله قلق النفس واضطرابها ، ومنه

(١) من ظ ، وفي الأصل ومدوم : النظر .

(٢) في تفسير النسفي : وإنما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير
لأن المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع
البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه لا أن احدا لا يرتاب ، وإنما لم يقل :
لا فيه ريب ، كما قال « لا فيها غول » لأن المراد في إيلاء الريب حرف النفي نفى
الريب عنه وإثبات أنه حق لا باطل كما يزعم الكفار ، ولو أولى الظرف لبعد
عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه ريب لا فيه .

(٣-٣) ليس في ظ .

(٤) في م : كالخرز .

(٥) وفي تفسير النسفي ، « لا ريب » لاشك ، وهو مصدر رابنى إذا حصل فيك =

رب^١ الزمان لنوائبه المقلقة ، و لما كان ذلك يستلزم الهدى قال : « هدى » ،
 و خص المتفعين^٢ لأن الألد^٣ لا دواء له و المتعنت^٤ لا يرده شئ . فقال :
 « للمتقين » ، أى الذين جبلوا فى أصل الخلقة على التقوى ؛ فافهم ذلك
 أن غيرهم لا يهتدى به بل يرتاب و إن كان ليس موضعاً للرب أصلاً .
 قال الحرالى : جمع المتق و هو المتوقف عن الإقدام على كل أمر ه

لشعوره بتقصيره عن الاستبداد و عليه^٥ بأنه غير مستغن بنفسه فهو متق
 لوصفه و حسن فطرته و المتق^٦ كذا متوقف لأجل ذلك ، و التقوى^٧

= الريية ، و حقيقة الريية قلق النفس واضطرابها ، ومنه قوله عليه السلام : دع ما
 يريك إلى ما لا يريك ، فان الشك رية وإن الصدق طمأنينة ، أى فان كون
 الأمر مشكوكاً فيه مما تقلق له النفس و لا تستقر ، و كونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن
 له و تسكن ، و منه رب الزمان و هو ما يقلق النفوس و يشخص بالقلوب
 من نوائبه - انتهى .

(١) فى م : مريب .

(٢) بهامش م : لعله المتقين .

(٣) فى م : الدأ - كذا .

(٤) فى م : المنعت - كذا .

(٥) ليس فى مد .

(٦) فى ظ : علم .

(٧) و فى الأصول كلها : متقى - كذا .

(٨) فى انوار التنزيل : فى الأصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة - إلى =

أصل يتقدم الهدى و كل عبادة ، لأنها فطرة توقف تستحق الهدى
و كل خير و هى وصية الله [لأهل الكتاب - ١] - انتهى .

ثم وصفهم بمجامع الأعمال تعريفاً لهم فقال : « الذين يؤمنون
بالغيب » ، أى الأمر الغائب الذى لا نافع فى الإيمان غيره ، وعبر بالمصدر
للبالغة . ٥ / ٢٢ . « و يقيمون الصلوة ، أى / التى هى حضرة المراقبة و أفضل

أعمال البدن بالمحافظة عليها و بحفظها فى ذاتها و جميع أحوالها . و لما
ذكر^١ وصلة الخلق بالخالق و كانت النفقة مع أنها من أعظم دعائم الدين
صلة بين الخلائق اتبعها بها فقال مقدماً للجار ناهياً عن الإسراف و منبهاً

= ان قال : و اختصاصه بالمتقين لأنهم المهتدون به و المتفعلون بنصبه و ان كانت
دلالة عامة لكل ناظر من مسلم او كافر ، و بهذا الاعتبار قال : « هدى للناس » .
(١) فى ظ : تقدم .

(٢) زيد من ظ ، و فى م و مد : لأهل الكتب ، و قد سقط من الأصل ولكن
علامة الزيادة ثابتة فيه ايضا .

(٣) ليس فى مد .

(٤) و فى انوار التنزيل : و الغيب مصدر وصف به للبالغة كالشهادة فى قوله تعالى
« عالم الغيب و الشهادة » و المراد به الخفى الذى لا يدركه الحس و لا يقتضيه
بداهة العقل .

(٥) ليس فى م .

(٦) زيد بعده فى م و م و ظ : و قد ضمن (فى م : و قد فسر) بمضى (فى م :
يومئذ ، و فى مد : يومن) يقرأ (فى ظ : نص ا) و يعترف كما يأتى بيانه عند
« و منهم من (ليس فى ظ) يستمعون اليك » فى يونس .

بالتجيز على طيب النفقة لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً و أمراً
 بالورع و زاجراً عما فيه شبهة [لأن الرزق يشمل الحلال و الحرام
 و المشتبه -^١] « و بما رزقهم ، أى مكناهم من الانتفاع به على عظمة
 خزائنا و هولنا دونهم . » ينفقون ، أى فى مرضاتنا بما يلزمهم من الزكاة
 و الحج و الغزو و غيرها و بما يتطوعون به من الصدقات و غيرها ، والمراد هـ
 بهذه الأفعال هنا إيجاد حقائقها على الدوام^٢ .

قال أبو حيان و غيره فى قوله تعالى فى سورة الحج « ان الذين
 كفروا و يصدون^٣ » المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال
 أو استقبال فيدل إذ ذاك على الاستمرار - انتهى . و هذا مما لا محيد
 عنه و إلا لم يشمل^٤ هذا فى هذه السورة المدنية من تخلق به قبل الهجرة ١٠
 ١ و قوله تعالى « فلم تقتلون انبياء الله من قبل^٥ » قاطع فى ذلك .

(١) ليس فى مد .

(٢) زيد من م و مد و ظ غير ان فى م و مد « يشتمل » مكان « يشمل » .
 (٣) وفى أنوار التنزيل : و الظاهر من إنفاق ما رزقهم الله صرف المال فى سبيل
 الخير من الفرض أو النفل ، و يحتمل ان يراد به الإنفاق من جميع المعادن التى آتاهم
 الله من النعم الظاهرة و الباطنة ، و يؤيده قوله عليه السلام : إن عليها لا يقال به
 ككثرة لا ينفق منه ؟ و إليه ذهب من قال : و بما خصصناهم به من أنوار المعرفة
 يفيضون - انتهى .

(٤) سورة ٢٢ آية ٢٥ .

(٥) وفى مد : لم يشتمل .

(٦-٦) ليس فى ظ .

(٧) سورة ٢ آية ٩١ .

وقال الحرالي : « يؤمنون » ، من الإيمان وهو مصدر آمنه يؤمنه
 إيماناً إذا آمن من ينبهه على أمر ليس عنده أن يكذبه أو يرتاب فيه ،
 و « الغيب » ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدى به العقل^١
 فيحصل به العلم^٢ ؛ وصيغة « يؤمنون » و « يقيمون » تقتضى الدوام إلى
 ٥ الحتم ، وإدامة العمل إلى الحتم تقتضى ظهوره عن فطرة أو جلبة وأنه
 ليس عن تعمل ومראה ، وعند ذلك يكون علماً على الجزاء ؛
 و « الصلوة » الإقبال بالكلية على أمر ، فتكون من الأعلى عطفاً شاملاً ،
 ومن الأدنى وفاء بأنحاء التذلل^٣ والإقبال بالكلية على التلقى ، وإيمانهم
 بالغيب قبولهم من النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقاه بالوحي من
 ١٠ أمر غائب الدنيا الذي هو الآخرة وما فيها وأمر غائب الملكوت وما
 فيه إلى غيب الجبروت وما به بحيث يكون عملهم على الغائب الذي
 تلقته قلوبهم على سبيل آذانهم كعملهم على ما تلقته أنفسهم على سبيل

(١-١) في م ومد : العقل ، وفي ظ : بالعقل .

(٢) قال البيضاوى في تفسيره : وإن جعلته حالا على تقدير ملتبس بالغيب كان
 بمعنى النية والخفاء ، والمعنى أنهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمؤمنين « إذا لقوا
 الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شيطانهم قالوا أنا معكم » ، وقيل المراد
 بالغيب القلب ، والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كن يقولون بأفواههم ما ليس
 في قلوبهم .

(٣) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : التذلل - بالدال المهملة .

أعينهم و سائر حواسهم و داموا على عملهم ذلك على حكم إيمانهم إلى
الخاتمة .

ولما كانت الصلاة التزام عهد العبادة مبنيًا على تقدم الشهادة
متممة بجماع^١ الذكر و أنواع التحيات لله من القيام له تعالى و الركوع
له^٢ و السجود الذي هو أعلاها و السلام بالقول الذي هو أدنى التحيات^٣
كانت لذلك تعهدا للإيمان و تكرارا ، و لذلك^٤ من لم يدم الصلاة
ضعف إيمانه و ران عليه كفر فلا إيمان لمن لا صلاة له ، و التقوى وحده^٥
أصل^٦ و الإيمان^٧ فالصلاة ثمرته ، و الإنفاق خلافة و لذلك البخل عزل
عن خلافة الله^٨ و انفقوا بما جعلكم مستخلفين فيه^٩ ، و هذا الأمر بتمامه
هو الذي جعلت الخلافة لآدم به إلى ما وراء ذلك من كمال أمر الله^{١٠}
الذي أكمله بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فالتقوى قلب باطن ، و الإنفاق
وجه ظاهر ، و الإيمان فالصلاة وصلة بينهما . و وجه ترتب الإيمان بالغيب
على التقوى أن المتقى^{١١} لما كان متوقفا غير متمسك . بأمر كان إذا أرشد

(١) في م فقط : بالجماع - كذا .

(٢) ليس في مد و ظ .

(٣) في ظ : كذلك .

(٤) ليس في ظ .

(٥-٥) في م فقط : فالإيمان .

(٦) سورة ٥٧ آية ٧ .

(٧) قال المصنف في تفسيره : المتقى من وق نفسه عما يضرها في الآخرة من =

إلى غيب لا يعلمه لم يدفعه بمقتضى ما تقدم له عليه ؛ ووجه ترتب
 الإتفاق على الإيمان بالغيب أن المدد غيب ، لأن الإنسان لما كان لا يطلع
 على جميع رزقه كان رزقه غيباً ، فإذا أيقن بالخلف جاد بالمطية ، ففى
 أمد بالارزاق تمت خلافته وعظم فيها سلطانه وانفتح له باب إمداد
 ٥ برزق أعلى وأكمل من الأول . فإذا أحسن الخلافة فيه بالإتفاق منه
 أيضاً انفتح له باب إلى أعلى إلى أن ينتهى إلى حيث ليس وراءه
 مرأى^١ وذلك هو الكمال المحمدى ، وإن بخل فلم يتفق واستغنى بما
 عنده فلم يتق فكذب تضائل أمر خلافته وانقطع عنه المدد من الأعلى ؛
 فيَحَقِّقْ سى الإتفاق زكاة^٢ ؛ وفى أول الشورى كلام فى الإيمان عن
 ١٠ على رضى الله عنه نفيس - انتهى^٣ .

ولما وصفهم بالإيمان جملة أشار^٤ إلى بعض تفصيله على وجه يدخل

= اعتقاد وخلق وعمل كملت هدايتهم لأنهم لما اتقوا لم يعطوا النظر ولم يقصروا
 فيه ولا الجوارح ولم يتركوا الأخلاق الرديئة فيها وغيرهم يتمسكون بالشبهات
 الداعية إلى التعطيل والتقصير وترك ، أما الاعتقادات فلأنهم الذين « يؤمنون
 بالغيب » وأما الأعمال فلأنهم الذين « يقيمون الصلوة » وأما الأخلاق فلأنهم
 الذين « بما رزقهم ينفقون » .

(١) ليس فى م .

(٢) وفى م : مرعى .

(٣) زيد فى م ومد : انتهى .

(٤) ليس فى م ومد .

(٥) وفى تبصير الرحمن للهائى : وكيف لا يكون هذا الكتاب هدى إلى =

فيه^١ أهل الكتاب دخولا أوليا فقال: «و الذين يؤمنون»، أى وجودون
 هذا الوصف بعد سماعهم للدعوة لإيجادا مستمرا «بما انزل إليك، أى
 من القرآن والسنة سواء كان قد وجد أو سيوجد؛ «وما انزل / من
 قبلك، أى على الأنبياء الماضين، ولما كان الإيمان بالبعث^٢ من الدين
 بمكان عظيم جدا^٣ بينه بالتقديم إظهارا لمزيد الاهتمام فقال: «وبالآخرة»، هـ
 أى التى هى دار الجزاء ومحل التجلي وكشف الغطاء ونتيجة الأمر.
 قال الحرالى: الآخرة معاد الأمر بعد تمامه على أوليته - انتهى . ولما
 تقدم من الاهتمام عبر بالإيقان وأتى بضمير الفصل فقال: «هم يوقنون»،

= ما لا ينهائى وهو يوجب الإيمان بكل ما أنزل إليك منه ومن السنة وبما أنزل
 على الأنبياء من كتبهم وسنتهم من قبلك؟ فلا شك ان الذين يؤمنون بما أنزل
 إليك وما أنزل من قبلك احاطوا بالهدايات كلها، كيف [و] قد زاد اهل هذا
 الكتاب بمزيد تفصيل وتحقيق للأمور الأخروية، فلا شك أنهم بالآخرة هم
 يوقنون فان لم يطلعوا على تفاصيل هدايات سائر الكتب فلا شك ان اولئك
 مستولون على هدى عظيم من ربهم الذى ربي الأمم كلها بتلك الهدايات بالإيمان
 بها إجمالا بل بما كان هذا الكتاب شاملا على ما فيها وليست شاملة على ما فيه،
 فلا شك ان اولئك هم الغفلون بالهدايات كلها.

(١) زيد فى ظ: دخول.

(٢) فى مد: بالغيب.

(٣) ليس فى م.

(٤) ليس فى ظ.

لأن ذلك قائد إلى كل خير و ذائد عن كل ضرر، و الإيقان كما قال
الحرالى صفاء العلم و سلامته من شوائب الريب و نحوه، من يقن الماء
و هو ما نزل من السماء فأنحدر إلى كهف جبل فلم يتغير من قرار و لا
وارد - انتهى . فهو ' يكون بعد شك و لذا ' لا يوصف ^٢ به الله ^٣ .
٥ و الوصف ' بهذه الأوصاف كما ترى إشارة إلى أمهات الأعمال البدنية

(١) و فى السراج المنير ج ١ ص ١٧ ما نصه : هم يوقنون أى يعلمون أنها كائنة ،
لأن اليقين و العلم بالشئ بعد أن كان صاحبه شاكاً فيه - قاله الإمام الرازى ،
ولذلك لا يوصف به العلم القديم و لا العلم الضرورى فلا يقال تيقن الله كذا
و لا تيقنت إن الكل اكبر من الجزء . و فى تفسير المظهرى : الإيقان إتقان العلم
بنفى الشك عنه نظراً و استدلالاً فلا يسمى الله موقناً - انتهى .

(٢) فى م : لهذا .

(٣-٢) فى ظ : الله به .

(٤) و فى أنوار التنزيل و أسرار التأويل : الذين يؤمنون بالغيب ، إما موصول
بالمؤمنين على أنه صفة مجرورة مقيدة إن فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه
ترتب التحلية على التخلية و التصوير على التصقيل أو موصضة إن فسر بما يعم فعل
الحسنات و ترك السيئات لاشتراكه على ما هو أصل الأعمال و أساس الحسنات
من الإيمان و الصلاة و الصدقة فانها أمهات الأعمال النفسانية و العبادات البدنية
و المالية المستتعبة لسائر الطاعات و التجنب من المعاصي غالباً ، ألا ترى إلى قوله
تعالى « ان الصلوة تنهى عن الفحشاء و المنكر » و قوله عليه الصلاة و السلام :
الصلاة عماد الدين و الزكاة قنطرة الإسلام .

والمالية من الأفعال^١ و التروك^٢ ، فالإيمان أساس الأمر و الصلاة مشار بها
إلى التحلي^٣ بكل خير و التخلي^٤ عن كل شر . ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء و المنكر^٥ ، و كلاهما من أعمال البدن ، و النفقة عمل مالى ، فحصل
بذلك^٦ حصر الفعل و الترك الضابطين لجميع الأعمال كيف ما تشعبت ،
و صرح بالفعل و أوى إلى الترك إيماء لا يفهمه^٧ إلا البصراء تسهيلا^٨
على السالكين ، لأن الفعل من حيث هو و لو^٩ كان صعبا أيسر على
النفس من الكف عما تشهى . و فى وصفهم أيضا بالإيمان بما أنزل إليه
و إلى من قبله من التقرير و التبكيك لمن سواهم ما ستراه فى
الآيات الآتية .

ولما أخبر عن أفعالهم الظاهرة و الباطنة أخبر بشمرتها^{١٠} فقال :
« أولئك ، أى الموصوفون بتلك الصفات الظاهرات ، و لما تضمن ما مضى
أن إيمانهم كان عن أعظم استدلال فأثمر لهم التمسك بأوثق العرى من
الأعمال استحقوا^{١١} الوصف بالاستعلاء الذى معناه التمكن فقال : « على

(١) وفى م : الأعمال .

(٢) فى م : التخلي .

(٣) فى ظ : التحلى - كذا .

(٤) سورة ٢٩ آية ٤٥ .

(٥) فى مد : بذكر .

(٦) فى مد : لا يشهد .

(٧) فى مد : ان .

(٨) فى مد : عن ثمرتها .

(٩) وفى تفسير المظهرى : فيه ايدان بأن تلك الصفات موجبة لهذا الحكم وفى =

هدى ، أى عظيم ، و زاد فى تعظيمه بقوله : « من ربهم ، أى المحسن إليهم بتمكنهم منه و لزومهم له تمكن من علا ' على الشيء ، و لما لم يلزم الهدى الفلاح عطف عليه ' قوله مشيرا بالعاطف إلى مزيد تمكنهم فى كل من الوصفين « و اولئك » ^٢ أى العالو الرتبة ' « هم » ، أى خاصة ' « المفلحون » ، أى الكاملون فى هذا الوصف الذين افتتحت لهم وجوه الظفر ، و التركيب دال على معنى الشق و الفتح و كذا أخواته من الفاء و العين نحو فليج بالجيم و فلق و فلذ و فلى .

= كلمة « على » إيدان على تمكنهم واستقرارهم على الهداية ونكر « هدى » للتعظيم و أكد التعظيم بأن الله معطيه و موثقه ، و « اولئك هم المفلحون » أى الفائزون بالمطلوب . هذا اللفظ و ما يشاركه فى الفاء و العين من فلق و فلذ و فلى يدل على الشق و القطع كأن المفلح انشق من غيره و صار بينهما بون بعيد او صاروا مقطوعا لهم بالخير فى الدنيا و الآخرة . و فى أنوار التنزيل : و معنى الاستعلاء فى « على هدى » تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء و ركه . . . و ذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج و المواظبة على محاسبة النفس فى العمل .

(١) فى الأصل : على ، و لعله : اعتلى .

(٢) فى مد على .

(٣-٣) ليس فى مد .

(٤-٤) ليس فى م .

قال الحرالي: وخرج الخطاب في هذه الآية مخرج المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وخرج إحصار المؤمنين بموضع الإشارة وهي مكانة حضرة دون مكانة حضرة المخاطب - انتهى . وكونها للبعد إعلام بعلو مقامهم . والفلاح ' الفوز والظفر بكل مراد ونوال البقاء الدائم في الخير .

و لما أردف البيان لأوصاف المؤمنين التعريف بأحوال الكافرين وكانوا قد انقسموا على ' مصارحين ومناققين ٢ وكان المناقون قسمين جهالا من مشركي العرب و علماء من كفار بني إسرائيل كان الأنسب ليفرغ من قسم برأسه على عجل البداءة أولا بالمصارحين فذكر ما أراد من أمرهم في آيتين ، لأن أمرهم أهون و شأنهم أيسر لقصد هم بما يوهنهم ١٠ بالكلام أو بالسيف على أن ذكرهم على وجه يعم جميع الأقسام' فقال

(١) زيد في الأصل ومد «و» ولم تكن الزيادة في م وظ فحذفناها .

(٢) من ظ ، وفي الأصل وم ومد : الى .

(٣) قال البيضاوي : لا ذكر خاصة عبادته و خالصة أوليائه بصفاتهم التي أهانتهم الهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا ينفي عنهم الآيات والنذر .

(٤) وفي السراج المنير: ينقسم إلى أربعة أقسام: كفر إنكار وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق ، فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به ، وكفر الجحود هو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس واليهود ، قال =

مخاطبا ' لأعظم المنعم' عليهم على وجه التسلية والإعجاز في معرض الجواب
 لسؤال من كأنه قال ٣: هذا حال الكتاب للؤمنين فما حاله للكافرين؟
 « ان الذين كفروا، أى حكم، بكفرهم دائما » حكما نقذ و مضى فستروا*
 ما أقيم من الأدلة على الوحداية عن العقول التى هيئت لإدراكه والفظر
 الأولى التى خلصت عن مانع يعوقها عن الانقياد له و داموا على ذلك
 بما دل عليه السباق بالتعبير عن أضدادهم بما يدل على تجديد الإيمان
 = الله تعالى « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » وكفر العناد هو ان يعرف الله بقلبه
 ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبى طالب حيث يقول :

واقعد علمت بأن دين عهد من خير أديان للبرية دينا
 لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذلك مينا

و أما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب؛ وجميع هذه الأقسام من
 لقي الله بواحد منها لا يغفر له .

(١) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : مخاطباه - كذا .

(٢) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : النقم - وهو محرف .

(٣) وفى تفسير البيضاوى : ولم يعطف نصتهم على قصة المؤمنين كما عطف فى
 قوله تعالى « ان الابرار لفي نعيم و ان الفجار لفي جحيم » لتباينهما فى الغرض فان
 الأولى سبقت لذكر الكتاب و يبان شأنه والأخرى مسوقة لشرح تمردهم
 و انهاهم فى الضلال .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) من م و ظ ، وفى الأصل و مد : فيستروا .

على الدوام واللاحق بالحثم^١ والعذاب، ولعله عبر بالماضى والموضع
لوصف تنفيرا من مجرد إيقاع الكفر ولو للنعمة ويشمل^٢ المناهقين
وغيرهم .

ولما دل هذا الحال على أنهم عملوا ضد ما عمله المؤمنون من
الانقياد كان المعنى^٣ «سواء عليهم^٤ انذرتهم، أى إنذارك^٥ فى هذا الوقت ه
بهذا الكتاب^٥» أم لم تنذرهم، أى و عدم إنذارك^٦ فيه و^٧ بعده وقد
انسلخ عن أم والهمزة معنى الاستفهام، قال سيويه: جرى / هذا على ٢٤ /

(١) من م ومد و ظ، وفى الأصل: بالحثم - كذا .

(٢) فى مد: يشمل .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) فى م ومد: انذارا .

(٥) وفى السراج المنير: «انذرتهم أم لم تنذرهم» أى خوفتهم وحذرتهم أم لا،
والإنذار إعلام مع تخويف وتحذير، فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا،
وإنما اقتصر عليه دون البشارة لأنه أوقع فى القلب وأشد تأثيرا فى النفس من
حيث أن دفع الضرر أهم من جلب النفع، فإذا لم ينفع فيهم الإنذار كانت البشارة
بعدم النفع أولى لا يؤمنون بما جئت به، وهذه الآية فى أقوام حققت عليهم كلمة
الشقاوة فى سابق علم الله تعالى كآبى جهل و أبى لُب و غيرهما فلا تطمع فى إيمانهم
- انتهى .

(٦) فى م: انذارهم .

(٧) ليس فى مد .

حرف 'الاستفهام' كما جرى على حرف 'النداء' في 'قولك': اللهم اغفر لنا
أيتها العصابة - انتهى . و لعله عبر بصورة الاستفهام وقد سلخت عن
معناه إيهاماً لأنهم توغلوا في الكفر توغل من وصل في الحق إلى أنه
لو شاهد^٣ الملك يستفهمك عنه ما آمن .

٥ ولما كان كأنه قيل في أي شيء استوت حالناهم؛ قيل في أنهم
'لا يؤمنون'، وهي دليل على خصوص كونه هدى للثقلين* وعلى
وقوع التكليف بالممتنع لغيره فانه سبحانه كلفهم الإيمان وأراد منهم
الكفران، فصار ممتنعاً لإرادته عدم وقوعه، والتكليف به جار على
سنن الحكمة فان إرادة عدم إيمانهم لم تخرج إيمانهم عن حيز الممكن فيما
١٠ يظهر، لعدم العلم بما أراد الله من كل شخص بعينه، فهو على سنن
الابتلاء ليظهر في عالم الشهادة المطيع من غيره لإقامة الحجة؛ ويأتي
في الصَّفَت عند 'أفعل' ما تؤمر^٦، تنمة لهذا^٧.

(١-١) ليست في ظ .

(٢) في م: و .

(٣) في مد: شا هذا - كذا .

(٤) في م: حالناهم - كذا .

(٥) من مد، وفي الأصل و م و ظ: بالثقلين .

(٦) سورة ٢٧ آية ١٠٢ .

(٧) وفي أنوار التنزيل وأسرار التأويل: وإنما عدل ههنا عن المصدر إلى الفعل
لما فيه من إيهام التجدد، وحسن دخول الهمزة وأم عليه لتقرير معنى الاستواء
وتأكيد، فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جرد حرف =

قال الحرالي: فصل بمجموع قوله « - واء عليهم » إلى آخره . بقوله « لا يؤمنون » خبر تام عن سابقة أمرهم و لاحقة كونهم ، فتم بالكلامين الخبر عنهم خبرا واحدا ملتئما كتبنا سابقا وكونا لاحقا - انتهى . وكل موضع ذكر فيه الكفر فانما عبر به إشارة إلى أن الأدلة الأصلية في الوضوح بحيث لا تخفى على أحد ولا يخالفها إلا من ستر مرآة عقله . إما عنادا وإما باهمال النظر السديد والركون إلى نوع تقليد .

ولما كان من أعجب العجب كون شيء واحد يكون هدى لناس دون ناس علل ذلك بقوله « ختم الله » أى بجلاله « على قلوبهم » أى ختما مستعليا عليها فهى لاتعى حق الوعى^١ ، لأن الختم على الشيء يمنع

= النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم : اللهم اغفر لنا أيتها العصابة ، والآية لما احتج به من جواز التكليف ما لا يطاق ، فانه سبحانه أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالإيمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل إيمانهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان ، والحق أن التكليف بالمتنع لذاته وإن جاز عقلا من حيث أن الأحكام لا تستدعى غرضا سيما الامتثال لكنه واقع للاستقراء والإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينبنى القدرة عليه كإخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره - انتهى .

(١) في ظ : لا يخفى .

(٢) وفي تفسير البيضاوى : في الآية إخبار بالغيب على ما هو به إن اريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهى من المعجزات ، وتعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه . وفي تفسير المهانمى : والكفر إنكار شئ مما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم

الدخول إليه والخروج منه، وأكد المعنى بإعادة الجار فقال «و على سمعهم» فهم لا يسمعون حق السمع، وأفردته لأن التفاوت فيه نادر. قال الحرالي: وشركه في الختم مع القلب لأن أحدا لا يسمع إلا ما عقل - انتهى. «و على ابصارهم غشاوة» فهم لا ينظرون بالتأمل.

و لما سوى هنا بين الإنذار وعدمه كانت البداءة بالقلوب أنسب تسوية لهم بالبهائم، ولما كان الغي قد يسمع أو يبصر فيتهدى وكان إلى السمع أضر^٢ لعمومه و خصوص البصر بأحوال الضياء نقي السمع ثم البصر تسفيلاً لهم عن حال البهائم، بخلاف ما في الجائية فإنه لما أخبر فيها بالإضلال و كان الضال أحوج شيء إلى سماع الهادي نفاه، ولما عليه وسلم بأن لا يتقاد له عرف حقيقته أو اعترف بهام لا، ثم أشار إلى أن الدلائل وإن كانت قطعية فأنما تفيد من فتح الله عليه باب النظر وهؤلاء «ختم الله» - الآية.

(١) وفي تفسير البيضاوي: الختم الختم سمي به الاستيناق من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له والبلوغ آخره نظراً إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه ولا ختم ولا تنغشية على الحقيقة وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم و انهما كهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح.... و الباقي يطلب من أنوار التنزيل ج ١ ص ١٨.

(٢-٢) في ظ: فلا.

(٣) في م: آخر - كذا.

كان الأصم إذا كان ذا فهم أو بصر أمكنت هدايته وكان الفهم أشرف
نفاهما على ذلك الترتيب .

ولما وصفهم بذلك أخبر بما لهم^١ فقال: « ولهم عذاب عظيم » ،
قال الحرالي: وفي قوله « ولهم » إعلام^٢ بقوة تداعي^٣ حالهم لذلك
العذاب واستحقاقهم له وتنشؤ ذواتهم إليه حتى يشهد^٤ عيان المعرفة^٥
به - « أى العذاب » - وبهم أنه لهم وكان عذابهم عظيماً أخذاً في عموم
ذواتهم لكونهم لم تلبس^٦ أبدانهم ولا نفوسهم ولا أرواحهم بما يصد
عنهم شيئاً من عذابها كما يكون للعاقبين من مذنب مؤمن^٧ الأمام حيث
يتنكب العذاب عن وجوههم ومواضع وضوئهم ونحو ذلك - انتهى .

(١) في مد: بما لهم .

(٢) وفي تفسير النفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل: وقال ابن عباس
طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخ يريد أن الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج
منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيه من الإيمان ، وحاصل الختم والطبع
خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندئذ فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في
قلبه ، وعند العزلة إعلام محض على القلوب بما يظهر للأنسكة أنهم كفار
فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير .

(٣) من م ومد وظ ، وفي الأصل: تراعى .

(٤) في م: تشهد .

(٥-٥) كذا في الأصل ، وليس في م ومد وظ .

(٦) زيد بعده في الأصل: إيمانهم ، وضرب عليه .

(٧) ليس في مد .

و سيأتى عند قوله تعالى «و من الناس من يتخذ من دون الله اندادا» ،
ما يلتفت إلى هنا ٢ .

قال الحرالى : «الكفر» تغطية ما حقه الإظهار ، و «الإنذار» ٣
الإعلام بما يحذر ، و «الحتم» إخفاء خبر الشيء بجميع أطرافه عليه على
وجه يتحفظ به ، و «القلب» مبدأ ؛ كيان الشيء من غيب قوامه ، فيكون
تغير كونه بحسب تقلب قلبه فى الانتهاء و يكون تطوره و تكامله بحسب
مدده فى الابتداء و النماء ، و القلب من الإنسان بمنزلة السكان من السفينة
بحسب تقلبه يتصرف سائرهم ، و بوضعه للقلب و التقلب سمي قلبا ،
و للطفيف معناه فى ذلك كان أكثر ٤ قسمه صلى الله عليه وسلم بمقلب
١٠ القلوب ، و «الغشاوة» غطاء مجلل لا يبدو معه من المغطى شيء ،
و «العذاب» إيلام لا إجهاز فيه ، و «العظيم» الآخذ فى الجهات كلها -

(١) سورة ٢ آية ١٦٥ .

(٢) فى م : هذا .

(٣) فى ظ : الانداد .

(٤) و فى أنوار التنزيل : و بالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل
و المعرفة كما قال تعالى «ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب» .

(٥) و فى الصحيح للبخارى ج ٢ ص ٩٧٩ : عن سالم عن عبد الله قال : كثيرا
مما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحلف : لا و مقلب القلوب . و راجع قول
ابن بطال على حاشيته .

(٦) فى ظ : لا يبدو .

(٧) و فى السراج المنير : و العذاب كل ما يبي الإنسان و يشق عليه ، و قال
الخليل : العذاب ما يمنع الإنسان عن مراده ، و منه الماء العذب لأنه يمنع العطش ؛ =

انتهى . وفي تعقيب ذكر المؤمنين بذكر المختوم على مداركهم المختوم
بمهلكهم تعظيم للنعمة على من استجاب له . إذ قال « اهدنا ، فهداه ،
وإعلام بأن الهدى ليس إلا بيده ليلتحوا في الطلب و يروا من ادعاء
حول أو قوة .

ولما افتتح سبحانه بالذين واطأت قلوبهم ألسنتهم في الإيمان وثنى
بالمجاهرين من الكافرين ' الذين / طابق إعلانهم إسرارهم في الكفران ٥ / ٢٥
اتبعه ذكر المساترين الذين خالفت ألسنتهم قلوبهم في الإذعان
و هم المنافقون ، و أمرهم أشد لإشكال أحوالهم والتباس أقوالهم وأفعالهم ،
فأضر الأعداء من يريك الصداقة فيأخذك من المأمن ؛ و ما أحسن ما ينسب
إلى الإمام أبي سليمان الخطابي في المعنى :

تحرّز من الجهال جهدك أنهم - و إن أظهروا فيك المودة أعداء ' ١٠
و إن كان فيهم من يترك فعله فكل لذيق الطعم أو جلله داء
لا جرم ثنى سبحانه باظهار أسرارهم و هتك أستارهم في سياق شامل لقسميهم ،
= وإنما وصف العذاب بالعظيم دون الكبير لأن العظيم فوته لأن العظيم تقيض
الحقير و الكبير تقيض الصغير و إذا كان الحقير مقابلا للعظيم و الصغير
للكبير كان العظيم فوق الكبير لأن العظيم لا يكون حقيرا و الكبير قد يكون
حقيرا كما أن الصغير قد يكون عظيما . وفي تفسير النسفي : العذاب كالنكال بناء
و معنى ، لذلك تقول : أعذب عن الشيء - إذا أمسك عنه ، كما تقول : نكل عنه .
(١) زيد في ظ : أى .

(٢) من ظ و مد ، و في م : أعداءه ، و في الأصل : أعدائه .

ففتح أمورهم و روى مقاصدهم و ضرب لهم الأمثال و بسط لهم بعض
البسط في المقال فقال تعالى « و من الناس ، أى لما أرسلنا رسولنا
انقسم الناس قسمين : مؤمن و كافر ، و انقسم الكافر قسمين : ففهم من
جاهر و قال : لا تؤمن أبدا ، و منهم من يقول ، و لعله أظهر و لم يضم
٥ لا أفرادهم عن المجاهرين ببعض الأحكام ، أو لأنه سبحانه لما ذكر طرفي
الإيمان و الكفر و أحوال المؤمنين و أحوال الذين كفروا ذكر المنافقين
المترددين بين الانصاف بالطرفين بلفظ الناس لظهور معنى النوس فيهم
لاضطرابهم بين الحالين ، لأن النوس هو حركة الشيء اللطيف المعلق
في الهواء كالخيط المعلق الذى ليس في طرفه الأسفل ما يثقله فلا يزال

(١) و في السراج المنير : نزل في المنافقين حكاية لحالهم قوله تعالى « و من الناس »
أجمع المفسرون على أن ذلك وصف المنافقين ، قالوا : صنف الله الأصناف الثلاثة
من المؤمنين و الكافرين و المنافقين فبدأ بذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله
و اطاعت فيه قلوبهم ألستهم ، و ثنى بأضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا
و باطنا ، و ثلث بالصنف الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم
و لم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم ، و هذا الصنف أخبث الكفرة و أبغضهم إلى الله
تعالى لأنهم مع مشاركتهم للكفار الأصليين في أنهم جاهلون بالقلب كاذبون باللسان
من حيث أنهم ينسبون إلى الله ما هو برىء منه كالولد و الزوجة و الشريك
زادوا عليهم بأمور مذكورة منها أنهم قصبوا التلipsis و رضوا لأنفسهم بسمه
الكذب و لبسوا الكفر على المسلمين فخطوا به خداعا و استهزاء و لذلك
طول الله في بيان خبيثهم و جهالهم و استهزائهم - و ما بقى يطالب من ج ١
ص ٢٠ .

(٢) من م و مد و ظ ، و في الأصل : ما ينقله .

مضطرباً^١ بين جهتين ، و لم يظهر هذا المعنى في الفريقين لتحيزهم إلى جهة واحدة - قاله الحرالي ، و عرف للجنس^٢ أو للعهد في الذين كفروا لأنهم نوع منهم ، و سر الإظهار موضع الإضمار على هذا ما تقدم ، «أما بالله» أى وحده بما ٣ له من الجلال والجمال مستحضرين لذلك ، و لما كانوا متهمين أكدوا باعادة الجار فقالوا « و باليوم الآخر» الذى جرده المجاهرون ، و ما هم « بمؤمنين ، أى بعريقين فى الإيمان كما ادعوه بذكر الاسم الأعظم و إعادة الجار ، و لعله نفى العراقة فقط لأن منهم من كان مُزَلَّزَلاً حين هذا القول غير جازم بالكفر و آمن بعد ذلك ، و حذف متعلق الإيمان تعميماً فى السلب عنهم لما ذكروا و غيره ، و جمع هنا و أفرد فى « يقول ، تنبئها على عموم الكفر لهم كالأولين و قلة ١٠

(١) فى ظ : مطرباً - كذا .

(٢) قال البيضاوى : و اللام فيه للجنس و من موصوفة إذ لا عهد فكأنه قال : و من الناس ناس يقولون ، أو للعهد و المهود هم الذين كفروا و من موصولة مراد بها أبى بن كعب و أصحابه و نظرائه فعلى هذا يكون الآية تقسيماً للقسم الثانى ، و اختصاص الآية بالله و اليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الأعظم من الإيمان و ادعاء بأنهم احتازوا الإيمان من جانبيه ، « و ما هم بمؤمنين » انكار ما ادعوه و نفى ما انتحلوا إثباته و كان أصله و ما آمنوا ليطلق قولهم فى التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيداً و مبالغة فى التكذيب لأن إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفى الإيمان عنهم فى ماضى الزمان ، و لذلك أكد النفى بالباء و أطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان فى شىء .

(٣) فى م : بما .

من يسمح^١ منهم بهذا القول إشارة إلى غلظتهم و شدة عثاوتهم^٢ في الكفر وقوتهم .

وفي ذكر قصتهم و تقييح أحوالهم تنبيه على وجوب الإخلاص وحث على الاجتهاد في الطهارة من الأدناس في سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم .

و تصنيف الناس آخر الفاتحة ثلاثة أصناف : مهتدين و معاندين و ضالين ، مثل تصنيفهم أول البقرة ثلاثة : متقين و كافرين مصارحين و هم المعاندون و ضالين و هم المنافقون ، و إجمالهم في الفاتحة و تفصيلهم هنا من بديع الأساليب و هو دأب القرآن العظيم الإجمال ثم التفصيل .

١٠ و قد سمي ابن إسحاق كثيرا من المنافقين^٣ في السيرة الشريفة في أوائل أخبار ما بعد الهجرة^٤ ، قال ابن هشام في تلخيص ذلك : وكان ممن انضاف إلى يهود ممن سمي لنا من المنافقين من الأوس و الخزرج ، من الأوس زوى بن الحارث و بجاد بن عثمان بن عامر و نبتل بن الحارث و هو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : من أحب ١٥ أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل ! و كان يأتي رسول الله صلى الله

(١) من م و ظ و مد ، وفي الأصل : يسمح - كذا .

(٢) من ظ لكن الثاء غير منقوطة فيه ، وفي الأصل : عثاوتهم - كذا ، وفي م : غشاوتهم ، وفي مد : خسارتهم .

(٣) ليست العبارة من هنا إلى « من المنافقين » في م .

(٤) وفي تفسير النسفي : الرجال المنافقون كانوا ثلاثمائة و النساء المنافات مائة

و سبعين .

عليه وسلم يتحدث إليه ثم ينقل حديثه إلى المناققين، وهو الذى قال :
 إنما محمد أذن، وعباد بن حنيف أخو سهل وعمرو بن خدام^١ وعبد الله
 ابن نبتل وبَحْزَج وهو ممن كان بنى مسجد الضرار وكذا جارية^٢ بن عامر
 ابن العطف وابنه زيد وخدام^٣ بن خالد وهو الذى أخرج مسجد
 الضرار من داره و مِرْبِيع بن قيطى وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم وهو عامد إلى أحد: لا أحل لك يا محمد إن كنت نيا أن
 تمر فى حائطى^٤ ! فابتدره المسلمون ليقتلوه فتهام النبي صلى الله عليه وسلم
 وقال: هذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر، وأخوه أوس بن
 قيطى وهو الذى قال يوم الخندق: "إن يوتنا عورة^٥" وحاطب بن
 أمية بن رافع وكان شيخا جسيما قد عسى فى الجاهلية وكان ابنه يزيد^٦
 من خيار المسلمين، قتل رضى الله عنه يوم أحد فقال أبوه لمن بشره
 بالجنة: غررتم والله هذا المسكين من نفسه^٧ / وبشير بن أبيرق^٨ أبو طعيمة -
 ٢٦/ وفى نسخة: طعيمة^٩، وهو سارق الدرعين الذى أنزل الله فيه "ولا

(١) هكذا فى الأصل وظ، وفى م: خدام، ولا يتضح فى مد.

(٢) فى الأصول: حارثة، والتصحيح من سيرة ابن هشام ١ / ١٨٦.

(٣) زيد فى السيرة واخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال: والله لو أعلم أنى
 لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به.

(٤) سورة ٣٣ آية ١٣.

(٥) فى الأصول: زيد، والتصحيح من سيرة ابن هشام.

(٦) فى ظ: أبرقى.

(٧) وهو الثابت فى سيرة ابن هشام.

تجادل عن الذين يختانون انفسهم^١ " و قزمان^٢ حليف لهم أجاد يوم
أحد القتال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول^٣ : إنه من أهل
النار، فخرج فبشر بالجنة فقال: والله ما قاتلت إلا حمية لقومي^٤ فلما اشتدت
به الجراحة قطع رواهش^٥ يده فمات .

٥ ومن الخزرج رافع بن وديعة وزيد بن عمرو وعمرو بن قيس وقيس
ابن عمرو بن سهل^٦ والجد بن قيس^٧ - وهو الذي قال " ائذن لي
ولا تفتني^٨ " ^٩ وعبد الله بن أبي رأس المنافقين وإليه كانوا يجتمعون

(١) سورة ٤ آية ١٠٧ .

(٢) وفي حاشية الصحيح للبخاري ج ١ ص ٤٠٦ : وفي اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجل اسمه قزمان هذا في عداد المنافقين وكان قد غاب يوم
أحد فعيوه النساء فخرج وقاتل وبائع ، وفي الصحيح بعد سرد القصة : ثم
جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين
نديه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه - الحديث .

(٣) ليس في م .

(٤) في سيرة ابن هشام : عن قومي .

(٥) الرواهش عروق ظاهر الكف - قطر المحيط ص ٨٠٧ - قطع اولاً ثم إذا
اشتد الوجع قتل نفسه بما ذكر .

(٦-٧) ليست في م .

(٧) سورة ٩ آية ٤٩ .

(٨) في تفسير النسفي : قال الجد بن قيس المنافق : قد علمت الأنصار اني مستهتر
بالنساء فلا تفتني ببناات الأصفر - يعنى نساء الروم .

وهو القائل: "ليخرجن الاعز منها الاذل"، وفيه وفي ودیعة العوفی^١
 و مالك بن أبی قوقل و سويد و داعس و هم من رهطه نزل "الم ترالى
 الذين نافقوا يقولون لآخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب" ٣- الآية،
 حكاية لما كانوا يدسونه إلى بنی النضير إذ حاصرهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فصدق الله وكذبوا .

و كان ممن تعوذ بالإسلام وأظهره وهو منافق من أجبار يهود
 من بنی قينقاع سعد بن حنيف و زيد بن اللصيت وهو الذى قال فى
 غزوة تبوك: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقله!
 فأعلمه الله بقوله وبمكان الناقة، و نعيمان بن أوفى بن عمرو و عثمان
 ابن أوفى و رافع بن حُرَيْمَلَة وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه ١٠
 وسلم حين مات: قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين، و رفاعه بن
 زيد بن التابوت وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ هبت
 تلك الرياح وهو قافل من غزوة بنى المصطلق: لا تخافوا، إنما هبت لموت
 عظيم من عظماء المنافقين، و سلسلة بن برهام و كنانة بن صوريا- فكان
 هؤلاء من المنافقين ومن نحاسهم يحضرون المسجد فيسمعون أحاديث ١٥
 المسلمين و يستخرون منهم و يستهزئون بدينهم- انتهى. وفيه اختصار فأنزل الله
 تعالى فيهم^٢ هذه الآيات .

(١) سورة ٦٣ آية ٨ .

(٢) فى مد: العوفى - كذا .

(٣) سورة ٥٩ آية ١١ .

(٤) ليس فى ظ .

و ابتدئت قصتهم بالتنبيه على قلة عقولهم و خفة حلومهم من حيث أن محط حالهم أنهم يخادعون من لا يجوز عليه الخداع و أن الذي حالهم على ذلك أنهم ليس لهم نوع شعور و لا شيء من إدراك بقوله تعالى - جوابا لسؤال من كأنه قال : فما قصدهم باظهار ' الإيمان ' و ' الإخار ه عن أنفسهم بغير ما هي متصفة به مع معرفتهم بقبح الكذب و شناعته و فظاعته و بشاعته ؟ " يخدعون الله " أى يبالغون فى معاملته هذه المعاملة بابطان غير ما يظهرون مع ما له من الإحاطة بكل شيء . و الخداع ٣ أصله الإخفاء ٤ و المفاعلة فى أصلها للمبالغة لأن الفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ و أحكم منه إذا زاوله وحده " الذين آمنوا " أى يعاملونهم ١٠ تلك المعاملة ، و أمره ٥ تعالى باجراء أحكام الإسلام عليهم فى الدنيا صورته صورة الخدع ٦ وكذا امثال المؤمنين أمره تعالى فيهم . قال

(١) فى ظ : بالاظهار .

(٢) فى م : فى .

(٣) قال البيضاوى فى تفسيره : الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتراه عما هو بصدده ، من قولهم : خدع الضب - إذا توارى فى جحره ، و ضب خادع و خدع إذا أوهم الحارث إقباله عليه ثم خرج من باب آخر ، و أصله الإخفاء . . . و المخادعة تكون بين اثنين ، و خداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنه تعالى لا يخفى عليه خافية .

(٤) فى ظ فقط : الاختفاء .

(٥) زيد فى ظ : سبحانه .

(٦) فى ظ : الخداع .

الحرالى : و جاء بصيغة المفاعلة لمكان إحاطة علم الله بخداعهم ولم يقرأ غيره ولا ينبغي، و الخداع إظهار خير يتوسل به إلى إبطان شر يؤول إليه أمر ذلك الخير المظهر^١ - انتهى .

”و ما يخدعون“^٢ أى بما يغرون به المؤمنين ”الا انفسهم“ يعنى أن عقولهم لخبائثها^٣ إنما تسمى نفوسا، و النفس^٤ قال الحرالى ما به ه ينفس المرء^٥ على غيره^٦ استبدادا منه و اكتفاء بموجود نقاسته على من سواه - انتهى . و قراءة الحذف هذه لاتنافى قراءة يخدعون لأن المطلق لا يخالف المقيد بالمبالغة، و عبر هنا^٧ بصيغة المفاعلة لشعورهم كما قال الحرالى بفساد

(١) فى أنوار التنزيل : و يحتمل ان يراد بيخدعون يخدعون لأنه يات ليقول أو استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج فى زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للتعاب و الفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة معارض و مبار استصحب ذلك و يعضده قراءة من قرأ يخدعون - الخ .

(٢) فى م و مد و ظ : ما يخدعون .

(٣) فى م و مد : بخبايتها .

(٤) ليس فى مد .

(٥) فى أنوار التنزيل : و النفس ذات الشئ و حقيقته، ثم قيل للروح لأن نفس الحى به، و للقلب لأنه محل الروح او متعلقه، وللدن لأن قوامها به، و للاء لفرط حاجتها إليه، و للرأى فى قولهم فلان يؤامر نفسه لأنه ينبعث عنها؛ و المراد بالأنفس ههنا ذواتهم، و يحتمل حملها على أرواحهم و آرائهم - انتهى .

(٦) فى ظ : المراء - كذا .

(٧) من م و مد و ظ . و فى الأصل : غره - كذا .

(٨) فى ظ : هاهنا .

١ 'أحوالهم في بعض الأوقات و من بعض الأشخاص : بصيغة المجرى لعمهم
عن فساد 'أحوالهم في أكثر أوقاتهم وعمه عامتهم و لا يكون من الله
سبحانه إلا بلفظ الخدع لأنهم لا يعلمون ما يخفى^١ عنهم من أمره و لذلك
جاء في آية النساء "يخدعون الله و هو خادعهم"^٢ - انتهى .

٥ "و ما يشعرون" أى نوع شعور لإفراط جهلهم بأنهم لا يضرون
غير أنفسهم لأن الله يعلم سرهم كما يعلم جهلهم^٣ ، و حذف^٤ متعلق
الشعور للتعميم^٥ و الشعور كما قال الخرايى أول الإحساس بالعلم كأنه
مبدأ إنباته قبل / أن تكمل صورته تتميز - وانتهى .

/ ٢٧

ثم بين سبحانه أن سبب الغفلة عن هذا الظاهر كون آلة إدراكهم
١٠ مريضة ، شغلها المرض عن إدراك ما ينفعها فهي لا تنجح إلا إلى ما يؤذيها ،
كأريض لا تميل نفسه إلى غير مضارها فقال جواباً لمن كأنه قال : ما سبب
فعلهم هذا من الخداع^٦ و عدم الشعور^٧ ؟ د في قلوبهم مرض^٨ ، أى من

(١-١) ليست في م .

(٢) زيد في م و مدوظ : الله .

(٣) سورة ٤ آية ١٤٢ .

(٤) قال البيضاوى : " ما يشعرون " لا يحسون بذلك لتمام غفلتهم جعل لحوق
وبال الخداع و رجوع ضرره إليهم في الظهور كالحسوس الذى لا يخفى
الاعلى ماؤف الحواس و الشعور الإحساس ، و مشاعر الإنسان حواسه .

(٥) في مد : حذفه .

(٦) وفي ظ : التعميم - كذا .

(٧-٧) ليست في مد .

(٨) المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به و يوجب =

أصل الخلقة يوهن قوى الإيمان فيها و يوجب ضعف أفعالهم الإسلامية و خللها ، لأن المرض كما قال الحرالي ضعف في القوى يترتب عليه خلل في الأفعال . فزادهم الله ، أى ' بما له من صفات الجلال و الإكرام لمخادعتهم ' بما يرون من عدم تأثيرها ' . مرضاء أى سوء اعتقاد بما يزيد من خداعهم و ألما في قلوبهم بما يرون من خيبة مطلوبهم ، فانسد عليهم باب الفهم . و السداد جملة ، و الزيادة قال الحرالي استحداث أمر لم يكن في موجود الشيء - انتهى . و لهم ، أى مع ضرر الغاوة في الدنيا الملحقة بالبهائم . عذاب اليم ، في الآخرة أى شديد الألم و هو الوجع اللازم - قاله الحرالي . ' بما كانوا ، قال الحرالي : من كان الشيء و كان الشيء كذا إذا ظهر وجوده و تمت صورته أو ظهر ذلك الكذا من ذات نفسه - ١٠ انتهى . ' يكذبون ، أى يوقعون ' الكذب و هو الإخبار عن أنفسهم بالآيمان مع تلبسهم بالكفران ، و المعنى ' على قراءة التشديد يبالغون = الخلل في أفعاله ، و مجاز في الأعراض النفسانية التي تخل بكاملها كالجهل و سوء العقيدة و الحسد و الضغينة و حب المعاصي لأنها مانعة عن نيل الفضائل ، أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية ؛ و الآية تحتلها .

(١) ليس في مد .

(٢-٢) ليست في م .

(٣) و في أنوار التنزيل : و المعنى بسبب كذبهم أو يبدله جزاء له و هو قولهم « أمنا » .

(٤) و في أنوار التنزيل : « يكذبون » من كذبه لأنهم كانوا يكذبون الرسول بقاوبهم ، أو من كذب الوحشى إذا جرى شوطا و وقف لينظر ما وراءه فان =

في الكذب، أو ينسبون الصادق إلى الكذب، وذلك أشنع الكذب .
 ولما أخبر تعالى عن بواطنهم اتبعه من الظاهر ما يدل عليه فبين
 أنهم إذا نهوا عن الفساد العام ادّعوا الإصلاح العام بقوله « وإذا قيل لهم،
 و بناؤه للجهول إشارة إلى عصيانهم لكل قائل كائنا من كان » لا تفسدوا
 ه في الارض، أي بما نرى لكم من الأعمال الخيثة . والفساد انتقاض صورة
 الشيء - قاله الحرالي، « قالوا، قاصرين فعلهم على الإصلاح نافين عنه كل
 فساد مباهتين غير مكترئين » إنما نحن مصلحون، ٣ و الإصلاح تلافى
 خلل الشيء - قاله الحرالي .

و لما كان حالهم مبنيًا على الخداع باظهار الخير وإبطان الشر وكانوا
 ١٠ يرون إفسادهم لما لهم من عكس الإدراك إصلاحا فكانوا يناظرون عليه
 = النافق متحير متردد .

(١) وفي م وظ : يرى .

(٢) قال البيضاوي : والفساد خروج الشيء عن الاعتدال، والإصلاح ضده .
 (٣) قال البيضاوي : جواب لإذا ورد للناصح على - يبل البالغة، والمعنى أنه
 لا يصح مخاطبتنا بذلك فإن شأننا ليس إلا الإصلاح وإن حالنا متمحضة من
 شوائب الفساد . وفي تفسير النسفي : نحن مصلحون بين المؤمنين والكافرين
 بالمداواة، يعني أن صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قاذح فيها
 من وجه من وجوه الفساد .

(٤) قال البيضاوي : وإنما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة الإصلاح لما
 في قلوبهم من المرض كما قال تعالى « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا » - انتهى .

بأنواع الشبه كان قولهم ربما غرّ من سمعه من المؤمنين لأن المؤمن غرّ كريم والكافر خبّ لثم فقال تعالى محذرا من حالهم مثبتا لهم ما نقوه عن أنفسهم من الفساد وقاصرا له عليهم «الانهم هم» أى خاصة «المفسدون» أى الكاملون^١ الإفساد البالغون من العراقة فيه ما يجعل إفساد غيرهم بالنسبة إلى إفسادهم عدما لما فى ذلك من خراب ذات البين^٥ وأخذ المؤمن من المأمن . وقال الحرالى : ولما كان حال الطمأنينة بالإيمان إصلاحا وجب أن يكون اضطرابهم فيه إفسادا لا سيما مع ظنهم أن كونهم مع هؤلاء تارة ومع هؤلاء تارة من الحكمة والإصلاح وهو عين الإفساد لأنه بالحقيقة مخالفة هؤلاء وهؤلاء فقد أفسدوا طرفي الإيمان والكفر، ولذلك قيل : ما يصلح المناق، لأنه لا حبيب مضاف^{١٠} ولا عدو^١ مبائن، فلا يعتقد منه على شيء - انتهى .

ولما كان هذا الوصف موجبا لعظيم الرهبة اتبعه ما يخففه^٢ بقوله «والكفر لا يشعرون» أى هم؛ فى غاية الجلالة حتى لا شعور لهم

(١) فى مد: الكاملون .

(٢) زيد فى ظ : مبين .

(٣) وفى ظ : يحققه .

(٤) وفى تفسير النسفى : لا يشعرون أنهم مفسدون لحذف المفعول للعلم به، «ال» مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحققا كقوله تعالى «ليس ذلك بقادر» ولكونها فى هذا المنصب من التحقيق لا تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وقد رد الله ما ادعوه من الانتظام فى جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط =

يحسنون به التصرف فيما يحاولونه من الفساد الآن بما دلت عليه ما في الآية السابقة الدالة على أن المضارع للحال ولا فيما يستقبل من الزمان لأن لا لا تقارنه إلا وهو بمعنى الاستقبال ، فلاجل ذلك لا يؤثر إفسادهم إلا في أذى أنفسهم ، فلا تخافوهم فاني كافيكوم .

و لما بين حالهم إذا أمروا بالصلاح العام بين أنهم إذا دعوا إلى الصلاح الخاص الذي هو أس كل صلاح سموه سفها فقال « و اذا قيل » أى من أى قائل كان « لهم امنوا » أى ظاهرا و باطنا « كما امن الناس » أى الذين هم الناس ليظهر عليكم ثمرة ذلك من لزوم الصلاح و اجتناب الفساد و الإيمان المضاف إلى الناس أدنى مراتب الإيمان - قاله الحرالي ،

= عظيم ، و البالغة فيه من جهة الاستئناف وما في « الا » و « ان » من التأكيد و تعريف الخبر و توسيط الفصل و قوله « لا يشعرون » - انتهى .

(١) قال ابوحيان الأندلسي في تفسيره الكبير المسمى بالبحر المحيط : الناس اسم جمع لا واحد له من لفظه ومرادفه اناسى جمع انسان او إنسى ، قد قالت العرب : ناس من الجن ، حكاه ابن خالويه و هو مجاز إذ أصله في بنى آدم ، و مادته عند سيبويه والفراء همزة و نون وسين و حذفته همزته شذوذا و أصله أناس و نطق بهذا الأصل قال تعالى « يوم ندعو كل أناس بأمامهم » فمادته و مادة الإنس واحدة ، و ذهب الكسائي إلى أن مادته نون و واو وسين و وزنه فعل مشتق من النوس و هو الحركة .

(٢) و في تفسير النسفي : نصحوهم من وجهين : أحدهما تقييح ما كانوا عليه بعده عن الصواب و جره إلى الفساد ، و ثانيها تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوى الأحلام ، فكان من جوابهم أن سفهوهم لتمادى جهلهم ، و فيه =

و هو ' مفهم لما صرح به ' قوله : و ما هم بمؤمنين ' قالوا اتؤمن ، أى ذلك الإيمان ' كما آمن السفهاء ، أى الذين ^٢ استدرجهم إلى ما دخلوا فيه بعد ترك ما كان عليه آباؤهم خفة نشأت عن ضعف العقل ، ثم رد سبحانه قولهم بحصر السفه فيهم فقال ' الا انهم هم السفهاء . لا غيرهم ' لجودهم / على رأيهم مع أن بطلانه أظهر من الشمس ليس فيه لبس ٥ / ٢٨
 ' ولكن لا يعلمون ' ، أى ليس لهم علم أصلاً لا بذلك ولا بغيره ، ولا يتصور لهم علم لأن جهلهم مركب وهو أسوأ الجهل والعلم ، قال الحرالي : ما أخذ بعلامة وأمارة نصبت آية عليه - انتهى . و لما كان الفساد يكفى في معرفته والسد عنه أدنى تأمل و السفه لا يكفى في إدراكه و انتهى عنه إلا رزاقه * العلم ختمت كل آية بما يناسب ذلك ١٠
 من الشعور و العلم ^٣ و لما كان العام جزء الخاص قدم عليه .

= تسلية للعالم عما يلقى من الجحمة - انتهى .

(١) في ظ : هم .

(٢) زيد في مد : في .

(٣) من م و مد و ظ ، و في الأصل : الذى - كذا .

(٤) قال النسفى : و انما سفهوههم و هم العقلاء المراجيح لأنهم لجهلهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ، و من ركب متن الباطل كان سفياً و السفه مخافة العقل و خفة الحلم - اه .

(٥) في م : رزية - كذا .

(٦) وفي تفسير النسفى : لا يعلمون أنهم هم السفهاء وإنما ذكر هنا ' لا يعلمون ' =

و لما بين نفاقهم و علته و سيرتهم عند دعاء الداعى إلى الحق بهذه الآيات بين سيرتهم فى أقوالهم فى خداعهم دليلا على إفسادهم بقوله « و اذا لقوا ، و اللقاء^١ اجتماع باقبال « الذين آمنوا ، أى حقا ظاهرا و باطنا ، و لكن إيمانهم كما قال الحرالى^٢ فعل من أفعالهم لم ينته إلى أن يصير صفة لهم ، و أما المؤمنون الذين صار إيمانهم صفة لهم فلا يكادون^٣ يلقونهم بمقتضاه ، لأنهم لا يجدون معهم مدخلا فى قول و لا مؤانسة ، لأن اللقاء لا بد فيه من إقبال ما من^٤ المتقين^٥ - انتهى . « قالوا ، خداعا « أمنا » معبرين بالجملة الفعلية الماضية التى يكفى^٦ فى إفادتها^٧ لما سبقت له ادنى الحدوث^٨ .

= وفيما تقدم « لا يشعرون » لأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له ، ولأن الإيمان يحتاج فيه إلى نظر و استدلال حتى يكتب الناطور المعرفة ، أما الفساد فى الأرض فأمر مبنى على العادات فهو كالمحسوس - انتهى .
(١) وفى السراج المنير لمحمد الشربيني الخطيب : اللقاء المصادقة وهى الاجتماع من غير مواعدة ، يقال لقيته ولاقيته إذا صادفته واستقبلته - الخ .

(٢) زيد فى ظ : الى .

(٣) فى ظ : فلا يكادوا .

(٤) كذا ، والظاهر : بين .

(٥) فى الأصل : المتقين - كذا .

(٦) من مد ، وفى ظ : يلقى - كذا ، وفى م : تكفى ، وفى الأصل : تكفى .

(٧) فى ظ : أفادتهم .

(٨) قال الفيضائى : خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية =

و اذا

« و اذا خلوا ، متتهين » إلى شيطينهم ، أى الذين هم رؤوسهم من غير أن يكون معهم مؤمن ، والشيطان هو الشديد البعد عن محل الخير - قاله الحرالى ، « قالوا انا معكم » معبرين بالاسمية الدالة على الثبات مؤكدين لها دلالة على نشاطهم لهذا الإخبار لمزيد جهم لما أفاده ودفعاً لما قد يتوهم من تبدلهم من رأى تفاقهم للمؤمنين ، ثم استأنفوا فى موضع الجواب هـ لمن قال : ما بالكم تلبنون للمؤمنين قولهم ؟ « انما نحن مستهزون ، أى طالبون للهزاء ٣ ثابتون عليه فيما نظهر من الإيمان و الهزاء إظهار الجد و إخفاء الهزل فيه - قاله الحرالى .

فأجيب من كأنه قال : بما ذا جوزوا ؟ بقوله « الله يستهزئ بهم » أى يحازيهم على فعلهم بالاستدراج بأن يظهر لهم من أمره ١٠

= المؤكدة بأن لأنهم قصدوا دعوى إحداث الإيمان و بالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ، ولأنه لم يكن لهم باعث من عقيدة و صدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال فى الإيمان على المؤمنين من المهاجرين و الأنصار بخلاف ما قالوه مع الكفار - انتهى .

(١-١) ليست العبارة فى ظ .

(٢) ليس فى مد .

(٣) فى مد : للهزوء ، و فى ظ : للهزاء .

(٤) زيد فى م و مد : أى الملك الأعلى . والعبارة الآتية من هنا إلى « وجهه » ساقطة من م .

(هـ) قال أبو البركات محمود النسفى فى تفسيره المسمى بمدارك التنزيل : واستئناف قوله « الله يستهزئ بهم » من غير عطف فى غاية الجلالة و الفخامة ، و فيه ان =

المردى لهم ما لا يدركون وجهه فهو يحرق عليهم في الدنيا أحكام أهل الإيمان
و يذيقهم في الدارين أعلى هوان مجددا لهم ذلك بحسب استهزائهم ،
و ذلك أنكأ من شيء دائم توطن النفس عليه ، فلذلك عبر بالفعلية
دون الاسمية ، مع أنها تفيد صحة التوبة لمن تاب دون الاسمية .

٥ . « و يمدهم » من المد بما يلبس عليهم . و قال الحرالي : من المدد و هو
مزيد متصل في الشيء من جنسه ، « في طغيانهم » ٣ أى تجاوزهم الحد في
الفساد . و قال الحرالي : إفراط اعتدائهم حدود الأشياء و مقاديرها -
انتهى . و هذا المد بالإملاء لهم حال كونهم « يعمهون » أى يخطون خط
الذى لا بصيرة له أصلا . قال الحرالي : من العمه و هو انبهام الأمور
= الله تعالى هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذى ليس استهزاؤهم إليه
باستهزاء لا ينزل بهم من النكال و الذل و الهوان ، و لما كانت نكايات الله
و بلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل « الله يستهزئ بهم » و لم يقل : الله
مستهزئ بهم .

(١) هكذا في الأصل و مد ، و في م و ظ : المردى .

(٢) قال البيضاوى : من مد الجيش و أمده إذا زاده و قواه ، و منه مددت
السراج و الأرض اذا استصلحتهما بالزيت و الساء ، لا من المد في العمر فانه
يعدى باللام .

(٣) و الطغيان بالضم و الكسر كُتُيَان و لِقْيَان تجاوز الحد في العتو و الغلوف في
الكفر ، و أصله تجاوز الشيء عن مكانه . . . و العمه في البصيرة كالعمى في البصر
و هو التحير في الأمر ، يقال رجل عامه و عمه و ارض عمها لا تار بها ، قال :
أعمى الهدى بالجاهلين العمه - انتهى .

التي فيها دلالات يتنفع بها عند فقد الحس فلا يبقى له سبب يرجعه عن طغيانه ، فلا يتعدون حدا إلا عموها فلم يرجعوا عنه فهم أبدا متزايدو الطغيان - انتهى .

فلما تقرر ذلك كله كانت فذلكته من غير توقف « اوئلك » أى الشديدي^١ البعد من الصواب « الذين اشتروا » أى لجوا فى هوام^٥ وكلفوا أنفسهم ضد^١ ما فطرها الله عليه مع ما نصب من الأدلة حتى أخذوا « الضلالة » أى التى هى أقبح الأشياء « بالهدى »^٢ الذى هو خير الأشياء و مدار كل ذى شعور عليه ، فكأنه لوضوح ما قام عليه من الأدلة مع ما ركز منه^٢ فى الفطر كان فى أيديهم فباعوه بها ، و سيأتى فى سورة يوسف عليه السلام بيان^٢ أن مادة شرى بتركيبتها الاثنى عشر تدور^{١٠} على اللجاجة « فاء ، أى قسب عن فعلهم هذا أنه ما « ربحت تجارتهم »^٥ مع ادعائهم أنهم^١ أبصر الناس بها « وما كانوا ، فى نفس جبلاتهم « مهتدين »^٦ لأنهم مع أنهم لم يربحوا أضاعوا رأس المال ، لأنه لم يبق

(١) فى م : الشديد .

(٢) فى م : عند .

(٣) وفى أنوار التنزيل : المعنى أنهم أخلو بالهدى الذى جعل الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين الضلالة التى ذهبوا إليها ، أو اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى - انتهى .

(٤) ليس فى م .

(٥) قال النسفى : معناه فما ربحوا فى تجارتهم إذا التجارة لا تربح .

(٦) فى ظ : انه .

(٧) « وما كانوا مهتدين » لطرق التجارة ، والمعنى أن مطلوب التجار سلامة =

في أيديهم غير الضلال الذي صاحبه في ^١ دون رتبة البهائم مع زعمهم
أنه لا مثل لهم في الهداية .

فلما علم ذلك كله وكانت الأمثال ألصق بالبال وأكشف للأحوال
مثل حالهم في هدام الذي باعوه بالضلالة بالأمور المحسوسة ، لأن
٥ / ٢٩ / للتمثيل بها شأنا عظيما في إيصال المعاني حتى إلى الأذهان الجامدة
و تقريرها فيها بقوله تعالى « مثلهم » ^٢ أي في حالهم هذه التي طلبوا أن
يعيشوا بها « كمثل الذي استوقد نارا » ^٣ أي طلب أن توقد له وهي
هداه ليسير في نورها ، وأصلها من نار إذا نقر لتحركها واضطرابها ،
فوقدت و أنارت .

١٠ « فلما اضاءت ، أي النار ، وأفرد الضمير باعتبار لفظ « الذي » فقال

= رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوها فرأس مالها الهدى ولم يبق لهم إلا
الضلالة ، وإذا لم يبق لهم إلا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وإن ظفروا
بالأغراض الدنيوية ، لأن الضال خاسر .

(١) في ظ : من .

(٢) لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتنميا للبيان ،
و لضرب الأمثال في إبراز خفيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق تأثير
ظاهر .

(٣) و النار جوهر لطيف مضيء حار محرق ، واشتقاقها من نار ينور إذا نقر ،
لأن فيها حركة واضطرابا ، ووقود النار سطوعها .

(٤) قال النسفي : الإضاءة فرط الإنارة ومصاداته قوله تعالى « هو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا » وعى في الآية متعددة ، ويحتمل أن تكون غير =

« ما حوله ، و أراد أن ينتفع بها في إِبصار ما يريد ، و هو كناية عما حصل لهم من الأمانة بما قالوه من كلمة الإسلام من غير اعتقاد ذهب الله ، الذي له كمال العلم و القدرة ، و جمع الضمير نظرا إلى المعنى ثلاثيهم أن بعضهم انتفع دون بعض بعد أن أفردته تقليلا للنور ، وإن كان قويا في أوله لانطفائه في آخره فقال « بنورهم » أي الذي نشأ ه من تلك النار باطفائه لها و لا نور لهم سواه ؛ ولم يقل : بضوئهم ، ثلاثيهم أن المذهب به الزيادة فقط ، لأن الضوء أعظم من مطلق النور « هو الذي جعل الشمس ضياء و القمر نورا » ، فذهب نورهم و بقيت نارهم ليجتمع عليهم حرها مع حر الفقد لما ينفعهم من النور ، و عبر^٢ بالإضاءة أولا إشارة إلى قوة أولهم و انمحاق آخرهم ، لأن محط حالهم الباطل ١٠ و الباطل له صولة ثم تضمحل عند من ثبت لها ليتبين^٣ الصادق من الكاذب ، و عبر بالذهاب به^٤ دون إذهابه ليدل نضا على أنه سبحانه ليس معهم و حقق ذلك^٥ بالتعير عن صير برك^٥ فقال « وتركهم في ظلمت»

= متعديّة مسندة إلى ما حوله ، و التأنيث للحمل على المعنى .

(١) و معنى ذهب به استصحبه و مضى به ، و المعنى أخذ الله بنورهم و أمسكه « و ما يمسك فلا يرسل له » فكان أبلغ من الإذهاب ، و النور ضوء النار و ضوء كل منير ، و المراد إزالة النور عنهم رأسا ، ألا ترى كيف ذكر عقبيه « وتركهم في ظلمت لا يبصرون » .

(٢) سورة ١٠ آية .

(٣) في مد : غير - كذا .

(٤) في ظ : لِيَتَمِيز .

(٥) ليس في م .

أى بالضلالة^١ من قلوبهم و أبصارهم و ليلهم أى ظلمات لا ينفذ^٢ فيها بصر، فلذا كانت نتيجة^٣ لا يبصرون^٤ أى لا إصار لهم أصلاً^٥ يبصر ولا بصيرة^٦.

و لما فرغ من المثل كشف المراد بظلماتهم بأنها ما فى آذانهم ه من الثقل المانع من الارتفاع بالسمع، و ما فى ألسنتهم من الخرس عن كلام الخير الناشئ عن عدم الإدراك الناشئ عن عمى البصائر و فساد الضمائر و السرائر، و ما على أبصارهم من الغشاوة المانعة من الاعتبار و على بصائرهم من الأغطية المنافية للادّكار^٧ قال^٨ «صم، أى عن السماع النافع بكم، عن النطق المفيد لأن قلوبهم محتوم عليها فلا ينبعث منها

(١) زيد فى ظ: أى .

(٢) فى الأصل: لا ينفذ - كذا بالدال المهملة .

(٣) قال الشرينى الخطيب: لا يبصرون ما حولهم متعيرين عن الطريق خائفين، فذكر الظلمة التى هى عدم النور وانطماص بالكلية، كيف جمع الظلمة وكيف نكرها وكيف اتبعها بما يدل على أنها ظلمة خالصة وهو قوله «لا يبصرون» و ظلماتهم ظلمة الكفر و ظلمة النفاق و ظلمة يوم القيامة «يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بيمينهم» .

(٤ - ٤) فى م: ولا بصيرة لهم أصلاً ولا بصيرة .

(٥) فى م: علم - كذا .

(٦) فى م: لا ادّكار، و الادكار و الاذكار كلاهما بمعنى .

(٧) قال البيضاوى: لما سدوا مسامعهم عن الإصاغة إلى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم و يبصروا الآيات بأبصارهم جعلوا كأنما إيفت مشاعرهم و انتفت =

خير تقذه^١ إلى الآلئنة^٢ عى ، فى البصر و البصرة عن الإبصار المرشد
 لما تقدم من الحتم على مشاعرهم ، و لما كان فى مقام إجابة الداعى إلى
 الإيمان قدم السمع لأنه العمدة فى ذلك ، و ثنى بالقول لأنه يمكن الأصم
 الإفصاح عن المراد ، و ختم بالبصر لإمكان الاهتداء به بالإشارة ؛ وكذا
 ما يأتى فى هذه السورة سواء بخلاف ما فى الإسراء ، و فهم ، أى قدسب ه
 عن ذلك أنهم « لا » و لما كان المراد التعميم فى كل رجوع لم يذكر
 المرجوع عنه فقال « يرجعون »^٣ أى عن طغيانهم و ضلالهم إلى الهدى الذى
 باعوه و لا إلى حالهم الذى كانوا عليه و لا ينتقلون^٤ عن حالهم هذا^٥
 أصلا ، لأنهم كمن هذا حاله ، و من هذا حاله لا يقدر على مفارقة
 موضعه بتقدم و لا تأخر .

١٠

= قواهم كقوله :

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به و إن ذكرت بسوء عنهم أذنوا
 وقوله :

أصم عن الشيء الذى لا أريده و أسمع خلق الله حين أريد
 (١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تقذه - كذا بالبدال المهملة .

(٢) لا يعودون إلى الهدى الذى باعوه و ضيعوه أو عن الضلالة التى اشتروها ،
 أو فهم يتحiron لا يدرون أو يتقدمون أو يتأخرون و إلى حيث ابتدأوا منه
 كيف يرجعون و الغاء للدلالة على أن اتصافهم بالأحكام السابقة سبب لتحيرهم
 و احتباسهم - انتهى .

(٣) من م و مد و ظ ، و وقع فى الأصل : ينتقلون - كذا .

(٤) ليس فى ظ .

« او ، مثلهم في سماع القرآن الذي فيه المتشابه والوعيد والوعد
 « كصيب ، أى أصحاب صيب أى مطر عظيم ، وقال الحرالي : سحب
 بمطر دائرٍ ثم اتبعه تحقيقا لأن المراد الحقيقة قوله « من السماء ، وهو
 كما قال الحرالي ما علا فوق الرأس ، يعنى هذا أصله » والمراد هنا معروف ،
 هـ ومثل القرآن ' بهذا لمواترة ' نزوله وعلوه وإحيائه القلوب كما أن
 الصيب يحيى الأرض ، ثم أخبر عن حاله بقوله « فيه ظلمت ، أى لكثافة
 السحاب واسوداده » ورعد ، أى صوت مرعب يرعد عند سماعه ٣
 « و برق ، أى نور مبهت للمعانى وسرعته - قاله الحرالي ، والظلمت مثل
 ما لم يفهموه ، والرعد ما ينادى عليهم بالفضيحة والتهديد والبرق ما
 ١٠ يلوح لهم معناه ويدخلهم رأى فى استحسانه .

(١) قال الشريبنى الخطيب : والسماء كل ما علاك وأظلك ، وهى من أسماء
 الأجناس فيكون واحدا وجمعا . وقال البيضاوى : والصيب فيعل من الصوب
 وهو النزول ويقال لأطر والسحاب ، قال الشماخ : واحمم وإن صادق الوعد صيب ،
 وفى الآية يحتملها . وتنكيره لأنه أريد به نوع من المطر الشديد ، وتعريف
 السماء للدلالة على أن الغمام مطبق آخذ بأفاق السماء كلها فإن كل أفاق منها سماء
 كما أن كل طبقة منها سماء ، قال : ومن بعد أرض بيننا وسماء .

(٢-٢) فى ظ : بهذه المواترة - كذا .

(٣) والرعد صوت يسمع من السحاب ، والمشهور أن سببه اضطراب أجرام
 السحاب واصطكاكها إذا حدثها الريح من الارتعاد ، والبرق ما يلعب من السحاب
 من برق الشئ بريقا وكلاهما مصدر فى الأصل ولذلك لم يجمعما - انتهى .

ولما تم مثل القرآن استأنف^١ الخبر عن حال الممثل لهم^٢ والممثل
 بهم^٣ حقيقة^٤ أو مجازاً فقال « يجعلون أصابعهم^٥ ، أى بعضها ولو قدروا
 لحشوا الكل لشدة خوفهم^٦ » فى « اذانهم من الصواعق ، أى من أجل
 قوتها ، لأن هولها يكاد / أن يصم ، وقال الحرالي : جمع^٧ صاعقة^٨ وهو
 الصوت الذى يميت^٩ سامعه أو يكاد ، ثم علل هذا بقوله « حذر الموت^{١٠}
 والله ، أى والحال أن المحيط بكل شىء قدرة وعلما « محيط بالكافرين^{١١} »
 فلا يغنيهم من قدره حذر^{١٢} ، وأظهر موضع الإضمار لإعراضهم عن
 القرآن وسترهم لأنواره .
 ثم استأنف^{١٣} الحديث عن بقية حالهم فقال « يكاد البرق ، أى من

(١) قال البيضاوى : والجملة استئناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول
 قيل : فكيف حالهم مع مثل ذلك ؟ فأجيب بها ، وإنما أطلق الأصابع دون الأنامل
 للبالغة .

(٢-٢) ليس فى مد .

(٣-٣) ليست العبارة فى ظ ، و لفظ « لحشوا » ليس فى مد أيضا .

(٤) فى ظ : لجمع .

(٥) والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر على شىء إلا أتت عليه الصعق
 وهو شدة الصوت ، وقد يطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد ، ويقال
 صعقته الصاعقة إذا أهلكه بالإحراق أو شدة الصوت - انتهى .

(٦) فى مد : تميت ، وفى م : ييمت .

(٧) زيد فى م : أى .

(٨) « والله محيط بالكافرين » لا يفوتونه كما لا يفوت الحاط به المحيط لا يخلصهم
 الخداع والحيل .

(٩) استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول : ما حالهم مع تلك الصواعق ؟ والخطف =

قوة لمعه و شعاعه و شدة حركته و إسرعه و يخطف ابصارهم ، فهم يغضونها
عند لمعه و خفضه في ترائبه و رفعه ، و لما كان من المعلوم أن البرق ينقضى لمعانه
بسرعة كان كأنه قيل : ما إذا يصنعون عند ذلك ؟ فقال ^٢ « كلما » ^٣ و عبر بها
دون إذا دلالة على شدة حرصهم على إيجاد المشى عند الإضاءة و أضاء لهم
مشوا فيه ، مبادرين إلى ذلك حراسا عليه لا يفترون عنه في وقت من أوقات ^٥
الإضاءة مع أنهم يغضون أبصارهم و لا يمدونها غاية المد خوفا عليهم و وقوفا
مع الأسباب و وثوقا بها و اعتمادا عليها و غفلة عن رب الأرباب ، و هو
مثل لما وجدوا من القرآن موافقا لآرائهم ، و عطف باذا لتحقيق خفوته
بعد خفوقه قوله « و اذا اظلم عليهم قاموا » أى أول حين الإظلام
١٠ لا يقدرّون على التقدم خطوة واحدة إشارة إلى أنه ليست لهم ^٦ بصائر
يسرون بها فيما كشف البرق لأبصارهم من الأرض قبل الإظلام

= الأخذ بسرعة و قرئ يخطف بكسر الطاء و يخطف على انه يخطف و يخطف
بكسر الخاء .

(١) في م : قما .

(٢) قال البيضاوى : استيناف ثالث ، كأنه قيل : ما يفعلون في تارقي خفوق
البرق و خفيته ؟ فأجيب بذلك . و أضاء إما متعدي و المفعول محذوف بمعنى كلما
نور لهم ممشى أخذوه ، أو لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره .

(٣) العبارة من هنا إلى « الإضاءة » ليست في ظ .

(٤) و إنما قل مع الإضاءة « كلما » ومع الإظلام « اذا » لأنهم حراس على المشى
و كلما صادفوا منه فرصة انتهزوها و لا كذلك التوقف .

(٥) في م : الشى .

(٦) من مد و م ، ظ ، و في الأصل : الاوقات .

(٧) زيد في ظ : فيها .

بل ' حال انقطاع اللعان يقفون لعمى بصارهم ورحشتهم وجنهم وغربتهم
وشدة جزعهم وحيرتهم، وهكذا حال هؤلاء لا يقيسون ما أشكل
عليهم من القرآن على ما فهموه .

« ولو شاء الله ، الذى له العظمة الباهرة مع شدة حرصهم وتاهى
جزعهم ، ودل على مفعول شاء بقوله « لذهب بسمعهم » ، أى بقاصف الرعد ٥
ولم يغنهم سدّ آذانهم « وابصارهم ، بحافظ البرق ولم يمنعه غضهم لها ،
ثم علل ذلك بقوله « ان الله ، أى الذى له جميع صفات الكمال » على كل
شئ ، أى مشئ أى يصح أن تقع عليه المشيئة هذا المراد وإن كان الشئ
كما قال سيويه يقع على كل ما أخبر عنه ، وهو أعم العام كما أن الله
أخص الخاص ، يجرى على الجسم والعرض والقديم والمعدوم والحال ، ١٠

(١) قال البيضاوى بعد بيان التمثيل مع قسميه الفرد والمؤلف : قيل شبه الإيمان
والقرآن وما أوتى الإنسان من العادن التى هى سبب الحياة الأبدية بالصيب
الذى به حياة الأرض ، وما ارتبكت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها من
الاعتراضات المشككة بالظلمات ، وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد ، وما فيها
من الآيات الباهرة بالبرق ، وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله
الرعد فيخاف صواعقه فيسدّ أذنه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها ، وهو معنى
قوله تعالى « والله محيط » واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رقد
يطمح إليه أبصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتخيرهم
وتوقفهم في الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعنّ لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم ،
ونبه بقوله تعالى « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم » على أنه تعالى جعل
لهم السمع والأبصار ليتوسلوا بها على الهدى والفلاح ثم إنهم إلى الحظوظ العاجلة
وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التى يجعلونها فانه على
ما يشاء قدير - انتهى .

و قول الأشاعرة: إن المعدم ليس بشيء^١، بمعنى أنه ليس بشأنته في
الآعيان 'متميز فيها' 'قدير'، إعلاما بأن قدرته لا تنقيد بالأسباب،
'قال الحرالي: القدرة إظهار الشيء من غير سبب ظاهر - انتهى' .

وله سبحانه قدم المثل الأول لأنه كالجزء من الثاني، أو لأنه مثل
المناقين، جعلت مدة^٢ صيام بنومهم وازدياد عقولهم استيقادا^٣ مع جعل الله
إياهم على الفطرة القويمة وزمان بلوغهم بتمام العقل الغريزي إضاءة؛
والثاني مثل المناقين وهو أبلغ، لأن الضلال فيه أشنع وأقطع .
فالصيب القرآن الذي انقادوا له ظاهرا، والظلمات متشابهة^٤، والصواعق

(١) وفي تفسير المظهرى: والشيء مصدر شاء يطلق بمعنى الفاعل أى الشئ
فيتناول البارئ تعالى، قال الله تعالى «قل أى شيء أكبر شهادة قل الله»، وبمعنى
المفعول أى الشيء وجوده وهو الممكن، ومنه قوله تعالى «خالق كل شيء» فهو
على عمومته.... وقال الشرييني الخطيب: والشيء يختص بالوجود فلا يطلق على
المعدم؛ والقدرة هو التمكن من إيجاد الشيء، والقادر هو الذى إن شاء فعل
وإن شاء لم يفعل، والقدير الفعال لما يشاء، ولذلك قلنا يوصف به غير البارئ
تعالى: واشتقاق القدير من القدرة، لأن القادر يوقع الفعل على مقدار قوته
أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته، وفي ذلك دليل على أن الحادث حال حدوثه
والممكن حال بقائه مقدوران، وأن مقدور العبد مقدور الله تعالى - انتهى .

(٢ - ٢) ليس في مد .

(٣) زيد في م: أصابتهم .

(٤) من ظ، وفي الأصل: استيقادا - كذا بالذال المعجمة، وفي م ومد: استقادا .

(٥) س م ومد وظ، وفي الأصل: متشابهة - كذا .

وعيده ، و البرق وعده ، كلما أنذروا بوعيد انقطعت قلوبهم خوفاً يحسبون
كل صيحة عليهم^١ ، و كلما بشروا انقادوا رجاء ، وإذا عرض التشابه
وقفوا تحيراً وجفاء . و كل ذلك وقوفاً مع الدنيا وانقطاعاً إليها ، لا نفوذ^٢
لهم إلى ما وراءها أصلاً ، بل هم كالأنعام ، لا نظر لهم إلى ما^٣ سوى الجزئيات
والأمور المشاهدات ، « فان كان^٤ لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم^٥ ،
« يلقى كنت معهم فافوز فوزاً عظيماً^٦ ، و الكلام^٧ الجامع النافع في
ذلك أن يقال إنه سبحانه شبه في الأول مثلهم بمثل المستوقد لا بالمستوقد^٨ ،
و^٩ في الثاني شبه مثلهم في خوفهم اللازم ورجائهم المنقطع^{١٠} بأصحاب

(١) سورة ٦٣ آية ٤ .

(٢) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : لا نفوذ - كذا بالبدال المهملة .

(٣) ليس في م ومد .

(٤) ليس في ظ .

(٥) سورة ٤ آية ١٤١ .

(٦) سورة ٤ آية ٧٣ .

(٧) قال أبو حيان في التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ج ١ ص ٧٦ ما نصه :
العنى تشبيه المثل بالمثل لا بمثل المثل ، و المثل هنا بمعنى القصة و الشأن ، ف شبه
شأنهم و وصفهم بوصف المستوقد تارة ، فعلى هذا لا تكون الكاف زائدة ؛ و في
جهة المائة بينهم وبين الذى استوقد تارة وجوه ذكروها - و يطلب ما ذكر
من التفصيل فيه .

(٨) من م مد ، وفي الأصل و م : المنقطع ، و في ظ : المنقطع - كذا .

الصيب لا بمثلهم ؛ فتقدير الأول مثلهم في أنهم سمعوا أولاً الدعاء ورأوا الآيات فأجابوا الداعي إما بالفعل كالمتنافقين وإما بالقوة في أيام الصبا لما عندهم من سلامة الفطر وصحة النظر، ثم تلذذوا فرجعوا بقلوبهم من نور ما قالوه بألستهم من كلمة التقوى نطقاً أو تقديراً إلى ظلمات الكفر، فلم ينفعهم سمع ولا بصر ولا عقل^٣، فصاروا مثل البهائم التي لا تطيع الراعي إلا بالزجر البليغ، مثلهم في هذا يشبه مثل المستوقد في أنه لما أضاءت ناره رأى ما حوله، فلما ذهبت لم يقدر على تقدم ولا تأخر، لأنه لا ينفع في ذلك سمع ولا كلام فاذن^٤ استوى وجودهما وعدمهما،

(١) في م : مثلهم .

(٢) من م ، وفي الأصل ومد وظ : الصبي .

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط : وقيل وصفهم الله بذلك لأنهم كانوا يتعاطون التصامم والتباكم والتعamy من غير أن يكونوا متصفين بشيء من ذلك فنبه على سوء اعتمادهم وفساد اعتقادهم، والعرب إذا سمعت ما لا تحب أو رأت ما لا يعجب طرحوا ذلك كأنهم ما سمعوه ولا رأوه ، قال تعالى « كان لم يسمعها كان في أذنيه وقرا وقالوا قلوبنا في أكنة » الآية، قيل ويجوز أن يكون أريد بذلك المباغة في ذمهم وأنهم من الجهل والبلادة أسوأ حالا من البهائم وأشبه حالا من الجمادات التي لا تسمع ولا تتكلم ولا تبصر، فمن عدم هذه المدارك الثلاثة كان من الذم في الرتبة القصوى، ولذلك لما أراد إبراهيم على نبينا وعليه السلام المباغة في ذم آلهة أبيه قال « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً » - انتهى .

(٤) في م : ماذا .

٣١ /

فصار عادما للثلاثة ، فكان من هذه الجهة ' مساويا / للأصم الأبكم الأعشى ،
فهو مثله لكونه لا يقدر على مراده إلا أن قاده قائد حسي ، فهو حيثند'
مثل البهائم التي لا تقاد^٢ للراد إلا بقائد ، فاستوى المثلان و سيتضح
ذلك عند قوله تعالى : كمثل الذي ينعق^٣ ، و لذلك كانت النتيجة في كل
منها صم^٤ - إلى آخره و و ا و ، بمعنى الواو ، و لعله عبر بها دونها لأنه^٥ . وإن ه
كان كل من^٦ المثلين صالحا لكل من القسمين فان احتمال التفصيل غير
بعيد ، لأن^٧ الأول أظهر في الأول^٨ و الثاني في الثاني^٩ .

(١) في ظ : الحيتية .

(٢) في ظ : ح .

(٣) في ظ : لا يقاد .

(٤) في م : ينفق - كذا . سورة ٢ آية ١٧١ .

(٥) في ظ : ضم - كذا .

(٦) في مد : لأنها .

(٧) زيد في م : في .

(٨) في ظ : فان .

(٩) في م : الثاني - كذا .

(١٠) قال أبو حيان في البحر المحيط : وإنما المعنى الظاهر فيها كونها للتفصيل ، وهذا
التمثيل الثاني أتى كاشفا لحلمهم بعد كشف الأول ، وإنما قصد بذلك التفصيل
والإسهاب بحال المناق ، وشبهه في التمثيل الأول بمستوقد النار وإظهار الإيمان
بالإضاءة و انقطاع جدواه بذهاب النور ؛ وشبه في الثاني دين الإسلام بالصيب ،
وما فيه من الوعد و الوعيد بالرعد و البرق ، و ما يصيبهم من الأفرع و الفتن
من جهة المسلمين بالصواعق ؛ و كلا التمثيلين من التمثيلات المتفرقة كما =

و جعل الحرالى المثلين للتناقين فقال : ضرب لهم مثلين لما كان لهم حالان
 وللقرآن عليهم تنزلا ن ، منه ما يرغبون فيه لما فيه من مصلحة دنياهم ، ف ضرب
 لهم المثل الأول ، وقدمه لأنه سبب دخولهم مع الذين آمنوا 'لما رأوا من' معالجة
 عقاب الذين كفروا فى الدنيا ؛ ومنه ما يرهبونه ولا يستطيعون سماعه لما يتضمنه
 ه من أمور شاقة عليهم لا يحملها إلا مؤمن حقا ولا يتحملها إلا من آمن ، ولما
 يلزم منه من ' فضيحة خداعهم ف ضرب له المثل الثانى ؛ فلن يخرج
 حالهم عند نزول نجوم القرآن عن مقتضى هذين المثلين - انتهى . و ضرب
 الأمثال انتهى إلى الحمد^٢ انتهى إلى الإحاطة بكل حد لا سيما فى أصول
 الدين الكاشف لحقيقة التوحيد الموصل إلى اليقين فى الإيمان بالغيب
 ١٠ المحقق لما لله تعالى^٣ من صفات الكمال الدافع للشكوك الحافظ فى
 طريق السلوك مما^٤ اختص به القرآن من حيث كان منها إلى الحمد
 و مفصحا به^٥ فكان حرف^٦ الحمد ، وذلك أنه حرف تام^٧ محيط شامل
 = شرحناه . والأحسن أن يكون من التمثيلات المركبة دون المفردة فلا نتكلف
 مقابلة شىء بشىء .

(١-١) فى م : لال اورا من - كذا .

(٢) ليس فى م .

(٣) فى م فقط : الحد - كذا .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) فى م : بما .

(٦) فى ظ : مفضحا .

(٧) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : حروف - كذا .

(٨) فى ظ : تمام تمام .

جميع الأمور كافل بكل الشرائع في سائر الأزمان ؛ فكان أحق الرسل به من كانت رسالته عامة لجميع الخلق و كتابه شاملا لجميع الأمر وهو أحمد و محمد صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام أبو الحسن الخراساني في كتابه « عروة المفتاح » : هذا الحرف لإحاطته أنزل وترى سائر الحروف أشفاع لاختصاصها ، ووجه هـ انزاله تفهيم ما غمض من الغيبات بضرب مثل من المشهودات ، ولما كان للأمر تنزلات وللخلق تطورات كان الأظهر منها مثلاً لما هو دونه في الظهور ، وكلما ظهر ماثول صار مثلاً^١ لما هو أخفى منه ، فكان لذلك أمثالا عددا منها مثل ليس بممثول أظهوره و ممثولات تصير أمثالا لما هو أخفى منها إلى أن تنتهي الأمثال إلى غاية محسوس أو معلوم ، فتكون ١٠ تلك الغاية مثلاً أعلى كالسماوات والأرض فيما يحس و العرش والكرسي^٢ فيما يعلم و له المثل الأعلى في السموات والأرض^٣ ، « الذين يحملون

(١) بهامش ظ : بفتح الميم وضمها . وبهامش الأصل : وفي القاموس : الغامض المطمئن من الأرض ، جمع غوامض ، كالغمض جمع غموض وأنغمض ، وقد غمض المكان غموضاً ككرم غموضة ؛ والحامل الذليل والحسب الغير المعروف والغاص من الخلاخل في الساق و غمض عنه يغمض تساهل كأنغمض و دار غامضة غير شارعة و ما اكتنحت غماضاً و يكسر و غمضاً بالضم و تغماضاً بالفتح ما نمت - إلى أن قال : و غمض على هذا الأمر مضي وهو يعلم ما فيه ، والكلام أبهمة - اهـ .

(٢) في م : مثلاً .

(٣) ليس في م .

(٤) سورة ٣٠ آية ٢٧ .

العرش و من حوله يسبحون بحمد ربهم ، وذلك المثل الأعلى لإحاطته
 اسمه الحمد و له الحمد في السموات و الارض ، و أحده إنهاء و أدناه
 إلى الله تعالى بحيث لا يكون بينه و بين الله تعالى واسطة ، فلذلك ما استحق
 أكمل الخلق و أجمعه و أكمل الأمر و أجمعه الاختصاص بالحمد ، فكان
 هـ أكمل الأمور سورة الحمد و كان اكمل الخلق صورة محمد صلى الله
 عليه و سلم ، كان خلقه القرآن و لقد اتيتك سبعا من المثاني و القرآن
 العظيم ، و دون المثل الأعلى الجامع الأمثال العلية المفصلة منه و ضرب
 لكم مثلا من انفسكم ، و لإحاطة أمر الله و كماله في كل شيء يصح أن
 يضربه مثلا و ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ،
 ١٠ و مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ،
 و للثل حكيم من مموله ، إن كان حسنا حسن مثله ، و إن كان سيئا ساء
 مثله ؛ و لما كان أعلى الأمثال الحمد كان أول الفاتحة الحمد ، و لما كان
 أخفى أمر الخلق النفاق كان أول مثل في الترتيب مثل النفاق ، و هو أدنى
 مثل لما خفي من أمر الخلق ، كما أن الحمد أعلى مثل لما غاب من أمر الحق ؛

(١) سورة ٤٠ آية ٧ .

(٢) سورة ٣٠ آية ١٨ .

(٣) سورة ١٥ آية ٨٧ .

(٤) سورة ٣٠ آية ٢٨ .

(٥) سورة ٢ آية ٢٦ .

(٦) سورة ٢٩ آية ٤١ .

و بين الحدين أمثال حسنة وسيئة ، مثل الجنة التي وعد المتقون ^١ ،
 الآيتين ، مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ^٢ ، فثله كمثل الكلب ^٣ ،
 الآيتين ، و بقدر علو المثل أو دنوه أو توسطه يتزايد للؤمن الإيمان و للعالم
 العلم و للقائم الفهم ، و بضد ذلك لمن اتصف بأضداد تلك الأوصاف ،
 فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم و اما الذين كفروا فيقولون ^٤
 ما ذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا ، و معرفة أمثال
 القرآن المعرفة إحاطة بمثلاتها و علم آياته / المعلية اختصاص معلوماتها هو حظ
 العقل و اللب و حرفه من القرآن ، و لكل حرف اختصاص بحظ من
 تدرك الإنسان و أعمال القلوب و الأنفس و الأبدان ، فن يسر له
 القراءة و العمل بحرف منه اكتفى ، و من جمع له قراءة جميع أحرفه علما ^٥
 و عملا فقد آثم و وقي ، و بذلك يكون القارئ من القراء الذين قال
 فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهم أعز من الكبريت الأحمر ،
 و يختص برحمته من يشاء و الله ذو الفضل العظيم ^٦ .
 ثم قال فيما به يحصل ^٧ قراءة هذا الحرف : اعلم أن قراءة الأحرف

(١) سورة ١٣ آية ٣٥ .

(٢) سورة ٦٢ آية ٥ .

(٣) سورة ٧ آية ١٧٦ .

(٤) بهامش ظ : اى ادرك .

(٥) زيد في م : الله .

(٦) سورة ٣ آية ٧٤ .

(٧) في م و مد : تحصل .

السته تماما وفاء بتفصيل العبادة، لأنها أشفاع ثلاثة للتخلص والتخلي
و ثلاثة للعمل والتخلي، لأن ترك الحرام طهرة البدن وترك النهي طهرة
النفس وترك التعرض للتشابه طهرة القلب، ولأن تناول الحلال زكاه
البدن وطاعة الأمر زكاه النفس وتحقق العبودية بمقتضى حرف المحكم
٥ نور القلب؛ وأما قراءة حرف الأمثال فهو وفاء العبادة بالقلب جمعا ودواما
« وله الدين واصبا »، و« الذين هم على صلاتهم دائمون »، فالذى يحصل
قراءة هذا الحرف إنما هو خاص بالقلب، لأن أعمال الجوارح وأحوال
النفس قد استوفتها الأحرف الستة التفصيلية، والذى يخص القلب بقراءة
هذا الحرف هو المعرفة التامة المحيطة بأن كل الخلق دقيقة و جليلة خلق الله
١٠ وحده لا شريك له فى شىء منه، وأنه جميعه مثل لكلية أمر الله القائم
بكلية ذلك الخلق، وإن كلية ذلك الأمر الذى هو ممثل لمثل الخلق
هو مثل الله تعالى « وله المثل الأعلى »، وأن تفاصيل ذلك الخلق المحيطات
أمثل لقيامها من تفاصيل ذلك الأمر المحيطات بها، وأن تفاصيل الأمر
المحيطات أمثال لأسماء الله تعالى الحسنى بما هى محيطة؛ و« جمع هذا الحرف
١٥ لم يصح إنزاله إلا على الخلق الجامع الآدمى الذى هو صفوة الله وفطرته،
وعلى سيد الآدميين محمد خاتم النبيين وهو خاصته وخاصة آله، وعنه

(١) سورة ١٦ آية ٥٢ .

(٢) سورة ٧٠ آية ٢٣ .

(٣) فى ظ : تفصيل .

(٤) ليس فى ظ .

كمل الدين بالإحسان ، و صفا العلم بالإيقان ، و شوهده في الوقت الحاضر ،
ما بين حدى الأزل الماضى و الأبد الغابر ، و عن تمام اليقين و الإحسان ه
تحقق الفناء لكل فان ، و بقى وجه رب محمد ذى الجلال و الإكرام ، و كان
هذا الحرف بما اسمه الحمد هو لكل شئ بدءاً^٢ و ختاماً - انتهى^٣ .

و لما ثبت بهذا البيان عما للكافرين بقسميهم من الشقاوة مع تمام
القدرة شمول^٤ العلم المستلزمان للوحدانية أتج قطعاً إفراده بالعبادة الموجبة
(١) ليس في ظ .

(٢) من ظ ، و في الأصل ومد : بدء ، و في م : بدؤ .

(٣) و في البحر المحيط لأبى حيان : و قد تقدم لنا بعض كلام على تناسق الآى
التي تقدم الكلام عليها و نحن نلخص ذلك هنا فنقول : افتتح تعالى هذه السورة
بوصف كلامه المبين ، ثم بين أنه هدى لمؤمنى هذه الأمة و مدحهم ، ثم مدح
من ساجلهم في الإيمان تلاهم من مؤمنى أهل الكتاب و ذكر ما هم عليه من
الهدى في الحال و من الظفر في المال ثم تلاهم بذكر أصدادهم المختوم على
قلوبهم و أسماعهم المغطى أبصارهم اليؤس من إيمانهم و ذكر ما أعد لهم من
العذاب العظيم ثم اتسع هؤلاء بأحوال المنافقين المخادعين المستهزين و آخر ذكرهم
و إن كانوا أسوأ أحوالاً من المشركين لأنهم اتصفوا في الظاهر بصفات
المؤمنين و في الباطن بصفات الكافرين ؛ فقدم الله ذكر المؤمنين ، و ثنى بذكر
أهل الشقاء الكافرين ، و ثلث بذكر المنافقين الملحدين ، و أمعن في ذكر مخازيمهم
فأنزل فيهم ثلاث عشرة آية ، كل ذلك تقبيح لأحوالهم و تنبيه على مخازى
أعمالهم ، ثم لم يكتف بذكر ذلك حتى أبرز أحوالهم في صورة الأمثال ، فكان
ذلك أدعى للتفكير عما اجتروحه من قبيح الأفعال ؛ فانظر إلى حسن هذا السياق
الذى توغل في ذروة الإحسان و تمكن في براعة أقسام البديع و بلاغة معانى
البيان - انتهى . (٤) في ظ : لشمول .

للسعادة المضمنة لاياك نعبد ، فوصل بذلك قوله مقبلا عليهم بعد
الإعراض عنهم عند التقسيم إيدانا بأنهم صاروا بما تقدم من ضرب
الأمثال وغيرها من^١ حيز المتأهل للخطاب من غير واسطة تنشيطا لهم
في عبادته وترغيبا وتحريكا إلى رفع أنفسهم باقبال الملك الأعظم عن
الخصوع لمن هو^٢ دونه بل دونهم وبشارة لمن أقبل عليه بعد أن كان
معرضا عنه بدوام الترقية ، فيزال ما أشار إليه حرف النداء^٣ والتعبير عن
المنادى^٤ من بقية البعد بالسهو والغفلة والإعراض بالتقصير في العبادة
والاضطراب والذبذبة « يا أيها الناس » .

قال الحرالي في تفسيره : « يا » تنبيه من يكون بسمع^٥ من المنبه
١٠ ليقبل على الخطاب ، وهو تنبيه في ذات نفس المخاطب ويفهم توسط
البعد بين آيا الممدودة وأى^٦ المقصورة ، « أى »^٧ اسم مبهم ، مدلوله

(١) ليس في ظ .

(٢) كذا ، والظاهر : في .

(٣) ليس في مد .

(٤ - ٥) ليست في م .

(٥) وفي م : يسمع .

(٦) قال أبو حيان : « يا » حرف نداء ، وزعم بعضهم أنها اسم فعل معناه أفادى ،
وعلى كثرة وقوع النداء في القرآن لم يقع نداء إلا بها ، وهى أعم حروف النداء
إذ ينادى بها القريب والبعيد والمستغاث والندوب ، وأماها بعضهم ، وقد
تنجرد للتنبيه قبلها المبتدأ والأمر والتمنى والتعليل ، والأصح أن لا ينوى بعدها
منادى ، أى استفهام و شرط و صفة و صلة لنداء ما فيه الألف واللام . . . =

اختصاص ما وقع عليه من مقتضى اسم شامل ، «ها» كلمة مدلوها تنبيه على أمر يستفيدة المنبه - انتهى . 'وأكد سبحانه الكلام بالإيهام والتنبية و التوضيح بتعيين' المقصود بالنداء تنبيهها على أن ما يأتي بعده أمور مهمة يحق لها تسمير الذبول والقيام على ساق الجد .

وقال الحراي : اعلم أنه كما اشتمل على القرآن كله فاتحة الكتاب ه فكذلك أيضا جعل لكل سورة ترجمة جامعة تحتوى على جميع مثنى آيها ، وخاتمة تلتّم و تنتظم ترجمتها ، ولذلك تترجم السورة عدة سور ، وسيقع التنبيه على ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى . واعلم مع ذلك أن كل ٢ نبي ٢ منبأ ٥ - يقرأ بالهمز - من النبأ وهو الخبر ، فانه شرع فى دعوته وهو غير عالم بطيئة أمره وخبر / قومه ، وأن الله عز وجل جعل نبيه محمدا ١٠ ٣٣/

= «ها» حرف تنبيه ، أكثر استعمالها مع ضمير رفع منفصل ووجه مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وصفاتهم وأحوالهم وما يؤل إليه حال كل منهم انتقل من الإخبار عنهم إلى خطاب النداء ، وهو التفات تنبيه بقوله «إياك نعبد» بعد قوله «الحمد لله» وهذا من أساليب الفصاحة فانهم يخلصون ثم يعمون . (٩) زيد فى م : المقصورة .

(١) ليست العبارة من هنا إلى «الجد» فى ظ .

(٢) فى مد : بتعبير ، وفى م : التعبير .

(٣) وفى ظ : لكل .

(٤) زيد فى مد : و .

(٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : منبأ .

صلى الله عليه وسلم نيا منبياً^١ من النبوة - يقرأ بغير همز . ومعناه رفعة
 القدر والعلو ، فما أعلاه الله به أن قدم له بين يدي دعوته علم طيبة^٢ أمره
 ومكنون عليه تعالى في سر التقدير الذى لم يزل خباً في كل كتاب ،
 فأعلمه بأنه^٣ تعالى جبل المدعوين الذين هم بصفة النوس مترددين بين
 الاستغراق في أحوال أنفسهم وبين مرجع إلى ذكر ربهم على ثلاثة
 هـ أضرب : منهم من فُطِر على الإيمان ولم يطبع عليه أى على قلبه فهو
 مجيب ولا بد ، ومنهم من طبع على الكفر فهو آب ولا بد ، ومنهم
 من ردد بين طرفي الإيمان ظاهراً والكفر باطناً ، وإن كلا ميسر لما خلق
 له ؛ فكان بذلك انشراح صدره في حال دعوته و زال به ضيق صدره
 ١٠ الذى شارك به^٤ الأنبياء - بالهمز ، ثم علا بعد ذلك إلى مستحق رتبته
 العلية ، فكان أول ما افتتح له كتابه أن عرفه معنى ما تضمنته «السم»
 ثم فصل من ذلك ثلاثة أحوال المدعوين بهذا الكتاب ، وحيث^٥ شرع
 في تلقينه الدعوة العامة^٦ للناس ، فافتتح بعد ذلك^٧ الدعوة والنداء والدعوة^٨

(١) في الأصول : منبى - كذا .

(٢) في ظ : بطيه .

(٣) ليس في مد .

(٤) في ظ : جيل - كذا .

(٥) في م : فيه .

(٦) في ظ : ح .

(٧) قال المهازمي : ثم اشار بأن هذا التمثيل لا يفيد علماً فلا يعارض الدليل القاطع
 على وجوب عبادة الله بالإسلام له و الاقياد لأحكامه فقال « يأيها الناس » =

إلى العبادة يعنى بهذه الآية ، و تولى الله سبحانه دعوة الخلق فى هذه الدعوة العامة التى هى جامعة لكل دعوة فى القرآن .

ولما ضمن صدرها من الوعيد ٢ فى حق رسوله ٣ فلم يحجر خطاب ذلك على لسانه ، ولما فيها من السطوة و خطاب الملك و الجزاء و محمد صلى الله عليه و سلم رسول رحمة للعالمين فلم ينبغ ٤ إجراؤها على لسانه لذلك ، ه و غيره من الرسل فجامعة دعوة من خص الله سبحانه خبر دعوته فهى مجرة على ألسنتهم و لذلك كثرت مقاواة قومهم و مدعوهم ٥ لهم ، ولما أجرى الحق تعالى هذه الدعوة من قبله كان فيها بشرى بالغبلة و إظهار

= أى يامن نسى الأصل الذى يتمسك به فى مثل هذه المواضع فتمسك بهذا التمثيل الضعيف « اعبدوا ربكم » فان مقتضى حقيقة الرب أن يكون معبودا و حقيقة العبد أن يكون عابدا سيما إذا أنعم عليه بأجل النعم و هو الإيجاد و ما يتوقف عليه إذ هو « الذى خلقكم و الذين من قبلكم » من مقدمات وجودكم ، فهذا الخلق يقتضى أجل وجوه الشكر و هو العبادة « لعلكم تتقون » فخطه بترككم مقتضى ربوبيته و عبوديتكم و إهمالكم شكر أجل نعمه ، ثم التمثيل مقلوب عليكم على أبلغ الوجوه و هو أن ما جعلتموه مشبها به لله رب عن الإسلام أولى بأن يكون من أسبابه باعتبار ذاته و مبداه و منتهاه و ما يحصل منه إذ هو « الذى جعل لكم الأرض فراشا » . (٨ - ٨) ليس فى مد .

(١ - ١) ليست فى مد .

(٢) زيد بعده فى هامش الأصل : أى بسبب حق رسوله .

(٣) زيد فى مد : صلى الله عليه و سلم .

(٤) فى م : فلم يتبع .

(٥) فى م : مدعوهم .

دينه، لأن الله سبحانه 'و تعالى' لا يقاويه خلقه^١، ولما انتهى إلى البشرى
التي هي رحمة أجرى الكلام على مخاطبته عليه السلام بقوله: « وبشر، » ومع
إجراء دعوة المرسلين على ألسنتهم علقت باسم الله بلفظ « ان اعبدوا الله »^٢
ونحوه فعز على أكثر النفوس الإجابة لفوات اسم الله عن إدراك العقول،
• ومع تولى الله سبحانه لهذه الدعوة بسلطانه العلي أجراها باسم الربوبية^٣
وهو اسم أقرب مثالا^٤ على النفوس،^٥ لأنها تشاهد^٦ آياته بمعنى
التربية والربابة^٧، ومع ذلك أيضا فذكر اسم الله في دعوة المرسلين
غير متبع ولا موصوف بآيات الإلهية، ولو ذكر لما قرب مثال عليها فهي^٨

(١ - ١) ليس في م وظ .

(٢) في ظ : الخلق .

(٣) زيد في م : ربي وربكم - سورة • آية ١١٧ .

(٤) من م ، وفي الأصل ومد : لفوت ، وفي ظ : لقوة .

(٥) قال أبوحيان في البحر المحيط: ولما واجه تعالى الناس بالنداء أمرهم بالعبادة
والأمر بالعبادة شمل المؤمنين والكافرين ، لا يقال المؤمنون العابدون
فكيف يصح الأمر بما هم ماتيسون به لأنه في حقهم أمر بالازدياد من العبادة
فصح مواجهة الكل بالعبادة وانظر لحسن مجيء الرب هنا فانه السيد والمصلح
وجدير بمن كان مالكا أو مصلحا أحوال العبد أن يخص بالعبادة ولا يشرك
مع غيره فيها - انتهى .

(٦) من م ومد ، وفي الأصل : مثالا .

(٧ - ٧) في ظ : لا تشاهد .

(٨) بهامش الأصل وظ : اى كونه ربا .

(٩) ليس في مد .

كالشمس والقمر ونحو ذلك، وذكر تعالى الربوبية^١ في هذه الدعوة متبعة
بآياتها الظاهرة التي لا تقوت العقل والحس ولا يمكن إنكارها، ووجه
بعد النفوس عن الانقياد عند الدعوة باسم الله أن آيات الربوبية التي يسهل
عليها^٢ الانقياد من جهتها التي ييسر منها تنقاد للوك^٣ وأولى الإحسان،
لأنها جبلت على حب من أحسن إليها تبقى عند الدعوة باسم الله بمعزل^٥
عن الشعور بإضافتها لاسم الله ويحار العقل في المتوجه له بالعبادة، وتضيف
النفوس الغافلة آيات الربوبية إلى ما تشاهده من أقرب الأسباب في
العوائد، كالفصول التي نبطت الموالد^٤ والاقوات بها في مقتضى حكمة الله
سبحانه أو^٥ إلى أسباب هذه الأسباب كالنجوم ونحو ذلك، فلا يلتم
للدعوة حال قوامه بعبادته فيكثر التوقف والإباء، واقتضى اليسر الذي ١٠

(١) قال المهاشمي: الرب المالك فلا يتعين عليه تصرف دون ضده فهو متفضل
بالإنعام فله الحمد من جهة استيلائه وتفضله، أو السيد الذي علت رتبته فله أعلى
الحامد لعلوه وإبلاغه للعبيد بإنعامه عليهم، أو الخالق فله أتم المحامد على كمال أفعاله
وصفاته التي تتوقف عليها وإنعامه قبل الاستحقاق، أو المربي وهو المصلح
أو المدبر ببليغ الشيء أعلى مراتبه يجعل النطفة علقه ثم مضغة ثم أعضاء مختلفة ثم
إنفاضة الروح عليها وإعطاء كل عضو قوة تليق به ثم تكميله بالشرعية والطريقة
والحقيقة؛ فله أجمع الحمد - انتهى .

(٢) زيد في ظ : من .

(٣) ليس في م .

(٤) بهامش الأصل : أي النبات والمعادن .

(٥) في م : و .

أراد الله بهذه الأمة ذكر الربوبية منوطاً بآياتها - انتهى .
 ولما كانت العبادة المختلّة بشرك أو غيره ساقطة وازدياد من
 الصحيحة والاستمرار عليها عبادة 'جديدة' يحسن الأمر بها خاطب
 الفريقين فقال «اعبدوا ربكم» أي الذي لا رب لكم غيره عبادة 'هي'
 ١٠ بحيث يقبلها الغنى . ثم وصفه بما أشارت إليه صفة الرب من الإحسان
 تنديها على وجوده ووجوب العبادة له 'بوجوب شكر المنعم فقال الذي
 خلقكم' ، قال الحرالي : «الذي» اسم مبهم مدلوله ذات موصوف بوصف

- (١) - قطت العبارة من ظ من هنا إلى «العبادة له» .
- (٢) في تفسير النسفي : «اعبدوا ربكم» وحدوه ، قال ابن عباس رضى الله عنهما :
 كل عبادة في القرآن فهي توحيد . وفي البحر المحيط لأبي حيان : الرب السيد
 والمالك والثابت والمعبود والمصلح ، وزاد بعضهم بمعنى المصاحب وبعضهم
 بمعنى الخالق - انتهى .
- (٣) زيدت قبله في م : جديدة يحسن الأمر بها .
- (٤) ليس في ظ .
- (٥) قال أبو حيان : والخطاب إن كان عاماً كان قوله «الذي خلقكم» صفة مدح ،
 وإن كان لمشركي العرب كانت للتوضيح ، إذ لفظ الرب بالنسبة إليهم مشترك
 بين الله وبين آلهتهم ؛ ونبه بوصف الخلق على استحقاقه العبادة دون غيره
 «انهم يخلق كن لا يخلق» أو على امتنانه عليهم بالخلق على الصورة الكاملة والتميز
 عن غيرهم بالعقل والإحسان إليهم بالنعم الظاهرة والباطنة - ومن أراد الاطلاع
 على ما حرر بعده فلينظر ما فيه .
- (٦) ليس في م .

يعقب به وهى الصلة ' اللازمة له ، و الخلق ' تقدير أمشاج ' ما يراد إظهاره بعد الامتزاج و التركيب صورة « والذين من قبلكم ، القبل ما إذا عاد المتوجه إلى مبدأ وجهته أقبل عليه - انتهى .

ثم بين نتيجتها بقوله « لعلمكم تقون ، أى لتكون حالكم بعبادته لأنها كلها محاسن ولا حسن فى غيرها حال من ترجى له / التقوى ، ٥ / ٣٤ وهى اجتناب القبيح من خوف الله ، و سيأتى فى قوله « لعلمكم تشكرون ، ما ينفع هنا . وقال الحراى : لعل كلمة ترجى لما تقدم سببه ، وبدأ من آيات الربوبية بذكر الخلق لأنه فى ذواتهم ، و وصل ذلك بخلق من قبلهم حتى لا يستندوا بخلقهم إلى من قبلهم و ترجى لهم التقوى لعبادتهم .
رهبهم من حيث نظرهم إلى خلقهم و تقدير أمشاجهم ، لأنهم إذا أسندوا ١٠ خلقهم لربهم كان أحق أن يسندوا إليه ثمرة ذلك من صفاتهم

(١) فى م : صفة .

(٢) الخلق هو الإيجاد على تقدير و ترتيب ، و الخلق و الخليفة تنطلق على المخلوق ، و معنى الخلق الإيجاد و الإحداث و الإبداع و الاختراع و الإنشاء متقارب ، و إذا كان بمعنى الاختراع و الإنشاء فلا يتصف به إلا الله تعالى ؛ و قد أجمع المسلمون على أن لا خالق إلا الله ، و إذا كان بمعنى التقدير فقتضى اللغة أنه قد يوصف به غير الله تعالى و قال تعالى « فتبارك الله أحسن الخالقين » و « اذ تخلق من الطين » - انتهى .

(٣) بهامش الأصل : أى اخلاط .

(٤) فى م : بخلق الله .

(٥) فى م : لعبادة .

و أفعالهم فيتوقفون عن ' الاستغناء بأنفسهم فينشأ لهم بذلك تقوى - انتهى .
 وما أحسن الأمر بالعبادة حال الاستدلال على استحقاقها بخلق
 الأولين و الآخرين ^٢ وما بعده عقب إثبات قدرة الداعي المشيرة ^٣ إلى
 الترهيب من سطواته ! ولقد بدع هذا الاستدلال على التفرد بالاستحقاق
 عقب أحوال من قرر أنهم في غاية الجود بأمور مشاهدة يصل إليها كل
 عاقل بأول وهلة من دحو الأرض وما بعده مما به قوام بقائهم من السكن
 و الرزق في سياق مثبه على النعمة ^٤ محذر من سلبها ^٥ دال على الإله بعد

(١) وفي م : على - كذا .

(٢) قال أبو حيان الأندلسي : وعطف قوله « والذين من قبلكم » على الضمير
 المنصوب في خلقكم والمعطوف متقدم في الزمان على المعطوف عليه وبدأ به وإن
 كان متأخرا في الزمان ، لأن علم الإنسان بأحوال نفسه أظهر من علمه بأحوال
 غيره ، إذ أقرب الأشياء إليه نفسه ، ولأنهم المواجهون بالأمر بالعبادة فتنبههم أولا
 على أحوال أنفسهم أكد وأهم ، وبدأ أولا بصفة الخلق إذ كانت العرب مقرة
 بأن الله خالقها وهم المخاطبون و الناس تبع لهم إذ نزل القرآن بلسانهم - انتهى
 كلامه ثم قال : وإنما ذكر « والذين من قبلكم » وإن كان خلقهم لا يقتضى
 العبادة علينا لأنهم كالأصول لهم تخلق أصولهم يجرى مجرى إنعام على فروعهم
 فذكرهم عظيم إنعامه تعالى عليهم وعلى أصولهم بالإيجاد .

(٣) من م ومدا ، ووقع في الأصل : المنيرة ، وفي ظ : المبشرة - كذا .

(٤) - قطت العبارة من هنا إلى « الانقياد » من ظ .

(٥) وقع في م : النعمة - مصحفا .

(٦) في ظ : الالة - كذا .

الدلالة بالانقاس من حيث أن كل أحد يعرف ضرورة^١ أنه وُجد بعد أن لم يكن، فلا بد له من موجد غير الناس، لما يشاهد من أن حال الكل كحاله بالدلالة بالآفاق من حيث أنها متغيرة، فهي مفتقرة إلى مغير هو الذى أحدثها ليس بمتغير، لأنه ليس بجسم ولا جسماني في سياق مذكر بالنعم الجسام الموجبة لمحبة المنعم وترك المنازعة وحصول الانقياد^٥ فقال «الذى جعل»، قال الحرالي: من الجعل وهو إظهار أمر عن سبب وتصيير «لكم الارض»، أى المحل الجامع لنبات كل نابت ظاهر أو باطن، فالظاهر كالموالد و كل^٢ ما الماء أصله، والباطن كالاعمال والأخلاق و كل ما أصله ما الماء آيته كالهدى والعلم ونحو ذلك؛ ولتحقق دلالة اسمها على هذا المعنى جاء وصفها بذلك من لفظ اسمها فقل: أرض^{١٠} أريضة، للكرامة المنتبة، وأصل معناها ما سفل في مقابلة معنى السماء الذى

(١) من م وظ، ولا يتضح في مد، وفي الأصل: يصرف، وهو كما ترى.

(٢) قال الشربيني الخطيب: والآية تدل على أن الطريق إلى معرفة الله تعالى والعلم بوحديته والعلم باستحقاقه للعبادة والنظر في صنعه والاستدلال بأفعاله وأن العبد لا يستحق عبادته عليه تعالى ثواباً فإنها لما وجبت عليه شكراً لما عده عليه من النعم السابقة فهو كأجير أخذ الأجر قبل العمل - انتهى.

(٣) وفي تفسير النسفي: نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيته وإيجاده ولكن جعل الماء سبباً في خروجها كما جعل الفحل في خلق الولد وهو قادر على إنشاء الكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجا لها من حال إلى حال وناقل من مرتبة إلى مرتبة حكماً وعبراً للنظار بعيون الاستبصار - انتهى.

هو ما علا على سفلى الأرض كأنها ' لوح قلبه الذى يظهر فيها كتابه
- انتهى ' .

« فراشا » وهى بساط سقفة السماء وهى مستقر الحيوان من
الآحياء والاموات ، وأصله كما قال الحرالى بساط يضطجع عليه للراحة
٥ ونحو ذلك ٢ ، « و السماء بناء » أى خيمة تحيط بصلاح موضع السكن
وهو لعمرى بناء جليل القدر ، بحكم الأمر ، بهى المنظر ، عظيم المخبر .
« ورتبت هذه النعم الدالة على الخالق الداعية إلى شكره أحكم ترتيب ،
قدم الإنسان لأنه أعرف بنفسه والنعمة عليه أدمى إلى الشكر ، وثنى »

(١) فى ظ : كانه .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) قال المهاشمى : أى وطأ قدركم عليها بأن جعل بعض أجزائها بارزة عن الماء مع
اتضاء طبعه الإضاءة بها وجعلها بين الصلابة واللطافة لتتعدوا وتناموا عليها
كالفراش ، « و السماء بناء » أى سقفا مرفوعا تستظلون به عن أشعة أنوار
الملائكة العلوية .

(٤) سقطت العبارة من هنا إلى « فقال » من ظ .

(٥) قال أبوحيان الأندلسى : ذكر خمسة أنواع من الدلائل : اثنين من
الأنفس خلقهم وخلق من قبلهم ، وثلاثة من غير الأنفس كون الأرض فراشا
وكون السماء بناء والحاصل من مجموعهما ، تقدم خلق الإنسان لأنه أقرب إلى
معرفة وثنى بخلق الآباء وثلاث بالأرض لأنها أقرب إليه من السماء ، وقدم السماء
على رول المطر وإخراج الثمرات لأن هذا كالأمر المتولد بين السماء والأرض
و الأثر متأخر عن المؤثر .

(٦) فى م : تلى .

بمن قبله لأنه أعرف بنوعه، وثلك بالأرض لأنها مسكنه الذي لا بد له منه، وربع بالسما لأنّها سقفه، وخمس بالماء لأنه كالآثر والمنفعة الخارجة منها وما يخرج بسببه من الرزق كالنسل المتولد بينهما فقال « وانزل، قال الحرالي: من الإنزال وهو الإهواء بالامر من علو إلى سفلى - انتهى .
« من السماء، أى باثارتها » الرياح المثيرة للسحاب الحامل للماء « ماء، أى جسماء لطيفا يبرد غلة » العطش، به حياة كل نام . قال الحرالي: وهو أول ظاهر للعين من أشباح الخلق^٢ « فأخرج، من الإخراج، وهو إظهار من حجاب، وفى سوقه بالفاء تحقيق للتسبيب فى الماء - انتهى » .

وأتى بجمع القلة فى الثمر ونكر الرزق مع المشاهدة لأنها بالغان فى الكثرة إلى حد لا يحصى تحقيرا لهما فى جنب قدرته إجلالا له فقال ١٠

(١) قال البيضاوى: من أسباب سماوية تميز الأجزاء الرطبة من أعماق الأرض إلى جواهرها فيعندد سحابا ماطرا، ومن الثانية للتبويض بدليل قوله تعالى « فأخرجنا به ثمرات » واكتناف المنكرين له أغنى ماء ورزقا كأنه قال وأزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم، وهكذا الواقع لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالطر كل الثمار ولا جعل كل الموزوق ثمارا - انتهى .

(٢) فى م: دغلة - كذا .

(٣) ليس فى م .

(٤) فى مد: الاظهار .

(٥) ليس فى ظ .

« به من الثمرات رزقا ، وإخراج الأشياء في حجاب الاسباب أرقق
 بالتكليف بالإيمان بالغيب ، لأنه كما قيل : لو لا الاسباب لما ارتاب المرتاب ،
 و الثمر كما قال الحرالي مطعومات النجم و الشجر و هي عليها ، و تُجر بمن
 لأن ليس كل الثمرات رزقا لما يكون عليه و فيه من العصف و القشر
 ه و النوى ، و ليس أيضا من كل الثمرات رزق فنه ما هو للدأوة و منه
 سموم و غير ذلك . و في قوله « لكم » إشعار بأن في الرزق تكملة لذواتهم
 و مصيرا إلى أن يعود بالجزاء^٢ منهم .

و قد وصف الرب في هذه الآية بموصولين ذكر صلة^٥ الثاني بلفظ

(١) في م و مد و ظ : الثمر .

(٢) وقع في ظ : للدأوة - كذا .

(٣) من ظ ، و في الأصل و م و مد : الجزء .

(٤) قال : أبو حيان الأندلسي : ثم إنه تعالى لما عرفهم أنه خالقهم أخبرهم أنه جعل
 لهم مكانا يستقرون عليه إذ كانت حكمته اقتضت ذلك فيستقرون فيه جلوسا و نوما
 و تصرفا في معائشهم و جعل منه سهلا للقرار و الزرع و وعرا للاعتصام و جبلا
 لسكون الأرض عن الاضطراب ، ثم لما من عليهم بالمستقر أخبرهم بجعل ما يقينهم
 و يظلمهم و جعله كالخيمة المضروبة عليهم و أشهدهم فيها من غرائب الحكمة بأن
 أمسكها فوقهم بلا عمد و لا طنب لتهتدى عقولهم أنها ليست بما يدخل تحت مقدور
 البشر ، ثم نبههم على النعمة العظمى و هي إزال المطر الذي هو مادة الحياة
 و سبب اهتزاز الأرض بالنبات و أجناس الثمرات .

(٥) في ظ : صفة .

الجل، لأن حال القوام مرتب على حال الخلق ومصير منه، فلا يشك
 ذو عقل في استحقاق الانقياد لمن تولى خلقه وأقام تركيبه؛ ولا يشك
 ذو حس / إذا تيقظ من نوم أو غفلة فوجد بساطا قد فرش له وخيمة / ٣٥
 قد ضربت عليه وعولج له طعام وشراب قدم له أن نفسه تنبعث بذاتها
 لتعظيم من فعل ذلك بها ولتقلد نعمته وإكباره؛ فلتنزىل هذه الدعوة هـ
 إلى هذا البيان الذى يضطر النفس إلى الإذعان ويدخل العلم بمقتضاها
 فى رتبة الضرورة والوجدان كانت هذه الدعوة دعوة عرية جارية على
 مقتضى أحوال العرب، لأن العرب لا تعدو بأنفسها العلم الضرورى وليس
 من شأنها تكلف الأفكار والتسبب إلى توائى العلوم النظرية المأخوذة
 من مقتضى الامارات والأدلة^٢، فعوملت بما جبلت عليه فتزول لها لتكون ١٠

(١) فى ظ: غريبة .

(٢) وفى ظ: تولد، وبهامشه: توائى، وفى م ومد: توائى - كذا .

(٣) قال أبو حيان الأندلسى: وقد تضمنت هاتان الآيتان من بدائع الصنعة
 ودقائق الحكمة وظهور البراهين ما اقتضى تعالى أنه المنفرد بالإيجاد المتكفل
 للعباد دون غيره من الأنداد التى لا تخلق ولا ترزق ولا لها نفع ولا ضرر إلا الله
 الخلق والأمر. قال البيضاوى: وأعلم أن مضمون الآيتين هو الأمر بعبادة
 الله تعالى، والنهى عن الإشراك به، والإشارة إلى ما هو العلة والمقتضى؛ وبأنه
 أنه رتب الأمر بالعبادة على صفة الربوبية إشعاراً بأنها العلة لوجوبها، ثم بين
 ربوبيته بأنه خالقهم وخالق أصولهم وما يحتاجون إليه فى معاشهم من المقتلة
 والمظلة والمطاعم والملابس، فإن الثمرة أعم من المطعوم والملبوس، والرزق
 أعم من المأكول والمشروب .

نقلتها من فطرة إلى فطرة ومن علم وجداني إلى علم وجداني علىّ لحفظ
عليها رتبة الإعراب والبيان بأن لا يتسبب لها إلى دخول ريب في علومها،
لأن كل علم مكتسب يتكلف التسبب له بآيات وعلامات ودلائل
تبعد من الحس وأوائل هجوم العقل تتعارض عليه الأدلة ويعتاده
هـ الريب، حفظت هذه الدعوة العرية عن التكلف وأجريت على ما أحكمه
صدر السورة في قوله تعالى « لا ريب فيه » .

واعلم أن حال المخلوق في رزقه محاذي به حاله في كونه، فيعلم
بالاعتبار والتناسب الذي شأنه أن تتعلم من جهته المجهولات أن الماء
بزر ٣ كون الإنسان كما أن الماء أصل رزقه، ولذلك قال عليه السلام
١٠ لمن سأله ممن هو فلم يرد أن يعين له نفسه : نحن من ماء . ويعلم كذلك

(١) في م : محرهم .

(٢) في م : مجازي .

(٣) في ظ : بزُرْ - كذا .

(٤) قال البيضاوي : ثم لما كانت هذه أمور لا يقدر عليها أحد غيره شاهدة على
وحدانيته رتب عليها النهي عن الإشراف به ولعله سبحانه وتعالى أراد من
الآية الأخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسبق فيه الكلام الإشارة إلى تفصيل خلق
الإنسان وما أقاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل، فمثل البدن
بالأرض والنفس بالسما والعقل بالماء وما أقاض عليه من الفضائل العملية
والنظرية المحصاة بوساطة استعمال العقل وللحواس وازدواج القوى النفسانية
والبدينية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى الساوية الفاعلية والأرضية
المنفعة بقدرة الفاعل المختار، فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلقا -
انتهى الكلام .

أيضا أن للأرض والسماء مدخلا في أمشاج الإنسان رتب عليه مدخلها في كون رزقه ، وفي ذكر الأرض معرفة أخذ للأرض إلى نهايتها وكماها ، ولذلك قال عليه السلام : من اغتصب شبرا من أرض طوقه من سبع أرضين ، وكذلك ذكر السماء أخذ لها إلى نهايتها وكماها ؛ وقدم الأرض لأن نظر النفوس إلى ما تحتها أسبق لها من نظرها إلى ما علاه عليها . ثم قال : ولوضوح آية الربوبية تقلدها الأكثر وإنما توقفوا في الرسالة ولذلك وصل ذكر الرسالة بالتهديد - انتهى .

ولما 'أمر بعبادته و' ذكرهم سبحانه بما يعلمون ' أنه فاعله وحده حسن النهي عن أن يشرك به مالا أثر له في شيء من ' ذلك بقاء التسبب ' عن الأمرين كليهما فقال معبرا بالجلالة على ما هو الالقي بالتوخيخ على ١٠ تأله الغير ' فلا تجعلوا لله ' أي مع إحاطته بصفات الكمال . ٨ . يجوز أن ' ١٠

(١ - ١) ليس في ظ . (٢) في ظ : تعلمون .

(٣) ليس في ظ . (٤) في مد و ظ : السبب .

(٥ - ٥) في ظ : فقال .

(٦) قال على المهائمي : « فلا تجعلوا لله اندادا » أي أمثالا في استحقاق العبادة فضلا عن الاشتراك في الإلهية أو الصفات الكمالية . وقال عبد الله البيضاوي : والفاء للسببية أدخلت عليه لتضمن المبتداء معنى الشرط ، والمعنى من حاكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي أن لا يشرك به - وقال : « فلا تجعلوا » متعلق بعبدوا على أنه نهى معطوف عليه أو نفى منصوب بإضمار أن جواب له .

(٧) في مد : بجميع صفات .

(٨ - ٨) ليست في م و ظ .

'يكون مسيبا عن التقوى المترجاة فتكون لانا فية والفعل منصوب'
 واندادا،^١ أى على حسب زعمكم أنها تفعل ما تريدون^٢. قال الحرالى :
 جمع ند^٣ وهو المقاوم فى صفة القيام والدوام، وعبر بالجعل لأن بالجعل
 والمصير من حال إلى حال أدنى منها ترين الغفلة على القلوب، حتى
 ٥ لا تشهد فى النعم والنقم إلا الخلق من ملك أو ذى إمرة أو من أى
 ذى يدعليا كان، ولما شهدوا ذلك منهم تعلق بهم رجاؤهم وخوفهم
 وعاقبهم ربهم على ذلك بأيديهم فاشتد داعى رجائهم لهم وسائق خوفهم
 منهم فتذلوا لهم وخضعوا، فصاروا بذلك عبدة^٤ الطاغوت وجعلوهم
 لله أندادا - انتهى . وما أحسن قوله فى تأنيبهم وتوبيخهم على ما أزرأوا
 ١٠ بأنفسهم وواتم تعلون، أى 'والحال' أنكم^٥ ذوو^٦ علم على ما تزعمون^٧

(١-١) ليست فى م وظ .

(٢-٢) ليس فى ظ .

(٣) والتد المثل المتأدى قال جرير شعرا :

أتيا تجعلون إلى ندنا وما تيم لذى حسب نديد

من نددودا إذا نفر وناددت الرجل خالفته، خص بالمخالف المائل فى الذات
 كما خص المساوى للمائل فى القدر وتسمية ما يعبد المشركون من دون الله أندادا
 وما زعموا أنها تساوى فى ذاته وصفاته إلا أنها تخالفه فى أفعاله لأنهم لما تركوا
 عبادته إلى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة
 بالغات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتحكم
 بهم وشنع عليهم بأن جعلوا لله أندادا لمن يمتنع أن يكون له ند .

(٤) فى الأصل : عبد - كذا .

(٥) وفى تفسير البيضاوى : أى وحالكم أنكم من أهل العلم والنظر وإصابة الرأى، =

فانه يلوح إلى أن من أشرك به مع قيام هذه الأدلة لم يكن ممن يصح منه العلم فكان في عداد البهائم . ' وفيه كما ' قال الحرالي إعلام بظهور آيات ما يمنع جعل الند لما يشاهد أن جميع الخلق أديانهم وأعلامهم مقامون من السماء ' وفي الأرض ومن الماء ، فمن جعل الله ندا مما حوته السماء ' والأرض واستمد من الماء فقد خالف العلم الضروري الذي ه به ' تقلد التذلل للربوبية في نفسه فان يحكم بذلك على غيره مما حاله كحاله أحق في العلم - انتهى . وفي تعقيبها لما قبلها غاية التبكيت ٢ على

= فلواتألمتم أدنى تأمل اضطر عقلكم إلى إثبات موجد المحسنات ، متفرد بوجوب الذات ، متعال عن مشابهة المخلوقات .

وقال على الهائمي ، « وانتم تعلمون » أنه لم يخلقكم ولا من قبلكم ولا السماء ولا الأرض ولا أنزل الماء ولا أخرج الثمرات ، وهذا هو الإسلام الذي يقتضيه المطر مع لواحظه ولم يمنع طاعة الغير إذ هي امتثال أمر من له الأمر كالرسول والحاكم ، بخلاف العبادة فانها غاية التذلل فلا يستحقها إلا من له غاية العظمة .

وفي البحر المحيط لأبي حيان : « فلا تجعلوا لله أندادا » ظاهره أنه نهى عن اتخاذ الأنداد ، وسموا أندادا على جهة المجاز من حيث أشركوهم معه تعالى التسمية بالإلهية والعبادة صورة لا حقيقة لأنهم لم يكونوا يعبدونهم لذواتهم بل للتقرب إلى الله . « وانتم تعلمون » جملة حالية وفيها من التحريك إلى ترك الأنداد وإفراد الله بالوحدانية ما لا يخفى . (٦) في مد : ذو ، وفي م : ذوا .

(١ - ١) ليست في ظ .

(٢) ليس في م .

(٣) من ظ ، وفي الأصل ومد : التنكيت ، وفي م : التنكيب .

من رَك هذا ' القادر على كل شيء و عبد ما لا يقدر على شيء .
 وهذه الآية من المحكم الذي اتفقت عليه الشرائع و اجتمعت عليه
 الكتب ، و هو عمود الخشوع ، / و عليه مدار الذل و الخضوع . قال
 الإمام أبو الحسن الحرالي في العروة : وجه إنزال هذا الحرف تحقيق
 ه اتصاف العبد بما هو اللائق به في صدق وجهته إلى الحق بانقطاعه عن
 نفسه و براءته منها و التجائه إلى ربه استسلاما ، و جهده في خدمته إكبارا
 و استناده ' إليه اتكالا ، و سكونه له طمأنينة ' يأتيتها النفس المطمئنة .
 ارجعى الى ربك راضية مرضية ه ٣ ، و يتأكد تحلى العبد بمستحق أوصافه
 لقراءة ' هذا الحرف و العمل به بحسب براءته من التعرض انظيره المتشابه ،
 ١٠ لأن اتباع المتشابه زيغ لقصور العقل و الفهم عن نيله ، و وجوب
 الاقتصار على الإيمان به من غير موازنة بين ما خاطب الله به عباده للتعرف
 و بين ما جعله للعبد للاعتبار ، سبحانه من لم يجعل سبيلا إلى معرفته
 إلا بالعجز عن معرفته .

و جامع منزل المحكم ما افتتح به التنزيل في قوله تعالى ' اقرا باسم
 ١٥ ربك ' ، الآيات ، و ما قدم في الترتيب في قوله تعالى ' يأيها الناس

(١) في ظ ، لهذا .

(٢) وفي م : استناده .

(٣) سورة ٨٩ آية ٢٧ و ٢٨ .

(٤) في مد و ظ : بقراءة .

(٥) سورة ٩٦ آية ١ .

اعبدوا ربكم - إلى ما ينظم بذلك من ذكر عبادة القلب التي هي المعرفة
 وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون^١، فليكن أول ما تدعوهم إليه
 عبادة الله فاذا عرفوا الله، ومن^٢ ذكر عبادة النفس التي هي الإجمال في
 الصبر وحسن الجزاء^٣ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم^٤، ويدرؤن^٥
 بالحسنة السيئة^٦، الذين هم في صلاتهم خاشعون^٧، لو خشع قلب هذا
 لخشعت جوارحه إلى سائر أحوال العبد التي يتحقق بها في حال الوجهة
 إلى الرب، وما تقدم من حرق الحلال والحرام لإصلاح الدنيا، وحرق
 الأمر والنهي لإصلاح العقبي معاملة كتابه، والعمل بهذا الحرف اغتباط
 بالرق وعباد^٨ من العتق^٩، فلذلك هو أول الاختصاص ومبدأ الاصطفاء
 وإفراد موالاة الله وحده من غير شرك^{١٠} في نفس ولا غير، ولذلك ١٠
 بدئ بتزييه النبي العبد صلى الله عليه وسلم، وهو ثمرة ما قبله وأساس

(١) سورة ٥١ آية ٥٦ .

(٢) زيد في م : هو .

(٣) سورة ١٨ آية ٢٨ .

(٤) وقع في م : يذرون - كذا مصحفا .

(٥) سورة ١٣ آية ٢٢ .

(٦) سورة ٢٣ آية ٢ .

(٧) من م ومد، وفي الأصل : عباد - كذا بالدال المهملة، وفي ظ : عباده .

(٨) في ظ : للعتق - مكان : من العتق .

(٩) ليس في م .

ما بعده، وهو للعبد أحوال محققة لا يشركه فيها ذورثاء ولا نفاق، ويشركه في الأربعة المتقدمة - يعنى النهى و الأمر والحلال والحرام، لأنها أعمال ظاهرة فيتحلّى بها المنافق، وليس يمكنه مع ثقافته التحلّى بالمعرفة، ولا بالخشوع ولا بالخضوع، ولا بالشوق للقاء ولا بالحزن في الإبطاء، ولا بالرضا بالقضاء، ولا بالحب الجاذب للبقاء في طريق الفناء، ولا بشيء مما شمله آيات المحكم المنزلة في القرآن وأحاديثه الواردة للبيان، وإنما يتصف بهذا الحرف عباد الرحمن وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلما^١، الذين ليس للشيطان عليهم سلطان^٢، أن عبادى ليس لك عليهم سلطان^٣.

١٠ ولما كان حرف المحكم مستحق العبد في حق الرب في فطرته التي فطر عليها كان ثابتا في كل ملة وفي كل شرعة فكانت آياته لذلك من أم الكتاب المشتمل على الأحرف الأربعة، لتبدلها وتناسخها وتناسبها في الشرع والمثل واختلافها على مذاهب الأئمة في الملة الجامعة، مع اتفاق المثل في الحرف المحكم فهو أمها وقيامها الثابت حال

١٥ تبدلها وهو حرف الهدى الذى يهدى به الله من يشاء، وقرأته العملة به هم المهتدون أهل السنة والجماعة، كما أن المتبعين لحرف المتشابه هم المتفرقون في المثل وهم أهل البدع والآهواء المشتغلون بما لا يعينهم،

(١) من م ومد و ظ، وفي الأصل: الجاذب - بالبدال المهمة كذا.

(٢) سورة ٢٥ آية ٦٣.

(٣) سورة ١٥ آية ٤٢ وسورة ١٧ آية ٦٥.

وبهذا الحرف المتشابه يضل الله من يشاء؛ فحرف المحكم للاجتماع والهدى، وحرف المتشابه للاقتراق والضلال - والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ثم قال : اعلم أن قراءة الأحرف الماضية الأربعة هو حظ العامة من الأمة العاملين لربهم على الجزاء المقارضين له على المضاعفة ، وقراءة هـ هذا الحرف ' تماما هو حظ ' المتحققين بالعبودية المتعبدین بالأحوال الصادقة المشفقين من وهم المعاملة ، لشعورهم أن العبد لسيدته مصرف فيما شاء وكيف شاء ، ليس له في نفسه حق ولا حكم ، ولا حجة له على سيده فيما أقامه فيه^٢ من صورة سعادة أو شقاوة^١ في أى صورة ما شاء ركبك^٣ ، وعلى أن نبدل أمثالكم / وننشئكم في ما لا تعلمون^٤ .

١٠ / ٣٧

والذي تحصل^٥ به قراءة هذا الحرف إما من جهة القلب فالمعرفة بعبودية الخلق للحق رقّ خلق و رزق و تصريف فيما شاء مما بينه وبين ربه و مما بينه وبين نفسه و مما بينه وبين أمثاله من سائر العباد ، لا يملك لنفسه ضراً ولا نقعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، ولا يأخذ إلا ما أعطاه سيده ، ولا يتقى

(١) زيد في الأصل فوّه بين السطرين : أى المحكم .

(٢) في ظ : حرف .

(٣) ليس في م .

(٤) سورة ٨٢ آية ٨ .

(٥) سورة ٥٦ آية ٦٣ .

(٦) في م : يحصل .

إلما وقاه سيده، ولا يكشف 'السوء عنه' الا هو، فيسلم له مقابلد أمره
 في ظاهره وباطنه، وذلك هو الدين عند الله الذي لا يقبل سواءه ان الدين
 عند الله الاسلام^١، و د من يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه^٢، وهو
 دين النبي العبد، وما يتحقق للعبد من ذلك عن اعتبار العقل و خلوص
 القلب هي الملة الخفيفة ملة النبي الخليل - هذا من جهة القلب؛ وإما من
 جهة حال النفس فجميع أحوال العبد القن المعرق في الملك: إنما أنا عبد
 آكل مثل ما يأكل العبد؛ و جماع ذلك وأصله الذل انكساراً و الذل
 عطفاً و البراءة من الترفع و الفخر على سائر الخلق و التحقق بالضعفة
 دونهم على وصف النفس، بذلك ينتهي حسن التخلق^٣ مع الخلق و صدق
 ١٠. التبعد للحق؛ وإما من جهة العمل فتصرف الجوارح و إسلامها^٤ لله قولاً
 و فعلاً و بذلاً، و مساملة^٥ الخلق لساناً و يداً، و هو تمام الإسلام^٦ و ثبته،
 لا يكتب^٧ أحدكم في المسلمين حتى سلم^٨ الناس من لسانه و يده، و ينخص

(١-١) وفي ظ : عنه سوء .

(٢) سورة ٣ آية ١٩ .

(٣) سورة ٣ آية ٨٥ .

(٤) من مد و ظ ، وفي الأصل و م : او .

(٥) في ظ : الخلق .

(٦) في م : استلامها .

(٧) في ظ : مساملة .

(٨) زيد في ظ : لا .

(٩) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : لا تكتب .

(١٠) في م : يسلم .

الهيئة من ذلك ما هو أولى بهيئات العبيد كالذى بنيت عليه هيئة الصلاة من الإطراق فى القيام ووضع اليمنى على اليسرى بحذاء الصدر هيئة العبد المتأدب المنتظر لما لا يدرى خبره من أمر سيده و كهيئة الجلوس فيها الذى هو جلوس العبيد، كذلك كان صلى الله عليه وسلم يجلس لطعامه ليستوى حال تعبده فى أمر دنياه وأخراه ويقول: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، ويؤثر جميع ما هو هيئة العبيد فى تعبده ومطعمه ومشربه وملبسه ومركبه وظغنه وإقامته « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » فهذه الأمور من تحقق العبودية للقلب وذل النفس وانكسار الجوارح تحصل قراءة حرف المحكم والله الولى الحميد - انتهى .

ولما ثبتت هذه الأدلة فوجب امثال ما دعت إليه ولم يبق لمثنت ١٠ شبهة إلا أن يقول: لا أفعل حتى أعلم أن هذا الكتاب الذى تقدم أنه الهدى كلام الله، قال مينا إنه من عنده نظما كما كان من عنده معنى محققا ما ختم به التى قبلها من أن من توقف عما دعا إليه من التوحيد وغيره لا علم له بوجه، وأتى بأداة الشك سبحانه مع علمه بحالهم تنبيهها على أنه من البعيد جدا أن يحزم بشكهم بعد هذا البيان « وان » أى ١٥ فان كنتم من ذوى البصائر الصافية والضهار النيرة علمتم بحقية هذه المعانى وجلالة هذه الأساليب وجزالة تلك التراكيب أن هذا

(١) سورة ٢ آية ٢١ .

(٢) من مد، وفى الأصل وم وظ : لانه .

كلامى ، فادرتم إلى امثال ما أمر و الانتهاء عما عنه زجر . و ان كنتم
 فى ريب ، أى ' شك يحيط بكم ' من الكتاب ٣ الذى قلت - و من أصدق
 منى قىلا - إنه « لا ريب فيه » .

(١) قال البيضاوى فى تفسيره : لما قرر وحدانيته و بين الطريق الموصل إلى العلم
 بها ذكر عقبيه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز
 بفصاحته التى بذت فصاحة كل منطق و إلخامه من طولب بمعارضته من مصافع
 الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم و إفراطهم فى المضادة و المضارة
 و تهالكهم على المعازة و المعارضة ، و عرف ما يتعارف به إعجازه و يتيقن أنه من
 عند الله كما يدعيه . و قال أبو حيان فى تفسيره المسمى بالبحر المحيط : و مناسبة
 هذه الآية لما قبلها أنه لا احتج تعالى عليهم بما يثبت الوحداية و يبطل الإشارك
 و عرفهم أن من جعل لله شريكا فهو بمعزل من العلم و التمييز أخذ يحتج على
 من شك فى النبوة بما يزيل شبهته و هو كون القرآن معجزة و بين لهم كيف
 يعلمون أنه من عند الله أم من عنده بأن يأتوهم و من يستعينون به اسورة
 هذا و هم الفصحاء البلقاء المجيدون حوك الكلام من النثار و النظام و المتقلبون
 فى أفانين البيان و المشهود لهم فى ذلك بالإحسان - انتهى كلامه .

(٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣) قال المهاشمى : يشير إلى أنه لا ينبغي أن يرتاب فيه لكونه محض الحكمة الباقية ،
 فان فرض فلا ينبغي أن يدوم لوجود ما يزيله لحقه المضى ، فان دام فلا ينبغي أن
 يحيط بالجوانب إحاطة الظرف بالمظروف لظهور محاسنه ، فان كان قفايته أن
 يكون نوعا أو فردا منه ، فان كنتم فيه مع أنا جعلناه معجزا حال تفرقه فى
 الإنزال لخال الاجتماع أشد إعجازا و دل إعجازه على أنه مقام عظمتا و لا يبعد لكون
 المنزل عليه عبدا منزلا إليه لغاية كماله « وان كنتم فى ريب منه فاتوا بسورة » .

وأشار هنا أيضا إلى عظمته وعظمة المنزل عليه بالنون 'التفتا من الغيبة إلى التكلم' فقال « بما نزلنا »^١ قال الحرالي : من التنزيل وهو التقريب للفهم بتفصيل وترجمة ونحو ذلك - انتهى . « على عبدنا »^٢ أى الخالص لنا الذى لم يتعبد لغيرنا قط^٣ ، فلذلك استحق الاختصاص دون عظماء القريرتين وغيرهم ، فارتبتم فى أنه كلامنا نزل بأمرنا وزعمتم أن عبدنا ه محمدا أتى به من عنده لتوهمكم أن^٤ فيما سمعتم^٥ من الكلام شيئا^٦ مثله

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) قال أبو البركات النسفى : وقيل « نزلنا » دون أنزلنا لأن المراد به النزول على سبيل التدرىج والتنجيم وهو من مجازة لمكان التحدى ، وذلك أنهم كانوا يقولون : لو كان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وعلى سنن ما ترى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفردا حيننا لحينا شيئا فشيئا ، لا يأتى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى الناثر بخطبته ضربة ، فلو أنزل الله لأنزل به جملة ؛ قال الله تعالى « وقال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة » ف قيل إن ارتبتم فى هذا الذى هكذا على تدرىج « فاتوا بسورة » .

(٣) والعبد اسم للملوك من جنس العقلاء ، والملوك موجود قهرا بالاستيلاء .
(٤) وفى البيضاوى : وأضاف العبد إلى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على أنه مختص به منقاد لحكمه ، وقرئ « عبادنا » يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته - انتهى كلامه .

(٥) ليس فى مد .

(٦) فى م : أى .

(٧-٧) فى ظ : شيئا من الكلام .

١ 'لأجل الإتيان به منجما أو غير ذلك من أحواله' .

٢ «فانوا» أى على سبيل التنجيم^١ أو غيره^٢ ، قال الحرالى : الآتى بالامر^٣ يـكون عن^٤ مكنة وقوة «بسورة»^٥ أى نجم واحد . قال الحرالى : السورة^٦ تمام جملة من المسموع يحيط بمعنى تام بمنزلة إحاطة السور بالمدينة - انتهى .^٧ و تفصيل القرآن إلى سور وآيات ، لأن الشئ إذا كان جنسا^٨ /^٩ وجعلت له أنواع^{١٠} واشتملت أنواعه على أصناف كان أحسن وأنعم لشانه وأنبل^{١١} ولا سيما إذا^{١٢} تلاحت الأشكال^{١٣} بغرابة

/٣٨

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) فى م : التنجز .

(٣) من « اى على » إلى هنا سقط من ظ .

(٤) فى ظ : بالامور .

(٥) فى م : على .

(٦) قال البيضاوى : السورة الطائفة من القرآن المترجمة التى أقلها ثلاث آيات ، من سور المدينة لأنها محيطة بطائفة من القرآن أو محتوية على أنواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها .

(٧) سقطت العبارة من هنا إلى « وغير ذلك » من ظ .

(٨) قال البيضاوى : والحكمة فى تقطيع القرآن سورا وافرادا لأنواع وتلاحق الأشكال وتجارب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه ، فانه إذا ختم سورة نفس ذلك منه فعظم ذلك عنده وابتهج به ؛ إلى غيرها من الفوائد - انتهى .

(٩) فى م : أنبل .

(١٠ - ١١) فى م : تلا حقيقة الاشكال .

الانتظام ، وتجاوبت النظائر بحسن الالتيام ، وتعانقت الأمثال بالتشابه في تمام الأحكام و جمال الأحكام ، وذلك أيضا أنشط للقارئ وأعظم عنده لما يأخذه منه مسمى بآيات معدودة أو سورة معلومة وغير ذلك . من مثله ، أى من الكلام الذى يمكنكم أن تدعوا أنه مثل ما نزلنا ' كما قال . قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن ه لا ياتون بمثله ' ، فان عبدنا منكم ٣ ونشأين ٢ أظهركم ، فهو لا يقدر على أن يأتى بما لا تقدرون على مثله إلا بتأييد منا .

ولما كانوا يستقبحون الكذب قال « وادعوا شهداءكم » ، أى من تقدرون على دعائه من الموجودين بحضرتكم في بلدكم أوما قاربها ، (١) قال أبوحيان : وفي التثنية على كون الضمير على المنزل أقوال : الأول من مثله في حسن النظم و بدیع الرصف و عجيب السر و غرابة الأسلوب وإيجازه وإتقان معانيه ، الثانى من مثله في غيوبة من إخباره بما كان وبما يكون - ومن أراد الاطلاع على جميع الأقوال فليطلب من البحر المحيط ج ١ ص ١٠٥ . (٢) سورة ١٧ آية ٨٨ .

(٣-٣) في م : لشأين - كذا .

(٤) قال المصنف : أى من يشهد لكم ، فالعاقل لا يرضى لنفسه أن يشهد بما يظهر اختلاله . وقال النسفى : جمع شهيد بمعنى الحاضر والقائم بالشهادة . وقال البيضاوى : والرد إلى المنزل أوجه لأنه المطابق لقوله « فاتوا بسورة من مثله » ولسائر آيات التحدى ، ولأن الكلام فيه لافى المنزل عليه ، فحقه أن لا ينفك عنه ليتسقى الترتيب والنظم ، ولأن رده إلى عبدنا يؤهم إمكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله تعالى « وادعوا شهداءكم » فانه أمر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم - انتهى .

(٥) في ظ : يقدرون .

و الشهيد كما قال الحرالي من يكثر الحضور لديه واستبصاره فيما حضره - انتهى .

« من دون الله ، أى لينظروا ' بين الكلايين فيشهدوا ' بما تؤديهم ٣ إليه معرفتهم من ' المماثلة أو المباينة فيزول الريب ويظهر إلى الشهادة الغيب أو ليعينوكم على الإتيان بمثل القطعة المحيطة التي تريدون معارضتها .
٥ قال الحرالي : و الدون ' منزلة القريب فالقريب من جهة سفلى ، وقد عقلت العرب أن اسم الله لا يطلق على ما ناله إدراك العقل فكيف بالحس ! فقد تحققوا أن كل ما أدركته حواسهم ونالته عقولهم فانه من دون الله - انتهى .

(١) فى ظ : فينظروا .

(٢) فى م : فشهدوا .

(٣) فى م : يوديه .

(٤) ليس فى م .

(٥) قال البيضاوى ، ومعنى دون أدنى مكان من الشيء ، ومنه تدوين الكتب لأنه إدناء البعض من البعض ، ودونك هذا أى خذ من أدنى مكان منك ، ثم استعير للرتب فقل ، زيد دون عمرو ، أى فى الشرف ، ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد إلى حد و تخطى أمر إلى آخر ، قال الله تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » أى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين ، ومن متعلقه بادعوا والمعنى ادعوا المعارضة من حضرهم أو رجوتهم معونته من إنسكم وجنكم وألحتكم غير الله فانه لا يقدر على أن يأتى بمثله إلا الله ، أو ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتكم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن إقامة الحجة .

ففي التعبير به^١ تويخ لهم بأنهم لم يرضوا بشهادته سبحانه .
 و حكمة الإتيان بمن التبعية في هذه السورة دون بقية القرآن أنه
 سبحانه لما فرض لهم فيها الريب الذي يلزم منه زعمهم أن يكونوا اطلعوا له
 على مثل أو سمعوا أن أحدا عثر له على شيء اقتضى الحال الإتيان بها
 ليفيد أن المطلوب منهم في التحدى قطعة من ذلك المثل الذي ادعوه^٥
 حكمة^٦ المعاني متلائمة المباني منتظم أولها بآخرها كسور^٣ المدينة في
 صحة الانتظام و حسن الالتيام و الإحاطة بالمباني^٦ التي هي كالمعاني
 والتقاء^٥ الطرفين حتى صار بحيث لا يدري أوله من آخره سواء
 كانت القطعة المأني بها تبارى آية أو ما فوقها لأن آيات القرآن
 كسورة^٦ يعرف من ابتدائها ختامها و يهدى إلى افتتاحها تمامها، فالتحدى^{١٠}
 هنا منصرف^٧ إلى الآية بالنظر الأول و إلى ما فوقها بالنظر الثاني .
 و المراد بالسورة هنا مفهومها^٨ اللغوي، لأنها من المثل^٩ المفروض

(١) في ظ : بها .

(٢) وفي ظ : حكية .

(٣) في ظ : كسورة .

(٤) في ظ : الميادى .

(٥) زيد في ظ : من .

(٦) من مد و ظ ، وفي الأصل و م : كسوره .

(٧) في ظ : صرف .

(٨) في ظ : مفهومها - كذا .

(٩) قال المهاشمي : « من مثله » أى مما يماثله بعض الماثلة .

وهو لا وجود له في الخارج حتى يكون لقطعه اصطلاح في الاسماء معروف ،
ولأن معرفة المعنى الاصطلاحي كانت ' مخصوصا بالمصدقين ولو أريد
التحدى بسورة من القرآن لقليل : فاثبتوا بمثل سورة منه ، ولما كان هذا
هو المراد قصرهم في الدعاء على من بحضرتهم^١ من الشهداء و سيأتي إن شاء الله
٥ تعالى في سورة يونس عليه السلام و بقية السور المذكورة^٢ فيها هذا المعنى
ما يتم به هذا الكلام . و في قوله « ان كنتم 'صدقين' إيماناً » إلى كذبهم
في دعوى الشك فيه ، قال الحرالي : « الصادق الذي يكون قول لسانه
و عمل^٣ جوارحه مطابقاً لما احتوى عليه قلبه بما له حقيقة ثابتة بحسبه ،
و قال : اتسقت آية تنزيل الوحي بآية إنزال الرزق لما^٤ كان نزول ما نزل
١٠ على الرسول^٥ المخصص بذلك ينبغي اعتباره بمقابلة نزول الرزق ، لأنها
رزقان : أحدهما ظاهر يعم الكافر في نزوله ، و الآخر وهو الوحي رزق

(١) في النسخ كلها : كان - كذا .

(٢) من م و مد و ظ ، و في الأصل : محصرتهم .

(٣) من ظ ، و في الأصل و م و مد : المذكور .

(٤) قال المنهائي : « ان كنتم 'صدقين' » في أن للريب دخلا فيه . وقال البيضاوي :
انه من كلام البشر ، والصدق الإخبار المطابق ، وقيل مع اعتقاد الخبر أنه كذلك
عن دلالة أو أمارة ، لأنه تعالى كذب المنافقين في قولهم « انك لرسول الله »
لما لم يعتقدوا مطابقتها . و في السراج المنير للشريني الخطيب : « ان كنتم 'صدقين' »
في أن محمداً صلى الله عليه وسلم يقول من تلقاء نفسه وأن آهتكم تشهد لكم بذلك .
(٥) في ظ : على .

(٦) في مد : كما .

(٧) ريد في مد : صلى الله عليه وسلم .

باطن يخص الخاصة بنزوله و يتعين له^١ أيهم آثمهم فطرة و أكملهم ذاتا؛
و لم يصلح أن يعم بنزول هذا الرزق الباطن كعموم الظاهر، فبطل
حكمة الاختصاص في الرزقين، فان نازعهم ريب في الاختصاص
يفرضون أنه عام فيحاولون معارضته، و كما أنهم يشهدون بتمكنهم من
الحس^٢ عند محاولته عمومهم فكذلك يجب أن يشهدوا بعمجزهم عن سورة ٥
من مثله تحقق اختصاص من نزل عليه به و أجرى ذكره باسم العبودية
إعلاما بوفائه بأنحاء التذلل^٣ وإظهارا لمزية انفراده بذلك دونهم ليظهر به
سبب الاختصاص .

و انتظم النون في «نزلنا» من ينزل بالوحي من روح القدس

و الروح الامين و نحو ذلك، لأنها تقتضى الاستتباع، و اقتضت النون ١٠

في لفظ «عبدنا» ما^٤ يظهره النبي صلى الله عليه و سلم لهم من / الانقياد ٣٩ /

و الاتباع و ما اقتضاه خلقه العظيم من خفض الجناح، حتى أنه يوافق

من وقع على وجهه من الصواب من أمته صلى الله عليه و سلم، و حتى

أنه يتصف بأوصاف العبد في أكله كما قال: آكل كما يأكل العبد انتهى .

و التحدى بسورة يشمل^٥ أقصر سورة كالكوثر و مثلها في التحدى ١٥

(١) في مد: لهم .

(٢) هكذا في الأصل ومد، وفي م وظ: الحسن .

(٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: التذلل .

(٤) كرهه في ظ .

(٥) من م ومد وظ، وفي الأصل: تشمل .

آية مستقلة توازيها وآيات، كما قاله^١ الإمام جلال الدين^٢ محمد بن أحمد المحلى فى شرح جمع الجوامع، و سبقه الإمام^٣ شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوى فنظمه فى القنية^٤ فى الأصول و نقله فى شرحها عن ظاهر كلام إمام الحرمين فى الشامل و عن كلام الفقهاء فى الصداق فيما لو أصدقها تعليم سورة فلقتها بعض آية، و سبقها العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى فقال فى تلويحه على توضيح صدر الشريعة: المعجز هو السورة أو مقدارها^٥، هكذا ذكر الذين تكلموا فى الإعجاز من الأصوليين وغيرهم أن التحدى وقع بسورة من القرآن، و الصواب أنه إنما وقع بقطعة آية فما فوقها، لأن المراد بالسورة مفهومها اللغوى لا الاصطلاحى^٦ ١٠ كما تقدم بيانه .

و الحاصل أنه لما كان فى آيات المنافقين ذكر الأمثال و كانوا قد استغربوا بعض أمثال القرآن و جعلوها موضعا للشك من حيث كانت موضعا لليقين فقالوا: لو كان هذا من عند الله لما ذكر فيه أمثال هذه الأمثال، لأنه أعظم من أن يذكر ما^٧ دعاهم إلى المعارضة فى^٨ هذه السورة

(١) فى مد: قال .

(٢) زيد فى م: بن .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) فى ظ و مد: الفتية، و فى م: الغيبة .

(٥) فى م: مقداراً .

(٦) فى م: الاصطلاحى - كذا .

(٧) من م، و فى الأصل و مد وظ: يذكرها .

(٨) فى ظ: من .

المدينة بكل طريق^١ يمكنهم^٢ ، وأخبرهم بأنهم عاجزون عنها وأن عجزهم دائم^٣ تحقيقاً لأنهم في ذلك الحال معاندون لا شاكون .

ولما^٤ كان سبحانه عالماً بأن الانفس الآتية والآنوف الشائخة الحية التي^٥ قد لزمت شيئاً فزنت^٦ عليه حتى صار لها خلقاً يصعب عليها انفكاكها عنه ويعسر خلاصها منه عبر عن هذا^٧ الإخبار بالعجز^٨ مهدداً في سياق^٩ ملجئ إلى الإنصاف^{١٠} بالاعتراف أو تفتقر القلوب بالعجز عن المطلوب بقوله تعالى : فإن لم تفعلوا ، فأثى بأداة الشك تنفيساً لهم وتهكماً في نفس الأمر بهم واستجهاً لهم^{١١} ، ثم لم يتم^{١٢} ذلك التنفيس حتى ضربهم ضربة

(١) في ظ : طرف .

(٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : دائماً .

(٣) قال أبو البركات النسفي في تفسيره ما نصه : لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرفون صدق النبي عليه السلام قال لهم : فإذا لم تعارضوه وبأن عجزكم ووجوب تصديقه قَامُوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وعاند ، وفيه دليلان على إثبات النبوة : صحة كون المتحدى به معجزاً ، والإخبار بأنهم لن يفعلوا ، وهو غيب لا يعلمه إلا الله ، ولما كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكاملهم على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم سيق الكلام معهم على حسب حساباتهم يخفى^{١٣} أن الذي للشك دون إذا الذي للوجوب .

(٤) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : الذي .

(٥) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : فزيت .

(٦ - ٧) وفي م : العجز بالإخبار - بالتقديم والتأخير .

(٧) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : الاتصاف .

(٨) كذا يترك الادغام ، وفي ظ : لم يتم .

فضمت ظهورهم وقطعت قلوبهم فقال لتكون الآية كافلة لصحة نسبة
النظم^١ والمعنى آيد^٢ ٣ وآكد لادعائهم المقدرة^٤ بقوله تعالى^٥ ولن
تفعلوا^٦ فالزمهم الخزي بما حكم عليهم به من العجز، فلم يكن لهم فعل
إلا المبادرة إلى تصديقه بالكف، فكانوا كمن ألقم الحجر فلم يسمعه
إلا السكوت، واستمر ذلك التصديق لهم ولأمثالهم على وجه الدهر في
كل^٧ عصر ينادى مناديه^٨ فتخضع له الرقاب ويصدح مؤذنه فتتكسر

(١) في مد: بصحة .

(٢) في الأصل: العظم .

(٣) في الأصل ومد: اليه، وفي م: اليد - كذا .

(٤) من هنا إلى « تعالى » ليست في ظ .

(٥) وفي م ومد: القدرة .

(٦ - ٧) ليس في م .

(٧) قال أبو حيان: وهذه الأقوال أعنى التوكيد والتأييد ونفى ما قرب أقاويل
التأخرين وإنما المرجوع في معاني هذه الحروف وتصرفاتها لأئمة العرب المقانع
الذين يرجع إلى أقاويلهم، قال سيبويه ولن نفى لقوله سيفعل، وقال: وتكون
لا نفيا لقوله تفعل ولم تفعل - انتهى كلامه، وقال البيضاوي: لما بين لهم ما
يتعرفون به أمر الرسول عليه الصلاة والسلام وما جاء به وميز لهم الحق عن
الباطل رتب عليه ما هو كالفدكة له: وهو انكم إذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم
جميعا عن الإتيان بما يساويه أويديته ظهر أنه معجزو التصديق به واجب فآمنوا
به واتقوا لعذاب المعدل كذب - الخ .

(٨) من م ومد وظ، وفي الأصل: سل .

(٩) في ظ: منادية .

الرؤس ، 'و التعبير' بالفعل الأعم من الإتيان أبلغ لأن نفيه^٣ نفي الأخص وزيادة . والفعل قال الحرالي ما ظهر عن داعية من الموقع كان عن علم أو غير علم لتدين كان أو لغيره^٤ كما تقدم مرارا^٥ - انتهى .

/ فقد ثبت أن هذا الكتاب الذى بين أنه الهادى إلى الصراط المستقيم
٤٠/ أعظم دليل على إفراده بالعبادة واختصاصه بالمراقبة التى أرشدنا إليها
بقوله « إياك نعبد^٦ وإياك نستعين^٧ » الآية بما ثبت فيه من أدلة التفرد
بالإلهية بما ثبت من عجزهم عن معارضته^٨ وعجز جميع العرب الذين كانوا
أفصح الخلق وكذا جميع من ولد في بلادهم وانطبع بلسانهم من اليهود
و النصارى الذين لهم من الفصاحة^٩ والعلم ما هو مشهور فقد كان لليهود
من بنى إسرائيل الذين كانوا في المدينة الشريفة وخيبر واليمن وغيرها ، ١٠

(١) ليست العبارة من هنا الى « وزيادة » في ظ .

(٢) قال البيضاوى : فعبّر عن الإتيان المكيف بالفعل الذى يعم الإتيان به وغيره
إيجاز أو نزل لازم الجزء منزله على سبيل الكناية تقريراً للكنى عنه و تهويلاً
لشان العناد وتصريحاً بالوعيد مع الإيجاز .

(٣) من م ومد ، وفي الأصل : نفسه .

(٤) في ظ : غيره .

(٥) سقطت العبارة من « كما » إلى هنا من م ومد ، ولفظ « مراد » فقط ليس في ظ .

(٦ - ٧) ليست في م ومد .

(٧) ليست العبارة من هنا إلى « سائر البلدان » في م و ظ .

(٨) من مد ، وفي الأصل : النتيجة - كذا .

ومن دخل في دينهم من العرب من الفصاحة والبلاغة والعلم ما لا يحتاج من طالع السيرة فيه إلى توقف^١، وكان^٢ النصارى من بني إسرائيل ومن دان دينهم من العرب وهم^٣ كثير كثرة قوم^٤ المنذر بن ماء السماء، وما قارب الشيء من عبد القيس وتنوخ وعامله وغسان كلهم فصحاء بلغاء، وزاد كثير منهم على ذلك العلم وكان منهم الشعراء المبرزون؛
 هـ ومع ذلك فلم يقدر أحد منهم على طعن في هذا القرآن ولا عارضه منهم إنسان إلا ما قاله مسيلة والأسود العنسي^٥ فيما اقتضوا به وأكذبهم الله تعالى^٦ فيه^٧ وسارت بفضائحهم الركبان فكانوا بها مثلاً في سائر البلدان.

(١) في مد: موقف .

(٢) في مد: كذا .

(٣ - ٤) في الأصل: كثير كسر قوم، وفي مد: كثير كقوم .

(٤) من مد، وفي الأصل: العنسي .

(٥) في مد: بما .

(٦) ليس في مد .

(٧) قال أبو حيان الأندلسي: وفي قوله « ولن تفعلوا » إثارة لهممهم ليكون عجزهم بعد ذلك أبلغ وأبدع، وفي ذلك دليلان على إثبات النبوة: أحدهما صحة كون المتحدى به معجزاً، الثاني الإخبار بالغيب من أنهم لن يفعلوا، وهذا لا يعلمه إلا الله ويدل على ذلك أنهم لو عارضوه لتوفرت الدواعي على نقله خصوصاً من الطاعنين عليه، فإذا لم ينقل دل على أنه إخبار بالغيب وكان ذلك معجزة؛ وأما ما أتى به مسيلة الكذاب في هذره وأبو الطيب المتنبي في عبره ونحوهما فلم يقصدوا به المعارضة وإنما ادعوا أنه نزل عليهم وحى بذلك فأتوا من ذلك =

قال عمرو بن بحر الجاحظ « في كتاب الحجة في تثبيت خبر الواحد ،
 إن الله 'تبارك و' تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت
 العرب شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عدة فدعا^١
 أقصاها وأدناها إلى توحيد الله و تصديق رسالته فدعاهم إلى حظهم^٢ بالحجة ،
 فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى هـ
 والحية دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم^٣ بالسيف ، فنصب لهم
 الحرب و نصبوا له^٤ و قتل^٥ من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم و بنى
 أعمامهم و قتلوا أعمامه و بنى أعمامه و عليه^٦ أصحابه وأعلام أهله ،
 وهو في ذلك يحتاج عليهم بالقرآن وغيره^٧ و يدعوهم صباحا^٨ و مساء

== باللفظ الغث والمعنى السخيف واللغة المهجنة والأسلوب الرذل والفقرة غير
 المتمكنة والمطلع المستعجب والمقطع المستوهن بحيث لو قرن ذلك بكلامهم في
 غير ما ادعوا أنه وحى كان بينهما من التفاوت في الفصاحة والتباين في البلاغة
 ما لا ينحني عن له يسير تميز في ذلك فكيف الجهاذة النقاد والبلغاء الفصحاء
 فسلبهم الله فصاحتهم بادعائهم و اقترانهم على الله الكذب - انتهى كلامه .

(١ - ١) ليس في ظ .

(٢) في ظ : وربما .

(٣) في الأصل : خطهم .

(٤) ليس في ظ .

(٥) في م و ظ : قيل - كذا ، ولا يتضح في مد .

(٦) في الأصل : عليه .

(٧) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : غيرهم - كذا .

(٨) في م و مد و ظ : صباح .

إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة^١ واحدة أو بآيات يسيرة ،
 فكلما ازداد تحديا^٢ لهم بها و تقريرا بعجزهم عنها تكشف من نقصهم
 ما كان مستورا و ظهر منه ما كان خفيا^٣ ،^٤ فحين لم يجدوا حيلة و لا حجة
 قالوا له : أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف^٥ . فلذلك يمكنك
 ه ما لا يمكننا ؛ قال : فهاتوها مفتريات^٦ ، فلم يرم^٧ ذلك خطيب و لا طمع
 فيه شاعر و لا طبع فيه لتكلفه ، و لو تكلفه / لظهر ذلك ، و لو ظهر لوجد
 من يستجده^٨ و يحامى عليه^٩ و يكابر فيه و يزعم أنه قد عارض و قابل
 و ناقض ، فدل ذلك العاقل^{١٠} على عجز القوم مع كثرة كلامهم و اتساع
 لغتهم و سهولة ذلك عليهم و كثرة شعرائهم و كثرة من^{١١} هجاه منهم

/٤١

(١) العبارة من هنا إلى « بعزمهم » ليست في ظ .

(٢) من م و مد ، وفي الأصل : تحدانا .

(٣) من م و ظ ، و لا يتضح في مد ، وفي الأصل : خطيا .

(٤) العبارة من هنا إلى « ما » ليست في ظ .

(٥) في الأصل وم : لا تعرف ، و لا يتضح في مد ، وفي ظ : لا يعرف ، والظاهر

لا نعرف - بنون الجمع .

(٦) في م : مقترنات - كذا .

(٧) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : فلم يدم .

(٨) في ظ : تستجده .

(٩) ليس في مد .

(١٠) كذا ، والظاهر : للعاقل .

(١١) من م و مد و ظ ، وفي الأصل : ما .

و عارض^١ شعراء أصحابه و خطباء أمته ، لأن سورة واحدة و آيات
سيرة كانت أنقض^٢ لقوله ٣ و أفسد لأمره و أبلغ في تكذيبه و أسرع
في تفريق أتباعه من بذل النفوس و الخروج من الأوطان و إنفاق الحرائب ؛
و هذا من جليل التدبير الذى لا يخفى على من هو دون قريش و العرب
في العقل و الرأى بطبقات ، و لهم القصيدة^٤ العجيب و الرجز الفاخر^٥ .
و الخطب الطوال البليغة و القصار الموجزة ، و لهم الاشباع^٦ و المزدوج
و اللفظ المنثور ، ثم يتحدى به أقصاهم^٧ بعد أن ظهر^٨ عجز أدناهم ؛
فحال أكرمك^٩ الله أن يجتمع هؤلاء . كلهم على الغلط فى الأمر الظاهر

(١) قال أبوحيان : « فاتوا بسورة » طلب منهم الإتيان بمطلق سورة و هى القطعة
من القرآن التى أقلها ثلاث آيات فلم يقترح عليهم الإتيان بسورة طويلة فيتعنتوا
فى ذلك بل سهل عليهم و أراح عليهم بطلب الإتيان بسورة ، و هذا هو غاية
التبكيث و التخجيل لهم ، فإذا كنتم لا تقدرون أنتم ولا معاضدكم بالإتيان
بسورة من مثله فكيف تزعمون أنه من جنس كلامكم و كيف يلحقكم فى ذلك
ارتياح أنه من عنده - انتهى كلامه .

(٢) فى م : انقص - بالصاد المهملة .

(٣) فى م : لقومه .

(٤) فى م : القصيدة .

(٥) ليس فى ظ .

(٦) من م ، و لا يتضح فى مد ، و فى الأصل و ظ : الاشباع .

(٧) العبارة من هنا إلى « الكشوف » كررها ثانياً فى الأصل .

(٨) من ظ ، و فى الأصل و م : اظهر ، و لا يتضح فى مد .

(٩) جملة دعائية .

و الخطاء المكشوف البين مع التقرير بالنقص والتوقيف على العجز وهم^١
 أشد الخلق ألفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد^٢ عليهم^٣ وقد احتاجوا
 إليه والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض فكيف بالظاهر^٤
 وكما أنه محال أن يطبقوا ثلاثاً وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل^٥
 هـ المنفعة فكذلك أيضاً محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويمجدون السيل إلى
 وهم يبدلون^٦ أكثر منه - انتهى . ثبت بهذا عجزهم وخرس قطعاً إفصاحهم
 ورمزهم وطأطأ^٧ ذلاً^٨ كبرهم وعزهم ، وكيف يمكن المخلوق مع تمكنه
 في سمات النقص ودركات الافتقار والضعف معارضة من اختص بصفات

(١) قال البيضاوى : وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه : الأول ما فيها
 من التحدى والتحريض على الجحد وبذل الوسع في المعارضة بالتقرير والتهديد
 وتعليق الوعيد على عدم الإتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن ثم انهم
 مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة
 والتجؤوا إلى جلاء الوطن وبذل المهج ، والثاني أنها تتضمن الإخبار عن الغيب
 على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه
 أكثف من الذابين عنه في كل عصر ، والثالث أنه عليه الصلاة والسلام لو شك
 في أمره لما دعاهم إلى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فتدحض حجته -
 انتهى كلامه .

(٢) كذا في النسخ كلها ، ولكن الملائم هنا : سند .

(٣) في ظ و م ومد : عملهم .

(٤) كرده في الأصل ثانياً .

(٥) في ظ : يبدلون - كذا بالدال المهملة .

(٦) في م : دلا .

الكمال و تعالى عن الانداد^١ و الاشباه^٢ و الاشكال .

و قد اختلف الناس في سبب الإعجاز و أحسن ما وقفت عليه من ذلك

ما نقله الإمام بدر الدين الزركشى الشافعى في كتابه البرهان عن الإمام

أبى سليمان الخطابى - و قال : و إليه ذهب الأكثرون من علماء النظر -

أن وجه الإعجاز فيه ٣ من جهة ٣ البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها^٥ .

و وضعوا فيه إلى حكم الذوق^٥ ، قال^٦ : و التحقيق^٧ أن أجناس الكلام

/ مختلفة و مراتبها في درجات البيان متفاوتة ، فمنها البليغ الرصين ٤٢ /

الجزل ، و منها الفصيح القريب السهل ، و منها الجائز الطلق الرسل ؛

(١) في الأصل : الاندل - كذا .

(٢) ليس في م و مد و ظ .

(٣-٣) في الأصل مكرر .

(٤) ليس في م .

(٥) في م : الزوق - كذا بالزاي .

(٦) فوته في ظ : اى الخطابى .

(٧) و في مقدمة البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى : اختلفوا فيها به إعجاز القرآن ،

فمن توغل في أساليب الفصاحة و أفانينها و توقل في معارف الآداب و قوانينها

أدرك بالوجدان أن القرآن أتى في غاية من الفصاحة لا يوصل إليها و نهاية من

البلاغة لا يمكن أن يحام عليها ، فعارضه عنده غير ممكن للبشر ، و لا داخله تحت

القدر ؛ و من لم يدرك هذا المدرك و لا سلك هذا المسلك رأى أنه من نمط كلام

العرب و أن مثله مقدور لمنشئ الخطب ، فإعجازه عنده إنما هو بصرف الله تعالى

إياهم عن معارضته و مناضلته و إن كانوا قادرين على مماثلته .

و هذه 'الاقسام' هي الكلام' الفاضل المحمود، فالقسم الأول أعلاه'
 و القسم ٢ الثاني أوسطه و القسم ٣ الثالث أدناه و أقربيه؛ لحازت بلاغات
 القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة و أخذت من كل نوع
 شعبة، فانظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفى
 الفخامة و العذوبة، و هما على الانفراد فى نعوتهما كالمضادين لأن' العذوبة
 تاج السهولة و الجزالة و المتانة' يعالجان نوعا من الزعورة، فكان اجتماع
 الأمرين فى نظمه مع نبوكل واحد منهما عن' الآخر فضيلة خص بها
 القرآن لتكون^٧ آية بينة لئيه صلى الله عليه وسلم، وإنما تعذر على البشر
 جميعا ٣ الإتيان' بمثله لأموور، منها أن عليهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة
 العربية و أوضاعها التى هى ظروف المعانى، ولا تدرك أفهامهم جميع معانى
 الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع
 وجوه النظم التى^٨ بها يكون اتلافها و ارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا

(١ - ١) فى م و مد و ظ : اقسام الكلام .

(٢) فى الأصل، و م و ظ : اعلاها، ولا يتضح فى مد .

(٣) ليس فى م و مد و ظ .

(٤) من م و مد و ظ، وفى الأصل : من .

(٥) من م و مد و ظ، وفى الأصل : المتانة - كذا .

(٦) فى م : على .

(٧) فى ظ و مد : ليكون .

(٨) من م و مد و ظ، وفى الأصل : الذى .

باختيار الأفضل من الاحسن من وجوها^١ إلى أن يأتوا بكلام مثله ،
وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة لفظ حامل ومعنى به قائم
ورباط^٢ لها ناظم ؛ وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية
الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الالفاظ أفصح ولا أجزل ولا
أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظما أحسن تأليفا^٣ وأشد تلاؤما وتشاكلا^٤ ه
من نظمه ؛ وأما معانيه فكل ذى لب يشهد له بالتقدم في أبوابه والترقى
إلى أعلى درجاته ، وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع
الكلام ، فاما أن يوجد مجموعه في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام
العليم القدير ، فخرج من هذا أن^٥ القرآن إنما^٦ صار معجزا لأنه جاء بأفصح
الالفاظ في أحسن نظوم التأليف ، مضمنا / أصح المعاني من توحيد الله ١٠ / ٤٣
تعالى وتنزيهه له في صفاته ، ودعاء إلى طاعته وبيان لطريق عبادته ، في
تحليل وتحريم وحظر وإباحة ، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف
ونهي عن منكر ، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها ،
واضعا كل شيء منها موضعه الذى لا يرى شيء^٧ أولى منه ولا يتوهم

(١) في م : وجوها - كذا .

(٢) في ظ : ارتباط .

(٣) زيد في م : لا .

(٤) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : يشكلا - كذا .

(٥) ليس في ظ .

(٦) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : الا ، وهو محرف « انما » فصحيح .

(٧) في ظ و م : شيئا .

في صورة العقل أمر أليق به منه ، مودعا أخبار القرون الماضية وما نزل
من مثلات الله بمن مضى وعاند منهم ، منبثا عن الكوائن المستقبلية في
الاعصار الآتية من الزمان ، جامعا في ذلك بين الحجة والمحتج له
والدليل والمدلول عليه ، ليكون ذلك أوكدا للزوم ما دعا إليه ، وأنبأ
٥ عن وجوب ما أمر به ونهى عنه ، و معلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور
والجمع بين أشاتها حتى تنظم وتسق أمر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه
قدرتهم ؛ فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته في
شكله ، ثم صار المعاندون له يقولون مرة : إنه شعر - لما رأوه منظوما -
ومرة : إنه سحر - لما رأوه ' معجوزا عنه غير مقدور عليه ، وقد كانوا
١٠ يحدون له وقعا ' في القلوب وفزعا في النفوس يريهم^٣ ويحيرهم ، فلم يتمالكوا
أن يعترفوا به نوعا من الاعتراف ' ، و لذلك قالوا : إن له لحلاوة وإن عليه

(١) في ظ : رواه .

(٢) في ظ : موقعا .

(٣) في ظ : يريهم .

(٤) وفي البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : فن أدرك إعجازه فوفق أسلم بأول
سماع سمعه أبو ذر رضى الله عنه ، قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
أوائل فصات آيات فأسلم للوقت ، وخبره في إسلامه مشهور ، ومن أدرك
إعجازه وكفر عنادا عتبة بن ربيعة وكانت من عقلاء الكفار حتى كان يتوهم
أمية بن الصلت أنه هو يعنى عتبة يكون النبى المنبعث في قريش ، فلما بعث الله
هدا صلى الله عليه وسلم حسده عتبة وأضرابه مع علمهم بصدقه وأن ما جاء به
معجز ، وكذلك الوليد بن المغيرة ، روى عنه أنه قال لبني مخزوم : والله لقد =

لطلاوة، وكانوا مرة بجهلهم يقولون: إنه 'واساطير الاولين اكتبها
فهي تملئ عليه بكرة واصيلا'، مع علمهم أن صاحبه أمدى وليس بحضرة
من يملئ أو يكتب في نحو ذلك من الأمور التي أوجبها العناد والجهل
والعجز - انتهى .

و أول كلامه يميل إلى أن الإعجاز بمجرد النظم من غير نظر إلى ه
المعنى، و آخره يميل إلى أنه بالنظر إلى النظم والمعنى معا من الحيثية التي
ذكرها، وهو الذي ينبغي أن يعتقد لكن في التحدى بسورة واحدة
و أما بالعرش ٢ فبالنظر إلى البلاغة في النظم فقط - نقله البغوى في تفسير
سورة هود عن المبرد وقد مر آنفا مثله في كلام الجاحظ .

و قال الأستاذ أبو الحسن الخراساني في مفتاح الباب المقفل الباب ١٠
الأول في علو بيان القرآن على بيان الإنسان : اعلم أن بلاغة البيان تعلو
على قدر علو المبين ، فعلو بيان الله على بيان خلقه بقدر علو الله على خلقه ،
فيبان كل مبين على قدر إحاطة عليه ، فاذا أبان الإنسان عن الكائن
أبان بقدر ما يدرك منه وهو لا يحيط به عليه فلا يصل إلى غاية البلاغة
== سمعت من عهد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ! إن له
لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو
ولا يعلو ، ومع هذا الاعتراف غلب عليه الحسد والأشرحتى قال ما حكى الله عنه
« ان هذا الاسحر يؤثر ان هذا الاقول البشر » .

(١) ليس في ظ .

(٢) سورة ٢٥ آية ه .

(٣) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : العثر .

(٣) في م : على ، وهو كما ترى .

فيه يانه ، وإذا أنبأ عن الماضي فبقدر ما بقي من ناقص عليه به كائنا في ذكره لما لزم الإنسان من نسيانه ، وإذا أراد أن ينبئ^١ عن الآتى أعوزه البيان كله إلا ما يقدّره أو يزوّره ؛ فيانه في الكائن ناقص و يانه في الماضي^٢ أنقص و يانه في الآتى ساقط^٣ بل يريد الانسان ليفجر امامه ٣٥ ، و يان الله سبحانه عن الكائن بالغ إلى غاية ما أحاط به عليه ، قل انما العلم عند الله^٤ ، و عن المنقطع كونه بحسب إحاطته بالكائن و سبحانه من النسيان^٥ لا يضل ربي ولا ينسى^٦ ، و عن الآتى بما هو الحق الواقع^٧ فلنقصن عليهم بعلم و ما كنا غائبين^٨ و الوزن يومئذ الحق^٩ ، و المبين الحق الذى لا يوهن يانه إيهام نسبة النقص إلى يانه^{١٠} ، و الإنسان يتهم نفسه فى البيان و يخاف ١٠ أن ينسب إلى العى فيقصد استقراء البيان و يضعف مفهوم يانه ضعفا من مته و مفهوم بيان القرآن أضعاف أضعاف أنبائه و قل ما ينقص عن نظيره - انتهى .

و قال الإمام محمد بن عبد الرحمن المراكشى^{١١} الألكه فى شرح نظمه

(١) فى ظ : ينباء - كذا .

(٢) فى ظ : الآتى .

(٣) ٧٥ آية .

(٤) سورة ٦٧ آية ٢٦ .

(٥) سورة ٢٠ آية ٥٢ .

(٦) سورة ٧ آية ٧ و ٨ .

(٧) فى مد : بيان .

(٨) فى ظ : الزاركشى ، و زاد بعده « فى » .

لمصباح ابن مالك في المعاني والبيان ما يصلح أن يكون متنا ' و جملة ' و ما تقدم شرحا له و تفصيلا قال : الجهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكر في علم البيان وهو كما اختاره جماعة في تعريفه ما يحتز به ' عن الخطأ في تأدية المعنى و عن تعقيد ، و تعرف به وجوه تحسين الكلام ٣ بعد رعاية ٣ تطبيقه ٤ لمقتضى الحال ، لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه و إلا لكانت قبل نزوله معجزة ، ه ولا مجرد تأليفها و إلا لكان كل تأليف معجزا ، ولا إعرابها و إلا لكان كل كلام معرب معجزا ، ولا مجرد أسلوبه و إلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزا - و الأسلوب الطريق - و لكان هديان * مسيلة معجزا ، ولأن الإعجاز يوجد دونه أى الأسلوب في نحو « فلما استئسوا منه خلصوا نجيا » ، « فاصدع بما تؤمر » ، و لا بالصرف عن معارضته ، لأن تعجبهم كان * من فصاحته ، ولأن ١٠ مسيلة و ابن المقفع و المعرى و غيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا إلا بما تمجده * الأسماع

(١-١) ليس في ظ .

(٢) ليس في ظ .

(٣-٣) في مد : بقدر غاية .

(٤) في م : تطبيقه .

(٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : هديان - كذا .

(٦) سورة ١٢ آية ٨٠ .

(٧) سورة ١٥ آية ٩٤ .

(٨) من م و مد ، ولا يتضح في الأصل ، وفي ظ : كانت - كذا .

(٩) في ظ : يمجده .

١ تنفر^١ منه الطباع ويضحك منه في أحوال^٢ تركيه و٣ يهان بتلك^٤
 الاحوال، أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء؛ فعلى إعجازه دليل إجمالي
 وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أخرى، ودليل
 تفصيلي^٥ مقدمته^٦ التفكير في خواص تركيه، ونتيجته العلم^٧ بأنه تنزيل
 ه من المحيط بكل^٨ شيء علما^٩ - انتهى . وسيأتى إن شاء الله تعالى في أواخر
 العنكبوت^{١٠} ما ينفع ههنا وأشار سبحانه في تهديدهم^{١١} بقوله « فاتقوا النار »^{١٢}
 « كذا قال الخرائي، وهي^{١٣} جوهر لطيف يفرط لشدة لطافته في تفريط

(١) في ظ : ينفر .

(٢) في م : احوال - كذا .

(٣-٤) كذا في ظ ، وفي الأصل وم : بهاى ، وزيد بعده في م : بذلك .

(٤) في ظ : تفصيله .

(٥) في ظ : قدمته - كذا .

(٦) بهامش ظ : علما - وكتب عليه « صح » .

(٧) في ظ : لكل ، ولا يتضح في الأصل .

(٨) ليس في ظ .

(٩) زيد في ظ : و .

(١٠) في ظ : تصديهم .

(١١) زيد في م ومدة « إيجازا وتهويلا كما مر العناد لا غنائه به (ليس في مد)

عن أن يقال فاتركوا عنادكم لئلا تعذبوا بالنار التي صفتها .

(١٢-١٣) في ظ : وهي كما قال الخرائي . وقال أبو حيان : « فاتقوا النار »

جواب للشرط وكنى به عن ترك العناد لأن من عاند بعد وضوح الحق له

لاستوجب العقاب بالنار، واتقاء النار من نتائج ترك العناد ومن لوازمه - انتهى

المتجمد بالحر المفرط وفي تجميد المتمتع بالبرد المفرط . وقال غيره :
 جسم لطيف مضى حار من شأنه الإحراق ، التي وقودها ، أى الشيء الذى
 يتوقد^٢ ويتأجج^٣ به ، الناس والحجارة ، التى هى أعم من أصنامهم
 التى قنوا بها أنفسهم فى الدنيا إلى أنهم لم يقدرُوا على المعارضة واستمروا
 على التكذيب ، كانوا معاندين ومن عاند استحق النار ، و^٤ إلى أنهم إذا
 أحرقوا فيها أوقد عليهم بأصنامهم تعريضا^٥ بأنها وإن كانت فى الدنيا
 لا ضرر فيها ولا نفع باعتبار ذواتها فهى فى الآخرة ضرر لهم بلا نفع
 بشفاعة ولا غيرها ؛^٦ وتعريف النار و صلة الموصول لأن أخبار القرآن
 بعد^٧ ثبوت أنه من عند الله معلومة مقطوع بها فهو من باب تنزيل الجاهل
 منزلة العالم تنبيها على أن ما جهله لم يحمله أحد .

١٠

(١) فى مد : تحريط .

(٢) فى ظ : التى .

(٣) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : توقد .

(٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : تتأجج .

(٥-٥) ليست فى مد و ظ ، وفى تفسير البيضاوى : والوقود بالفتح ما توقد به
 النار وبالضم المصدر ، « والحجارة » وهى جمع حجر والمراد بها الأصنام التى
 نحتوها و قنوا بها أنفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتهم والانتفاع بها واستدفاع
 المضار بمكانتهم ، ويدل عليه قوله تعالى « وما تعبدون من دون الله حصب جهنم »
 وعذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكافرون بما كانوا .

(٦) من ظ ، وفى الأصل و م ومد : تعريضا .

(٧) العبارة من هنا إلى « احدا » ليست فى ظ . وفى مد : لا يحمله - مكان : لم يحمله .

(٨) فى م : تعد - كذا .

وقال الحرالي : الحجارة ما تحبّر أى اشتد تصامم أجزائه من الماء والتراب ، « واتقوا ، أى توقفوا عن هذه التفرقة بين الله ورسوله حيث تدعون لربوبيته وترتابون فى رسوله ، فالنار معدة للعذاب بأشد التفريق لألطف الأجزاء الذى هو معنى الحرق لمن فرق وقطع ما يجب وصله ،
 ه أى لما فاتكم التقوى بداعى العلم فلا تفتكم التقوى بسائق ٢ الموجه^١ الخصوص المناسب عذابه لفعلكم ، فانها نار غذاؤها واشتعالها بالكون^٢ كله أنهاه^٣ تركيا وهم الناس الملائمون لما رجها^٤ بالنوس وأطرفه^٥ وأجمده وهى^٦ الحجارة فهى تسع ما بين ذلك من باب الاولى ، وفيه^٧

(١) من م ، وفى الأصل ومد : تضام - بالضاد المعجمة .

(٢) ليس فى ظ فقط .

(٣) فى م : لسائق .

(٤) بهامش ظ : أى الوجد السابق وهو النار .

(٥ - ٥) فى ظ : كلما نهاه .

(٦) فى ظ : لا رجح .

(٧) فى ظ : ادنى انكون كما .

(٨) كذا فى الأصل ، وفى م ومد و ظ : هو .

(٩) قال المهاشمى فى تفسيره « فاتقوا النار التى » هى أثر غضب الله ، « وقودها » أى ما تنقد بها ابتداء « الناس والحجارة » مع أنها سببا انطفاء نيران الدنيا ، فذلك من غاية شدة حرارتها ، ولا يترانى التعذيب بها عن موتكم لأنها « أعدت » أى هيئت « للكافرين » أى لتعذيبهم قبل خلقهم فضلا عن كفرهم ومعاصيهم ، لأنه غضب عليهم فى الأزل لخوفهم به - انتهى . وقال الشريينى الخطيب : وأيضا حجارة الكبريت أشد حرا وأكثر التهابا وتزيد على غيرها من الأحجار سرعة الإيقاد وتن الریح وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأمدان - انتهى . =

إشعار بُمُنتها وقوتها وأنها بحكم هذا الوسع للاتصاق^١ بخلق^٢ يعق
وليست كنار الدنيا التي غذاؤها من ضعيف الموالد وهو النبات ولا
تفعل^٣ في الطرفين إلا بواسطة و كان غذاؤها وقودها النبات إذ كانت
منقذة^٤ منه كما قال « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » ،
وتقول^٥ العرب : في كل شجر نار واستمجد المرخ^٦ والعفار^٧ ، وذلك على حكم
ما تحقق أن الغذاء للشيء مما منه أصل كونه وقال « وقودها ، لأن النار
أشد فعلها في وقودها لأن^٨ بتوسطه تفعل فيما سواه ، فإذا كان وقودها
محرقها كانت فيه أشد^٩ عملا لتقويها^{١٠} به عليه ، ويفهم اعتبارها بنار الدنيا

= و قال أبو البركات عبد الله النسي : ومعنى قوله تعالى « وقودها الناس
والحجارة » أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها تنقد بالناس والحجارة
وهي حجارة الكبريت فهي أشد توقدا وأبطأ نموذا وأتق رائحة وألصق
بالبدن ، أو الأصنام المعبودة فهي أشد تحسرا .

- (١) في م : لاتصاق .
- (٢) في ظ : تخلق .
- (٣) في م : لا يفعل .
- (٤) من ظ ، وفي الأصل م وم : منقذة - كذا .
- (٥) سورة ٣٦ آية ٨٠ .
- (٦) في م : يقول .
- (٧) من م وم مد و ظ ، وفي الأصل : المرح .
- (٨) من م وم مد ، وفي الأصل و ظ : العفار - بالقاف .
- (٩) كذا في النسخ كلها ، والظاهر : لأنها .
- (١٠ - ١٠) في ظ قط : تقومها .

اقتداحها^١ من أعمال المجزيين بها و من كونهم ، فهم منها مخلوقون و بها معتذون إلا أنها منطقية الظاهر في الدنيا متأججة في يوم الجزاء و مثال كل مجزى منها بمقدار ما في كونه من جوهرها .

قلت : و يؤيده « ان المبذرين كانوا اخوان الشيطين^٢ » ، أى في أن

٥. الغالب عليهم العنصر النارى المفسد لما قاله^٣ «الم ترانا ارسلنا الشيطين على الكافرين توزم اذا^٤ » ، قال : و في ذكر الحجارة إفهام عموم البعث و الجزاء لما حوته السماء و الأرض و أن كل شيء ليس الثقلين فقط يعمه القسم بين الجنة و النار كما عمه القسم بين الخيث و الطيب ؛ و إنما اقتصر في مبدإ عقيدة الإيمان على الإيمان ببعث الثقلين و جزائهم تيسيرا^٥ و استفتاحا ، ١٠. و ما سوى ذلك فمن زيادة الإيمان و تكامله كما قال « ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم^٦ » ، و من العلماء من وقف بايمانه على بعث الثقلين و جزائهما ، حتى أن منهم من ينكر جزاء ما سواهما و يتكلف تأويل مثل قوله عليه السلام : يقتص للشاة الجاء من الشاة القرناء - انتهى .

و لما تم ذلك و كان « الناس ، عاما للكافر و غيره كان كأنه قيل :

١٥ هذه النار لمن ؟ قليل^٧ و اعدت ، أى هيئت و أكلت قبل زمن استعمالها

(١) كذا في الأصل و م و مد ، و في ظ : ان قداحها - كذا .

(٢) سورة ١٧ آية ٢٧ .

(٣) في م : ناله .

(٤) سورة ١٩ آية ٨٣ .

(٥) في م و ظ : تيسرا .

(٦) سورة ٤٨ آية ٤ .

(٧) من م ، و في الأصل و مد و ظ : لقليل .

‘و تقاد’ للجهول لأن المشتكى^٢ إذا جهل فاعله كان أنكأ^١ ، للكافرين ، فبين أنها موجودة مهياة لهم^٣ ولكل من اتصف بوصفهم وهو ستر ما ظهر من آيات الله . قال الحرالي : وهي عدة الملك الديان لهم بمنزلة سيف الملك من ملوك الدنيا - انتهى . ولما ذكر ما^٤ لهم ترهيبا اتبعه ما للؤمنين ترغيبا فقال صارفا وجه الخطاب بالرحمة إلى نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم عاطفا ه على ما تقديره : فأنذرهم بذلك ، ولكنه طواه لأن السياق للاستعطاف^٥ « و بشر » ، البشرى قال الحرالي إظهار غيب^٦ المسرة بالقول « الذين آمنوا ، أى صدقوا الرسل ، وعملوا » قال الحرالي : من العمل وهو فعل بُنى على علم^٧ أرزعمه « الصلحت » من الأقوال والأفعال ، قال الحرالي : جمع صالحة ،

(١) العبارة من هنا إلى « أنكأ » ليست في ظ .

(٢) في م ومد : بيان .

(٣) في م ومد : المنكر .

(٤) من م ومد ، وفي الأصل : أنكا .

(٥) وفي البيضاوى : هيات لهم وجعات عدة (و العدة ما أعددت لحوادث

الدهر من المال و السلاح) وقوله « أعدت للكافرين » دل على أن النار مخاوة

معدة لهم الآن - انتهى .

(٦) لفظة « ما » زيدت من م ومد .

(٧) زيد في م ومد : على لسان نبي الرحمة .

(٨) في م : عيب - كذا بالعين المهملة .

(٩) في م : صمل .

و هو العمل المتحفظ به من مداخل الخلل فيه ، وإذا كانت الشرى لهؤلاء .
 فالؤمنون أحق بما فوق البشرى ، وإما يبشر من يكون على خطر ،
 والمؤمن مطمئن فكيف بما فوق ذلك من رتبة الإحسان إلى ما لا عين
 رأت ولا أذن سمعت ، وما لا يناله^١ علم نفس ولا خطر على قلب بشر .
 ولما ذكر المبشر اتبعه المبشر^٢ به فقال^٣ : « ان لهم جنّات ، أى متعددة ،
 قال الحرالى : لتعدد رتب أفعالهم التى يطابق الجزاء ترتبها وتعددها
 [كما - °] قال عليه الصلاة والسلام للثى^٤ سألت عن ابنها : إنها جنان وإن

(١) من م ومد ، وفى ظ : لهم ، والأصل مطموس .

(٢) فى م : يباله - كذا .

(٣) ليس فى ظ فقط .

(٤) قال النسفى : سنة الله فى كتابه أن يذكر الترغيب مع التهيب تنشيطا
 لا اكتساب ما يزلف و تنشيطا عن اقتراف ما يتنف ، فلما ذكر الكفار وأعمالهم
 وأوعدهم بالعقاب فقام بذكر المؤمنين وأعمالهم وتبشيرهم بقوله : « وبشر »
 الآية ، والبشارة الإخبار بما يظهر سرور المحبة ، والمأمور بقوله « وبشر »
 الرسول عليه السلام أو كل أحد ، وهذا أحسن لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه
 ونخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة - انتهى . والصالحة
 نحو الحسنة فى حريها مجرى الاسم ، والصلحات كل ما استقام من الأعمال بدليل
 العقل والكتاب والسنة - تفسير النسفى ج ١ ص ٢٧ .

(٥) ريد من م ومد ، وليس فى ظ ، ولا يتضح فى الأصل .

(٦) وهى أم حارثة ، بن سراقه اتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبى الله^١
 لا تحمدنى عن حارثة ؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم عرب - فان كان =

ابنك أصاب الفردوس الأعلى . وفي التعبير بلهم إشعار بأن ذلك الذي لهم ينبغي لحاقه بذواتهم ليحصل به من كمال أمرهم وصلاح حالهم نحو ما يحصل بكمال خلقهم وتسويتهم . والجنات ٣ مبتهجات للنفوس تجمع ملاذ جميع حواسها، تُجن المتصرف فيها أي تخفيه وتجن وراء نعيمها مزيدا دائما - انتهى .

ثم وصفها بأنها « تجري » قال الحرالي : من الجرى وهو إسراع

= في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ؛ قال : يا أم حارثة ! إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى - أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه ج ١ ص ٣٩٤ .
(١) في ظ : بانه .

(٢) وفي م : لحاقهم ، وفي ظ : لحاق .

(٣) في تفسير النسفي : الجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف ، والتركيب دائر على معنى الستر ، وسميت دار الثواب « جنة » لما فيها من الجنان ؛ ومعنى جمع الجنة وتكثيرها أن الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين ، لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان .

(٤) في م : تخفيه - كذا .

(٥) « تجري من تحتها الأنهار » المراد من تحت أشجارها كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار البخارية ؛ وأنهار الجنة تجري في غير أهدود ، وأزده البساتين ما كانت أشجارها مظلة والأنهار في خلالها مطردة ، والجري الاطراد ؛ والماء البخاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى ، ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الأنهار البخارية وقدمه على - أثر نعوتها - انتهى .

حركة الشيء ودوامها ، « من تحتها ، أى من تحت غرفها ، والتحت ما دون المستوى ، « الأنهر ، جمع نهر ، وهو المجرى الواسع للماء - انتهى .
 « فاستناد الجرى إليها مجاز ، « التعريف لما عهد السامع من الجنس » و يحتمل أن يكون المعنى أن أرضها منبع الأنهار ، فَتَحَّتْ كل شجرة و غرفة منبع نهر ، فهى لا تزال غضة يانعة متصلة الزهر والثمر لا كما يجلب إليه الماء وربما انقطع في وقت فاختل بعض أمره . قال الحرالى : وإذا تعرف حال العامل من وصف جزائه علم أن أعمالهم كانت مبنية على الإخلاص الذى هو حظ العاملين من التوليد الذى الماء آيته - انتهى .

فلما كانت الجنان معروفة بالثمار ساق وصفها بذلك مساق ما لا شك فيه بخلاف جرى الأنهار فقال : « كلما ، وهى كلمة تفهم تكرر الأمر فى عموم الأوقات « رزقوا منها من ثمرة ، أى ثمرة كانت رزقا » قالوا ، لكونه على صورة ما فى الدنيا « هذا ، أى الجنس لاستحكام الشبه » الذى رزقنا من قبل ، أى فى الدنيا ، ٣ ولما كان الرزق معلوما ولم يتعلق غرض « بمعرفة الآتى بالرزق » بنينا للجهول فقال تعالى عاطفا

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) فى م : وصف .

(٣) ليست العبارة من هنا إلى « كأنه واحد » فى ظ .

(٤) من م ، وفى الأصل ومد : الرازق - كذا .

(٥) ليس فى مد .

(٦) فى مد : لعره .

على ما تقديره لآنا خلقناه على شكل ما كان ليكونوا به أغبط ولمزته
أعرف وله أقبل وإليه أميل موحدا للضمير إشارة إلى أنه لاستحكام الشبه
كأنه واحد واتوا به ، أى 'جى' لهم 'بهذا الجنس المرزوق لهم في الدارين
في الجنة' من غير تطلب و تشوق و متشابهها ، في مطلق اللون و الجنس
ليظن أنه متشابه في الطعم ، فيصير فضله في ذلك بالذوق نعمة أخرى ٣ هـ
والتشابه المراد هنا اشتراك في ظاهر الصورة ، والإتيان بأداة التكرار يدل
على أن الشبه يزدد عظمة* في كل مرة فيزداد العجب و جعل الحرف

(١) زيد في م و مد : و .

(٢-٢) كذا في الأصل وم و مد ، ولكن ضرب عليه في م ، وفي ظ : به ،
وزيد بعدها في م و مد : وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره ، وزيد
بعدها في مد : الجنس المرزوق لهم في الدارين في الجنة .

(٣) وفي تفسير النسفي : كلما رزقوا من الجنة أى من أى ثمرة كانت من تفاحها
أو رمانها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك . والمعنى هذا مثل الذى رزقنا من قبل
وشبهه بدليل قوله « واتوا به متشابهها » كقولك : أبو يوسف أبو حنيفة - تريد
أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته ؛ وإنما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن
أجناسا آخر لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل ، ولأنه إذا
شاهد ما ساف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وتفاوتا بينا كان استعجابه
أكثر واستغرابه أوفر ، والمعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا
في نفسه .

(٤) ليست العبارة من هنا إلى « العجب » في ظ .

(٥) زيد بعده في مد : مرة .

(٦) زيدت في م : الجنس المرزوق لهم في الدارين في الجنة ، وإيس هذا موضعها .

هذا خاصا بثمار الجنة فقال: من قبل إعلام بأن أشخاص ثمر الجنة
وآحادها لا تميز لأنهما على أعلى صورتها لا تفاوت بأعلى وأدنى
ولا يتراخى زمان عودها ، فهي تتخلف لأن قطفها ولا تميز صور
المقطوف من الخالف حتى يظن القاطف أن المتخلف عين الأول ؛ فحال
ثمر الجنة كحال الماء الذي هو أصله ، وبسرعة الخلف من ثمر الجنة وأنه
متصل جرية الوجود قال عليه السلام في عنقود من ثمرها: لو أخذته
لأكلتم منه ما بقيت الدنيا . ويشعر ذلك عند اعتبار العمل به بأن نياتهم
في الأعمال صالحة ثابتة مرابطة حتى جرؤا بها هذا الاتصال وكال
الصورة في الرزق ، ومنه حديث مرفوع أخرجه الطبراني عن سهل بن
١٠ سعد: نية المؤمن خير من عمله . واتوا به متشابهة ، أظهر عذرهم في توهم

(١) من مد، وفي الأصل وم وظ : يميز .

(٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل : جزية .

(٣) هكذا في الأصل ، وفي م ومد : جزوا ، وفي ظ : خيروا .

(٤) في مد : الذوق .

(٥ - هـ) من هامش ظ ، وليست في م ومد ، وثبتت في الأصل بين السطرين

بعد « عمله » .

(٦) وقال المهاشمي في تفسيره المسمى تبصير الرحمن و تيسير المنان : « الانهر »

جمع نهر ، وهو المجرى الواسع مما أجروا من أنهار الحكمة إلى ألسنتهم ثم إلى

العالم و « كلما رزقوا منها » من تلك الجنات « من ثمرة رزقا » حقيقيا حيا

أو عقليا أو خياليا « قالوا هذا » جزاء « الذي رزقنا من قبل » من المقامات

والأحوال التي هي ثمرات الإيمان والأعمال « و » لا كانت لكل عمل ثمرات =

اتحاد الثمر وعرف بأمتهم من العنا ، لأنه لو تفاوت تبعه الكراهة للأدنى
وتكلف 'الانتقاء للأعلى' وذلك إنما هو لائق بكيد الدنيا لا بنعيم الجنة ،
وقد ذكر بعض العلماء أطراد هذا التشابه في ثمر الجنة وإن اختلفت
أصنافه ٣ ، ويضعفه ما يلزم منه كمال الدلالة في المعنى والصورة في نحو

= متشابهة يفضل بعضها بعضا « اتوا به متشابها » يشبه بعضه بعضا في الصورة مع
التفاوت في الازدات - انتهى كلامه . وفي التفسير المظهرى : « هذا » إشارة إلى
نوع ما رزقوا المستمر بتعاقب أفراد « من قبل » أى من قبل هذا يعنى في الدنيا
جعات متشابهة بثمار الدنيا كيلا يتنفر الطبع عن غير المألوف ويظهر المزية ، وقبل
الثمار في الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم والداعى لهم على تكرار هذا القول
كلما رزقوا تبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في الازدة والتشابه العظيم في
الصورة . « واتوا به » بالرزق « متشابها » يعنى ثمار الجنة كلها خيار لا رذالة فيها .
(١ - ١) في م : الانتقاء لأعلى ، وفي مد : الانتقاء الأعلى - كذا .

(٢) وفي التفسير المظهرى للقاضى محمد ثناء الله العثمانى المظهرى : روى البغوى
بسند عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهل الجنة
يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبرزون يلهمون
الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس ، طعامهم جشاء ورشحهم المسك - رواه مسلم ؛
والآية محمل آخر أن يكون المعنى هذا ثواب الذى رزقنا من قبل في الدنيا من
المعارف والأعمال ، نظيره في الوعيد « ذوقوا ما كنتم تعملون » روى الترمذى
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الجنة طيبة التربة ،
عذبة الماء ، وإنها قيعان ، وإن غراسها هذه - يعنى التسبيح والتحميد والتكبير .
قوله تعالى « واتوا به متشابها » أى مماثلا لمعارفهم وطاعاتهم في الشرف =

قوله تعالى «فيهما فاكهة ونخل ورمان» ، وما يجري مجراه - انتهى .
ولما ذكر المسكن الذي هو محل اللذة واتبعه المطعم المقصود
بالذات و' كانت لذة الدار لا تكمل إلا بأنس الجار ' لاسيما المستمتع
به ' قال «ولهم فيها» أي مع ذلك «ازواج» ، ولما كن على خلق واحد
ه لا نقص فيه أشار إليه بتوحيد الصفة ، وأكد ذلك بالتعبير بالتفصيل
إلما بأنه عمل فيه عمل ما يبالغ فيه بحيث لا مطمع في الزيادة فقال
«مطهرة» . قال الحرالي : «و الزوج ما لا يكمل المقصود من الشيء
إلا معه على نحو من الاشتراك والتعاون» ، والتطهير / تكرار إذهاب
مجتنب بعد مجتنب عن الشيء ؛ ولما ذكر تعالى الرزق المستثمر من أعمال
١٠ الذين آمنوا وصل به ذكر الأزواج المستثمرة^١ من حال نفوسهم من

/ ٤٦

= والمزية متفاوتا على حسب تفاوت أعمالهم . (٣) في ظ فقط : اضافته - كذا .

(١) سورة ٥٥ آية ٦٨ .

(٢-٣) ليست في ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى «نقال» ليست في ظ .

(٤) وفي التفسير المظهرى : الزوج يقال للذكر والأنثى ، وفي الأصل يقال لما له
قرين من جنسه كزوج الخلف .

(٥) وفي تفسير النسفى : «مطهرة» من مساوى الأخلاق ، لا طمحات
ولا مرحات ، أو مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة ، وما لا يختص بهن
من البول والغائط وسائر الأقدار والأدناس . ولم تجمع الصفة كالوصوف
لأنها لفتان فصيحتان ، ولم يقل : طاهرة ، لأن مطهرة أبلغ ، لأنها تكون
للتكثير ؛ وفيها إشعار بأن مطهرا طهرهن ، وما ذلك إلا الله عز وجل .

(٦) في م : المستمرة - كذا .

حسن أخلاقها وجمال صورتها الباطنة في الدنيا، وكانت المرأة زوج الرجل لما كان لا يستقل أمره في النسل والسكن إلا بها - انتهى .
ولما كان 'خوف الزوال أو الانتقال إلى أدنى منفضاً فلا' تروق^١ اللذة^٢ إلا مع الاستقرار^٣ وكان هذا الوصف عاما في جميع الجنان العلى وغيرها قال مقدما للجار إشارة إلى أنهم لا يكونون في جنة إلا وهذه صفتها وأن نعيمهم لا آخر له^٤، وهم فيها^٥، ولما أفاد تقديم الظرف تخصيص الكون بها وعدم الكون في غيرها و كان ذلك معنى الخلود و كان قد يطلق على الإقامة بلا نهاية وعلى طول الإقامة وإن كان له آخر صرح به بيانا بأن المراد ما لا آخر له وإلا لم يفد شيئا جديدا فقال «خلدون»^٦

(١-١) في ظ : ذلك الأمر لا . وفي م «جوف» مكان «خوف» و «و» مكان «او» و «ولا» مكان «فلا» .

(٢) في م : تذوق .

(٣) ليس في ظ .

(٤-٤) ليست في ظ .

(٥) العبارة من هنا إلى «جديدا فقال» ليست في ظ و م ، وقد ضرب عليها في الأصل ولكن السياق يقتضيها فأثبتناها .

(٦) قال البيضاوى : واعلم أنه لما كان معظم الذات الحسية مقصورا على الساكن والطعام والمناجح على ما دل عليه الاستقرار وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فإن كل نعم جليلة إذا قارنها خوف الزوال كانت منفضة غير صافية من شوائب الألم بشر المؤمنين بها ومثل ما أعد لهم في الآخرة بأبهى ما يستلذ به منها وأزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور .

والخلود طول الإقامة بالقرار، و سياق الامتان أغنى عن تقيده
بالتأيد و الدوام .

ولما ثبت بعجزهم عن المعارضة أن هذا الكلام كلامه سبحانه ثبت
أن ما فيه من الأمثال أقواله فهددهم في هذه السورة المدنية على العناد
و تلاه بالآية التي أخبر فيها بأن ثمار الدنيا وأزواجها وإن شابهت ما في
الجنة بالاسم و بعض الشكل فقد باينته بالطعوم و الطهارة و ما لا يعلمه
حق عليه إلا الله تعالى فاضمحلت نسبتها إليها، و كان في ختم الآية
بخلدون إشارة إلى أن الأمثال التي هي أحسن كلام الناس وإن شابهت
أمثاله سبحانه في الاسم و دوام الذكر فلا نسبة لها إليها لجهات لا تخفى^٢
١٠ على المنصف فلم يبق إلا طعنهم بأنها لكونها بالأشياء الحقيرة لا تليق
بكبريائه فين حسنها و وجوب الاعتداد بها و إنعام النظر فيها بالإشارة
بعدم الاستحياء من ضربها لكونها حقا إلى أن الأشياء كلها وإن عظمت
حقيرة بالنسبة إلى جلاله و عظمته و كماله، فلو ترك التمثيل بها لذلك
(١) و الخلد و الخلود في الأصل الثبات المديد دام أو لم يدم، و لذلك قيل للأناق
و الأحجار: خوالد، لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من
الآيات و السنن - انتهى . و قال على المهاتمي في تفسيره: « و هم فيها خلدون »
تغلبة الروحانية على أجسامهم و بقاء هيئات الإيمان و الأعمال على أرواحهم
و قلوبهم - انتهى كلامه .

(٢) في م: أغنى - كذا .

(٣) في ظ: لا يخفى ..

لانسد ذلك الباب الذى هو من أعجب العجائب^١ فقال تعالى على طريق ه
الاستنتاج^٢ من المقدمات المسلمات ٣ وأكد سبحانه دفعا لظن أنه يترك
لما لبسوا^٤ به الأمثال التى هى أكشف شئء للأشكال وأجلى فى^٥
جميع الأحوال^٦. وقال الحرالى: لما كانت الدعوة تحوج مع التوقف^٧ فيها

(١) وفى م: العجائب .

(٢) وفى م: الاستفتاح، وما فى الأصل هو الظاهر .

(٣) العبارة من هنا إلى « الأحوال » ليست فى ظ .

(٤) فى م ومد: لسوا - كذا . (ه) فى م: من .

(٦) قال البيضاوى وإجاد فى قوله: لما كانت الآيات السابقة متضمنة لأنواع
من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو أن يكون
على وفق المثل له من الجهة التى تعلق به التمثيل فى العظم والصغر والخسة والشرف
دون المثل فان التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب
عنه وإبرازه فى صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه،
فان المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم، لأن من طبعه ميل
الحس وحب المحاكاة، ولذلك شاعت الأمثال فى الكتب الإلهية وفشت
فى عبارات البلغاء وإشارات الحكماء، فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم
بالعظيم وإن كان الممثل أعظم من كل عظيم لاما قالت الجهمية من الكفار لمّا مثل الله تعالى
حال المناققين بحال المستوفدين وأصحاب الصيب وعبادة الأصنام فى الوهم
والضعف بيت العنكبوت، وأيضاً لما أرشدهم إلى ما يدل على أن المتحدى به
وحى منزل ورتب عليه وعيد عن كفره و وعد من آمن به بعد ظهور أمره
شرع فى جواب ما طعنوا به فيه فقال « ان الله لا يستحي » أى لا يترك ضرب
المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يمثل بها لحفارتها - انتهى كلامه .

(٧) فى ظ: التوقف .

و الآتي لها إلى تقريب اللهم بضرب الأمثال وكانت هذه الدعوة جامعة
الدعوات وصل بها هذه الآية الجامعة لإقامة الحجة في ضرب الأمثال
وأن ذلك من الحق سبحانه « والله لا يستحي من الحق » ، « وليختم »
ذكر ما تضمنه صدر السورة من الحروف التي أنزل عليها القرآن
هـ بسابعها الذي هو حرف المثل ، وبين تعالى أن مقدار الحكمة الشاهد
للمثل في البعوضة وفيما هو أظهر للحس و أخذ في العلم ، وإنما يجب
الالتفات للقدر لا للمقدار و لوقع المثل على مثله قل أو جل دفا أو علا
فتزده تعالى عما يحده الخلق عندما ينشأ من بواطنهم وهمهم أن يظهروا
أمرًا فيتوهمون فيه نقصا فيرجعهم ذلك عن إظهاره قولاً أو فعلاً -
١٠ انتهى . فقال " تعالى وإن الله ، أى المحيط بكل شيء ، جلالاً وعظمة

(١) سورة ٣٣ آية ٥٢ .

(٢) زيد في الأصل : « وليتضمن » ، ولم تكن الزيادة في م و مد وظ لحذفناها .

(٣) من ظ ، و في الأصل : ليتختم ، و في م و مد : لينختم .

(٤) زيد في م : الذى .

(٥) في ظ : للثل .

(٦) في م و مد وظ : احد ، وزيد في مد : بما - كذا .

(٧) في م : لوائح .

(٨) و في ظ : للثل .

(٩) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست في ظ .

(١٠) في م : امر .

(١١) قال على المأتمنى في تفسيره : ولما كان ذكر الدال على مزيد عنايته بنوع =

و كلاً لا يستحي، أى لا يفعل ما يفعله المستحي من ترك ما يستحي منه .
والحياة قال الحرالى انقباض النفس عن عادة انبساطها فى ظاهر
البدن لمواجهة ما تراه نقصا حيث يتعذر عليها الفرار بالبدن ، ان ، كلمة
مدلولها من أجريت عليه حقيقة باطن من ذاته و عليه يتصل بها ما يظهرها ،
وسيويه رحمه الله يراها اسما ، و عامة النحاة لانعجام معناها عليهم ه
يرونها حرفا ، يضرب ، من ضرب المثل وهو ٣ وقع المثل على الممثل ،

= الإنسان باصلاح معاشه ومعاده بارسال الرسل ، و ذكر النحل والنمل لبيان
عظيم عنايته بأحقر الأشياء حتى ألهم الأول طريق تحصيل العسل و اثنى شأن
سليمان عليه السلام ، و ذكر الذباب و العنكبوت لتحقيق الأصنام مرييا لهم حتى
كأنهم قالوا لو دل إعجازه على أنه كلام الله دل ذكرها على أنه ليس بكلامه ،
إذ لا يليق لعظمته رد الله عليهم بقوله « ان الله لا يستحي » - انتهى كلامه .

(١) قال أبو حيان الأندلسى : الحياة تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف
ما يعاب به و يذم ، و محله الوجه ، و منبعه من القلب ، و اشتقاقه من الحياة
و ضده القحة ، و الحياة والاستحياء والانخزال و الانقياع و الانقلاع متقاربة
المعنى فتتوب كل واحدة منها مناب الأخرى . و قال النسفى : ولا يجوز على
القديم التغير و خوف الذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه ، و يجوز
أن تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا : أما يستحيى رب محمد أن يضرب
مثلا بالذباب و العنكبوت بغايات على سبيل المقابلة و إطباق الجواب على
السؤال ؟ وهو فن من كلامهم بديع - انتهى .

(٢) قال اليبضاوى : و « ان » بصاتها مخفوض المحل عند التحليل باصمار من منصوب
بافضاء الفعل إليه بعد حذفها عند سيوييه .

(٣) و ضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم ، و أصله وقع شئ على آخر .

لأن أصل 'الضرب وقع شيء على شيء'، والمعنى أن يوجد الضرب متجددا^١ مستمرا وهذا لا يساويه أن يقال من ضربه ٣ مثلا، فانه يصدق لمثل واحد سابق أو لاحق، وتحقيقه أن المصدر لا يقع^٢ إلا على كمال الحقيقة من غير نظر إلى زمان^٣ ولا غيره وأما بفعل^٤ فانه يفهم إيقاع الحقيقة من غير نظر أيضا إلى زمان، وبفهمها مع^٥ النظر إلى الزمان مع التجدد^٦ والاستمرار ومع كمال الحقيقة وقبل كمالها عند الشروع فيها وإلى هذا القيد الأخير ينظر قول الحرالي: إن الحياء من أن يضرب المثل استحياء من وقعة في الباطن، والحياء من ضربه المثل استحياء من إظهاره بالقول، فنفى الأصل الأبلغ^٧ الذي بنفبه^٨ يكون نفى الضرب أحق، فليراجع هذا المعنى مع تكرار كلمة ١٠. «ان» فانها كثيرة الدور^٩ / في القرآن جليلة قدر المعنى في مواقعها، وإنما يجري ٤٧ /

(١) في مد: امثل .

(٢) وفي م: متجرد .

(٣) في م: ضرب .

(٤) وفي م: لا يؤثر .

(٥) وفي م: إلى برهان إلى برهان - كذا .

(٦) في ظ: يفعل .

(٧) وفي م: منه .

(٨) في م: التجدر .

(٩) في م: كلا بلغ - كذا .

(١٠) في م: ينبغي .

(١١) وفي م: القدر .

على ترك الالتفات إلى موقع معناها ما يقوله النحاة في معنى التقريب إن أن
والفعل في معنى المصدر، والواجب في الإعراب والبيان الإنصاح عن
ترتب معانيهما، وعند هذا يجب أن تكون^١ أن اسما والفعل صلتها نحو^٢
من وما^٣ مثلاما، مثل أمر ظاهر للحس ونحوه، يعتبر به أمر خفي
يطابقه فيفهم معناه باعتباره وما^٤ في نحو هذا الموقع لمعنى الاستغراق،^٥
فهى هنا لشمول الأدنى والأعلى من الأمثال - انتهى . ثم بين ذلك
بقوله «بعضة» .

وقال الحرالي : ولما كان ضرب المثل متعلقا بمثل ومثل كان الضرب
واقعا عليهما، فكان لذلك متعديا إلى مفعولين : مثلاما وبعضة، والبعض^٦
جنس معروف من أدنى الحيوان الطائر مقدارا وفيه استقلال وتام
خلقة^٧، يشعر به معنى البعض الذى منه لفظه، لأن البعض يوجد^٨ فيه

(١) في م : مى .

(٢) في مد : يكون .

(٣) في مد : مثل .

(٤) قال البيضاوى : « ما » إبهامية تزيد للنكرة إبهاما وشياعا وتسد عنها طرق

التقييد، واستفهامية هى البتداء، كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الأمثال قال

بعده : ما البعضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل ؟

(٥) وفي م : البعضة .

(٦) وفي ظ : خلقته .

(٧) في مد و ظ : توجد .

جميع أجزاء الكل فهو بذلك كل ، «فما فوقها» أى من 'معنى يكون أظهر منها، والفاء تدل على ارتباط ما إما تعقيب و اتصال أو تسيب ، فيه هنا إعلام بأقرب ما يليه على الاتصال والتدرج إلى أنهى ما يكون - انتهى . و المعنى أن ذلك إن اعتبر بالنسبة إليه سبحانه كان هو ه و أنتم و غيركم بمنزلة واحدة في الحقارة ، و إن اعتبر بالنسبة إليكم كان الفريقان بمنزلة واحدة في أنه خلق حقير ضعيف صغير من تراب ، و أما شرف بعضه على بعض فأنما كان بتشريف الله له و لو شاء لعكس الحال .

ثم ذكر شأن ' قسمي المؤمنين و الكافرين بقسمي كل منهم في ١٠ قبول أمثاله فقال ٣ مؤكدا بالتقسيم لأن حال كل من القسمين حال المنكر لما وقع للآخر : « فاما » ، قال الحرالي : كأنها مركبة من « ان »

(١) في البيضاوى : ومعناه ما زاد عليها في الجنة كالذباب و العنكبوت ، كأنه قصد به رد ما استنكروه ، والمعنى أنه لا يستحيى ضرب المثل بالعوض فضلا عما هو أكبر منه أو في المعنى الذى جعلت فيه مثلا و هو الصغر و الحقارة بكناحتها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ؛ أو ما زاد عليها في القلة كتنحية النمل لقوله عليه السلام : ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطايا حتى نجة النملة - انتهى .

(٢) ليس في ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى « الآخر » ليست في ظ و مد .

(٤) في مد : الآخر - كذا .

(٥) في تفسير النسفى : و « اما » حرف فيه معنى الشرط و لذا يجاب ' بالفاء ، =

دالة على باطن ذات و د ما ، دالة على ظاهر مبهم ، يؤتى به للتقسيم -
 انتهى . « الذين آمنوا ، أى بما ذكرنا أول السورة ، » ولما تضمن أما
 معنى الشرط كما فسر سيويه بمهما يكن من شيء أجيب بالفاء فى قوله
 « فيعملون » انه ، أى ضرب المثل « الحق ، كائنات » من ربهم ، أى المحسن
 إليهم بجميع أنواع الإحسان ، و أنه ما أراد بهم إلا تربيتهم بالإحسان ه
 بضربه على عوائد فضله ، و أما أمثال غيره فان لم يكن فيها نوع من
 الباطل فلا بد فيها من ضرب من التسميح تكون به غير جديرة باسم
 الحق و لا عريقة فيه .

قال الحرالى : لما كان الذين آمنوا بمن بادر فأجاب و كان ضرب
 المثل تأكيد دعوة و موعظة لمن حصل منه توقف حصل للذين آمنوا ١٠
 استبصار بنور الإيمان فى ضرب المثل ، فصاروا عالمين بموقع الحق فيه ،
 و كما استبصر فيه الذين آمنوا استغلق معناه على الذين كفروا و جهلوه
 = و قائده فى الكلام أن يعطيه فضل تأكيد ، و اذا قال سيويه فى تفسيره :
 مهما يكن من شيء فزيد ذاهب ، و هذا التفسير يفيد كونه تأكيدا و أنه فى معنى
 الشرط ؛ و فى إيراد الجملتين مصدرتين به إجماد عظيم لأمر المؤمنين و اعتداد
 ببلغ بعلمهم أنه الحق و نعى على الكافرين إغفالهم حظهم و رميهم بالكلمة الخلقاء .
 (١) العبارة من هنا إلى « قوله » ليست فى ظ و مد .

(٢) زيد فى م و مد : علما ناعما .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) زيد فى م و مد : فيقولون إذعانا و تسليما « امنا به كل من عند ربنا » .

(٥) فى م : جهلوا ، و فى مد : جهلوا عنه .

فاستفهموا عنه استفهام إنكار لموقعه - انتهى . فلذا^١ قال « واما الذين كفروا ، أى المجاهرون منهم و المساترون^٢ » فيقولون ،^٣ أى قولا مستمرا^٤ « ما ذا^٥ ، أى الذى^٦ » اراد الله ، الذى هو أجل جليل « بهذا ، الحقير^٧ أى بضربه له^٨ » مثلا ،^٩ أى على جهة المثلية استهزاء و جهلا^{١٠} و عنادا^{١١} و جفاء^{١٢} ؛ ثم وصل بذلك ذكر ثمرته عند الفريقين جوابا لسؤال من سأل

(١) فى م : فكذا . (٢) زيد فى م و مد : فيجهلون ذلك .

(٣ - ٤) ليست فى ظ ، و زيد بعدها فى مد : اعتراضا و استهزاء .

(٥) قال على المهاشمي « فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق » أى الثابت الذى لا يمكن تبديله ، إذ لا يمكن بيان خسة الشئ بتمثيله بأعظم الأشياء « من ربهم » أى الذى رباهم بما بين لهم من مراتب الأشياء ليضعوا كل شئ موضعه ، « واما الذين كفروا فيقولون » مع علمهم بحقيقته « ما ذا اراد الله » مع غاية عظمت « بهذا » أى يجعل هذا الحقير مثلا مع أنه لا يناسب عظمته - انتهى كلامه .

(٥ - ٥) ليس فى ظ .

(٦ - ٦) ليست فى ظ .

(٧) قال أبو البركات النسي : و سياق الآية لبيان أن ما استنكره الجهمية من الكفار و استغريبه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار و الاستغراب ، لأن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى و إدناء التوهم من المشاهد ، و لبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف و النظر فى الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أنه لحق و أن الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم كبروا و عاندوا و قضاوا عليه بالبطلان و قابلوه بالإنكار ، و أن ذلك سبب هدى للمؤمنين و ضلال للفاسقين .

(٨) زيد فى مد : فالآية من الاحتباك . ذكر أولا العلم دليلا على حذف ضده ثانيا ، و ثانيا الاعتراض دليلا على حذف ضده أولا .

منهم فقال « يضل به كثيرا » أى منهم بأن لا يفهمهم المراد منه فيظنون بذلك الظنون . وقال الحرالى : و كان إضللا لهم ، لأن فى ضرب المثل بما يسبق لهم استزراؤه بنحو الذباب والعنكبوت الذى استزروا ضرب المثل به تطريق لهم إلى الجهالة فكان ذلك إضللا ، وقدم الجواب بالإضلال لأنه مستحق المستفهم ، والإضلال التطريق للخروج ٥ عن الطريق الجادة المنجية ٢ - انتهى .

« و يهدى به كثيرا » أى بركة اعتقادهم الخير و تسليمهم له الأمر يهديهم ربهم بإيمانهم فيفهمهم المراد منه و يشرح صدورهم لما فيه من المعارف فيزيدهم به إيمانا وطمأنينة وإيقانا ٢ ، و المهديون ٥ كثير فى الواقع قليل بالنسبة إلى الضالين . ولما كان المقام للترهيب كما مضى فى قوله ١٠ « فاتقوا النار » اكتفى فى المهتدين بما سبق من بشارتهم و قال فى ذم القسم الآخر وتحذيره : « و ما يضل به الا » ، قال الحرالى : كأنها مركبة

(١) فى ظ : و كان .

(٢) فى ظ : البخارة - كذا .

(٣) فى م : المنجية .

(٤) العبارة من هنا إلى « الضالين » ليست فى ظ .

(٥) وفى تفسير النفسى : وأهل الهدى كثير فى أنفسهم وإنما يوصفون بالقلّة بالقياس إلى أهل الضلال ، ولأن القليل من المهتدين كثير فى الحقيقة وإن قلوا فى الصورة :

إن الكرام كثير فى البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا

(٦) وفى م : سيق .

من « إن ، و ، لا ، مدلولها نفي حقيقة ذات عن حكم ما قبلها - انتهى .
 « الفسقين ، أى الخارجين » عن العدل و الخير . وقال الحرالى : الذين
 خرجوا عن إحاطة الاستبصار و جهات تلقى الفطرة والعهد الموثق
 و حسن الرعاية ، لأن الفسق خروج عن محيط كالكلام للثمرة و الحجر
 . للفأرة - انتهى .

ثم بينهم بقوله « الذين ينقضون » من النقض^٢ و هو حل أجزاء الشيء .
 بعضها عن بعض « عهد الله » أى الذى أخذهم عليه على ماله من العظمة
 بما ركز فيهم من العقول و نصب لهم من الدلائل و العهد التقدم فى
 الأمر - قاله الحرالى .

(١) وقال البيضاوى : أى خارجين عن حد الإيمان كقوله تعالى « ان المنفقين
 هم الفسقون » من قولهم : فسقت الرطبة عن ثمرها - إذا خرجت ، وأصل
 الفسق الخروج عن القصد .
 (٢) فى ظ : الحجر .

(٣) النقض فسخ التركيب ، وأصله فى طاقات الحبل ، و استعماله فى إبطال
 العهد من حيث أن العهد يستعار له الحبل ، لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر
 والعهد الموثق و وضعه لما من شأنه أن يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ؛ وهذا
 العهد إما العهد المأخوذ بالعقل و هو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيد
 وجوب وجوده و صدق رسوله و عليه نزل قوله تعالى « واشهدهم على
 انفسهم » أو المأخوذ بالرسول على الأمم بأنهم إذا بعث إليهم رسول مصدق
 بالمعجزات صدقوه و اتبعوه ولم يكتموا أمره ولم يخالفوا حكمه .
 (٤) ليس فى ظ ..

'ولما كان المراد عهدا خاصا وهو إرسال الرسل عليهم السلام أثبت الخبر فقال د من بعد ميثاقه ٣، أى بدلالة الكتب على السنة الرسل مع تقريره من الفطر وتسهيله / للنظر، والوثاق شدة الربط / ٤٨ وقوة ما به يربط - قاله الحرالي . ويقطعون ما امر الله ، أى الملك الأعظم ، ولما كان اليان بعد الإجمال أروع للنفس قال د به ، ثم فسرهُ بقوله ه
 د ان يوصل * أى من الخيرات ، قال الحرالي : والقطع الإبادة فى الشيء الواحد والوصل مصيرا لتكلمة مع المكمل شيئا واحدا كالذى يشاهد فى إيصال الماء ونحوه وهو إعلام بأنهم يقطعون متصل الفطرة ونحوها فيسقطون عن مستواها وقد أمر الله أن يوصل * بمزيد علم يتصل بها حتى يصل نشؤها إلى آتم ما تنتهى إليه ، وكذلك حالهم فى كل أمر ١٠

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٢) فى م ومد : الجار .

(٣) قال البيضاوى : الميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهى الاستحكام ، والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب وما وثقوه به من الالتزام والقبول .

(٤) فى م : فسر .

(٥) يحتتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والإعراض عن موالاة المؤمنين والفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير وتعاطى شرفاته يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصود بالذات من كل وصل وفصل - انتهى .

(٦) فى ظ : النفى - كذا .

(٧) من ظ ، وفى الأصل وم ومد : توصل .

يجب أن يوصل فيأتون فيما يطلب فيه الأمر الأكل بضده الانقاص - انتهى . « ويفسدون » ؛ « ولما قصر الفعل ليكون أعم قال « في الأرض ، أى بالنكوب ٣ عن طريق الحق . قال الحرالي ٤ : « ولما كانت الأرض موضوعة للنشئ منها وفيها وموضع ظهور عامة الصور الراية ٥ اللازمة الجسمية ومحل تنشؤ صورة النفس بالأعمال ٦ والأخلاق وكان الإفساد نقض الصور كما قال تعالى « وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » ٧ ، كان ٨ فعلهم فيها من نحو

(١) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : تطلب .

(٢) العبارة من هنا إلى « قال » ليست في ظ .

(٣) بهامش الأصل : أى الاعراض .

(٤) قال على المهائمي في البحر المحيط « وقال الزمخشري : الإفساد في الأرض تهيج الحروب والفتن ، قال : لأن في ذلك فسادا في الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية ، قال تعالى « ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل » « تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » والأرض متى كثرت معاصي أهلها وتواترت قلت خيراتها وزعت بركاتها ومنع عنها الغيث الذي هو سبب الحياة ، فكان فعلهم الموصوف أقوى الأسباب لفساد الأرض وخرابها . وقال : وليس ذكر الأرض لمجرد التوكيد بل في ذلك تنبيه على أن هذا المحل الذي فيه نشاطكم وتصرفكم ومنه مادة حياتكم وهو سكرة أمواتكم .

(٥) فوّه في ظ : أى النامية . (٦) في ظ : بأعمال .

(٧) سورة ٢ آية ٢٠٥ .

(٨) بهامش ظ : جواب لما كانه ولما عطف عليها امر لا بدوّه - كذا .

فعلهم في وضع الضد السبقي موضع ضده الأكل و التقصير بما شأنه
التكلم فكان إفسادا لذلك - انتهى .

ولما كان كأنه قيل : إن فعل هؤلاء لقيح جدا فما حالهم ؟ قال
« أولئك » أى الأباعد من الصواب « هم الخسرون » أى الذين
قصروا^١ الخسران عليهم ، والخسارة النقص فيما شأنه النماء - قاله الحرالي ، هـ
ومن المعلوم أن هذا نتيجة ما مضى من أوصافهم . قال الحرالي : ولما كان
الخاسر من كان عنده رأس مال مهياً للنماء والزيادة فنقصه عن سوء
تدبير ، و كان أمرهم في الأحوال الثلاث المنسوقة^٢ حال من نقص ما شأنه

(١) قال النسفي : « الخسرون » أى المغبونون حيث استبدلوا النقص بالوفاء
والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب . وقال البيضاوى :
الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الأبدية
واستبدال الإنكار والظن في الآيات بالإيمان بها والنظر في حقائقها والاعتباس
من أنوارها واشترء النقص بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب .
قال أبوحيان : « أولئك » أى أولئك الجامعون لتلك الأوصاف الذميمة من النقص
والقطع والإفساد « هم الخسرون » وفسر « الخسرون » بالناقصين حظوظهم
وشرفهم وباهالكين . قال القفال : الخاسر اسم عام يقع على كل من عمل عملا
يجزى عليه .

(٢) من م و ظ ، وفي الأصل و مد : قصر .

(٣) في الأصل : المنشوة - بالشين المعجمة ، وفي م : منسوة ، وفي مد :
المنسوة ؛ ولا يتضح في ظ .

النماء كانوا بذلك خاسرين فلذلك انحتمت الآية بهذا ، وأشير إليهم بأداة
البعد لوضعهم في أبعد المواضع عن محل الخير - انتهى .

ولما دعا سبحانه إلى التوحيد ودل عليه وأنذر من أعرض وبشر من
أقبل وذكر حال الفريقين في قبول الأدلة التي زبدتها الأمثال وإياتها
التفت إلى تبكيك المدر لعله يستبصر ، واستمر سبحانه في دلائل التوحيد
حتى قامت قيام الأعلام ونفذت نفوذ السهام حتى تخللت صميم العظام لقد
ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكفه لا يبصر^٢ القمر في أسلوب مشيراً
إلى البعث منه على التخلص من الحسارة ، وما أبدع افتتاح ذلك عقب
« الحزين » بقوله على طريق التفات المغضب المستعطف المعجب^١ « كيف^٣ »

(١) في ظ : تربيتها .

(٢) في م : لا تبصر ، وفي ظ : لا يعرف ؛ وبهامش الأصل : معرّف - كذا .

(٣) قال المصنف : ثم أشار إلى أن الكفر بكتاب الله ليانه حقارة ما دونه بطريق
التمثيل بأحقر الأشياء لئلا يبعدوا عظمتة عنايته بأحقر ما للحث على عبادته كفر بالله
لا استدعائه عبادة الغير دون عبادته على أن فيه تكذيب الله و تكذيب ما بين من
كمال معرفته فأنكر الحالة التي يكون عليها الكفر ليكون إنكاراً له بطريق برهاني .
وفي البحر المحيط : قال الزمخشري و تحريره أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم
حال يوجد عليها و قد علم أن كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده
و محال أن يوجد تغير صفة من الصفات كان إنكاراً لوجوده على الطريق البرهاني
انتهى كلامه . قال البيضاوي : استخبار فيه إنكار و تعجيب لكفرهم بإنكار
حال التي يقع الكفر عليها على الطريق البرهاني لأن صدوره لا ينفك عن حال
وصفة فإذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك إنكار وجوده
فهو أبلغ و أقوى في إنكار الكفر من التكفرون و أوثق لا بعده و المعنى
أخبروني على أي حال تكفرون - انتهى .

وقال الحرالي : لما تقدمت الدعوة للناس فأجاب مبادر و توقف متوقف
 فضربت الأمثال فاستدرك وآمن^١ وتمادى متماد على كفره صرف وجه
 الخطاب عن المواجهة من الحق تعالى وأجرى على لسان لؤم وإنكار،
 فجاء هذا الاستفهام لإيضاح انقطاع العذر في التمادى على الكفر، وجاء
 بلفظ كيف لقصور نظرم على الكيفيات المحسوسة^٢ فان كيف كلمة هـ
 مدلولها استفهام عن عموم الاحوال التى شأنها أن تدرك بالحواس، فكأنه
 يقال لهم بمدرك^٣ : أى حاسة تماديتم على الكفر بالله ؟ على ما تقتضيه
 صيغة الفعل الدائم فى « تكفرون » انتهى . وقال « بالله » أى مع ظهور
 عظمته و علوه^٤ ، والإنكار الموجب لنفى المنكر^٥ ، كما فى قولك : أتطير
 بغير جناح ، يفيد أنه كان ينبغى أن يكون الكفر فى حيز الممتع لما ١٠
 على بطلانه وصحة التوحيد من الأدلة التى تقوت الحصر، وإنكار حاله
 إنكار لوجوده على طريق البرهان ، لأنه إذا امتنع أن يوجد فى حال
 (١) من مد ، وفى الأصل : آمن - كذا ، وفى م و ظ : آمن .
 (٢) فى م : المحسوسات .
 (٣) كتب فوقه فى الأصل : أى ادراك .
 (٤) العبارة من هنا إلى « مطلقا » ليست فى ظ .
 (٥) وفى تفسير النسفى : كيف « تكفرون » معنى الهمزة التى فى كيف مثله
 فى قولك : اتكفرون بالله ، ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان
 وهو الإنكار والتعجب ، ونظيره قولك : أتطير بغير جناح ؟ وكيف تطير بغير
 جناح ؟ والواو فى « وكنتم امواتا » نطفا فى أصلاب آبائكم للحال و « قد »
 مضمرة . وقال البيضاوى : « كنتم امواتا » أى أجساما لا حياة لها عناصر وأغذية
 وأخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة - انتهى .

من الأحوال امتنع وجوده مطلقا .

قال الحرالي : واعلى هذا الخطاب فأبدوا عن تيسيره بذكر اسم الله ،
لما لم يكونوا من أهل قبول التنزل بدعوى اسم الربوبية حيث لم يكونوا
من أجاب مبادرا ولا تاليا حسبا تشعر به آية تحقيق ضرب الأمثال . ولما
جـرى هذا الخطاب بذكر اسم الله أعقب بذكر الأفعال الإلهية التي هي
غايات من الموت والإحياء المعروف للذين لا ينكر الكفار أمرهما -
اتمى . « وكنتم ، أى والحال 'أنكم تعلمون' أنكم كنتم «امواتا»
بل مواتا ترايا ٣ ثم نطقا . قال الحرالي : من الموت وهو حال خفاء
وغيب يضاف إلى ظاهر عالم يتأخر عنه أو يتقدمه تفقد فيه خواص
١٠ ذلك الظهور الظاهرة - اتمى . وإطلاق الموت على ما لم تحله حياة مجاز ،
وسر التعبير به التنبيه على أنه أكثر ما تكون الإعادة ٢ التي ينكرونها
مثل الابتداء ، فلا وجه أصلا لإنكارها مع الاعتراف بالابتداء ، فكيف
والإعادة دونه « فاحياكم » فصرتم ذوى حس وبطش وعقل ٧ . قال

(١) ليس في م و ظ .

(٢-٢) ليست في ظ .

(٣) ليس في ظ .

(٤) في م و ظ : يكون .

(٥) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : ينكروها .

(٦) ليس في م .

(٧) قال البيضاوى : بخلق الأرواح ونفخها فيكم ، وإنما عطف بالقاء لأنه متصل
بما عطف عليه غير مترسخ عنه بخلاف البواق . وقال الهائمي : « و » قد عظمت عنايته
بكم إذ « كنتم امواتا » أى أجساما لا حياة فيها عناصر أو أغذية أو نطقا أو مضغنا =

- الحرالى: وجاء بالقاء المشعرة / بالتحقيب لما لم يكن لهم معرفة بمهل الموت^١ الذى قبل حياة الولادة، والحياة تكامل فى ذات ما أدناه حياة النبات بالنمو والاهتزاز مع انفراسه إلى حياة ما يدب بحركته وحسه إلى غاية حياة الإنسان فى تصرفه وتصريفه إلى ما وراء ذلك من التكامل - انتهى^٢.
- ثم يميتكم، بعد مد الأعمار والتقلب فى الأطوار فإذا أتم أجساد كالقنار^٥ كأنه لم تحل بها حياة ساعة قط، وبدلتكم بعد الانس بكم الوحشة، وإثر حبة القرب منكم النفرة؛ وتمثيل الموت بما نعهده أن طلب الملك كما أنه يحصل به من الروح ما يكاد يتلف وربما أتلف كان طلب ملك الملوك موجبا للموت. قال الحرالى^٢: وهذه الاحوال الثلاثة أى الموت المعبر به عن
- العدم ثم الحياة ثم الموت معروفة لهم لا يمكنهم إنكارها، وإذا صبح منهم ١٠ الإقرار بحياة موت لزمهم الإقرار بحياة موت آخر لوجوب الحكم بصحة وجود ما قد سبق مثله، كما قال تعالى: «أوليس الذى خلق السموات والارض = ثم أمواتا بالجهل» فأحياكم «بنفخ الأرواح فيكم وإزال الكتب عليكم» ثم يميتكم «بإذهاب صفات نفوسكم بمقتضى الكتاب وبالموت الطبيعى لا لإعدامكم بل لينقلكم إلى دار أكل من داركم - انتهى.
- (١) ليس فى ظ.
- (٢) ليس فى م.
- (٣) قال البيضاوى: فان قيل إن علموا أنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنهم يميتهم ثم إليه يرجعون، قلت: تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة عليهم فى إزاحة العذر سيما وفى الآية تنبيه على ما يدل على صحتها وهو أنه تعالى لا قدر أن أحياهم أولا قدر أن يميتهم ثانيا، فان بدء الخلق ليس بأهون عليه من إعادته - انتهى.

يُقدر على ان يخلق مثلهم' ، وَلَئِنْ ذَلِكَ مِنْ الْعِلْمِ أَنَّ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ
مزدوجان متضايضان ، وإذا استوفى الموت الأول إحياءه فلا بد من
استيفاء الموت الثانى إحياءه أيضا ، لأنه لو لا استقبال الحياة لما كان موتا
بل بُطلا وفقدا واضمحلالا ٣ ، لأن حقيقة الموت حال غيب بين يديه
ه ظهور ، والحياة نهاية ثابتة ، والموت مبدأ غيب زائل ، فجنس الموت
كله متقضى ونهاية ، والحياة ثابتة دائمة ؛ ولذلك ورد ما صح عنه عليه
الصلاة والسلام فى أن الموت يُذبح ، إعلام بانقضاء جنسه و ثبات الحياة ،
ولذلك قدم فى الذكر وأعقب بالحياة حيث استغرقتهما كلمة «ال» فى

(١) سورة ٢٦ آية ٨١ .

(٢) وقال الشريينى الخطيب فى السراج المنير : والحياة حقيقة فى القوة الحاسة وما
يقتضيها وبها سُمى الحيوان حيوانا ، مجاز فى القوة النامية لأنها من طلائعها
ومقدماتها ، وفيما يخص الإنسان من الفضائل كالعلم والعقل والإيمان من حيث
أنها كلها وغايتها ، والموت بازائها يقال على ما يقابلها فى كل مرتبة ؛ مثال ما
يقابل الحقيقة قوله تعالى « قل الله يحييكم ثم يميتكم » ومثال ما يقابل المجاز قوله
تعالى « اعلموا ان الله يحيى الأرض بعد موتها » وقوله تعالى « او من كان ميتا
فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس » .

(٣) قال البيضاوى : فان قيل : كيف يعد الإمامة من النعم المقتضية للشكر ؟
قلت : لما كانت وصلة إلى الحياة الثانية التى هى الحياة الحقيقية كما قال تعالى « وان
الدار الآخرة لهى الحيوان » كانت من النعم العظيمة مع أن العدود عليهم نعمة
هو المعنى المنتزع من القصة بأسرها كما أن الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من
الجلل ، فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح أن يقع حالا - انتهى -
(٤) من ظ ، وفى الأصل وم ومد : استغرقتها - بالضمير المفرد المؤنث .

قوله « خلق الموت والحياة »، وثبت الخطاب على إقرار الحياة والكمال، كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في قوله: نعم الجنة لا آخر له، فوجب بظاهر ما أحسه الكفار وباطن ما اقتضاه هذا النحو من العلم بدوره انتشار حياة ثانية^٣ بعد ميتة الدنيا - انتهى .

ولما كان على البعث والحشر من الأدلة ما جعلها كالمحسوسين^٥ عدهما في حيز المعلوم لهم كالإحياء الأول والموت فقال: « ثم يحبسكم »، فينشركم بعد طيكم و يعيشكم بعد حبسكم في البرزخ، فتكونون كما كنتم أول مرة ذوى قدرة على الانتشار^٦ بتلك القدرة التي ابتدأكم بها وأماتكم،

(١) سورة ٦٧ آية ٢ .

(٢) وفي م : اثبت .

(٣) في مد و ظ : ثابتة .

(٤ - ٤) ليست في ظ .

(٥) قال على الهامشي: « ثم يحبسكم » بصفاته بمقتضى الكتاب وبالنشر ولا يكون كالإحياء الأول بالحجاب « ثم إليه ترجعون » بالبقاء به بعد الفناء بمقتضى الكتاب وفي الموت الطبيعي للجزاء الفارق بين الولي والعدو، ولا يترك ذلك لأنه قد خلق لكم جميع النعم فلا بد أن يسألكم عنها هل صرفتموها فيما خلقها من أجله أم لا - انتهى . وقال البيضاوي: « ثم يحبسكم » بالنشور يوم نفخ الصور أو للسؤال في القبور « ثم إليه ترجعون » بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم، أو تنشرون إليه من قبوركم للحساب، فما أعجب كفركم بعد علمكم بحالكم هذه - انتهى . قال الفتازاني: ولم لا يجوز أن يراد مطلق الإحياء بعد الإمامة على ما يعم الإحياء في القبور والنشور، ولا بعد فيه لشدة ارتباط الإحياءين واتصالها في الانقطاع عن أمر الدنيا - السراج المنير ص ٣٩ .

« وهذا لا ينبغي أن يكون لهم في البرزخ إحساس بدور هذه الهيئة الكاملة » ، « ثم إليه ترجعون » ، فيحشركم بعد طول الوقوف للجزاء من الثواب والعقاب ؛ وفي هذا كما قال الحرالي إعلام بأنهم إن لم يرجعوا إلى الله سبحانه بداعي العلم في الدنيا فبعد مهل من الإحياء الثاني يرجعون إليه قهراً حيث يشاهدون انقطاع أسبابهم بمن تعلقوا به ويتبرأ منهم ما عبدوه من دون الله ، وإنما جاء هذا المهل بعد البعث لما يبقى لهم من الطمع في شركائهم حيث يدعونهم فلم يستجيبوا لهم ، فينتد يضطرم انقطاع أسبابهم إلى الرجوع إلى الله فيرجعون قسراً وسوقاً فينتد يجزئهم بما كسبوا في دنياهم ، كما قال تعالى في خطاب يعم كافة أهل الجزاء : « واتقوا ١٠ يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ١١ » ، وهذا آخر خطاب الإقبال عليهم من دعوة الله لهم ولسان النكير عليهم ، ولذلك كانت آية « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله » آخر آية أنزلت في القرآن ، لأنها نهاية ليس وراءه قول يعم أهل الجزاء ؛ والرجع عود

(١ - ١) ليست في ظ .

(٢) العبارة من هنا إلى « كانت آية » ليست في ظ .

(٣) سورة ٢ آية ٢٨١ .

(٤) وفي البحر المحيط : والرجوع إلى الله تعالى حاصل عقب الحياة التي للبعث ، فدل ذلك على أن تلك الحياة المذكورة هي للساعة ، وقيل إن الهاء في قوله « إليه » عائدة على الإحياء المدلول بقوله « فاحياكم » (وشرح) هذا أنكم ترجعون بعد الحياة الثانية إلى الحال التي كنتم عليها في ابتداء الحياة الأولى من كونكم لا تملكون أنفسكم شيئاً .

الشيء عند انتهاء غايته إلى مبدئها - انتهى .

ولما أجمل سبحانه في أول هذه الآية أول أمرهم وأوسطه وآخره^١ على الوجه الذى تقدم أنه منه على أن الكفر ينبغى أن يكون من قبيل المتمتع^٢ لما عليه من باهر^٣ الأدلة شرع^٤ يفصله على وجه داع لهم إلى جنابه^٥ بالامتنان بأنواع الإحسان^٦ بأمر أعلى في إفادة المقصود مما قبله . على عادة القرآن في الترقى من العالى إلى الأعلى فساق^٧ سبحانه ابتداء الخلق الذى هو من أعظم الأدلة على وحدانيته مساق الإنعام على عباده بما فيه من منافعهم ليكون داعيا إلى توحيده من وجهين : كونه دالا

(١) ليس في م و ظ ، و كتب في الأصل فوق « في » ، وزيد بعد « في » في متن مد .

(٢) العبارة من هنا إلى « الأدلة » ليست في ظ .

(٣) في م : التمتع .

(٤) وفي م : تأثير .

(٥) في ظ : بشرع .

(٦) في ظ : جنانه .

(٧) العبارة من هنا إلى « الأعلى » ليست في ظ .

(٨) قال أبو حيان في البحر المحیط : مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة وهو أنه لما ذكر أن من كان منشئا لكم بعد العدم ومفنيا لكم بعد الوجود و موجدا لكم ثانية إما في الجنة وإما إلى نار كانت جديرا أن يعبد ولا يمجّد ويشكر ولا يكفر ، ثم أخذ يذكرهم عظيم إحسانه و جزيل امتنانه من خلق جميع ما في الأرض لهم و عظيم قدرته و تصرفه في العالم العلوى و أن العالم العلوى و العالم السفلى بالنسبة إلى قدرته على السواء و أنه عظيم بكل شيء .

على عظمة مؤثرة وكمال قدرته ، وكونه إحسانا إلى عباده ولطفابهم ،
وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها فقال ' هو ' ، قال الحرالي :
وهي كلمة مدلولها العلى^٢ غيب الإلهية القائم بكل شيء الذي لا يظهر
لشيء ، فذاته أبدا غيب ، وظاهره الأسماء المظهرة من علو إحاطة اسم
الله إلى تنزل اسم الملك ، فإ بينهما من الأسماء المظهرة ، ثم قال : لما
انتهى الخطاب بذكر إرجاعهم إلى الله وكان هذا خطابا خاصا مع المتأدى
على كفره اتبع عند إعراضه وإدباره بهذا الحتم^٣ تهديدارمى به بين
أكتافهم^٤ وتسييا نيط بهم ومُدَّ لهم كالمرخى له في السبب^٥ الذي يراد

(١) ليس في ظ .

(٢) أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام : مظهرات ومضمرات ومستترات ،
فالْمُظْهِرات أسماء ذات وأسماء صفات وهذه كلها مشتقات وأسماء الذات
مشتقات هي كثيرة وغير مشتق واحد وهو الله ، فانه أعظم أسمائه المظهرات
الدالة على الذات ، ولفظة هو من أعظم أسمائه المظهرات والمضمرات للدلالة
على ذاته ، وينبئ عن كنه حقيقته المخصوصة البراءة عن جميع جهات الكثرة
من حيث هو هو ، فلفظة هو توصلك إلى الحق وتقطعك عما سواه - من يريد

زيادة التحقيق فليطلب فيه ج ١ ص ١٣٣ .

(٣) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : للعلى .

(٤) هكذا في الأصل و ظ بالخاء المهملة ، وفي م : الختم - كذا بالخاء المعجمة ؛

ولا يتضح في مد .

(٥) في م : اكنافهم .

(٦) زيد في م : الحبل .

أن يجذب / به ، إما بأن يتداركه لطف فيرجع عليه طوعا ، أو يراد به / ٥٠
قسرا عند انتهاء مدى إداره ، وانتظم به ختم آية الدعوة بنحو من
ابتدائها ، إلا أن هذه على نهاية الاقتطاع بين طرفيها و تلك على أظهر
الاتساق ؛ فأبعدوا في هذه كل البعد باستناد الأمر إلى اسم هو الذى
هو غيب اسم الله وأسند إليه خلق ما خلق لهم في الأرض الذى هو ٥
أظهر شيء للحس - انتهى .

« الذى خلق لكم » ، ' دينا و دينا ' لطفًا بكم ، ما فى الأرض ، أى ٢ بعد
أن سواهن سبعا ، قال الحزالي : وقوله « جميعا » ، إعلام بأن حاجة
الإنسان لا تقوم بشيء دون شيء ، وإنما تقوم بكليّة ما فى الأرض حتى
لو بطل منها شيء تداعى سائرهما - انتهى . ١٠ الآية دليل على أن الأصل
فى الأشياء الإباحة ، فلا يمنع شيء إلا بدليل .

(١) وفى البحر المحيط : و « لكم » متعلق بخلق ، واللام فيه قيل للسبب أى
لأجلكم ولا تنفعكم وقدّر بعضهم : لا اعتباركم ، وقيل للتملك والإباحة ، فيكون
التمليك خاصا وهو تملك ما ينتفع الخلق به و تدعو الضرورة إليه ، وقيل
للاختصاص وهو أعم من التملك ؛ والأحسن حملها على السبب فيكون مفعولا من
أجله ، لأنه بما فى الأرض يحصل الانتفاع الدينى والدنيوى ، فالدينى النظر فيه
وفيما فيه من عجائب الصنع ولطائف الخلق الدالة على قدرة الصانع وحكمته ومن
التذكير بالآخرة والجزاء ، وأما الدنيوى فظاهر ، وهو ما فيه من المأكل
والشرب والملبس والنكح والركب والمناظر البهية وغير ذلك .

(٢-٢) ليس فى ظ .

(٣) ليس فى ظ .

(٤-٤) ليست فى م و ظ .

ولما كانت السماء^١ أشرف من جهة العلو الذى لا يرام ، والجوهر
 البالغ فى^٢ الأحكام ، والزينة^٣ البديعة النظام ، المبنية على المصالح الجسام ،
 وكثرة المنافع والأعلام ، عبر فى أمرها بتم فقال^٤ : « ثم استوى إلى السماء » ،
 أى^٥ وشرف على ذلك جهة العلو بنفس الجهة والحسن والطهارة وكثرة
 المنافع ، ثم علق إرادته ومشيته بتسويتها من غير أدنى عدول ونظر إلى
 غيرها ، ونغم أمرها بالإبهام ثم التفسير ، والإفراد الصالح لجهة العلو

(١) ليس فى م .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) وفى ظ : الرتبة .

(٤) قال أبو حيان فى النهر من البحر : ثم ذكر تعالى عظيم قدرته فى العالم العلوى
 أنه والعالم السفلى بالنسبة إلى قدرته على السواء وأن علمه محيط بكل شيء
 و « ثم » تقتضى التراخى فى الزمان ولا زمان ولما كان بين خلق الأرض والسماء
 أعمال من جعل الرواسى والسمك وتقدير الأقوات عطف بتم ، إذ بين خلق
 الأرض وما فيها وبين الاستواء تراخ وإن لم يقع ذلك فى زمان . وقال فى
 البحر المحيط : ومعنى التسوية تعديل خلقهن وتقويمه وإخلاؤه من العوج
 والقطور ، وإتمام خلقهن وتكميله من قولهم : درهم سواء ، أى وزن كامل
 تام ، أو جعلهن سواء من قوله « اذ نسويكم برب العالمين » أو تسوية سطوحها
 لا ملاس . قال الزمخشري : والضمير فى « فسوئهن » ضمير مبهم و « سبع سموات »
 تفسيره كقوله : ربه رجلا - انتهى كلامه .

(٥) العبارة من هنا إلى « ثم » ليست فى ظ ومد ، ولفظ « ثم » فقط ليس
 فى م .

(٦) م م ومد و ظ ، وفى الأصل : لافراد .

تنبيها على الشرف ، وللجنس الصالح للكثرة ، ولذلك أعاد الضمير جمعا ،
فكان خلق الأرض وتهيئتها لما يراد منها قبل خلق السماء ، ودحوها^١
بعد خلق السماء ؛ على أن ثم^٢ للتعظيم لا للترتيب فلا إشكال ، وتقديم
الأرض هنا لأنها أدل لشدة الملازمة والمباشرة . و٣ قال الحرالي : أعلى
الخطاب بذكر الاستواء إلى السماء الذي هو موضع التخوف لهم لتزول^٤ هـ
المخوفات منه عليهم فقيل لهم : هذا المحل الذي تخافون^٥ منه هو استوى
إليه ، ويجرى لفظ الاستواء في الرتبة والمكانة أحق بمعناه من موقعه في المكان
والشهادة ؛ وبالجملة فالأحق بمجرى الكلام وقوعها^٦ نبأ^٦ عن^٦ الأول الحق ، ثم
وقوعها نبأ^٧ عما في أمره وملكوته ، ثم وقوعها نبأ^٧ عما في ملكه واشهاده ؛
فلذلك حقيقة اللفظ لا تصلح^٨ أن تختص بالمحسوسات البادية في الملك دون^{١٠}
الحقائق التي من ورائها من عالم الملكوت ، وما به ظهر الملك والملكوت
من نبأ^٩ الله عن نفسه^٩ من الاستواء^٩ ونحوه^٩ في نبأ^٩ الله عن نفسه أحق

(١) وقع في م : دخومها - كذا مصحفا .

(٢) قال النسفي : و « ثم » هنا لبيان فضل خلق السماوات على خلق الأرض ،
ولا يناقض عدا قوله « والأرض بعد ذلك دحنتها » لأن جرم الأرض تقدم
خلقه خلق السماء ، وأما دحوها فتأخر .

(٣) ليس في ظ .

(٤) في ظ : تزول .

(٥) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : يخافون .

(٦-٦) وفي م : نبأ^٦ على .

(٧) في م : بنا .

(٨) في مد : يصلح .

حقيقة ، ثم النبأ به عن الروح مثلا و استوائها على الجسم ثم على الرأس
مثلا و استوائه على الجنة فليس تستحق الظواهر حقائق الالفاظ على
بواطنها بل كانت البواطن أحق باستحقاق الالفاظ ؛ و بذلك يندفع
كثير من لبس الخطاب على المقتصرين بحقائق الالفاظ على محسوساتهم
هـ « فسوئهن »^١ التسوية إعطاء أجزاء الشيء حظه لكمال صورة ذلك الشيء
« سبع سموات » أعطى لكل واحدة منهن حظها « و ارحى في كل سما
امرها »^٢ - انتهى . و خلق جميع ما فيها لكم ، فالآية من الاحتباك ؛

= (٩ - ٩) ليست في ظ .

(١٠) قال البيضاوى : قصد إليها بارادته من قولهم : استوى إليهم كالسهم المرسل -
إذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شيء ، و أصل الاستواء طلب
السواء ، و إطلاقة على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الأجزاء ، و لا يمكن
حمله عليه تعالى لأنه من خواص الأجسام ، و قيل : استوى استولى و ملك ، قال
شعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهادق
و الأول أوفق للأصل و الصلة المعنى بها و التسوية المترتبة عليها بالفاء . و قال
ثناء الله العثماني : قال ابن عباس و أكثر المفسرين من السلف : أى ارتفع إلى
السماء ، فهو من التشابهات نحو « الرحمن على العرش استوى » . و ذكر أبو حيان
في البحر المحیط في الاستواء سبعة أقوال - و قال : و هذه التأويلات كلها
فرار عما تقر في العقول من الله تعالى يستحيل أن يتصف بالانتقال المهود في غيره
تعالى و أن يحل فيه حادث أو يحل هو في حادث ؛ و سيأتى الكلام على الاستواء
بالنسبة إلى العرش إن شاء الله تعالى - انتهى كلامه .

(١) قال على المهاشمي : « فسوئهن سبع سموات » أى جعلهن سبع سموات معتدلة =

حذف ' أولا كون الاراضى سبعا لدلالة الثانى عليه ، وثانيا كون ما فى السماء لنا لدلالة الاول عليه ؛ وهو فن عزيز نفيس وقد جمعت فيه كتابا حسنا ذكرت فيه تعريفه وماخذه من اللغة وما حضرنى من أمثله من الكتاب العزيز وكلام الفقهاء وسميته ' الإدراك لفن الاحباك ' .

ولما كان الخلق على هذه الكيفية دالا بالبديهة على أتم قدرة لصانهم وكان العلم بأن مبنى ذلك على العلم محتاجا إلى تأمل اغتنى فى مقطع الآية بقوله ' وهو بكل شئ عليم ' . أى فهو على كل شئ قدير . ولما ذكر

= لا عوج فيها ولا فطور ليحصل من أوضاع كواكبها السيارة الأشياء المكنونة فى الأرض وخلق فيكم أسرارها أيضا ، وإنما خص السبع أغلبية تعلق الآثار السفلية بكواكبها ، وليس فى الآية نفى الزائد ' و ' ذلك لعله يربط كل شئ بسببه إذ ' هو بكل شئ عليم ' فيعلم ما فيها فيسهل عليه جميع أسرارها فى الإنسان و يعلم أجزاء الميت فيسهل عليه جميعها لإعادته و يعلم مقدار ما يقتضى كل عمل من الجزاء وما يقتضيه شاكر هذه النعم وكافرها فلا يعمل الحكمة من راعاها فى هذه الأشياء بترك الجزاء فهذا كالمجبىء إلى ترك الكفر به ولو فى ضمن الكفر ؛ ثم أشار إلى أنه إنما خلق له ما فى الأرض جميعا وسوى له السماوات السبع لأنه جامع لأسرار الله وأسرار العالم صالح لخلافته عليهم - انتهى كلامه .

(٢) سورة ٤١ آية ١٢ .

(١) من حذف الشئ هياه وصنعه ، وحذف شعره طوره وسواه ، وهو أن يأخذ من نواحيه حتى يستوى - قطر المحيط ص ٣٧٢ وفى ظ: حذف - كذا بالدال الهمة .

(٢) فى م : حضرى - كذا .

الحياة و الموت المشاهدين تنبيها على القدرة على ما اتبعها به من البعث
ثم دل على ذلك أيضا بخلق هذا الكون كله على هذا النظام البديع وختم
ذلك بصفة العلم ذكر ابتداء خلق هذا النوع البشرى المودع من صفة
العلم ما ظهر به فضله بقوله تعالى عطفًا على قوله «اعبدوا ربكم» و بيانًا
ه لقوله «رب العالمين» إذ من البدء تعلم العودة لمن تدبر، أو يكن
عطفًا على ما تقديره : اذكر هذا لهم ، وذلك أنه سبحانه لما خاطبهم بهذا
الاستفهام الذى من معانيه الإنكار ذاكرًا الاسم الأعظم الذى هو أعلى
الاسماء وأبطنها غيا و الضمير الذى «هو» أبطن منه ، و اتبعه بعض
ما هم له منكرون أو به جاهلون ، وأشار بقوله «لكم» مثبتة فيها هو ظاهر
١٠ عندهم و محذوفة مما ٢ هو خفي عنهم ، كما نبه عليه فى الاحتباك إلى أنه
لم يخلق هذا النوع البشرى للفناء بل للبقاء بما أبان عن أنه إنما خلق جميع

(١) وفى م : اتبعها .

(٢) فى ظ : يعلم .

(٣) فى ظ : فيما .

(٤) قال البيضاوى : و اعلم أن صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات و قد برهن
عليها فى هاتين الآيتين : أما الأولى فهى أن مواد الأبدان قابلة للجمع و الحياة ،
و أشار إلى البرهان عليها بقوله « و كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم » فان تعاقب
الافتراق و الاجتماع و الموت و الحياة عليها يدل على أنها قابلة لها بذاتها ، و ما
بالذات يأتى أن يزول و يتغير ؛ و أما الثانية و الثالثة فانه عالم بها و بمواقعها قادر
على جمعها و إحياؤها ، وأشار إلى وجه إثباتها بأنه تعالى قادر على إبدائهم و إبداء =

ما في هذه الأكوام لأجلهم ، فالبعض رزق لهم والبعض أسباب له ،
والبعض أبجدهم لأبيهم وهم في صلبه وكلهم بهم في حفظ أعمالهم
وقسم أرزاقهم ونفخ أرواحهم وغير ذلك من تربيتهم وإصلاحهم ؛
لم يكونوا أهلا لفهم هذا الخطاب حق فهمه تلقيا^١ عن الله لعلوه سبحانه
وعلو هذا الخطاب بالأسماء الباطنة^٢ وما نظم بها من المعاني اللائقة بها^٣
علوا وغيا فأعلم سبحانه بعطفه^٤ إذ ،* على غير ظاهر أنه معطوف على

= ما هو أعظم خلقا وأعجب صنعا فكان أقدر على إعادتهم وإحيائهم ، وأنه خالق
خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم ،
وذلك دليل على تناهى علمه وكمال حكمته جلّت قدرته ودقت حكمته - انتهى
كلامه .

(١) وفي م : وكله .

(٢) في م : تلقا .

(٣) في م : الباقية .

(٤) قال البيضاوي : تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم ، فإن خلق آدم وإكرامه
وتفضيله على سكان ملكوته بأن أمرهم بالسجود له إنعام يعم ذريته . وقال
أبو حيان : وإضافته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه على شرفه واختصاصه
بخطابه وعز لاستماع ما يذكر بعد ذلك من غريب افتتاح هذا الجنس الإنساني
وابتداء أمره ومآله ، وهذا تنويع في الخطاب وخروج من الخطاب العام إلى
الخاص ، وفي ذلك أيضا إشارة لطيفة إلى أن المقبل عليه بالخطاب له الحظ الأعظم
والقسم الأوفر من الجملة المنجر بها ، إذ هو في الحقيقة أعظم خلفائه ؛ ألا ترى
إلى عموم رسالته ودعائه وجعل أفضل أنبيائه ، أم بهم ليلة إسرائه ، وجعل آدم =

نحو: اذكر لهم^١ أيها الرسول هذا، لأنه لا يفهمه حق فهمه عنا سواك،
 وهم إلى الفهم عنك أقرب / ه واذه أي واذكر ما اتفق اذ^٢، وحذف
 هذا المعطوف عليه لاحتمال المأمور بذكره الإنكار^٣ والسياق لإيراد
 الرفق والبشارة على لسانه صلى الله عليه وسلم استعطافا لهم إليه وتجييا
 ه وفي حذفه أيضا والدلالة عليها بالعاطف حث على تدبر ما قبله
 تنبيها على جلالة مقداره ودقة أسرار^٤ه، ولما علمت الإشارة لكن لأهل
 البصارة اتبعها قصة آدم عليه السلام دليلا ظاهرا ومثالا بينا لخلاصة
 ما أريد بهذه الجمل^٥ مما^٦ نه عليه بالعاطف من أن النوع الآدمي هو
 المقصود بالذات من هذا الوجود، وأنه لا يجوز في الحكمة أن يترك بعد
 ١٠ موته من غير إحياء يرد به إلى دار لا يكون في شيء من أمور^٧ها من
 أحد نوع من الخلل و تكون الحكمة فيها ظاهرة جدا^٨ لا خفاء بها^٩
 أصلا، فيظهر الحمد آثم ظهور؛ ولذلك ذكر تفضيل^{١٠} آدم عليه السلام^{١١}
 = فن دونه يوم القيامة تحت لوانه، فهو المقدم في أرضه وسنائه وفي دارى تكليفه
 و جزائه - انتهى . (هـ) في م: او .

(١) ليس في ظ .

(٢) ليس في م .

(٣) بهامش الأصل: معمول الاحتمال .

(٤) وفي ظ: الجملة .

(٥) في ظ: ما .

(٦-٦) في م و ظ: لاخفايها - كذا .

(٧) في م: تفصيل .

بالعلم ، ثم باسجاد الملائكة له ، ثم باسكانه الجنة ، ثم بتلقى أسباب التوبة عند صدور الهفوة ؛ وقد روى البيهقي في أواخر الدلائل^١ والحارث ابن أبي أسامة والحاكم في المستدرک عن بشر بن شفاف عن عبد الله ابن سلام رضى الله عنه قال : إن أكرم خليفة^٢ الله^٣ على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ، قلت : رحمك الله ! فأين الملائكة ؟ فنظر إلى وضحك^٤ فقال : يا ابن أخى ! وهل تدرى ما الملائكة ؟ إنما الملائكة خلق كخلق الأرض وخلق السماء وخلق السحاب وخلق الجبال وخلق الرياح وسائر الخلائق التى لا تعصى الله^٥ شيئا ، وإن أكرم الخلائق على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم . وقال البيهقي : إنه ليس بموقوف^٦ بل حكمه^٧ الرفع . وقال الحرالى : لما جعل الله تعالى نور العقل هاديا لآيات ما ظهر^٨ ١٠ فى الكون وكان من^٩ الخلق مهتدي به ومعرض عنه بعث الله النبيين مبشرين لمن اهتدى بنور العقل بمقتضى الآيات المحسوسة وتلك هى الخليفة والملة الإبراهيمية ، ومنذرين لمن أعرض عن ذلك وشغله شهوات دنياه ،

(١) العبارة من هنا إلى « المستدرک » ليست فى ظ .

(٢) فى الأصل : خليفة .

(٣) ليس فى م .

(٤) وفى م : لربه ، والصواب : لربها .

(٥) فى م : لموقوف .

(٦) فى م ومد : الحكمة - كذا .

(٧) فى مد : فى .

فترتب لذلك خطاب الكتاب بين ما يخاطب به الأعلين المهتدين وبين ما يخاطب به الأدنى المعرضين، وكذلك ' تفاوت الخطاب بين ما يخاطب به الأئمة ' المهتدين والمؤمنون بهم، فكان أعلى الخطاب ما يقبل على إمام الأئمة وسيد السادات وأحظى خلق الله عند الله محمد صلى الله عليه وسلم، ه فكان أول الخطاب بالآم ذلك الكتب إقبالا عليه وإتناء له من الذكر الأول كما قال عليه السلام: أوتيت البقرة وآل عمران من الذكر الأول، وهو أول مكتوب حين كان الله ولا شيء معه، وكتب في الذكر الأول ٣ كل شيء، فخاطبه الله عز وجل بما في الذكر الأول وأنزله قرآنا ليكون آخر المنزل الخاتم هو أول الذكر السابق ليكون^٦ الآخر الأول ١٠ في كتابه كما هو في ذاته، فمن حيث كان الخطاب الأول من أعلى خطاب الله لمحمد صلى الله عليه وسلم انتظم به ما هو أدنى خطاب من آيات الدعوة تنبيها لمن أعرض عن الاستضاءة بنور العقل لما بين الطرفين من

(١) في م: لذلك، ولا يتضح في مد.

(٢) في الأصول: أئمة - كذا.

(٣) هكذا ثبت في الأصل وظ ولكن ضرب عليه في الأصل؛ وليس في

م ومد.

(٤) في م: أول.

(٥) زيد في م: و.

(٦) في م: آخر.

(٧) زيد في م: في.

تناسب التقابل ؛ ثم عاد وجه الخطاب إليه صلى الله عليه وسلم بما هو إعلام بغائب الماضي عن كائن الوقت من أمر ابتداء مفاوضة الحق ملائكته في خلق آدم ليكون ذلك ترغيباً للبشرين في علو الرتب إلى التكامل كما كانت آية^١ الدعوة تنبئها للمعرضين ليعودوا إلى الإقبال ، و خصوص الإنزال إنما هو في الإنباء بغيب الـ يكون من ملكوته و غائب أيام الله الماضية ه ومنتظر أيام الله الآتية ، فذلك الذى يخص المهتدين بنور العقل ليرتقوا^١ من حد الإيمان إلى رتبة اليقين ، وإنما يرد التنبيه و التنزيل بما فى نور العقل هدايته من أجل المعرضين ؛ فكان ما شمله التنزيل بذلك أربعة أمور : أحدها التنبيه على الآيات بمقتضى أسماء الله من اسمه الملك إلى اسمه الرحمن الرحيم إلى اسمه رب العالمين إلى اسمه العظيم الذى هو الله ، والثانى التنبيه ١٠ على غائب المنتظر الذى الخلق صائرون إليه ترغيباً و ترهيباً ، والثالث الإعلام بماضى^٢ أمر الله جمعاً^٣ اللهم للجد و الانكماش فى عبادة الله ، والرابع التبصير ببواطن كائن الوقت الذى فى ظاهره إعلامه ؛ فكان أول التنزيل فى هذه السورة أمر أول يوم من ذكر الله و هو كتب مقتضى العلم و القدر فى قسمه تعالى عباده بين مؤمن و كافر و منافق ، ثم أنزل الخطاب ١٥ إلى آية الدعوة من وراء حجاب الستر بسابق التقدير فعم به الناس و نبههم

(١) ليس فى ظ .

(٢) زيد فى مد : الى .

(٣) فى ظ : بما مضى .

(٤) فى م : جميعاً .

(٥) فى م : اللهم - وهو كما ترى .

على آيات ربوبيته وحيا أوحاه الله منه إليه، ثم عطف على ذلك إعلاما
لابتداء المفاوضة في خلق آدم عطفًا على ذلك الذى يعطيه إلهام هذا
الإفصاح، فلذلك قال تعالى د واذا، فان الواو حرف يجمع ما بعده مع
شئ قبله إفصاحا فى اللفظ أو إلهاما فى المعنى، وإنما يقع ذلك لمن
٥ يعلو خطابه ولا يرتاب فى إبلاغه. وإذ اسم مبهم لما مضى من الأمر
والوقت، د قال، ٣ من القول وهو إبداء صور الكلم نظما بمنزلة اتلاف
الصور المحسوسة جمعا، / فالقول مشهود القلب بواسطة الأذن، كما أن
المحسوس مشهود القلب بواسطة العين وغيره.

/٥٢

ثم قال: لما أنبأ الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بما فى الذكر
١٠ من التقدير الذى هو خبء الشرعة ونظم به ما أنزل من دعوة الخلق
إلى حكمه فانتظم ذلك رتبى أمر نظم تعالى بذلك إزال ذكر خلق معطوفا
على ذكر خلق أعلى رتبة منه، نسبته منه كنسبة الدعوة من خبئها، فذكر
خلق آدم ظاهر خبء ما عطف عليه وهو والله أعلم ذكر خلق محمد
صلى الله عليه وسلم الذى هو خبء خلق آدم، فكأنه تعالى أعلم نبيه
١٥ صلى الله عليه وسلم بأمر خلقه له بدء وحى سر ثم أعلن بما عطف عليه

(١) فى م: بجميع .

(٢) فى ظ: انتم - كذا .

(٣) قال البيضاوى: واذا ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه أخرى،
والقول هو التلطف بما يفيد ويقال بمعنى القول والمعنى المتصور فى النفس
المعبر عنه باللفظ، وللأرى والمذهب مجاز - انتهى .

(٤ - ٤) ليست العبارة فى ظ .

من ذكر خلق آدم وحي عان ليكون أمر خلق محمد ' صلى الله عليه وسلم ' عند الخاصة فهما كما كان أمر خلق آدم عند العامة إفصاحا ؛ وكان المفهوم : اذكر يا محمد إذ كان في خلقك كذا وإذ قال ' ربك ' ، أى المحسن إليك برحمة العباد بك الذى خباك ' فى إظهار خلق آدم ' للملك ' ، ما أنزل ، وتأويل الملائكة ' عند أهل العربية أنه جمع ملائكة مقلوب من مالك ه من الألك وهى الرسالة ، فتكون الميم زائدة ويكون وزنه معافلة ، ويكون الملك من الملك وهو إحكام ما منه التصوير ، من ملكت

(١-١) فى م : عليه السلام .

(٢) فى م : حباك - كذا بالحاء المهملة .

(٣) وفى البحر المحيط : الملك ميمه أصلية و هو فعل من الملك و هو القوة و لاحذف فيه و جمع على فعائلة شذوذا - قاله أبو عبيدة ، وكأنهم توهموا أنه ملاك على وزن فعال و قد جمعوا فعالا للذكر و المؤنث على فعائل قليلا ، وقيل وزنه فى الأصل فعال نحو شمائل ثم نقلوا الحركة وحذفوا و قد جاء فيه ملاك فيحتمل أن يكون فعالا ، وعلى هذا تكون الهمزة زائدة فى الكلمة وعينها ، فمنهم من قال : الفاء لام و العين همزة من لأك إذا أرسل وهى لغة محكية ، فلك أصله ملاك نفق بقتل الحركة والحذف إلى فعل ، قال الشاعر :

فلست لإنسى و لكنى للملاك تنزل من جو السماء يصوب

بجاء به على الأصل ، وهذا قول أبى عبيد و اختاره أبو الفتح ، وملائكة على هذا القول مقابلة ، ومنهم من قال : الفاء همزة و العين لام من الألوكة وهى الرسالة ، فيكون على هذا أصله مالكا و يكون ملاك مقلوبا جعلت فاؤه مكان عينه و عينه مكان فائه ، فعلى هذا القول يكون فى وزنه معفلا .

العجين ، وجمعه أملاك ، تكون 'فيه الميم' أصلية ، فليكن اسم ملائكة
جامعا للعنين منحوتا من الأصلين ، فكثيرا ما يوجد ذلك في أسماء
الذوات الجامعة كلفظ إنسان بما ظهر فيه من أنه من الأنس والنسيان
معا ، وهو وضع للكلم على مقصد أفصح وأعلى مما يخص به اللفظ معنى
٥ واحدا ، فللكلام رتبتان : رتبة عامة ورتبة خاصة أفصح وأعلى كلما وكلاما .
قال^٢ : وفيه أى هذا الخطاب مع ذلك استخلاص لبواطن أهل
الفتانة من أن تعلق بواطنهم بأحد من دونه حين أبدى لهم انفراده
بأظهارهم خلقا دون ملائكته الأكرمين ، حتى لا تعلق قلوبهم بغيره من
أهل^٣ الاصطفاء فكيف بمن يكون فى محل البعد والإقصاء ! توطئة^٤ لقبح^٥
١٠ ما يقع من بعضهم من اتباع خطوات الشيطان ؛ وذلك لأن فى كل آية
معنى تنتظم^٦ به بما قبلها ومعنى تنهى^٧ به للانتظام^٨ بما بعدها ؛ وبذلك

(١-١) فى ظ : الميم فيه .

(٢) زيد فى مد : وله جمع آخر بحذف الهاء ، هذا أخف منه على اللسان أشهر
به فكذلك عبر به فى جميع القرآن ولاحتمال هائه المباشرة .

(٣) زيد فى مد : الحالى .

(٤) ليس فى م .

(٥) فى ظ : لتوطئة ، وفى م : طوطية - كذا .

(٦) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : لقبح .

(٧) فى م : ينتظم .

(٨) فى ظ : يتهماء - كذا .

(٩) فى ظ : الانتظام .

كان ' انتظام الآى داخلا فى معنى الإعجاز الذى لا يأتى الخلق بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

« انى ، ان حرف يفهم توكيدا من ذات نفس المؤكد و علمه ، و الياء اسم على^١ يخص المضيف إلى نفسه الذى يضيف الأشياء إليه ، « جاعل فى الأرض ،^٢ و لما كانت خلافة آدم عليه السلام كاملة فى جميع الأرض ه . بنفسه و بذريته و حدد لذلك مع أنه يصح أن يراد به الجنس فقال : « خليفة » ، الخليفة^٣ ذات قائم بما يقوم به المستخلف على حسب رتبة ذلك ' الخليفة منه ، فهو خليفة الله فى كونه مُلكه و ملكوته ، و هم أيضا بعضهم خلفاء بعض ؛ فهو خليفة بالمعنيين - انتهى .

و جعل سبحانه هذا التذكير فى سياق داع إلى عبادته و قائد إلى ١٠ محبته حيث متّ إلى هذا النوع الآدى بنعمه عليهم و إحسانه إليهم قبل

(١) فى م : لان .

(٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٣) قال البيضاوى : و الخليفة من يخلف غيره و يناب منابه ، و الهاء فيه للبالغة ، و المراد به آدم عليه السلام ، لأنه كان خليفة الله فى أرضه ، و كذلك كل نبي استخلفه فى عمارة الأرض و سياسة الناس و تكميل نفوسهم و تنفيذ أمره فيهم ، لا حاجة به إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه و تلقى أمره بغير وسط ، و لذلك لم يستنبي^٤ ملكا ، كما قال تعالى « و لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا » .

(٤) ليس فى م .

إيجادهم^١ ، فذكر لهم ما حاجّ به ملائكته عنهم ، وما شرف به أباهم آدم من العلم و أمر الملائكة المقربين بالسجود له ، ثم ما وقع لإبليس معه وهما عبدان من عبيده فتاب عليه ولم يتب على إبليس مع سقه له بالعبادة بل أوجب طرده وأبدّ بعده فقال تعالى حكاية عن الملائكة جواباً لسؤال من كأنه قال ما قالوا حين أخبرهم سبحانه بذلك : « قالوا^٢ ، طالبن الإيقان على الحكمة في إيجاد من يقع منه شر^٣ » اتجعل فيها ، أى في الأرض من يفسد فيها ، أى^٤ بأنواع المعاصي^٥ بالقوة الشهوانية^٦ ، « ويسفك^٧ »

(١) قال البيضاوى: وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة، وتعظيم شأن المجمعول بأن بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه، وإظهار فضله الراجح على ما فيه من المفسد بسؤالهم وجوابه، وبيان أن الحكمة تقتضى إيجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير - وغير ذلك . وقال المهاشمي: « اذ قال ربك » أى وقت قول ربك لإظهار فضل آدم قبل خلقه لئلا يرى بعين الحفارة أصلاً « انى جاعل فى الارض » أى التى هى محل الكون والفساد فهو محل التصرف من عناصرها ومن الروح الساوى « من يفسد فيها » لكونه من العناصر المختلفة الداعية إلى اللذات السفلية « ويسفك الدماء » إذ فيه قوة غضبية من النار .

(٢) العبارة من هنا إلى « شر » ليست فى ظ .

(٣) فى مد : شرا .

(٤) ليس فى م .

(٥) ليس فى مد .

(٦-٧) ببت فى ظ .

من السفك، قال الحرالي : وهو ' سكب بسطوة ' الدماء ، أى بغير حقها ' بالقوة الغضبية ' ، لعدم عصمتهم ، وخلقهم جوعاً لا يتهاكون ، وأصحاب شهوات عليها يتهاكون ؛ وكأنهم لما رأوا صورة آدم تفرسوا فيها ذلك لو سألوا عن منافع أعضائه ' وما أودع فيها من القوى والمعاني ' أخبرهم تعالى بما تفرسوا منه ذلك والدم . قال الحرالي : رزق البدن هـ الأقرب إليه المخطوط ٣ فيه ' ونحن ، أى والحال إنا نحن ' ، وهذا الضمير

(١-١) ليست في ظ .

(٢-٢) العبارة ليست في ظ .

(٣) في ظ : المخطوط .

(٤) قال البيضاوى : والمعنى أن استخلاف عصاة ونحن معصومون أحقاء بذلك ، والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر ، وكأنهم علموا أن المجعل خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار أمره : شهوية وغضبية تؤديان به إلى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه إلى المعرنة والطاعة ، ونظروا إليها مفردة وقالوا : ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا يقتضى الحكمة إيجاد فضلا عن استخلافه ؟ وأما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد ؛ وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين إذا صارت مهذبة مطوعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والإنصاف ، ولم يعلموا أن التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالإحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج المنافع الكائنات من القوة إلى الفعل الذى هو المقصود من الاستخلاف .

كما قال الحرالي اسم القائل ' المستتبع لمن هو في طوع أمره لا يخالفه
 « نسيح » أى توقع التسييح أى التنزيه ' لك والإبعاد عما لا يليق بك
 ملتبسين فى التسييح « بحمدك » ، والحاصل إنا نبرئك عن صفات النقص
 حال إثباتنا لك صفات الكمال ، ٣ وحذف المفعول للتعميم ٣ ؛ وقال الحرالي :
 ٥ التسييح تنزيه الحق تعالى عن ' بادية نقص فى خلق أو رتبة ، وحمد الله
 استواء أمره علوا وسفلا و محو الذم عنه و النقص منه ، وذلك تسييح
 أيضا فى علو أمر الله ، فاسبح بالحمد إلا أهل الحمد من آدم و محمد صلى الله
 عليهما وسلم ، فغاية المسبح الحمد ، والحمد تسييح لمن غايته وراء ذلك
 الاستواء - انتهى .

١٠ « و تقدس ، أى يظهر* كل شىء نقدر عليه من نفوسنا وغيرها ،

(١) فى ظ : القابل - كذا .

(٢) فى م : التبريه .

(٣-٣) العبارة ليست فى ظ .

(٤) فى ظ : عند .

(٥) قال الهائمي : « ونحن » وإن لم يكن لنا جمعية « نسيح » ذاتك ملتبسا
 « بحمدك » على كمالاتها « و تقدس » أى نزه صفاتك فنقول : إنها مستحقة
 « لك » دون غيرك ، « قال انى اعلم » من قصور تسييحكم وتقديسكم وعدم
 صلاحيتكم لخلافتي على الكل و اقتضاء ظهور اسمائى اللطيفة والقهرية . وقال
 النفسى : « و تقدس لك » و يظهر أنفسنا لك ، وقيل : التسييح والتقديس تبعيد الله
 من السوء ، من سبيح فى الأرض و قدس فيها إذا ذهب فيها و أبعد ، « قال
 انى اعلم ما لا تعلمون » أى اعلم من الحكم فى ذلك ما هو خفى عليكم .

٥٣ /

« لك ، أى لا لغيرك » لعصمتنا بك ، أو المعنى توقع التقديس / أى التطهير
الك بمعنى أنك فى الغاية من الطهارة والعلو فى كل صفة . قال الحرالى :
القدس طهارة دائمة لا يلحقها نجس ظاهر ولا رجس باطن ، و اللام
تعلل للشيء لأجله كان ما أضيف به - انتهى .

و لما تضمن تفرسهم هذا نسبتهم أنفسهم إلى العلم المثمر للاحسان ، ه
و نسبة ٣ الخليفة إلى الجهل المنتج للأساة أعلننا سبحانه لشكره أنه حاج
ملائكته عنا ، فبين لهم أن الأمر على خلاف ما ظنوا بقوله استثناء :
« قال انى اعلم ، أى من ذلك وغيره » ما لا تعلمون . و قال الحرالى :
و أعلم تعالى بما أجرى عليه خلقه من القضاء بما ظهر و الحكم على الآتى
بما مضى حيث أنبأ عن ملائكته بأنهم قضوا على الخليفة فى الأرض ١٠
بحال من تقدمهم فى الأرض من الجبل الأولين من الجن الذين أبقى منهم
عزائيل وغيرهم ليتحقق أن أمر الله جديد و أنه كل يوم هو فى شأن
لا يقضى على آتى وقت بحكم ما فيه و لا بما مضى قبله - انتهى . و الأظهر

(١) فى م : غيرك .

(٢) فى ظ : من .

(٣) كذا ، و الظاهر : نسبت ، معطوفة على « نسبتهم أنفسهم » .

(٤) فى ظ : ان .

(هـ) فى التفسير المظهرى : إن الملائكة كانوا يعلمون بأخبار من الله تعالى أن
من البشر صالحين وعصاة وكفاراً فلا جرم زعموا أن الملائكة أفضل منهم
لكونهم كلهم معصومين « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »
فاستخلافهم أولى و استخلاف البشر موجب للفساد كما وقع من شرارهم ، =

ما ذكرته أنهم إنما قالوا ذلك تفرسا بحكم ما ظهر لهم من صورته ونحو ذلك من أعلامهم بأنه يجمع فيه بين الشهوة والعقل، و من المعلوم أن الشهوة حاملة على الفساد؛ و علم سبحانه ما خفي عنه من أنه يوفق من أراد منهم للعمل بمقتضى العقل مع قيام منازع الشهوة والهوى، فيأتي غاية الكمال التي هي ' فوق درجة العامل ' بمقتضى العقل من غير منازع له فيظهر تمام القدرة والله أعلم .

ولما أعلم سبحانه الملائكة أن الأمر على خلاف ما ظنوا شرع

= ولم يعلموا أن الله تعالى يستودع في قلوب بعضهم محبة ذاتية منه تعالى موجبة للعية الذاتية والمحبوبة الصرفة كما نطق به رأس المحبوبين : المرء مع من أحب - رواه الشيخان ، ويكون لهم قرب و منزلة من الله لا يتصور لغيرهم بحيث يكون التقرب إلى عباد الله الصالحين موجبا للتقرب إليه تعالى . اعلم أنه قد تقرر عند الأكبر من الصوفية أن ضوء الشمس كما يتحملها الأرض لكثافتها دون غيرها من عناصر الخلق كذلك التجلي الذاتي لا يتحملها إلا عنصر التراب و أما غيرها من العناصر فلنوع من الكثافة التي فيها يتحمل التجليات الصفاتية دون الذاتية ، و أما لطائف عالم الأمر فلا نصيب لها إلا من التجليات الظلية ، والإنسان لما كان مركبا من اللطائف العشرة التي هي أجزاء العالم الكبير ولم يجتمع في شيء من أفرادها إلا بعضها كان هو أهلا للخلافة وحاملا للأمانة التي عرضها الله تعالى على السماوات والأرض والجبال « فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » لعظم المحمول .

(١) وفي م : هو .

(٢) وفي م : العاقل .

في إقامة الدليل عليه فقال عاطفاً على قوله « قال » : « و علم » أي لإقامة الدليل على ذلك ، و التعليم تكرار العلم ليثبت لما في جبهة المعلم من النسيان ، « آدم » من الأدم من الأديم و هو جلدة الأرض التي منها جسمه ، و حظ ما فيه من أديم الأرض هو اسمه الذي أنبأ عنه لفظ آدم ، « الاسماء »

(١) قال على المهائمي : « علم آدم » بخلق علم ضروري فيه « الاسماء كلها » أي الألفاظ الدالة على الحقائق إذ هي أقل ما يفيد التمييز بينها « ثم عرضهم » أي المسميات « على اللشكة فقال انبثوني باسماء هؤلاء » أي بأقل مميز لها حتى يصح دعواكم استحقاقكم الخلافة عليها اللازمة لكلامكم ودعواكم « ان كنتم صدقين » في دعواكم أنكم تسبحون الله على الإطلاق أي بجميع أسمائه و تقدسونه بها - انتهى كلامه . قال أبو البركات النسفي « و علم آدم » هو اسم أعجمي و اشتقاقهم آدم من أديم الأرض أو من الأدمة كاشتقاقهم يعقوب من العقب و إدريس من الدرس و إبليس من الإبلas ، « الاسماء كلها » أي أسماء المسميات ، فحذف المضاف إليه لكونه معلوماً مدلولاً عليه بذكر الأسماء ، إذ الاسم يدل على المسمى و عوض منه اللام ، و معنى تعليمه أسماء المسميات أنه تعالى أراه الأجناس التي خلقها و علمه أن اسمه هذا فرس و هذا بعير و هذا اسمه كذا و هذا اسمه كذا ؛ و عن ابن عباس رضي الله عنهما : علمه اسم كل شيء حتى القصة و الغرفة ، « ثم عرضهم على اللشكة » أي عرض المسميات لأن في المسميات العقلاء فغلبهم ، و إنما استنبأهم و قد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت « فقال انبثوني باسماء هؤلاء ان كنتم صدقين » في زعمكم أني استخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء ؛ و فيه رد عليهم و بيان أن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا - انتهى كلامه .

أى التى للأشياء كلها ، و هو جمع اسم و هو ما يجمع اشتقاقين من السمة و السمو ؛ فهو بالنظر إلى اللفظ وسم و بالنظر إلى الحظ من ذات الشيء سمو ، و ذلك السمو هو مدلول الاسم الذى هو الوسم الذى ترادفه التسمية - قاله الحرالى ، و قال فى كتاب له فى أصول الفقه : الاسم يقال على لفظ التسمية و يقال على حظ و نصيب من ذوات الأشياء ، و تلك هى المعروضة ٥ على الملائكة ، و اسم التسمية يحاذى به المسمى معلومه من الشيء المسمى الذى هو الاسم المعروض ، و هو عند آدم علم و عند الملائكة و من لا يعلم حقيقة الاسم المعروض توقيف و نبأ^١ - انتهى .

(١) فى م : نبأ - كذا . قال البيضاوى : معنى تعليمه تعالى آدم الأسماء أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة (كالقلب والكبد و الدماغ) و قوى متباينة مستعدة لإدراك أنواع المدركات من المعقولات و المحسوسات و المتخيلات و الموهومات و ألهمه معرفة ذوات الأشياء و خواصها و أسمائها و أصول العلم و قوانين الصناعات و كيفية آلياتها - انتهى كلامه . و فى الحاشية « و المعنى أنه تعالى اندفع بذلك ما يتوهم أنه لا يظهر فضيلة آدم بذلك لأنه علم بالتعليم و لو علم الملائكة لعلموا ذلك - الخ . و قال القاضى ثناء الله العثمانى : قال أهل التفسير : المراد أسماء الخلائق ، قال البغوى قال ابن عباس و مجاهد و قتادة : علمه اسم كل شيء ، و قيل : اسم ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة . . . قال أهل التأويل : علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة . قلت : هذه الأقوال ليست بمبرضية عندى ، فإن مدار الفضل على كثرة الثواب و مراتب القرب من الله تعالى دون هذه الأمور ، و لو كان هذه الأمور مدارا لفضله لزم فضله على خاتم النبيين صلى الله عليه و سلم ، فإنه قال : أنتم أعلم بأمور دنياكم ، و لم يكن عليه السلام عالما بجميع اللغات ، و عندى أن الله تعالى علم آدم الأسماء الإلهية كلها علما إجماليا ، فإنه =

- 'ولما كان العرض على الملائكة بالغا في المراد أشار إلى تعظيمه بحرف التراخي فقال' : ثم عرضهم أى الأشياء . قال الحرالى : أظهرهم عن جانب وهو العرض والناحية على الملائكة ، القائلين لذلك . وقال الحرالى : لما ذكر تعالى مراجعة الملائكة فى خلق هذا الخليفة ذكر إبداءه لهم وجه حكمة عليه بما أعلى هذا الخليفة من تعليمه إياه حقائق جميع الذوات المشهودة لهم على إحاطتهم بملكوت الله وملكه شهودا فأراهم إحاطة علم آدم بما شهدوا صوره^٢ ولم يشهدوا حقيقة مدلول تسميتها ، وعله حكمة ما بين تلك الأسماء التى هى حظ من الذوات وبين تسمياتها من النطق ليجتمع فى عله خلق كل شىء صورة وأمره كلمة فيكمل عله فى قبله على سبيل سمعه وبصره ، واستخلفه فى علم ما له من الخلق .
١٠. والأمر ، وذلك فى بدء كونه فكيف يحكم حكمة الله فيما يتناهى إليه كمال خلقه إلى خاتمة أمره فيما انتهى إليه أمر محمد صلى الله عليه وسلم مما هو مبهم فى قوله تعالى : « وعلمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما » ! فأبدى الله عز وجل لهم بذلك وجه خلافة عليه وعملية فى
-
- = لما حصل له معية بالذات تعالت وتقدست حصل له بكل اسم من أسمائه وصفة من صفاته مناسبة تامة ومعية بحيث أنه كلما توجه إلى اسم من أسمائه وصفة من صفاته يتجلى له ذلك الاسم والصفة - والباقي يطلب من تفسيره ج ١ ص ٥١ .
- (١ - ١) ليست فى ظ .
- (٢) فى الأصل : إبدائه ، وفى م ومد وظ : إبداء - كذا .
- (٣) فى ظ : صورة . (٤) ليس فى ظ .
- (٥) سورة ٤ آية ١١٣ .

التسمية إعلاء له عندهم ، و قد جعلهم الله عز و جل مدعنين مطيعين فانتقادوا
 الوقت بفضل آدم على جميع الخلق و بدأ لهم علم أن الله يعلى من
 يشاء بما يشاء من خلافة أمره و خلقه ، و تلك الأسماء التي هي حظوظ
 من صور الموجودات هي المعروضة التي شملها اسم الضمير في قوله تعالى
 ٥ « ثم عرضهم » و أشار إليه « هؤلاء » عند كمال عرضهم ، و أجرى على
 الجميع ضمير « هم » لاشتغال تلك الكائنات على العاقلين و غيرهم ؛ و بالتحقيق
 فكل خلق ناطق حين يستنطقه الحق ، كما قال تعالى ٣ « اليوم نختم على
 أفواههم و تكلمنا أيديهم و تشهد أرجلهم » و إنما العجمة* و الجمادية
 بالإضافة إلى ما بين بعض الخلق و بعضهم - انتهى .

١ و قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي في كتاب الزينة: و يقال
 إن الاسم^٢ مأخوذ من السمو وهو العلو و الرفعة، و إنما جعل الاسم
 (١) هكذا في م و ظ ، و في الأصل: بد، و لا يتضح في مد .

(٢) زيد في ظ : تعالى .

(٣) ليس في م و ظ .

(٤) سورة ٣٦ آية ٦٥ .

(٥) في م و مد: العجمة .

(٦) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست في ظ .

(٧) قال البيضاوي: و الاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء أو دليلاً
 يرفعه إلى الذهن من الألفاظ و الصفات و الأفعال . و استعماله عرفاً في اللفظ
 الموضوع لمعنى سواء كان مركباً أو مفرداً أو خبراً أو رابطاً بينهما؛ و المراد في
 الآية هو الأول أو الثاني وهو يستلزم الأول . لأن العلم بالألفاظ من حيث
 الدلالة متوقف على العلم بالمعاني .

توحيها بالدلالة على معنى الاسم لأن المعنى تحت الاسم - هذا قول
النحويين ؛ و السمة تدل على صاحبها ، لأنها حرفان سين و ميم ، فالسين
من السناء و الميم من المجد و هو لب الشيء ، فكأنه سمي اسما لأنه يضىء
لك عن لب الشيء و يترجم عن مكنونه ، وليس شئ . إلا و قد وسمه الله
بسمه تدل على ما فيه من الجوهر ؛ فاحتوت الاسماء على جميع العلم بالأشياء ، هـ
فعلها الله آدم و أبرز فضيلته على الملائكة عليهم السلام - انتهى .

« فقال ، 'معجزا لهم' ، انبثوني ، 'أى أخبرونى إخبارا عظيما قاطعا'
« بأسماء هؤلاء ، 'أى الموجودات بتفرسكم فيها . ان كنتم 'صدقين' هـ ، أى
فيما تفرستموه / فى الخليفة و فى أنساله . قال الحرالى : هذه الأسماء المواطة
للتسمية من السمة و الأسماء الأول هي الحظوظ من الذوات التى المتسم ١٠
بها هو المسمى ، و مع ذلك فبين التسمية و الاسم مناسبة يجعل الحكمة
بينهما بمقتضى أمر العليم الحكيم - انتهى . « قالوا ، متبرئين من العلم
(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) قال البيضاوى : « انبثوني » تبكى لهم و تنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة
فان التصرف و التدبير و إقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة و الوقوف على مراتب
الاستعدادات و قدر الحقوق محال ، و ليس بتكليف ليكون من باب التكليف
بالمحال ؛ و الإنباء إخبار فيه إعلام . و لذلك يجرى مجرى كل واحد منهما .
(٣) فى زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم و أن خلقهم و استخلاصهم و هذه
صفتهم لا يليق بالحكيم ، و هو وإن لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم .

« سُبْحَنكَ » ، أى نزهك تنزيهاً 'يجل عن الوصف' عن أن تنسب
إليك نقصاً في علم أو صنع ، و تتبرأ إليك عما يلزم قولنا من ادعاء العلم
لسواك .

قال الحرالي : وفي هذا المعنى إظهار لفضلهم وانقيادهم وإذعانهم
ه توطئة لما يتصل به من إياه إبليس - انتهى . والحاصل أنه تصرّح بتنزيه الله
تعالى عن النقص و تلويح بنسبته إليهم اعتذاراً منهم عما وقعوا فيه ، ولذا
قالوا : « لا علم لنا ، أى أصلاً » ، إلا ما علمتنا ، فهو دليل على أنه لا سبيل

(١) اعتراف بالعجز والقصور وإشعار بأن سؤالهم كان استفساراً ولم يكن
اعتراضاً وأنه قد بان لهم ما خفى عليهم من فضل الإنسان والحكمة في خلقه ،
وإظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ، ومراعاة للأدب
بتفويض العلم كله إليه . وقال على المهاشمي : « سُبْحَنكَ » أى نزهك تنزيهاً عن
أن يقصر علمك أو تشارك فيه أو تعبت في فعلك ، وإنما سألناك استفساراً
واسترشاداً ، لأنه « لا علم لنا إلا ما علمتنا » وإنما لم تعلمناها ابتداءً إذ « انك انت
العليم » بأن حقائقنا لا تقتضى العلم بها بلا واسطة ، وقد جعلت الوسائط مع
قدرتك على الأفعال ابتداءً لأنك أنت « الحكيم » - انتهى كلامه .

(٢ - ٢) ليست في ظ .

(٣) في ظ : ينسب .

(٤) ليس في ظ .

(هـ) في البحر المحيط : ولما سأل تعالى الملائكة ولم يكن عندهم علم بالجواب
وكانوا قد سبق منهم قولهم « اتجعل فيها من يفسد فيها » الآية ، أرادوا أن =

إلى علم شيء من الأشياء إلا بتعليم الله . قال الحرالي : رداً لبدء الامر لمن له البدء ، ولذلك ورد في أثارة ٢ من علم : من لم يحتم عليه بالجهل لم يعلم ، وذلك الجهل هو البراءة من العلم إلا ما علم الله - انتهى .
ثم خصوه بما نقوه عن أنفسهم فقالوا : « انك انت » ، أى وحدك
« العليم » ° أى العالم بكل المعلومات ° « الحكيم » ، أى فلا يتطرق إلى صنعك °

== يجيبوا بعدم العلم إلا ما علمهم ، فقدموا بين يدي الجواب تنزيه الله اعتذاراً وأدبا منهم في الجواب وإشعاراً بأن ما صدر منهم قبل يحوه هذا التنزيه لله تعالى فقالوا
« سبححك » ثم أجابوا بنفي العلم بلفظ لا انتى بنيت معها النكرة فاستغرق كل فرد من أنواع العلوم ، ثم استثنوا من ذلك ما علمهم هو تعالى فقالوا « إلا ما علمتنا » وهذا غاية في ترك الدعوى والاستسلام التام للعلم الأول الله تعالى ؛ قال أبو عثمان المغربي : ما جلاء الخلق إلا لدعوى ، ألا ترى أن الملائكة قالوا : « ونحن نسبح بحمدك » ، كيف ردوا إلى الجهل حتى قالوا : « لا علم لنا » ، وروى مع هذا الكلام عن جعفر الصادق - انتهى كلامه .

(٦) العبارة من هنا إلى « بتعليم الله » ليست في ظ .

(١) ليس في ظ .

(٢) في ظ : البدء - كذا .

(٣) في م و ظ : أثاره .

(٤) في مد : لم تحتم ، وفي ظ : لم يحتم - كذا .

(٥ - ٥) ليست في ظ .

(٦) في م : فلا تتطرق .

فساد بوجه 'فلا اعتراض أصلاً' . قال الحرالي : توكيد وتخليص وإخلاص للعلم والحكمة لله وحده ، وذلك من أرفع الإسلام ، لأنه إسلام القلوب ما حلاها الحق سبحانه^١ به ! فان العلم والحكمة نور القلوب الذي يحيي به كما أن الماء رزق الابدان الذي يحيي به ؛ والحكمة جعل تسبب بين أمرين يبدو بينهما تقاض من السابق واستناد من اللاحق - انتهى .^٢ وأصلها في اللغة المنع من الفساد ولا يكون ذلك إلا عن تمام العلم^٣ .

فلما قالوا ذلك وأراد إشهدهم فضل آدم عليه السلام استأنف في جواب

(١-١) ليست في ظ .

(٢) ليس في م ومد .

(٣) العبارة من هنا إلى « تمام العلم » ليست في ظ .

(٤) قال أبو حيان الأندلسي : فانظر إلى حسن هذا الجواب كيف قدموا بين يديه تنزيها لله ، ثم اعترفوا بالجهل ، ثم نسبوا إلى الله العلم والحكمة ؛ وناسب تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة لأنه المتصل به في قوله « وعلم » « انبثوني » « لا علم لنا » فالذي ظهرت به المزية لآدم والفضيلة هو العلم ، فناسب ذكره متصلا به ، لأن الحكمة إنما هي آثار العلم وناشئة عنه ، ولذلك أكثر ما جاء في القرآن تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة ، ولأن يكون آخر مقامهم مخالفا لأوله حتى يبين رجوعهم عن قولهم « اتجعل فيها » وعلى القول بأن الحكيم هو ذو الحكمة يكون الحكيم صفة ذات ، وعلى القول بأنه المحكم لصنعه يكون صفة فعل - انتهى .

من كأنه قال : ما قال لهم عند ذلك ؟ قوله : « قال » ، ' مظهرا ' لفضيلة العلم الموجبة لشرف العالم ' يا' آدم ' انبئهم ، أى ليزدادوا بصيرة فى أن العالم من علمته والسعيد من أسعدته فى أى صورة ركبته ' باسمائهم ، فأنبأهم بها . قال الحرالى : ولم يقل : عليهم ، فكان آدم عليهما بالاسماء وكانوا هم مخبرين بها لا معليها ، لأنه لا يتعلها من آدم إلا من خلقه محيط ه كخلق آدم ، ليكون من كل شيء ' و منه كل شيء ' ، فاذا عرض عليه شيء مما منه آنس * علمه عنده ؛ فلذلك اختصوا بالإنباء دون التعليم ، فلكل شيء عند آدم عليه السلام بما * علمه الله وأظهر له علاماته^٧ فى استبصاره

(١) العبارة من هنا إلى « العالم » ليست فى ظ .

(٢) فى مد : نظير .

(٣) نادى آدم باسمه العلم وهى عادة الله مع أنبيائه ، قال تعالى « يُنوح اهبط بسلام منا » يُنوح انه ليس من اهلك ، « يَا بَرُحِيمُ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا » ، « يُمُوسَى اِنِى اَنَا الله » ، « يُعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ » ؛ و نادى محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الأنبياء بالوصف الشريف من الإرسال والإنباء فقال « يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ » ، « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ » ؛ فانظر تفاوت ما بين هذا النداء وذاك النداء .

(٤ - ٤) ليست فى مد .

(٥) فى ظ : أحس .

(٦) فى م : بما .

(٧) فى البحر المحيط « قال القشيري : من آثار العناية بآدم عليه السلام لما قال =

الشيء اسمان جامعان : اسم يبصره من موجود الشيء، واسم يذكره لإبداء معنى ذلك الشيء إلى غاية حقيقته ، ولكل اسم جامع عنده وجوه متعددة يحاذي كل وجه منها بتسمية تخصه ، وبحسب تلك الوجوه تكثر عنده الالسنة و تكثرت الالسن الأعجمية ، فأوضحها وأعربها الاسم الجامع وذلك الاسم هو العربي الذي به أنزل خاتم الكتب على خاتم المرسلين وأبقى دائما في مخاطبة أهل الجنة لمطابقة الخاتمة إحاطة البادئة و حَمَّ و الكُتِبَ المبين ٥ انا جعلته قرانا عربيا لعلمكم تعقلون ٥ وانه في ام الكتب لدينا لعلى حكيم ٥ ، و طابق الختم البدء ٥ إحاطة لإحاطة - انتهى . وهذا كما كان ولده محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم يكلم ١٠ كل إنسان بلغته من قبائل العرب و من العجم بل ٢ و من البهائم العجم ٣ فكان علمه لبعض اللغات من غير مخالطة لأهلها ولا إلمام بلسانهم

= لللائكة « انبئوني » داخلهم من هبة الخطاب ما أخذهم عنهم لاسيما حين طالبهم بانبائهم إياه ما لم تحط بهم علومهم ، و لما كان حديث آدم رده في الإنباء عليهم فقال « انبئهم باسمائهم » ومخاطبة آدم لللائكة لم توجب الاستغراق في الهبة فلما أخبرهم آدم عليه السلام بأسماء ما تقاصرت عنه علومهم ظهرت فضيلته عليهم ، فقال : « ألم اقل لكم اني اعلم غيب السموت » يعنى ما تقاصرت عنه علوم الخلق « و اعلم ما تبدون » من الطاعات « و ما كنتم تكتمون » من اعتقاد الخيرية على آدم - انتهى كلام القشيري .

(١) سورة ٣ آية ١ - ٤ .

(٢) في ظ : البدل .

(٣ - ٢) ليست في ظ .

دليلا على علم سائر اللغات ، لأنه لا معلم له إلا العالم بكل شيء . . فلما
انبأهم ، أى أخبرهم إخبارا عظيما يأخذ بالآليات ، و « لما » كلمة تفهم
وجوب أمر لا مرفى حين فتجمع ' معنى الشرط والظرف - قاله الحرالى .
« باسمائهم » على ما هى عليه .

قال الحرالى فى التفسير و كتاب له فى أصول الفقه : هذه التسميات ه
ليس الاسماء التى هى موجودة من الذرات ، لأن تلك لا ينالها إلا العلم

(١) قال على المهاشمى : « يادهم انبئهم » وان كنت دونهم فى التجرد الذى به الاطلاع
« باسمائهم » مع فواتها للحصر من غير غلط فيها « قال الم اقل لكم انى اعلم ما
لا تعلمون » قاصدا به « انى اعلم غيب السموت » أى العالم العلوى مع كونكم منه
« و » غيب « الأرض » أى العالم السفلى مع ظهوره للحس ، ففى كل منهما من
الحقايا ما لا يبلغه علمكم بأدنى وجوه التمييز مع كمال تجردكم - انتهى . وقال
أبوحيان الأندلسى : وفى قوله « انبئونى » « فلما انبأهم » تنبيه على إعلام الله أنه
قد أعلم الله أنه قد أعلم آدم من أحوالهم ما لم يعلمهم من حاله ، لأنهم رأوه قبل
النسخ مصورا فلم يعلموا ما هو ؟ وعلى أنه رفع درجة آدم عندهم لكونه قد علم
لآدم ما لم يعلمهم ؛ وعلى إقامته مقام المفيد العلم وإقامتهم مقام المستفيدين منه ،
لأنه أمره أن يعلمهم أسماء الذين عرضهم عليهم ؛ وعلى أدبهم على ترك الأدب
من حيث قالوا « اتجمل فيها » فان الطوعية المحضة أن يكونوا مع عدم العلم
بالحكمة فيما أمروا به وعدم الاطلاع على ذلك الأمر ومصلحته ومفسدته كهم مع
العلم والاطلاع ، وكان الامثال والتسليم بغير تعجب ولا استفهام أليق بمقامهم
لطهارة ذواتهم وكمال صفاتهم - انتهى .

(٢) فى م : فتجمل .

و شهود البصيرة وقد جرى ذلك في وراثته في ولد آدم حتى كان رؤية
 و أبوه العجاج يرتجلان اللغة ارتجالاً و يتعلمها منهم من سواهم من العرب ،
 لأن التسمية التي ينالها الإنباء للاسم الذي يناله العلم كالمثل له المبدى
 لصورة^١ معناه للأذن المناسبة و مواصلة^٢ بين خصوص التسمية واسمها
 ه من الذات^٣ ، فيعلم ما يحاذى^٤ الشيء المفرد من منتظم الحروف كما يعلم
 الواصف ما يحاذى الشيء و يحاكيه من منتظم الكلم ، فيحاذيه و يحاكيه
 الواصف بكلام ، و يحاذيه و يسميه المسمى له بكلمة واحدة ، و كما أنه
 ليس^٥ لكل أحد مئة أن يصف فكذلك ليس^٦ لكل أحد مئة أن يسمى ،
 و منه ما يجرى من السنة العامة من التبز و الألقاب و قد كان يجب
 ١٠ الاكتفاء بما في هذه الآية من العلم يده أمر المسميات عما وقع فيها
 من الاختلاف بين التوقيف و الاصطلاح ، فقد تبين أنها عن علم عليه الله
 آدم لا عن توقيف كما هو عند الملائكة من آدم و لا عن اصطلاح
 كما قيل - انتهى .

(١) في ظ : نباله له - كذا .

(٢) في م : لصوره .

(٣) في م : مواصلته .

(٤) في م : الذوات .

(٥) في م : فيحاذى .

(٦) ليس في ظ .

(٧-٧) في م : لاحد .

« قال ، أى الله تعالى مثبتاً مدخول النفي كما هو شأن همزة التقرير :
 « ألم اقل لكم ، يا ملائكتى ! ٣ ولما كان هذا خبراً جسيماً نبه على بلوغه النهاية
 فى العظمة وأنه مما يستغربه ٢ / بعض الخلق بالتأكيد فقال : « انى اعلم ، »
 ٥٥ / « علماً مستمراً لا انقضاء له ١ » غيب السموات والارض ، فمن أردت تعليمه
 شيئاً من ذلك كان عالماً به ، وأما غيرى فلا طريق له إلى معرفة المستقبل ٥
 إلا الفراسة وقد تحظى ٧ . قال الحرالى : قررهم حتى ٨ لا يكون لهم ٩ ثانية
 وأعلم بذلك عباده من ولد آدم حتى يستنوا بحكم التسليم لله فى ما يديه
 من غير تعرض ولا اعتراض ، فنهى من آمن ومنهم من كفر - انتهى .

(١) قال البيضاوى : استحضار لقوله « انى اعلم ما لا تعلمون » لكنه جاء به على
 وجه أبسط ليكون كاللحجة عليه ، فانه تعالى لما علم ما خفى عليهم من أمور
 السماوات والارض وما ظهر لهم من أحوالهم الظاهرة والباطنة علم ما
 لا يعلمون ؛ وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى وهو أن يتوقفوا مترصدين
 لأن يبين لهم . والهمزة لانكار دخلت حرف الجحد فأفادت الإثبات والتقرير
 - انتهى .

(٢) العبارة من « مثبتاً » إلى هنا ليست فى ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٤) وفى م : يستغربه .

(٥) فى م : عين .

(٦ - ٦) ليست فى ظ .

(٧) وفى م و ظ : يخطئ .

(٨ - ٨) وفى م ومد : لا تكون لها .

« واعلم ما تبدين » في كل حين « وما كنتم تكتمون » ، فيما مضى وفيما يأتي . قال الحرالي : وفي صيغة تكتمون « من الدلالة » على تتمادى ذلك في كيانهم ما في صيغة تبدين من تتمادى بادى ذلك منهم - انتهى .

و لما أخبرنا سبحانه بهذه النعمة على آيينا ٣ ضم إليها الإنعام باسجد الملائكة له ونحن في ظهره فقال عاطفا على « اذ ، الأولى » وعدل عن الغيبة إلى التكلم ثم إلى كونه في مظهر العظمة إعلاما بأنه أمر فصل لافسحة في المراجعة فيه . و قال الحرالي : لما أنبأ تعالى بأمر مفاوضة الملائكة وما كان من ادعائهم وتسليمهم الأمر لله ولئن علمه الله وهو

(١) قال أبو حيان : هو عام فيما أبدوه وما كتموه من كل أمورهم ، وهذا هو الظاهر ، وعطف قوله « وما كنتم تكتمون » هو من باب الترقى في الإخبار لأن علم الله تعالى واحد لا تفاوت فيه بالنسبة إلى شيء من معلوماته جهرا كان أو سرا ، ووصل « ما » بكنتم يدل على أن انكنتم وقع فيما مضى ؛ وليس المعنى أنهم كتموا عن الله لأن الملائكة أعرف بالله وأعلم فلا يكتمون الله شيئا ، وإنما المعنى أنه بحسب في أنفسهم شيء لم يظهره بعضهم لبعض ولا اطلعه عليه .

(٢-٢) ليست في ظ .

(٣) وقع في م : آيينا - كذا خطأ .

(٤) العبارة من هنا إلى « المراجعة فيه » ليست في ظ .

(٥) قال أبو حيان الأندلسي : وفي قوله « قلنا » التفات وهو من أنواع البديع ، إذ كان ما قبل هذه الآية قد أخبر عن الله بصورة الغائب ثم انتقل إلى ضمير التكلم ، وأتى بما التي تدل على التعظيم وعلو القدر وتزيله منزلة الجمع لتعدد صفاته الحميدة ومواهبه الجزيلة ، وحكمة هذا الالتفات وكونه بنون المعظم نفسه أنه صدر منه الأمر للملائكة بالسجود ووجب عليهم الامتثال فناسب =

آدم عليه السلام نظم بذلك نبأ انقيادهم لآدم فعلا كما اتقادوا له علما
تماما لكمال حالهم في التسليم علما و عملا فقال تعالى - انتهى . . واذ قلنا ،
أى على عظمتنا « للثقة » ، أى الذين أكرمناهم بقربنا « اسجدوا لآدم » ، عبدنا
اعترافا بفضله لتفضيلنا له .

قال الحرالى : فجعله بابا إليه وكعبة يحملونه بجلاله تعالى ومحرابا ه
وقبله ، يكون سجدتهم له سجودا لله تجاه آدم كسجود آدم ' تجاه الكعبة ' ،
و ظهر بذلك سوء إياه إبليس عن السجود حين خالفهم في طينة الكيان ،
لأن الملائكة خلقت من نور و النور طوع لا يحوزه أين ولا يختصه ٣
جهة ، ولأن الجان خلقت من نار وهى بما يحوزه أين وتختصه ٤ جهة

= أن يكون الأمر فى غاية من التعظيم ، لأنه متى كان كذلك كان ادعى لامثال
الأمور فعل ما أمر به من غير بطء ولا تأول اشغل خاطره لورود ما صدر
من العظم . (٦) فى ظ : من .

(١) زيد فى م و ظ : لله ، وفى ظ زيادة « تعالى » أيضا .

(٢) قال أبو حيان : من قال بالسجود الشرعى قال : كان السجود تكربة و تحية له -
وهو قول الجمهور على و ابن مسعود و ابن عباس - كسجود أبوى يوسف ،
لا بسجود عبادة ؛ أو لله تعالى و نصبه الله قبلة : اسجودهم كاللکبة فيكون المعنى
إلى آدم - قاله الشعبي ؛ أو لله تعالى فسجد و سجدوا مؤتمنين به ، و شرفه بأن جعله
إماما يقتدون به . و المعنى فى لآدم أى مع آدم - انتهى . ثم ذكر : قال ابن عطية :
لما استعظموا تسبيحهم و تقديسهم أمرهم بالسجود لغيره ، ليريه بذلك استغناءه
عنهم و عن عبادتهم .

(٣) فى م : تختصه ، ولا يوضح فى مد .

(٤) فى م و ظ : يختصه .

لا يرجع عنها إلا بقهر وقسر، فلم ينزل عن رتبة قيامه في جبلته لمخلوق
الطين حيث لم يشعر بأحاطة خلق آدم كما تلقته الملائكة - انتهى .
فبادروا الامتثال فسجدوا، أى كلهم 'له كما أمرهم الله تعالى' «الا ابليس» ٣٠
قال الحرالى: من الإبلّاس وهو انقطاع سبب الرجاء الذى يكون عنه
اليأس من حيث قطع ذلك السبب - انتهى . فكأنه قيل: ما فعل؟
فقيل^٢: «ابى»، من الإباء وهو امتناع عما حقه الإجابة فيه - قاله
الحرالى . «واستكبر» عن السجود له^٣، من الاستكبار وهو استجلاب

(١) ليس فى ظ، وفى م: على .

(٢-٣) ليست فى ظ .

(٣) قال أبو حيان: استثناء متصل عند الجمهور، فعلى هذا يكون ملكاً ثم إبليس
وغضب عليه ولعن فصار شيطانا؟ وقيل: هو استثناء منقطع، وإنه أبو الجن
كما أن آدم أبو البشر، ولم يكن قط ملكاً - قاله ابن زيد والحسن .

(٤) وفى ظ: فقال .

(٥) فى ظ: ما .

(٦) قال البيضاوى: والسجود فى الأصل تذلل مع تطامن، وفى الشرع وضع
الجبّة على قصد العبادة، والمأمور به إما المعنى الشرعى فالسجود له فى الحقيقة
هو الله تعالى وجعل آدم قبله بمجودهم تفخيلاً لشأنه أو سبباً لوجوبه، وكأنه تعالى
لما خلقه بحيث يكون أنموذجاً للبدعات كلها بل الموجودات بأسرها ونسخة لما
فى العالم الروحانى والجسمانى و ذريعة للملائكة إلى استيفاء ما قدر لهم من
الكمالات ووصلة إلى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات أمرهم
بالسجود تذللاً لما رأوه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكراً لما أنعم عليهم =

الكبر، و الكبر بطر الحق و غمض الناس و غمطهم، و موجب ذلك استحقار الغير من وجه و استكمال النفس من ذلك الوجه - قاله الحرالي .
 «وكان،» أى فى أصل جبلته بما أفهمه الاستكبار من نسبتنا إلى ترك الحكمة إما جهلا أو جورا فى أمرنا بسجوده لآدم و هو على زعمه خير منه، «من،» وهى كلمة تفهم اقتباس الشيء مما جعل منه - قاله الحرالي . «الكافرين»، أى الذين سبق علينا بشقاوتهم لم يتجدد لنا بذلك علم ما لم نكن نعلمه .

= بواسطة؛ وإما المعنى اللغوى وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود إخوة يوسف له، أو التذلل والانقياد بالسعى فى تحصيل ما ينوط به معا شهم ويتم به كلهم «فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر» امتنع عما أمر به استكبارا من أن يتخذ وصلة فى عبادة ربه أو يعظمه و يتلقاه بالتحية أو يخدمه و يسعى فيما فيه خير و صلاحه . الإياه امتناع باختيار والتكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره، و الاستكبار طلب ذلك بالتشبع .

(١) فى م و ظ : عظمهم - كذا .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) زيد فى ظ : من .

(٤) قال على الماهمى : «كان من الكافرين» بالله، لإنكار وجوب امتثال أمر قطعى من أوامره، وفيه إشارة إلى أنه إذا كان إنكار واجب كفرا بالله فكيف لا يكون إنكار واجبات القرآن كلها كفرا به ! ثم أشار إلى أن ترك امتثال الأمر من غير إنكار الوجوب كان سبب هبوط آدم إلى متاعب الدنيا الباقية فى نسله إلى يوم القيامة - انتهى . و قال البيضاوى : أى فى علم الله أو صار منهم باستغباحه أمر الله إياه بالسجود لآدم عليه السلام اعتقادا بأنه أفضل منه والأفضل =

و في الآيات الثلاث «يأياها الناس اعبدوا ربكم» و «كيف تكفرون بالله» و «اذ قال ربك للملائكة» أيضا إشارة إلى اختلاف الحال في الخطاب بوصف الربوبية مع الخُلص و مع من دونهم و في الخطاب بأوصاف الذات، و ذلك أنه تعالى لما بين أن الضالين في حسن أمثاله هم الخاسرون ه عجب من يكفر به إشارة إلى شدة ظهوره و انتشار نوره في أمثاله و جميع أقواله و أفعاله و أن شهوده في كل اعتبار أوضح من ضياء النهار، لأنه ما ثمّ إلا ذاته و أفعاله و صفاته:

و في كل شيء له آية تدل على أنه واحد

متجليا عليهم باسم الإلهية في أفعاله التي هم لها ناظرون و بها عارفون، ١٠ فقال: «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم، إلى أن قال: «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا، الآية، و أدرج في ذلك أمر البعث بقوله «ثم إليه ترجعون» تنبيها على مشاركته لبقية ما في الآية من الظهور، لما قدم من الاستدلال عليه باخراج الثمرات حين تعرف إليهم بوصف الربوبية = لا يحسن أن يؤمر بالتخضع للفضول والتوسل به كما أشعر به قوله «انا خير منه» جوابا لقوله «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين» لا بترك الواجب وحده - انتهى .

(١) في ظ: ثم .

(٢) في ظ: الينا .

(٣) في م: لنفيه - كذا .

(٤) قال أبو حيان الأندلسي: إنه لما آمن عليهم بخلق ما في الأرض لهم كان =

الناظر إلى العطف و الامتتان و التربية و الإحسان في مثل ما هنا من أفعاله الظاهرة و آثاره الباهرة فقال : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم ، إلى آخرها ؛ و ختم هذه الآية بوصف العلم الشامل لما قام عليه من الدليل ضمن هذا التعجب ' إشارة إلى الاستدلال على كمال الأمثال و تحديدا لمن يستمر على الكفران بعد هذا البيان بأنه بمرأى ' منه و مسمع ' ٥ في كل حال ، فلما فرغ من خطابهم بالأمور الظاهرة على قدر فهمهم و مبلغ علومهم رقى الخطاب إلى رتبة نبيه عليه الصلاة و السلام لترقية البيان إلى غيب مقاولته للملائكة فقال : « و اذ قال ربك للملكة انى جاعل ، الآية ؛ فلكل مقام مقال ' ، و لكل مخاطب ' حد في الفهم و حال .

= قبله إخراجهم من العدم إلى الوجود اتبع ذلك بعده خلقهم و امتن عليهم بتشريف أبيهم و تكريمه و جعله خليفة و إسكانه دار كرامته و إيجاد الملائكة تعظيما لشأنه و تنبيها على مكانه و اختصاصه بالعلم الذى به كمال الذات و تمام الصفات ، و لا شك أن الإحسان إلى الأصل إحسان إلى الفرع و شرف الفرع بشرف الأصل ؛ و إسناد القول إلى الرب في غاية من المناسبة و البيان ، لأنه لما ذكر أنه خلق لهم ما في الأرض كان في ذلك صلاح لهم لأحوالهم و معاشهم فناسب ذكر الرب ، و إضافته إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم تنبيه على شرفه و اختصاصه بخطابه و عز لاستماع ما يذكر بعد ذلك من غريب افتتاح هذا الجنس الإنسانى و ابتداء أمره و مآله ؛ و هذا تنويع في الخطاب .

(١) في ظ : التعجب .

(٢) في ظ : بمرأى - كذا .

(٣) في م : مستمع .

(٤) ليس في م .

(٥) في مد : قدم .

قال الاستاذ أبو الحسن الحرالي في المفتاح الباب السابع في إضافة الربوبية ونعت الإلهية في القرآن : اعلم أن الربوبية إقامة المربوب بما خلق له وأريد له ، فرب كل شيء مقيم^١ بحسب^٢ ما أبداه وجوده ، فرب المؤمن ربه ورباه للايمان ، / ورب الكافر ربه ورباه للكفران ، هـ ورب محمد ربه ورباه للحمد - أدبني ربي فأحسن تأديبي ، ورب العالمين ربي^٣ كل عالم لما خلق له ، اعطى كل شيء خلقه ثم هدى^٤ ، فللربوبية بيان في كل رتبة بحسب ما أظهرته آية مربوبه - من عرف نفسه عرف ربه ، سبح اسم ربك الاعلى^٥ ، فاراد ربك ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك^٦ ، واعبدوا ربكم الذي خلقكم ، لهم اجرهم ١٠ عند ربهم^٧ .

وقال في الباب الذي بعده : فخطاب الإقبال على النبي صلى الله عليه وسلم أعظم إفهام في القرآن . الم تر الى ربك كيف مد الظل^٨ .

(١) في م : يقيمه .

(٢) في ظ : حسب .

(٣) في ظ : رب .

(٤) سورة ٢٠ آية ٥٠ .

(٥) سورة ٨٧ آية ١ .

(٦) سورة ٨٢ آية ١٨ .

(٧) سورة ٢ آية ٢٦٢ .

(٨) وفي ظ زيادة « ولو شاء لجعله ساكنًا » .

الآية^١ وهو الذى جعل لكم الليل لباسا^٢ ، الآية ، تفاوت الخطابين بحسب تفاوت المخاطبين وكما يتضح لأهل التعرف رتب البيان بحسب إضافة اسم الرب فكذلك يتحقق لأهل الفهم وجوه إحاطات البيان بحسب النوع والبيان فى اسم^٣ الله غيا فى متجلى^٤ الآيات للؤمن ، وعينا للكمال الموقن ، وجما وإحاطة عن^٥ بادئ الدوام للتحقق الواحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد^٦ وكيف تكفرون واتم تتلى عليكم آيت الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم^٧ ، قل هو الله احد^٨ ، والتفطن فى رتب البيان فى موارد هذا النحو من الخطاب فى القرآن من مفاتيح الفهم وبوادي مزيد العلم - انتهى .

١٠

وقد أوقع سبحانه ذكر ابتداء الخلق على ترتيب إيجاد له فقد روى مسلم فى صحيحه^٩ والنسائي فى التفسير من سننه عن أبى هريرة رضى الله عنه

(١) ليس فى م وظ .

(٢) سورة ٢٥ آية ٤٧ .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) من ظ ، وفى الأصل وم ومد : مستجلى .

(٥) فى م : على .

(٦) سورة ٣ آية ١٠١ .

(٧) سورة ١١٢ آية ١ .

(٨) زيد فى مد : فى صفة الجنة والنار والقيامة .

قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة ٥ في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل ٣ .
وقال المزي في الأطراف قال البخاري في التاريخ : وقال بعضهم :
أبوهريرة عن كعب وهو أصح - انتهى .

وما يقال من أنه كان قبل آدم عليه السلام في الأرض خلق

(١) سقط من مد ، وقد ثبت في بقية الأصول والصحيح لمسلم ٢/٣٧١ .

(٢) زيد في م : في ، ولم تكن الزيادة في بقية الأصول ولا في الصحيح لمسلم
لحذفها .

(٣) قال القاضي ثناء الله العثماني بعد نقل هذا الحديث : فإن قيل : هذا الحديث يدل على أن خلق آدم بعد خلق الأرض يوم سابعة فكيف يتصور مكث الجن زمانا طويلا في الأرض ثم طردهم إلى شعوب الجبال ومسكونة إبليس وجنوده من الملائكة زمانا طويلا ثم قواه تعالى لهم « انى جاعل في الارض خليفة » ؟
قلت : لا دليل في الحديث على أن المراد بالجمعة التي خلق فيها آدم أول جمعة بعد خلق الأرض ، لعل ذلك الجمعة بعد مضي الدهور ، ولولا هذا التأويل لزم خلق السماوات والأرض في سبعة أيام ، والثابت بالقرآن خلق السماوات والأرض في ستة أيام - والله أعلم .

(٤) هكذا ثبت في الأصل وظ ، ووقع في م و مد : الزنى - كذا مصحفا .

يعصون قاس عليهم الملائكة 'عليهم السلام' حال آدم عليه السلام ، كلام لا أصل له ، والذي يدل عليه حديث مسلم هذا كما ترى أنه أول ساكني الأرض ؛ والذي يلوح من اسمه في بدئه بالهمزة التي هي أول الحروف وختمه بالميم التي هي آخرها وختمها أنه أول ساكنيها بنفسه ، كما أنه خاتمهم بأولاده ، عليهم تقوم الساعة . ورأيت في ترجمة للتوراة * وهو أولها : خلق الله ذات السماء وذات الأرض وكانت الظلمة فقال الله :

(١ - ١) ليست في ظ .

(٢) قال البيضاوي : وإنما عرفوا ذلك بأخبار من الله ، أو تلقى من اللوح ، أو استنباط عما ركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم ، أو قياس لأحد الثقلين على الآخر - انتهى . قال أبو حيان الأندلسي : يكون علمهم بذلك قد سبق إما بأخبار من الله ، أو بمشاهدة في اللوح ، أو يكون مخلوق غيرهم وهم معصومون ، أو قالوا ذلك بطريق القياس على من سكن الأرض فأفسد قبل سكني الملائكة ؛ وروى ما يدل على ذلك عن ابن عباس وهو ما ملخصه أن الله أسكن الملائكة السماء والجن الأرض فعبدوا دهرًا طويلا ثم أفسدوا وحسدوا فاقتتلوا - الخ . وفي التفسير المظهرى : قال البغوى : خلق الله السماء والأرض والملائكة والجن ، وأسكن الملائكة السماء والجن الأرض ، فكشوا زمانا طويلا في الأرض ، ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فأفسدوا واقتتلوا - الخ . وقال أبو البركات النسفى في تفسيره : وإنما عرفوا ذلك بأخبار من الله ، أو من جهة اللوح ، أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر - انتهى .

(٣) ليس في م .

(٤) في ظ : بدايه ، وفي م : يديه - كذا .

(٥) وقال ابن تقيية في المعارف ص ٤ : قرأت في أول سفر من أسفار التوراة أن أول ما خلق الله من خليقته السماء والأرض وكانت الأرض خربة خاوية =

ليكن النور، فكان النور، فأراد^١ أن يفرق بين النور واليُحْدِس فسمى
النور نهارا واليُحْدِس مساء؛ ثم قال: ليكن جَلَدٌ وسط الماء ويميز بين الماء
الأعلى^٢ والماء الأسفل .

و في نسخة ٣: ليكن سقف بين المياه ليفصل بين الماء والماء ، فكان
ه كذلك فخلق الله سقفا وفصل به بين الماء الذي^٣ تحت الجلد^٤ و الماء الذي
فوق الجلد وسمى الله الجلد سماء^٥؛ وقال الله: لتجتمع^٦ المياه التي تحت

= وكانت الظلمة على الغمرة وكانت ريح الله تعالى ترف على وجه الماء فقال الله
عز وجل: ليكن النور، فكان نورا فرآه الله حسنا فبزمه الله من الظلمة وسماه
نهارا وسمى الظلمة ليلا فكان مساء .

(١) كرده في ظ .

(٢) وقع في ظ: الاصل - كذا مصحفا .

(٣) وقع في م: نسفحة - كذا مصحفا .

(٤) من م ومد و ظ ، وفي الأصل: التي - كذا .

(٥) والجَلَدُ الجَلْدُ والأرض الصلبة المستوية المتن ، والشدة والقوة ، والجَلْدُ
أيضا السماء أو الرقيق أو كرة الهواء أو الماء المتجمد فوق الساعات - قطر المحيط
ج ١ ص ٢٩٣ .

(٦) قال ملا معين الهروي في تفسير أسرار الفاتحة تحت بيان « رب العالمين »
ص ٢٢٤: « وذكر الإمام النسفي رحمه الله في تفسيره المسمى ببحر العلوم في بيان
أن العالم عبارة عن الساعات والأرضين وما بينهما: وقال ابن عباس رضي الله
عنه: أول ما خلق الله تعالى هو جوهر طوله مسيرة عشرة آلاف سنة وعرضه
مسيرة عشرة آلاف سنة ، نظر إليه بالهيبة فذاب - وجعل يقول: الأمان! وجعل
يرتعد - منه بخار وزبد فصار أثلاثا: ثلث ماء وثلث زبد وثلث بخار، فنودي:
يا بخار! كن سماء ، ويا زبد! كن أرضا! « اتنيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين » =

السما إلى مكان واحد وتظهر اليابسة^١، فكان كذلك فسمى الله اليابسة
أرضا وسمى مجامع المياه بحورا؛ وقال: لتخرج^٢ الأرض نبت عشب
يزرع منه^٣ زرع لجنسه و شجر^٤ ذات ثمار تثمر لجنسها يغرس منه غرس
على الأرض، فأنبعت الأرض نباتا عشبيا يزرع منه زرع لجوهره و شجر
ذات ثمار^٥ لجوهرها؛ فقال الله: ليكن نجمان في جلد السماء ليضيئا على الأرض ٥
وليميزا بين النهار و الليل و ليكونا للآيات و الأزمان و العدد و الأيام
و السنين، فخلق الله نورين عظيمين: المصباح الأكبر لسلطان النهار
و المصباح الأصغر لسلطان الليل^٦ و خلق النجوم، و كان المساء و الصباح
من اليوم الرابع؛ فقال الله: ليحت^٧ الماء حيثانا ذات أنفس^٨ حية، و ليطر
الطير فوق الأرض في جو السماء، فكان كذلك؛ و خلق تنانين^٩ عظيمة ١٠
و كل نفس حية^{١٠} تدب في الماء لأجناسها و كل طيور ذات أجنحة

= فالأرضون سبع: الأولى التي نحن عليها اسمها رمكاه - من شاء الاطلاع على
ما بقي فلينظر فيه . (٧) في م: ليجتمع .

(١) في ظ: المناسبة .

(٢) في م: ليخرج، و في ظ: تخرج .

(٣) في ظ: منها .

(٤) من ظ، و في الأصل و م و مد: شجرا .

(٥) في م: ثماره .

(٦) في ظ: الليل - كذا .

(٧) في ظ: سعت - كذا .

(٨) في ظ: نفس .

(٩) التنين الحوت و الحية العظمية .

(١٠) ليس في م .

لأصنافها وباركها وقال : انموا واكثروا واملاؤا مياه البحور
وليكثر الطير على وجه الأرض ؛ وقال الله : لتخرج^١ الأرض أنفاس حية
لجنسها دواب وسباع الأرض لأجناسها ، فكان كذلك ؛ وخلق الله
سباع الأرض لأجناسها^٢ والدواب لأصنافها وجميع هوام الأرض
لجواهرها .

فأراد الله أن يخلق خلقا يتسلط على حيتان البحر و طير السماء و على
الدواب وجميع السباع و على الحشرة التي تدب على الأرض فخلق آدم^٣
بصورته ذكرا و أنثى و بارك عليهما و قال لهما : انميا و اكثرا و تسلطا
على حيتان البحر و طير السماء و الدواب و جميع السباع ؛ و قال : ها أنا ذا^٤

(١) في م : ليخرج .

(٢) في ظ : حاطمها - كذا .

(٣) في تفسير أسرار الفاتحة للاماميين الهروي : في تفسير بحر العلوم أيضا عن
وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال : أخبرني أبو عثمان قال : قلنا لسلطان الفارسي
رضي الله عنه : يا با عبد الله حدثنا رحمك الله ! من خلق السماوات و ما فيهن من
العجائب ؟ فانك إن فارقتنا لم نجد من يحدثنا ؛ فقال سليمان : نعم ، خلق الله
السماوات السبع و سماهن بأسمائهن و أسكن كل سماء صفا من الملائكة تعبدونه
و أوحى في كل سماء أمرا فسمى السماء الدنيا رقيعا - إلى أن قال : ثم خلقت
آدم قبل أبيك آدم ، عمرته عشرة ألف سنة ، ثم مات بـفعلت عشرة آلاف
آدم قبل أبيك آدم ، و عاش كل آدم عشرة آلاف سنة ، ثم خلقت أباك
آدم بعده بعشرة آلاف سنة - و سوى ذلك من العجائب .

(٤) في الأصل : هاندا ، و في م : هانذا ، و في ظ : هانذا - كذا .

قد أعطيتكما جميع العشب^١ الذى يزرع على وجه الأرض كلها وكل شجر ذات ثمار تفرس فيها ليكون لكما^٢ مأكلا ولجميع سباع البر وطيور السماء ولكل^٣ ما يدب على الأرض فيه نفس حية، فكان كذلك؛ وكملت السماء والأرض وجميع ما فيها في اليوم السادس، ولم يكن ظهر على الأرض شيء من عشب الأرض، لأن الله لم يكن أهبط المطر على وجه الأرض^٤ بعد، وذلك لأن آدم لم يكن خلق بعد ليعمل في الأرض، وكان ينبوع يظهر في قعر عدن فيسقى جميع وجه الأرض.

٥٧/ فجبل الله الرب آدم / من تربة الأرض ونفخ في وجهه نسمة الحياة فصار آدم ذا نفس حية وغرس الله الرب فردوسا بعدن من قبل وأسكنه آدم، وأنبت الله كل شجرة حسنة المنظر شهية المأكل وشجرة الحياة^{١٠} وسط الفردوس وشجرة علم الخير والشر، وكان نهر يخرج من عدن فيسقى الفردوس وكان يفصل من هناك وينفرق على أربعة أطراف: اسم أحدها^{١١} سيحون الذى يحيط بجميع أرض الهند وتلك البلاد الكثيرة، وذهب^{١٢} تلك الأرض جيد جدا، هنالك المها وحجر البلور، واسم النهر الثانى جيحون الذى يحيط بجميع أرض^{١٣} الحبشة،^{١٥}

(١) وقع في م: الشعب - كذا مصحفا .

(٢) في الأصول كلها: لكم .

(٣) في ظ: كل .

(٤) ليس في ظ .

(٥) في م: احدهما - كذا .

(٦-٧) في ظ: بارض .

واسم النهر الثالث دجلة 'الذى يخرج' قبالة الموصل ، والنهر الرابع
الفرات ؛ فتقدم الرب إلى آدم وقال له : كل من جميع أشجار الفردوس ،
فأما شجرة علم الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك في اليوم الذى تأكل
منها تموت ٣ موتاً .

٥ وقال الله : لا يحسن أن يكون آدم وحده فلنخلق له عوناً مثله ،
نجفع الرب من الأرض جميع سباع البر وطير السماء وأقبل بها إلى آدم
ليرى ما يسميها وكل نفس حية سماها آدم فذلك اسمها فسمى الجميع ،
فألقى الله على آدم سباتاً ٥ فرقد ، فتزع ضلعا من أضلاعه وأخلف له
بدله لحماً ، فخلق الله من الضلع الذى أخذ من آدم امرأة ، فأقبل بها إلى
١٠ آدم فقال : هذه الآن التى قرنت^١ إلى^١ وفى هذه عظم من عظامى ولحم

(١-١) فى م : التى تخرج .

(٢) فى م : يا كل .

(٣) فى م : يموت .

(٤) قال أبو حيان : وتوجه الأمر بالسكنى على زوج آدم دليل على أنها كانت
موجودة قبله ، وهو قول بعض المفسرين لأنها خلقت من وقت علمه الله الأسماء
وإنابهم هو إياها ، نام نومة تخلقت من ضلعه الأقصر قبل دخول الجنة ، وأكثر
أئمة التفسير أنها خلقت بعد دخول آدم الجنة ، استوحش بعد لعن إبليس وإخراجه
من الجنة فنام فاستيقظ فوجدها عند رأسه قد خلقها الله من ضلعه الأيسر ، فسألها
من أنت ؟ قالت : امرأة ، قال : ولم خلقت ؟ قالت : تسكن إلى .

(٥) قال الله تعالى : وجعلنا نومكم سباتاً .

(٦) وفى ظ : قربت .

من لحمي ! فلتدع^١ امرأة لأنها أخذت من الرجل ، ولذلك يدع الرجل أباه وأمه ويلحق بامرأته و يكونان^٢ كلاهما جسدا واحدا ؛ وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته ولا يستحيان .

وكانت الحية أعز دواب البر كلها فقالت الحية للمرأة : أحق أن الله قال لكما : لا تأكلا من جميع شجر الجنة ؟ فقالت المرأة : إنا لنأكل من هـ كل ثمر الجنة^٣ ، فأما من ثمرة الشجرة التي في وسط الجنة فإن الله قال لنا : لا تأكلا منها ولا تقرباها^٤ لكيلا تموتا ؛ قالت الحية : لستما^٥ تموتان ، ولكن الله علم أنكما إن^٦ تأكلا منها تنفتح أعينكما وتكونا كاللآله^٧ تعلمان الخير والشر^٨ ، فرأت المرأة الشجرة طيبة المأكل شهية^٩ في العين

(١) في ظ : فلتدع - كذا .

(٢) في ظ : يكون .

(٣) قال أبو حيان : أباح لها الأكل حيث شاءا ، فلم يحظر عليهما مكانا من أماكن الجنة كما لم يحظر عليهما ما كولا إلا ما وقع النهي عنه .

(٤) في ظ : لا تقربانها - كذا . قال أبو حيان : نهاهما عن القربان وهو أبلغ أن يقع النهي عن الأكل ، لأنه إذا نهى عن القربان فكيف يكون الأكل منها ! والمعنى ولا تقرباها بالأكل .

(٥) في الأصل وم : ليس ، وفي ظ : ليست ، ولا يتضح في مد .

(٦) ليس في ظ .

(٧) زيد في ظ : له .

(٨) قال أبو حيان : وقال الكلبي : شجرة العلم عليها من كل لون ، ومن أكل منها علم الخير والشر .

(٩) في ظ : شهية - كذا .

فأخذت من ثمرتها فأكلت و أعطت بعلها فأكل ، فانفتحت أبصارهما
وعلما أنهما عريانان ، فوصلا من ورق التين وصنعا مآزر .
ثم ذكر أن الله تعالى سأل عن ذلك فقال آدم : المرأة التي
قرنتها معي هي^١ أطعمتني^٢ من الشجرة فأكلت^٣ ، فقال الله الرب للمرأة :
هـ ما^٤ هذا الذي فعلت ؟ فقالت المرأة : إن الحية أعطتني فأكلت^٥ ، فقال
للحية : ملعونة تكونين من جميع الدواب ومن كل ماشية البر ، وعلى
بطنك تمشين ، والتراب تأكلين كل أيام حياتك ، وأغرى العداوة بينك
وبين المرأة وبين ولدها ، ولدها يطأ رأسك وأنت تلذغينهم^٦ بأعقابهم !
وقال للمرأة : أكرر^٧ أوجاعك واحبالك وبالوجع تلدين البنين ، وإلى

(١) ليس في ظ .

(٢) زيد في مد : التي .

(٣) في مد : طعمتني - كذا .

(٤) روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها . وفي فتح
البارى قوله : لم تخن أنثى زوجها ، فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزويجها
لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك .

(٥) في ظ : يا - كذا .

(٦) في مد : فأعطتني - كذا .

(٧) في م : تلذغينهم .

(٨) من م و مد و ظ ، وفي الأصل فقط : اكررى - كذا .

بعلك تردين وهو مسلط عليك ! وقال لآدم : من أجل طاعتك امرأتك
وأكلك الشجرة التي نهيتك عنها ملعونة الأرض من أجلك بالشقاء تأكل
منها كل أيام حياتك أجاجا وشوكا تنبت لك ، وتأكل عشب الأرض ،
وبرشح جبينك تأكل طعامك حتى تعود في الأرض التي منها أخذت
من أجل أنك تراب وإلى التراب تعود .
٥

فدعا آدم اسم امرأته حواء ٢ من أجل أنها كانت أم كل حي ،
وصنع الله الرب لآدم وامرأته سرايل من الجلود وألبسها ، فأرسله
من جنة عدن ليحرث الأرض التي منها أخذ ، فأخرجه الله ربنا وأحاط
من مشرق عدن ملكا من الكرويين بيده حرقة يطوف بها ليحرس طريق
شجرة الحياة . ثم قال بعد ذلك : فكان جميع حياة آدم تسعمائة و ثلاثين
سنة ثم توفي عليه السلام - هذا نص التوراة . والكروب بوزن زبور

(١) في م : نبت .

(٢) في م فقط : يرشح .

(٣) في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : فقالت له الملائكة ينظرون مبلغ علمه :
ما اسمها ؟ قال : حواء ، قالوا : لم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حي .
وفي هذه القصة زيادات ذكرها المفسرون لانطول بذكرها لأنها ليست مما يتوقف
عليها مدلول الآية ولا تفسيرها .

(٤) وفي م ومد وظ : البسها .

(٥) زيد في ظ : آدم .

بلغه العبرانيين 'الشخص الصغير' ، فكان الكرويون ' الملائكة المنسوبيين ' إلى مخالطة الناس بالوحى أخذوا من الكرويين ' ثنية كروب و هما شخصان فى قبة الزمان كان 'يسمع كلام الله من بينهما ، كما يأتى قريباً .

فان أنكر منكر الاستشهاد بالتوراة أو ٣ بالإنجيل و عى عن أن

٥ الأحسن فى باب النظر أن يرد على الإنسان بما يعتقد تلوت عليه قول الله تعالى استشهادا على كذب اليهود : « قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صدقين » ، و قوله تعالى : « و انزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب و مهيمنا عليه » - فى آيات من ' أمثال ذلك كثيرة ؛ و ذكرته باستشهاد النبي صلى الله عليه وسلم بالتوراة فى قصة الزانى كما

١٠ سيأتى ان شاء الله تعالى فى سورة المائدة مستوفى . و روى الشيخان عن أبى سعيد رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ' : تكون الأرض

(١-١) فى ظ : الصغر .

(٢) وفى الأصول : الكرويين - كذا .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) من م ، وفى الأصل ومد وظ : المنسوبون .

(٥) فى م : الكرويين .

(٦) ليس فى م وظ .

(٧) - سورة ٣ آية ٩٣ .

(٨) سورة ٤٨ آية ٤٨ .

(٩) الظاهر ان « من » زائدة و تكون بدلاواو العطف .

(١٠) فى الصحيح للإمام البخارى ٩٦٥/٢ : عن أبى سعيد الخدرى قال النبى =

يوم القيامة خبزة نزلا لأهل الجنة ، فأتى رجل من اليهود فقال : بارك^١
الرحمن عليك يا أبا القاسم ! ألا أخبرك بنزل^٢ أهل الجنة يوم القيامة ؟
قال : بلى^٣ ، قال : تكون الأرض خبزة [واحدة] كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم ، فظفر النبي صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه .
وقريب^٤ من ذلك حديث الجلسة في أشباهه . هذا فيما يصدقه كتابنا . هـ

وأما ما لا يصدقه ولا يكذبه فقد روى البخارى عن عبد الله بن
عمر ورضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : حدثوا عن نبي
إسرائيل ولا حرج . ورواه مسلم و الترمذى والنسائى عن أبى سعيد
رضى الله عنه ، / وهو^٥ معنى ما فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :
٥٨ /

= صلى الله عليه وسلم : تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجباريذه
كما يتكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة ، فأتى رجل من اليهود فقال :
بارك الرحمن - الحديث ، وفيه : ثم قال : ألا أخبرك بأدامهم ؟ قال : إدامهم بالأم^٦
ونون ، قالوا : وما هذا ؟ قال : ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا .
(١) من م ومد وظ و رواية البخارى ، وفى الأصل : برك - كذا .

(٢) فى مد : الله .

(٣) فى ظ : بنز - كذا .

(٤) فى ظ : بل .

(٥-٥) ليست فى م .

(٦) فى م : قربت .

(٧) العبارة من هنا إلى « قال كان » ليست فى مد .

(٨) فى ظ : هم .

كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم و قولوا: 'أما بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم'، الآية، فإن دلالة هذا على سنية ذكر^١ مثل ذلك أقرب من الدلالة على غيرها،
 هـ و^٢لذا أخذ^٣ كثير من الصحابة رضى الله عنهم عن أهل الكتاب .

فإن فهم أحد من الشافعية منع أئمتهم من قراءة شيء من الكتب القديمة مستندا إلى قول الإمام أبي القاسم الرافعي في شرحه: و كتب التوراة و الإنجيل بما لا يحل الاتفاع به، لأنهم بدلوا و غيروا، و كذا قال^٤ غيره من الأصحاب؛ قيل له: هذا مخصوص بما علم تبديله^٥، بدليل أن كل من قال ذلك علل [بالتبديل - ^٦] فدار الحكم معه، و نص الشافعي ظاهر في ذلك، قال المزني^٧ في مختصره في باب جامع السير: ^٨و ما كان من كتبهم أى الكفار^٩ فيه طب و ما لا مكروه فيه يسع و^{١٠} ما

(١) سورة ٢٩ آية ٤٦ .

(٢) ليس في مد .

(٣-٣) في ظ: كذا أخبر .

(٤) ليس في ظ .

(٥) في م: يبدله - كذا .

(٦) زيد من م و مد و ظ، و قد سقط من الأصل .

(٧) زيد في م و ظ: عنه .

(٨-٨) ليست في ظ .

(٩) زيد في مد: لا .

كان فيه شرك أبطل وانتفع بأوعيته . وقال في الām في سير الواقدي
 في باب ترجمته كتب الأعاجم قال 'الشافعي: 'و' ما وجد من كتبهم فهو
 مغنم كله ، وينبغي للامام أن يدعو من يترجمه ، فان كان علما من طب
 أو غيره لا 'مكروه فيه باعه كما يبيع ما سواه من المغانم، وإن كان
 كتاب شرك شقوا الكتاب فانتفعوا بأوعيته وأداته فباعها، ولا وجه
 لتحريقه^٣ ولا دفعه قبل أن يعلم ما هو - انتهى . فقوله في الām: كتاب شرك ،
 مفهم لأنه كله شرك ، ولهذا عبر المزن عن ذلك بقوله : و ما كان فيه
 شرك ، أى من أبواب الكتاب وفصوله ، وأدل من ذلك قولهم في باب
 الأحداث : إن حكمها في مس المحدث حكم ما تُسَخَّتْ تلاوته من القرآن
 في أصح الوجهين ، والتعبير بالأصح على ما اصطَلَحُوا عليه يدل على أن
 الوجه القائل بحرمة مس المحدث وحمله لها قوى ، وأدل من ذلك
 ما ذكره محرر المذهب الشيخ محي الدين النواوى رحمه الله في مسائل
 ألحقها في آخره باب الأحداث من شرح المذهب وأقره أن المتولى قال :
 فان ظن أن فيها شيئا غير مبدل كره مسه - انتهى . ففكرهة المس للاحترام ،
 والاحترام فرع جواز الإبقاء والانتفاع بالقراءة ، وأصرح من ذلك ١٥

(١ - ١) ليس في م .

(٢) في ظ : فلا .

(٣) من م و ظ ، وفي الأصل : للحريقه - كذا .

(٤) في ظ : محرز .

(٥) ليس في م و مد .

كله قول الشافعى رحمه الله: إن ما لا مكروه فيه يباع، وكذا قول
 البغوى فى تهذيبه فى آخر باب الوضوء: وكذلك لو تكلم - أى الجنب -
 بكلمة توافق نظم القرآن أو قرأ آية نسخت قراءتها أو قرأ التوراة والإنجيل
 أو ذكر الله سبحانه أو صلى على النبي صلى الله عليه وسلم جاز، قالت
 عائشة رضى الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل
 أحيانه. فانه لا يتخيل أنه يجوز للجنب ما لا يجوز للحدث، بل كل ما
 جاز للجنب قراءته من غير أمر ملجئ جاز للحدث ولا عكس، وتعليه
 لذلك بحديث عائشة رضى الله عنها دال على أن ذلك ذكر لله تعالى،
 ولا يجوز الحمل على العموم لا سيما إذا لوحظ قول القاضى الحسين: إنه
 ١٠ يجوز الاستنجاء بهما، لأنه مبنى على الوجه القائل بأن الكل مبدل؛ وهو
 ضعيف أو محمول على المبدل منها، لأنه لا يخفى على أحد أن مسلها فضلا
 عن عالم لا يقول: إنه يستنجى بنحو قوله فى العشر الكلمات التى صدرت
 بها الألواح قال الله جميع هذه الآيات كلها: أنا الرب إلهك الذى
 أصعدتك من أرض مصر من العبودية والرق، لا تكونن لك آلهة
 ١٥ غيرى، لا تعملن شيئا من الأضنام والتماثيل التى مما* فى السماء فوق وفى

(١) فى م: مكروه.

(٢) فى ظ: الله.

(٣) فى م: ان.

(٤) فى م: يكونن.

(٥) فى م: هما - كذا.

الأرض من تحت و بما في الماء أسفل الأرض ، لا تسجدن لها و لا تعبدنها ،
لأنى أنا الرب إلهك إله غيور ، لا تقسم^١ بالرب إلهك كذبا ، لأن الرب
لا يزكى من حلف باسمه كذبا ، أكرم أباك و أمك ليطول عمرك في
الأرض التى يعطيكها^٢ الرب إلهك ، لا تقتل ، لا تزنى ، لا تسرق ،
لا تشهد على صاحبك شهادة زور . و قد أشبع الكلام فى المسألة شيخنا ه
حافظ عصره أبو الفضل ابن حجر فى آخر شرحه للبخارى ، و آخر ما حظ
عليه التفرقة بين من رسخ قدمه فى العلوم الشرعية - فيجوز له النظر فى
ذلك فانه يستخرج منه ما ينفع به المهتدون - و بين غيره فلا يجوز له
ذلك^٣ ، و أبده بنظر الأئمة فيها قديما و حديثا و الرد على أهل الكتابين
بما يستخرجونه منها ؛ فلو لا جواز ذلك ما أقدموا عليه - و الله الموفق . ١٠
و قد حررت المسألة فى فن المرفوع من حاشيتى على شرح ألفية الشيخ
زين الدين العراقى فراجعه إن شئت - و الله الهادى ؛^٤ ثم صنف فى ذلك
تصنيفا حسنا سميت « الأقوال القويمة فى حكم النقل من الكتب القديمة » .
تنبيهه : اعلم أن التوراة ثلاث نسخ مختلفة اللفظ متقاربة المعنى
إلا يسيرا : إحداها تسمى توراة السبعين ، و هى التى اتفق عليها اثنان ١٥

(١) زيد فى ظ : و .

(٢) فى م : لا يقسم .

(٣) من ظ ، و فى الأصل : تعطيكها .

(٤) ليس فى م .

(٥) العبارة من هنا إلى « القديمة » ليست فى ظ .

وسبعون حبرا^١ من أخبارهم^٢؛ وذلك أن بعض اليونان من ملوك مصر
سأل بعض ملوك اليهود بيت المقدس أن يرسل إليه عددا من حفاظ
التوراة، فأرسل إليه اثنين^٣ وسبعين حبرا، فأخلى كل اثنين منهم في
بيت وكل بهم كتابا وتراجمة، فكتبوا التوراة بلسان اليونان، ثم قابل
بين نسخهم الستة والثلاثين فكانت مختلفة اللفظ متحدة المعنى، فلم أنهم
صدقوا ونصحوا، وهذه النسخة ترجمت بعد بالسرياني^٤ ثم بالعربي وهي
في أيدي النصارى؛ والنسخة الثانية نسخة اليهود من الربانيين والقرائين،
والنسخة الثالثة نسخة السامرة؛ وقد نبه على مثل ذلك الإمام السمرقندي في
الصحائف واستشهد بكثير من نصوص التوراة على كثير من مسائل أصول
الدين، وكذا الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد والقاضي
عياض في كتاب الشفاء وغيرهم.

/٥٩

ثم أعلم أن أكثر ما ذكرته في كتابي هذا من نسخة وقعت لي
لم أدر اسم مترجمها، وعلى حواشي فصولها الأوقات التي تقرأ^٥ فيها، فالظاهر
أنها نسخة اليهود وهي قديمة جدا، فكان في الورقة الأولى منها نحو في
١٥ أطراف الأسطر فكملمته من نسخة^٦ السبعين، ثم قابلت نسختي كلها مع

(١) في م: خبرا - كذا. (٢) في م: أخبارهم - كذا.

(٣) في ظ: اثنان.

(٤) زيد في ظ: شرح، والزيادة كانت في الأصل أيضا ولكن ضرب عليها.

(٥) في ظ من.

(٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: يقرأ.

(٧) في ظ: نسخت - كذا.

بعض اليهود الربانيين على ترجمة سعيد الفيومي وهي عندهم أحسن التراجم
 'وكان هو القارئ'، فوجدت نسختي أقرب إلى حقائق لفظ العبراني
 و مترجمها أقعد من سعيد في لغة العرب ، هذا و ظاهر القرآن في قوله
 تعالى « فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » ٢٠ أن الأمر
 بالسجود له كان قبل إتمام خلقه و أن السجود كان عقب النفخ، و به ٥
 صرح البغوي في تفسيره، و أجاب عن قوله تعالى في سورة الأعراف
 « ولقد خلقنكم ثم صورنكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » ٢١ بأجوبة، منها
 أن الخلق و التصوير لآدم وحده، و ذكره بضمير الجمع لأنه أبو البشر
 فخلقهم و صورهم؛ و منها أن « ثم » بمعنى الواو ليست
 للترتيب - انتهى ٥ و التصوير شق^٦ السمع و البصر و الأصابع - قاله يمان، ١٠
 و التسوية تعديل^٧ الخلق و إتمامه و تهيئته لنفخ الروح، و يمكن أن يكون
 « خلقنكم » و ما بعده بمعنى قدرنا ذلك تقديرا قريبا من الإخراج من

(١ - ١) ليست في ظ .

(٢) سورة ١٥ آية ٢٩ .

(٣) سورة ٧ آية ١١ .

(٤) في ظ : تصويره .

(٥) زيد في ظ : و .

(٦) في م : سبق - خطأ .

(٧) وقع في ظ : بعدان - كذا مصحفا .

العدم ؛ و بذلك يتضح قوله في التوراة : فخلق آدم بصورته ذكرا و أنثى ،
ثم قال بعد ذلك : لأن آدم لم يكن خلق بعد ، ثم حكى خلقه و خلق
زوجه منه ؛ فهذا خلق بمعنى الإيجاد ، و ذلك بمعنى التقدير القريب منه
- و التهيئة لقبول الغايات - والله اعلم . و مشى اليضاوى على أن الأمر
بالسجود كان بعد الإنشاء بالأسماء و لم يذكر دليلا يصرف عن هذا الظاهر على
٥ أن المشى عليه أولى^١ من جهة المعنى ، لأن سجود الملائكة عليهم السلام
قبل^٢ يكون إيمانا بالغيب على قاعدة التكليف ، و أما بعد إظهار فضيلة
العلم فقد كُشِفَ الغطاء و صار وجه الفضل من باب عين اليقين^٣ ؛
و أما الترتيب في الذكر هنا على هذا الوجه و هو جعل السجود بعد الإنشاء
١٠ فهو لنكتة بديعة و هى أنه تعالى لما كان في بيان النعم التي أوجبت شكره
باختصاصه بالعبادة لكونه منعمافين أولا نعمته على كل نفس في خاصتها
بخلقها و إفاضة الرزق عليها ، ثم ذكر الكل بنعمة تشملهم و هى حاجته^٤
لأقرب خلقه إذ ذاك إليه عن أيينا آدم قبل إيجادها اقتضى الأسلوب
الحكيم أن يوضح لهم الحجة في فضيلة هذا الخليفة فذكر ما آتاه من
١٥ العلم ، فلما فرغ من محاجتهم بما أوجب إذعانهم ذكر بفيه^٥ بنعمة السجود

(١) ليس في ظ .

(٢) في مد : قيل .

(٣) في ظ : الفعل .

(٤) من م و مد ، و وقع في الأصل و ظ : محتاجة - كذا مصحفا .

(٥) هكذا في الأصل و م ، و في مد و ظ : تنبيه .

له ، فما كان تقديم إظهار فضيلة العلم إلا محافظة على حسن السياق في ترتيب الدليل على أقوم منهاج وأوضح سبيل . ولما فرغ من نعمة التفضيل في الصفات الذاتية بين النعمة بشرف المسكن مع تسخير زوج من الجنس لكمال الانس وما يتبع ذلك فقال تعالى . وقال الحرالي : لما أظهر الله سبحانه فضيلة آدم فيما أشاد^١ به عند الملائكة من علمه وخلافه . والإيجاد له وإياه إبليس عنه أظهر تعالى أثر ذلك ما يقابل من أحوال آدم حال ما ظهر للملائكة بما فيه من حظ مخالفة يشارك بها إفراط ما في الشيطان من الإباء لإحاطة^٢ خلق آدم بالكون كله علوا وسفلا ، ول يظهر فضل آدم في حال مخالفته على إبليس في حال إباته بما يبدو على آدم من الرجوع بالتوبة كحال رجوع الملائكة بالتسليم ، فيظهر فيه الجمع^{١٠} بين الطرفين والفضل في الحالين : حال علمه وحال توبته في مخالفته ، فجعل تعالى إسكان الجنة توطئة لإظهار ذلك من أمره فقال تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن »^٤ ، من السكن وهو الهدوء في الشيء الذي في طيه

(١) ليس في م ومد .

(٢) هكذا في الأصل وكتب فيه تحته : الاشارة رفع الصوت ؛ وفي م : اشار . وفي مد : امتاز .

(٣) في ظ : بالاحاطة .

(٤) قال على المهاملي : « و » ذلك أنا زدناه إكراما إذ « قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك » تكيلا لإكرامك بإكرام محبوبتك داركرامتنا « الجنة و » أكملنا استيلاءهما عليها إذ قلنا « كلا منها » أي من نعيمها . قال أبو حيان الأندلسي : =

إفلاق ، أن في قوله : وانت ، اسم باطن الذات علما هي المشتركة في
أنا وانت وانت وأنت تفعل كذا ، والألف في أنا إشارة ذات
المتكلم ، وفي مقابلتها التاء إشارة لذات المخاطب ذكر أو أنثى ، و زوجك
الجنة ، فأجنت لآدم ما فيها من خبء استخراج أمر معصيته ليكون ذلك
توطئة لكمال باطنه باطلاعه على سر من أسرار ربه في علم التقدير إيماننا
و'لكمال ظاهره يكون ذلك توطئة لفضيلة توبته إسلاما ليس لبنه التوبة

= و مناسبتها لما قبلها أن الله لما شرف آدم برتبة العلم وبإيجاد الملائكة له امتن
عليه بأن أسكنه الجنة التي هي دار النعيم أباح له جميع ما فيه إلا الشجرة على ما
سيأتى فيها إن شاء الله . و قال الشريفي الخطيب : أى اتخذ الجنة مسكنا لتستقر
فيها ، و لفظ أنت تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه ، وإنما لم يخاطبهما
أولا بأن يقول : اسكنا ، تنبيها على أنه المقصود بالحكم وهو الأمر بالسكنى التي
هي الأصل بالنسبة إلى ما عطف عليها من الأكل وغيره والمعطوف عليه تبع له
حتى في الوجود إذ لم يكن له من يؤنس في الجنة فخلقت حواء - بالذ - من ضله
الأنصر من جانبه الأيسر وهو قائم ، فلما استيقظ من نومه رآها جالسة عند
رأسه كإحسن ما خلق الله فقال : من أنت ؟ قالت : زوجتك ، خلقني الله لك ،
أسكن إليك وتسكن إلي ، وسميت حواء لأنها خلقت من حي ، خلقها الله من غير
أن يحس آدم ولا وجد بخلقها ألما . قال أبو البركات النسفي : الجنة هي جنة
الخلد التي وعدت للمتقين للنقل المشهور ، واللام للتعريف .

(١) في ظ : المشتركة .

(٢) ليس في م .

أثر المعصية مخالفة لإصرار إبليس بعد إباته و شهادة عليه بجهله في ادعائه ،
 وجعل له ذلك فيما هو منزل عن رتبة علمه فلم تلحقه فيه فتة حفيظة
 على خلافته و أنزلت معصيته إلى محل مطعمه الذي هو خصوص حال
 المرء من جهة أجوفية خلقه ليبدو نقص الأجوف و يبدى ذلك إكبار
 الصمد الذي 'يُطْعَمُ وَلَا يَسْطَعَمُ' ، فكان ذلك من فعله تسليحا بحمد ربه ؛ ه
 لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له انتهى .

وما كان السياق / هنا مجرد بيان النعم استعطافا إلى المؤلف كان
 عطف الأكل بالواو في قوله « وكلا منها » كافيا في ذلك ، وكان التصريح
 بالرغد الذي هو من أجل النعم عظيم الموقع فقال تعالى : « رغدا » ، أى

(١) زيد في م : و .

(٢) زيد في م : من .

(٣) في ظ : هنا .

(٤) قال البيضاوى : « رغدا » أى واسعا رافها ، صفة مصدر محذوف « حيث
 شئنا » أى مكان من الجنة شئنا ، وسع الأمر عليهما إزاحة للعلة و العذر للتناول
 من الشجرة المنهى عنها من بين أشجارها الفاتنة للحصر . وقال أبو حيان الأندلسي :
 قال الزجاج : الرغد الكثير الذى لا يعنك ، و قال مقاتل : الواسع ، وقال مجاهد :
 الذى لا يحاسب عليه ، وقيل : السالم من الإنكار الهنيء . « حيث شئنا » أباح لهما
 الأكل حيث شاءا فلم يحظر عليهما مكانا من أماكن الجنة كما لم يحظر عليهما ما كولا
 إلا ما وقع النهى عنه - انتهى .

واسعا رافها^١ طيبا هنيئا^٢ . حيث^٣ ، أى أى مكان^٤ ، شتاء بخلاف سياق
الأعراف فانه أريد منه مع التذكير بالنعم التعريف بزيادة التمكين
و أنها لم تمنع من الإخراج تحذيرا للتمكين^٥ في الأرض الموسعين في
المعاش من إجلال السطوات وإنزال المثلاث^٦ ، كما سيأتى إن شاء الله
ه . ثم المقصود من حكاية القصص في القرآن إنما هو المعاني
فلا يضر اختلاف اللفظ إذا أدى جميع المعنى أو بعضه ولم يكن هناك
مناقضة فان القصة كانت حين وقوعها بأرفى المعاني الواردة ثم إن الله
تعالى يعبر لنا في كل سورة تذكرا^٧ القصة فيها بما يناسب ذلك المقام من
الالفاظ عما يليق من المعاني ويترك ما لا يقتضيه ذلك المقام ، وسأين
١٠ ما يطلعني الله عليه من ذلك في مواضعه ان شاء الله تعالى .

ولما أباح لها سبحانه ذلك كله اتبعه بالنهي عن شجرة واحدة .
قال الحرالي : وأطلق له الرغد إطلاقا وجعل النهى عطفًا ولم يجعله
استثناء ليكون آدم أعذر في النسيان لأن الاستثناء أهم في الخطاب من
التخصيص وقال : « ولا تقربا »^٨ ولم يقل : ولا تأكلا ، نهيا عن حماها

(١) في م : رافها - كذا .

(٢) العبارة من « اى » إلى هنا ليست في ظ .

(٣-٣) ليست في ظ .

(٤) في م : للتمكين .

(٥) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : المثلاث - كذا بالناء الثلاثة .

(٦) في ظ : بذكر .

(٧) قال البيضاوى : فيه مبالغات تعليق النهى بالقرب الذى هو من مقدمات =

ليكون ذلك ' أشد في النهي - انتهى . « هذه » ، ولما كان اسم الإشارة لا دلالة له على حقيقة الذات افتقر إلى بيان ذات المشار إليه فقال : « الشجرة » ، أى فانكما إن قربتاهما ٣ تأكلا منها « فتكونا » ، أى بذلك « من الظلمين » ، أى الواضعين الشيء في غير موضعه كمن يمشى في

= التناول مبالغة في تحريره ووجوب الاجتناب عنه ، و تنبيهها على أن القرب من الشيء يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلوب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روى : حبك الشيء يعمى ويصم . فينبى أن لا يحوما حول ما حرم الله عليها مخافة أن يقعا فيه ، وجعله سببا لأن يكونا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي أو بنقص حظهما بالإتيان بما يغفل بالكرامة والنعيم . قال على المهاشمي : « و » من إكرامنا أباهما أنا لم نكلفهما بشيء سوى أن قلنا « لا تقربا » فضلا عن تناول شيء منها فضلا عن الأكل إذ القرب من الشيء يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى الشرع والعقل « هذه الشجرة » من بين الأشجار الفاتنة للحصر وكانت شجرة الحنطة أو الكرمة أو التينة « فتكونا من الظلمين » أنفسهم بتفويت الكرامات والتعرض للعقاب والعتاب ، فكانت هذه مدخلا للشيطان . قال النسفي : « الشجرة » أى الحنطة ، ولذا قيل : كيف لا يعصى الإنسان وقوته من شجرة العصيان ، أو الكرمة لأنها أصل كل فتنه ، أو التينة - انتهى .

(١) ليس في م .

(٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ .

(٣) في ظ : قربتاهما - كذا .

(٤) العبارة من هنا إلى « من الحكمة » ليست في ظ .

الظلام؛ وفي هذا النهى دليل على أن هذه ' السكنى لا تدوم، لأن الخلد لا يناسب أن يعرض للحظر بأن يحظر عليه شيء ولا أن يؤمر ولا ينهى، ولذلك دخل عليه الشيطان من جهة الخلد، ولا داعى لبيان نوع الشجرة^١ لأن السياق لبيان شؤم المخالفة وبركة التوبة لا لتعيين النهى
 ه عنه فليس يانه حينئذ من الحكمة .

ثم بين أنهما أمرعا الواقعة بقضية^٢ خلقهما على طبائع الشهوة لما نهيا عنه فقال: « فازلهما »، قال الحرالى: من الزلل وهو تزلق الشيء الذى لا يستمسك على الشيء الذى لا مستمسك فيه كتزل الزلال عن^٣ الورق

(١) فى م: هذا .

(٢) نقل أبو حيان فى الشجرة أقوالا متعددة و فيها قيل: شجرة لم يعلمنا الله ما هى وهذا هو الأظهر، إذ لا يتعلق بعرفانها كبير أمر، وإنما المقصود إعلامنا أن فعل ما نهينا عنه سبب للعقوبة . . . قال القشيري: كل ما منع منه توفرت دواعى ابن آدم للاقتراب منه، هذا آدم عليه السلام أبيع له الجنة بجملها ونهى عن شجرة واحدة فليس فى العقول أنه مديده إلى شيء من جملة ما أبيع له، وكأنه عبل صبره حتى ذاق ما نهى عنه، هكذا صفة الخلق، فقال: نبه على عاقبة دخول آدم الجنة من ارتكابه ما يوجب خروجه منها قوله تعالى « انى جاعل فى الارض خليفة » فاذا أخبر تعالى بجعله خليفة فى الأرض فكيف يمكن بقاءه فى الجنة، كان آدم لا أحد يوفيه فى الرتبة يتوالى عليه النداء: يا آدم! يا آدم! فأمدسى وقد نزع لباسه و سلب استثناسه والقدرة، لا تكابر وحكم الله لا يعارض . وقال الشاعر:

لله درهم من فنية بكروا مثل الملوك وراحوا كالساكنين

(٣) فى ظ: يقتضيه .

(٤) فى م: على .

و هو ما يجتمع من الطل فيصير ما على الأوراق و الأزهار ، و أزالتها من الزوال و هو التحية عن المكان أو المكانة و هو المصير بناحية منه ؛ « الشيطان ، هو ما أخذ من أصلين : من الشطن و هو البعد الذى منه سمى الحبل الطويل ، و من الشيط الذى هو الإسراع فى الاحتراق و السمن ، فهو من المعنين مشتق كلفظ إنسان و ملائكة » عنها ، أى عن واقعة الشجرة و عن ٥ كلمة تقتضى المجاوزة عن سبب ثابت كقولهم : رميت عن القوس - انتهى .
 'و تحقيقه' فأصدر الشيطان زلتها أو زوالها ٣ عنها « فأخرجها » ، أى فتسبب عن إيقاعها فى الزلل الناشئ عن تلك الواقعة أنه أخرجها « بما كانا فيه ، من النعمة العظيمة التى تجل عن الوصف . قال الحرالى : « فى ، كلمة تقتضى وعاء مكان أو مكانة ، ثم قال : أنبأ الله عز وجل بما ١٠

(١) العبارة من هنا إلى « عنها » ليست فى ظ .

(٢) قال البيضاوى : أصدر زلتها عن الشجرة وحملها على الزلة بسببها أو أزالتها عن الجنة بمعنى أذهبها ، ويعضده قراءة حمزة « فازالها وهما يتقاربان فى المعنى غير أن أزل يقتضى عثرة مع الزوال . وجعل سيويوه نونه تارة أصلية على أنه من شطن إذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ، ويشهد له قولهم : تشيطان ، وأخرى زائدة من شاط إذا بطل ، و من أسمائه الباطل .

(٣) فى م : زورالهما .

(٤) قال على المهانمى « فأخرجها عما كانا فيه » من الكرامات ، قيل ألقى باب الجنة ففتحت الخزنة ، فخاضته الحية فسألها الدخول فيها ، فأدخلته فوق بين يدي آدم فقال : هل أدلك على شجرة الخلد ؟ فلم يقبل ، « فقاسمهما أنى لكانا من النصحين » فاعترا فبادرت حواء ثم تناولت آدم فصدرت هذه المعصية من آدم قبل النبوة بنسيان جرم النهى بتغرير إبليس وإنسانه قوله « فتكونا من الظالمين » - انتهى .

في خبء أمره بما هو من وراء علم الملائكة بما أظهر من أمر^١ آدم عليه السلام و بما وراء علم آدم بما أبدى من حال الشيطان باستزلاله لآدم حسن ظن من آدم بعباد الله مطلقا حين قاسمهما على النصيحة ، وفيه انتظام بوجه ما بتوقف الملائكة في أمر خلق آدم لحذرت الملائكة إلى الغاية ،
 ٥ نجاء من وراء حذرهما حمد أظهره الله من آدم ، وجاء من وراء حسن ظن آدم ذنب أظهره الله من الشيطان على سيل سكن الجنة فرمى^٢ بهما عن سكنها بما أظهر له بما فيها من حب الشجرة التي اطلع عليها . ثم قال : وحكمة ذلك أي^٣ نسبة هذا الذنب إلى الشيطان بتسييه^٤ ، إن الله عز وجل* يعطى عباده الخير بواسطة وبلا واسطة ولا ينالهم شر إلا^٥
 ١٠ بواسطة نفس ، كما وقع من الإياء للشيطان ، فكانت خطيئته في ذات نفسه أو بواسطة شيطان كما كانت مخالفة آدم ، فكانت خطيئته ليست^٦
 من ذات نفسه وعارضة عليه من قبل عدو تسبب له بأدنى ما منه من زوجه^٧ التي هي من أدنى خلقه فمحت التوبة الذنب العارض لآدم وأثبت الإصرار الإياء النفساني للشيطان ؛ وذكر الحق تعالى الإزلال

(١) في م : علم .

(٢) في مد : رمى من - كذا .

(٣) زيد في ظ : و .

(٤) في ظ : بتشييه .

(٥ - ٥) ليس في ظ .

(٦) في م : إلى .

(٧) ليس في م .

(٨) في م : روحه - كذا .

منه باسمه الشيطان لا باسمه إبليس لما في معنى الشيطنة من البعد والسرعة
التي تقبل التلافي، ولما في معنى الإبلّاس من قطع الرجاء، فكان في ذلك
بشرى استدراك آدم بالتوبة - انتهى .

ولما بين أنه غرهما فضرهما بين إيهاب الغارّ والمغرور وبين أنه
أنعم على المغرور دون الغار مع ما سبق له من لزوم العبادة وطول
التردد في الخدمة، وفي ذلك تفخيم للنعمة استعطافا إلى الإخلاص في
العبادة فقال عاطفا على ما يرشد إليه السياق من نحو أن يقال فتداركناهما
بالرحمة و تلافينا خطأهما بالعفو لكونه عارضا منها بسبب خارج؛ وأبدنا
تلافي ٣ الغار بشقائه لعصيان بالضلّال والإضلال عن عمد فكان مغضوبا

(١) قال الخطيب الشربيني : قال ابن عباس رضي الله عنهما قال الله تعالى لآدم :
أليس فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة ؟ قال : بلى يا رب وعزتك
ولكن ما ظننت أن أحدا يحاف بك كاذبا، قال : فبعزتي لأهبطنك في الأرض
ثم لا تنال العيش إلا كذا؛ فأهبطا من الجنة وكانا يأكلان فيها رغدا، فلم صنعة
الحديد وأمر بالحرث فحرث و زرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصد ثم درسه ثم ذراه
ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله . قال إبراهيم
ابن ادهم : أورتنا تلك الأكلة حزنا طويلا .

(٢) وفي التفسير المظهرى : قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال الله تعالى :
يا آدم ! ما حملك على ما صنعت ؟ قال : يا رب زينته لى حواء ، قال : فأنى أعقبتها
أن لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها و دميتها فى الشهر مرتين ، فرئت حواء
عند ذلك ، فقيل : عليك الرنة و على بناتك .

(٣) فى الأصل : تلاف .

عليه « وقلنا، أى له وللغرور: « اهبطوا »،^١ وفي ذلك لطف لذريته بالتنفير من الخطاء والتهيب الشديد من جريرته والترغيب العظيم على تقدير الوقوع فيه في التوبة والهبوط .

/٦١

قال الحرالي: سعى في درك والدرك ما / يكون نازلا عن مستوى ،
 ٥ فكأنه أمسك حقيقته - أى آدم - في حياضته تعالى وحفظه وتوفيقه
 لضراعه وبكائه و سر ما أودعه من أمر توبته ؛ وأهبط صورته ليظهر
 ٢ في ذلك^٢ فرق ما بين هبوط آدم وهبوط إبليس على ما أظهر من
 ذلك سرعة عود آدم توبة وموتا إلى محله من أنسه المعهود وقربه
 المألوف له^٣ - من ربه ، و إنظار إبليس في الأرض مصرا منقطعا عن^٤
 ١٠ مثل معاد آدم لما^٥ نال إبليس من اللعنة التي هي مقابل التوبة . « بعضكم

(١) قال على المهاشمي : « اهبطوا » من دار كرامتنا إلى دار الابتلاء وأقله العداوة
 والمضرة في الدنيا والدين إذ « بعضكم لبعض عدو » يعاديكم إبليس بالإضلال
 والحية بالدغ « و » لا رجوع لكم إلى الجنة عن قريب إذ « لكم في الأرض
 مستقر » أى مدة استقرار بوقع في الأمل « و متاع » يوقع في الشهوات وينسى
 نعيم الجنة « الى حين » أى القيامة على ظهرها أو في بطنها .

(٢) العبارة من هنا إلى « في التوبة » ليست في ظ .

(٣-٢) في ظ : بذلك .

(٤) ليس في ظ .

(٥) في م : على .

(٦) في مد : بما .

لبعض ، البعض ' ما اقتطع من جملة وفيه ما في تلك الجملة ؛ ' عدو ، من
العداء ' أى المجاوزة عن حكم المسألة التى هى أدنى ما بين المستقلين^٢ من
حق المعاونة - انتهى . فالمنى فليحذر كل واحد منكم عدوه^٤ باتباع الأوامر
الأوامر و اجتناب النواهى .

قال الحزالى : وفيه إشعار بما تبادى من عدواء الشيطان على ذره^٥ من ه
ولد آدم حتى صاروا من حزبه ، وفيه أيضا بشرى لصالحى ولد آدم
بما يسبونه من ذره إبليس فيلحقون بهم بالإيمان والإسلام والتوبة فيهدون
بهده من حيث عم^٦ بالعداوة ، فاعتدى ذو الخير فصارت عدواه^٦ على أهل
الشر خيرا ، واعتدى ذو الشيطنة فصارت عدواه على أهل الخير شرا .
' ولكم فى الارض مستقر ، تكونون فيه ، وهو من القرار^٧ وهو كون ١٠

(١) وفى البحر المحيط : بعض اصله مصدر بعض ببعض أى قطع ، و يطلق
على الجزء ، ويقابله كل ، وهما معرفتان لصدور الحال منهما فى فصيح الكلام .
(٢) فى البحر المحيط : العدو من العداوة وهى مجاوزة الحد ، يقال : عدا فلان
طوره ، إذا جاوزه ، وقيل : العداوة التباعد بالقلوب ، من عدوى الجبل وهما
طرفاه ، سميا بذلك لبعد ما بينهما ، وقيل : من عدا أى ظلم ، وكلها متقاربة فى
الغنى ، والعدو يكون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث .

(٣) فى ظ : المستقلين .

(٤) فى ظ : صاحبه .

(٥) فى ظ : ذراه .

(٦) فى م : عداه .

(٧) قال أبوحيان الأندلسى : المستقر مستفعل من القرار وهو اللبث والإقامة ، =

الشيء فيما له فيه^١ تنام وظهور وعيش موافق؛ «ومتاع» يتمتعون^٢ به،
والمَتَاع^٣ هو الانتفاع بالمنفعة به وقتا منقطعا يعرف نقصه بما هو أفضل
منه، يعنى ففيه إشعار بانقطاع الإمتاع بما فى هذه الدنيا ونقص ما به
الانتفاع عن محل ما كانا فيه، من حيث أن لفظ المتاع أطلق فى لسان
٥ العرب على الجيفة التى هى متاع المضطر وأرزاق سباع الحيوان
وكلابها^٤، فكذلك الدنيا هى جيفة متع بها أهل الاضطراب بالهبوط
من الجنة وجعلها حظا من لا خلاق له فى الآخرة؛ «الى حين» أى
لا يتقدم ولا يتأخر، وفى إيهام الحين إشعار باختلاف الآجال فى ذره
الفريقين، فمنهم الذى يناله الأجل صغيرا، ومنهم الذى يناله كبيرا -
١٠ انتهى.

= ويكون مصدرا وزمانا ومكانا .

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى م : يتمتعون .

(٣) فى البحر المحيط : المتاع ما استمتع به من المنافع أو الزاد أو الزمان الطويل
أو التعمير « إلى حين » إلى الموت أو إلى قيام الساعة أو إلى أجل قد علمه الله -
قاله ابن عباس . ويمكن أن يقسم قوله « مستقر ومتاع الى حين » بقوله « قال
فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون » ، وفى قوله « الى حين » دليل على
عدم البقاء فى الأرض ودليل على المعاد ، وفى هذه الآية التحذير عن مخالفة أمر الله
بقصد أو تأويل وأن المخالفة تزيد عن مقام الولاية .

(٤) فى ظ : كلابها - كذا .

ولما تسبب عن جزاء آدم عليه السلام بالإبطاء الذى هو كفارة له أنه ألهم الدعاء بما رحم به عبر عن ذلك بقوله : « فلتقى » أى فهبطوا فلتقى « آدم » بعد الهبوط ، والتلقى ما يتقبله القلب باطنا وحيا ، أو كالوحي أبطن من التلقن الذى يتلقنه لفظا و علما ظاهرا أو ٣ كالظاهر - قاله الحارثى : « من ربه » ، أى المحسن إليه فى كل حال ، « كلمت » أى رضيه ه سبجانه بما أفهمه التعبير بالتلقى ، وهى جمع كلمة ؛ وهى دعاء دعا به ربه . أو ثناء أثنى به عليه ؛ وتطلق الكلمة أيضا على إمضاء أمر الله من غير

(١) قال على الهائى : ولما لم يكن مصيبة آدم كفرا وكان معتنى به ألهمه الله كلمات « فلتقى » أى قبل « آدم من ربه كلمت » هى « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » فاستغفر عنها وتاب عن أمثالها - انتهى . قال البيضاوى : استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها . وعن ابن عباس قال : يا رب ! ألم تخلفنى بيدك ؟ قال : بلى ، قال : يا رب ! ألم تنفخ فى الروح من روحك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تسبق رحمتك على غضبك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تسكنى جنتك ؟ قال : بلى ، قال : رب ! إن تبت وأصلحت أراجعى أنت إلى الجنة ؟ قال : نعم . وأصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة - انتهى .

(٢) من م ومد و ظ ، وفى الأصل نقط : التلقين .

(٣) فى ظ : و .

(٤-٤) ليست فى ظ .

(٥) ليس فى مد .

(٦) ليس فى ظ .

تسبب حكمة و لا ترتيب حكم - قاله الحراي ثم قال : في عطف الفاء في هذه الآية إشعار بما استند إليه التلقي من تنبيه ' قلب آدم وتوفيقه بما أثبت له إمساك حقيقته عند ربه ، ويعاضد معناه رفع الكلمات وتلقيها آدم ' في إحدى القراءتين ، فكأنه تلقى الكلمات بما في باطنه فتلقتها الكلمات^٢ بما أقبل بها عليه فكان مستحقا لها ، فكانت متلقية له بما جمعت القراءتان من المعنى ' فتاب ' من التوب وهو رجوع بظاهر باطنه الإنابة وهو رجوع بعلم باطنه الآوبة وهو رجوع بتقوى قلب - انتهى . عليه ، لذكره إياه بالكلمات مخلصا في نيته ، ثم علل بقوله ' انه هو ' أي خاصة ' (١) في ظ : تبينه .

(٢) في التفسير المظهرى : قرأ ابن كثير ' آدم ' بالنصب و ' كلمت ' بالرفع ، يعنى جاءت الكلمات آدم من ربه وكانت سبب توبته . (٣) في ظ : الملائكة .

(٤) قال البيضاوى : فتاب عليه رجع إليه بالرحمة وقبول التوبة ، وإنما رتبته بالفاء على تلمى الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على أن لا يعود إليه ، واكتفى بذكر آدم لأن حواء كانت تبعاله في الحكم ولذا طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنن ؛ ' انه هو التواب الرحيم ' الرجاء على عباده بالمغفرة أو الذى يكثر اعانتهم على التوبة ، وأصل التوبة الرجوع ، فإذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية ، وإذا وصف به البارئ تعالى أريد به الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة ؛ الرحيم المبالغ في الرحمة ، وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالإحسان مع العفو - انتهى . (٥-هـ) است في ظ .

« التواب » ،^١ أى البليغ التوبة المكرر لها ، ولما كان قد جعل على نفسه
المقدس أن يتفضل على المحسن قال : « الرحيم » ، أى لمن أحسن الرجوع
إليه وأهله لقربه .

قال الحرالى : وكان إقراره بلفظه أدبا وإذعانا لقيام حجة الله على
عباده بما أنبأ عنه من قوله « ربنا ظلمنا أنفسنا »^٢ الآية ، وهذه توبة قلب هـ
وعمل لا يتنقض بخصوص حال القلب منها ناقض وهى التوبة النصوح
التي تبرئ من الذنب بتحقيق توحيد القلب وتوجب تكفير الخطايا
الظاهرة التي لا أصل لها في القلب من حجاب دعوى في الأفعال وشرك
في أمر الله ، فبمقتضى ما في باطنه ظهر فيه اسمه الرحيم الذي هو من
الرحمة وهو اختصاص فضله بالمؤمن ، وبمقتضى ما ظهر عليه من ١٠
الصراحة والإقرار^٣ ظهر فيه مقتضى اسمه التواب ؛ فجمعت توبته الأمرين -
اتتهى .

ولما أعلموا بالعداوة اللازمة كان كأنه قيل : فما وجه الخلاص
منها ؟ فقيل : اتباع شرعنا المشروع للتوبة والرحمة فانا « قلنا »^٤ كما تقدم^٥
« اهبطوا »^٦ ولما كان الهبوط الماضي يحتمل أن يكون من مكان من ١٥

(١) العبارة من هنا إلى « قال » ليست في ظ .

(٢) في ظ : يحسن .

(٣) سورة ٧ آية ٢٣ .

(٤) في ظ : فالإقرار .

(٥) العبارة من هنا إلى « نحو قوله » في الصفحة الآتية رقم ٣٢٤ ساقطة من م .

(٦-٧) ليست في ظ .

(٧) العبارة من هنا إلى « قال » ليست في ظ .

الجنة إلى أدنى منه ولم يخرجوا منها فكرره هنا للتأكيد 'تصويرا لشؤم المعصية و تبشيعا لها قال: « منها » 'أى الجنة' و « جميعا » أى لا يتخلف منكم أحد سواء كان ذلك قران' واحد أو على التعاقب ، و عهدنا إليهم عند الهبوط إلى دار التكليف أنا نأتيهم بالهدى ليؤديهم* إلى الجنة مرة ه أخرى' واعدن من اتبع متوعدين من امتنع ققلنا: « فاما يأتينكم » ،

(١) قال البيضاوى : كرر للتأكيد أو لاختلاف المقصود ، فان الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون ، و الثانى أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف ، فمن اهتدى الهدى نجا و من ضله هلك ، و التنبيه على أن مخافة الإهباط المقترن بأحد هذين الأمرين وحدها كافية للحازم أن تنوعه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ! ولكنه نسي و لم نجد له عذما و أن كل واحد منهما كفى به نكالا لمن أراد أن يذكر ، و قيل الأول من الجنة إلى سماء الدنيا و الثانى منها إلى الأرض و هو كما ترى ؛ و « جميعا » حال فى اللفظ تأكيد فى المعنى كأنه قيل : أهبطوا منهم أجمعون ، و لذلك تستدعى اجتماعهم إلى الهبوط فى زمان واحد كقولك : جاؤا جميعا - انتهى كلامه . قال المهاشمى : « قلنا أهبطوا » أى استقروا بمكان الهبوط « منها » أى من أثر تلك المعصية « جميعا » أى مجتمعين مع ما بينكم من العداوة لأن المقصود بالذات من الإهباط إلى دار الابتلاء هو الابتلاء بالتكليف .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى « التعاقب » ليست فى ظ .

(٤) فى مد : فى أن .

(٥) ليس فى ظ .

وقال الحرالي : 'مورد هذه الآية' بغير عطف إشعار بأن ظاهرها افتتاح لم ٣ يتقدمه إيجاء بياطن كما تقدم في السابقة ، و تكرر الإيهامان من حيث أن الأول / إيهام لمعنى القرار في الدنيا والاعتداء فيها وذرة الذرية وأعمال أمر العداوة التي استحكت بين الخلقين من آدم وإبليس ، وهذا الإيهام الثاني إيهام عن مكانة الرتبة الآمرية الدينية التي كانت ه خفية في أمر آدم ظاهرة في أمر إبليس ، وفي قوله : 'جميعا' إشعار بكثرة ذرة الخلقين وكثرة الأحداث في أمر الديانة من النقلين - انتهى .

(١) زيد في مد : في .

(٢) قال القاضي ثناء الله العثماني : الفاء للعطف ، وإن حرف شرط ، وما زائدة أكدت به إن ، ولذا حسن تأكيد الفعل بالنون وإن لم يكن فيه معنى الطاب ، يعني إن يأتي لكم مني هدى يعني رسولا وكتابا ، الخطاب به إلى ذرية آدم . و قال البيضاوي : والمعنى إن يأتيكم مني هدى بانزال أو إرسال فمن تبعه منكم نجما و فاز ، وإنما جيء بحرف الشك لأنه محتمل في نفسه غير واجب عقلا ، وكرر لفظ الهدى ولم يضممه لأنه أراد بالثاني أعم من الأول وهو ما أتى به الرسل واقتضاء العقل ، أي فمن تبع ما أتاه مراعيًا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من أن يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه ، والخوف على المتوقع ، والحزن على الواقع ، نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على أكد وجه وأبلقه - انتهى كلامه .

(٣) في ظ ١٠ لا .

(٤) في ظ : القران - كذا .

(٥) في ظ : الاعتداء - كذا ، ولا يتضح في مد .

(٦) في ظ : ذراه .

وخص في إبراز الضمير بمحض الأفراد من غير إيراد بمظهر
العظمة إبعادا عن الوهم فقال: « منى هدى » أى بالكتب و الرسل ،
'ولما كان الهدى الذى هو البيان لا يستلزم الاهتداء قال': « فمن تبع »
أى أدنى اتباع يعتد به ، و لذلك اكتفى في جزائه بنفى الخوف الذى
قد يكون عن توبة من ضلال بخلاف ما في طه ٣ كما يأتى إن شاء الله تعالى .
و التبع السعى أثر علّم الهدى - قاله الحرالى . « هداى » أى المنقول

(١) قال أبو حيان: « منى » متعلق بآيتينكم ، وهذا شبيهه بالالتفات لأنه انتقل
من الضمير الموضوع للجمع ، أو المعظم نفسه إلى الضمير الخاص بالتكلم المفرد ،
وحكمة هذا الانتقال هنا أن الهدى لا يكون إلا منه وحده تعالى ، فناسب
الضمير الخاص كونه لا هادى الا هو تعالى ، فأعطى الخاص الذى لا يشاركه فيه
غيره الضمير الخاص الذى لا يحتمل غيره تعالى ، وفي قوله « منى » إشارة إلى
أن الخير كله منه ، و لذلك جاء « قد جاءكم برهان من ربكم » و « قد جاءكم موعظة
من ربكم وشفاء » فأتى بكلمة من الدالة على الابتداء في الأشياء لينبه على أن ذلك
صادر منه و مبتدأ من جهته تعالى ، و أتى بأداة الشرط في قوله « فاما آيتينكم منى
هدى » وهى تدخل على ما يتردد في وقوعه و الذى انبهم زمان وقوعه ،
و إتيان الهدى واقع لا محالة لأنه انبهم وقت الإتيان ، أو لأنه أذن لك بأن توحيد الله
تعالى ليس شرطاً فيه إتيان رسل منه ولا إزوال كتب بذلك بل لو لم يبعث
رسلا ولا أنزل كتباً لكان الإيمان به واجبا وذلك لما ركبت فيهم من العقل
ونصب لهم من الأدلة و مكن لهم من الاستدلال كما قال :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

قال معناه الزمخشري غير إنشاد الشعر - انتهى كلامه .

(٢ - ٢) ليست في ظ .

(٣) كتب فوقه في الأصل : من قوله « اتبع هداى » .

أو المعقول ، فالثاني أعم من الأول . لأنه أعم من أن يكون منقولا عن الرسل أو معقولا بالقياس على المنقول عنهم ، أو بمحض العقل كما وقع لورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابها المشار إليهم بالقليل في قوله تعالى « ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا » ، قال العارف شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي في كتابه رشف النصاب ٥ الإيمانية : فالعقل حجة الله الباطنة ^٢ و القرآن ٣ حجة الله ٣ الظاهرة . قال الحرالي : وجاء « هداى » شائعا ليعم رفع الخوف و الحزن من تمسك بنحو ما من الحق الجامع ، وأدناه من آمن بالله و اليوم الآخر وعمل صالحا فيما بينه و بين الحق و فيما بينه و بين الخلق - انتهى .

^٤ ولما كان الخوف أشد لأنه يزداد بمر الزمان ، و الحزن يخف ، قدمه ١٠ فقال ^٥ : « فلا خوف عليهم ، أى من ^٥ شىء آت ، فان الخوف اضطراب النفس من توقع فعل ضار - قاله الحرالي . « ولا هم يحزنون » ، أى على شىء فات ، ^٦ لأنهم ينجون من النار و يدخلون الجنة ^٦ و الحزن كما قال الحرالي : توجع القلب لأجل نازح قد كان فى الوصلة به ^٧ روح ، و القرب

(١) سورة ٤ آية ٨٣ .

(٢) فى ظ : الباطن .

(٣-٣) فى مد و ظ : حجته .

(٤-٤) ليست فى ظ .

(٥) ليس فى مد .

(٦) فى ظ : فان . (٧) ليس فى ظ .

منه راحة، وجاء في الحزن بلفظ « هم »، لاستبطانه، وبالفعل لأنه باد
من باطن تفكيرهم في فائتهم، وجاء نفي الخوف منعزلاً عن فعلهم لأنه
من خوف باد عليهم من غيرهم^١ - انتهى ٣٠

ولما بشر المؤمنين الذين اتبعوا الهدى^٢ اتبعه إنذار الكافرين^٣ الذين
نابذوه بقوله: « والذين كفروا^٤ »، قال الحرالي^٥: هذا من أسوأ الكفر،

(١) في مد: مخوف .

(٢) قال المصنف: « فاما ياتينكم مني هدى »، أي فان تحقق لكم إتيان هدى علمتم
بالدلائل العقلية والمعجزات القولية والفعلية أنه مني « فمن تبع هداي » أي
ذلك الهدى بعد ما علم كونه هدى في نفسه لا يصح نسبته إلى مضل « فلا خوف
عليهم » بكونه تليسا مني أو من فعل الشيطان أو من الاطلاع على بعض الأمور
الساوية أو الأرضية إذ علم انتفاء جميع ذلك بالعادة « ولا هم يحزنون » لما يفوتهم
من الدنيا بعده - انتهى كلامه . وقال أبو حيان: وفي قوله « فمن تبع هداي »
تنزيل الهدى منزلة الإمام المتبع المقتدى به فتكون حركات التابع وسككاته
موافقة لمتبوعه وهو الهدى فحينئذ يذهب عنه الخوف والحزن، وفي إضافة
الهدى إليه من تعظيم الهدى ما لا يكون فيه لو كان معروفا بالألف واللام،
والإضافة تؤدي معنى الألف واللام من التعريف ويزيد على ذلك بمنزلة التعظيم
والتشريف .

(٣) ليس في ظ .

(٤-٤) ليست في ظ .

(٥) زيد في مد، فلم يتبعوا الهدى .

(٦) قال المصنف: « والذين كفروا » أي أنكروا ذلك الهدى بتلك الاحتمالات
البعيدة بل الباطلة بكونه هدى في نفسه « وكذبوا بأبائنا » الواقع صديقهما في القلوب
بالضرورة فلا يرفعون إلى الجنة ولا يتركون في محل الهبوط المذكور بل =

لأنه كفر بالآيات التي جعلها الله عز وجل علماً على غيب عهده وهي^١
 ما تدركه جميع^٢ الحواس من السماء والارض وما بينهما، كما^٣ قال تعالى:
 «ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة^٤»، لأن الحق
 تعالى أظهر الكون كتابة^٥ دالة على أمره وجعل في العقل نوراً يُقرأ به
 كتابته^٦، فمن لا نور له فهو من أصحاب النار، فهو إما تابع هدى بنور^٧
 العقل وتديه الإيمان، وإما صاحب نار، فقال: «وكذبوا بآياتنا»، لأنه
 لما كان من الذين كفروا بكتاب الخلق من تقبل الإيمان بتنزيل الأمر
 اختصت كلمة العذاب بالذين تأكد كفرهم بالآيات المرئية^٨ بتكذيبهم
 بالآيات المنزلة، فكفروا بما رأوا فكانوا عمياً، وكذبوا بما سمعوا فكانوا
 صُمًا - انتهى . والمعنى أنهم جمعوا بالكفر والتكذيب بين إنكار القلوب^٩ .

= يهبطون عنها إلى أسفل السافلين إذ «اولئك اصحب النار» أى لا انتقال لهم
 عنها كأهل الإهباط الأول بل «هم فيها خلدون» إذ لا يتم الابتلاء إلا بابتعاد
 العذاب الخالد ولا يتم إلا بالإبقاء به . (٧) وهو الظاهر، وفي ظ: سوء .

(١) في ظ: علم .

(٢) زيد في ظ: جميع .

(٣) ليس في ظ .

(٤) سورة ٤٢ آية ٢٩ .

(٥) من مدووظ، وفي الأصل: كناية .

(٦) في ظ: كتابته .

(٧) في ظ: المرأة - كذا .

(٨) في ظ: القلب .

والآلئنة «اولئك» أى البُعْداء البغضاء «اصحَب النار» و بين اختصاصهم بالخلود بقوله : «هم فيها خلدون» ، فعليهم الخوف الدائم لما يأتى من أنكلها والحزن الدائم على فوات الجنة ، فالآية من الاحتباك ، انتفاء الخوف والحزن من الأول دال على وجودهما فى الثانى ، ووجود النار ه فى الثانى دال على انتفائهما ووجود الجنة فى الأول ٢ ، وقد علم من ذلك مع قوله «مستقر ومتاع الى حين» ، أنه لا بد من رجوعهم إلى تلك الدار وكيف تكون منازلهم فيها ! فكأنه جواب سائل قال : هل بعد هذا المبوط من صعود ؟ قال الحرالى : وقوله : «هم» : فيه إشعار بأشراط العذاب بواطنهم و بلاغهم إلى أنفسهم بعذاب الغم والحزن واليأس وغير

(١) العبارة من هنا إلى «فى الأول» ليست فى ظ .

(٢) قال أبو حيان : فى قوله «اولئك اصحَب النار» دلالة على اختصاص من كفر وكذب بالنار ، فيفهم أن من اتبع الهدى هم أصحاب الجنة ، وكان التقسيم يقتضى أن من اتبع الهدى لا خوف ولا حزن يلحقه وهو صاحب الجنة ، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن وهو صاحب النار ، فكأنه حذف من الجملة الأولى شيء أثبت نظيره فى الجملة الثانية ومن الثانية شيء أثبت نظيره فى الجملة الأولى نصار نظير قول الشاعر :

وانى لتعرونى لذاكر قرة كما انتفض العصفور بلله القطر

أقول هذا هو الاحتباك الذى قاله الحرالى ، فالآية من الاحتباك .

(٣) زيد فى مد : وفيها احتباك آخر ، لأن إثبات اتباع الهدى فى الأول دال على انتفائه فى الثانى ، وإثبات الكفر فى الثانى دال على حذف الإيمان من الأول .
(٤-٤) وفى ظ : فعلم .

ذلك من إحراق النار بواطنهم ، وفيه ' إشعار بكونهم فيها في الوقت الحاضر من حيث لا يشعرون ' - الذي يشرب في آنية الذهب إنما يجر جر في بطنه نار جهنم ، والنار أقرب إلى أحدهم من شرك نعله . فهم فيها خالدون وإن لم يحسوا في الدنيا بحقيقتها ، كما أن المهتدين في جنة في الدنيا ٣ وإن لم يشهدوا عيانها ، فكل خالد فيها هو فيه في الدنيا ٣ غيبا وفي ٥ الآخرة عيانا وفي القبر عرضا ٥ لترون الجحيم ٥ ثم لترونها عين اليقين ٥ ، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ٥ . وهنا انتهى خطاب الفرقان المخصوص بدعوة العرب الذين هم رأس ٦ أهل الدعوة المحمدية ، قال عليه الصلاة والسلام : الناس كلهم تبع لقريش ، مؤمنهم لمؤمنهم ، وكافرهم

(١) في ظ : فيها .

(٢) قال البيضاوي : وفيها دلالة على أن الجنة مخلوقة ، وأنها في جهة عالية ، وأن التوبة مقبولة ، وأن متبع الهدى مأمون العاقبة ، وأن عذاب النار دائم والكافر فيه خالد ، وأن غيره لا يخلد فيه لفهوم قوله تعالى « هم فيها خالدون » . قال أبو حيان : في قوله « أولئك » إشارة إلى الذوات المتصفة بالكفر والتكذيب ، وكان فيها تكريرا وتوكيدا لذكر المبتدأ السابق ؛ والصحبة معناها الاقتران بالتى ، والغالب في العرف أن ينطلق على الملازمة وإن كان أصلها في اللغة أن تنطلق على مطلق الاقتران ، والمراد بها هنا الملازمة الدائمة ، ولذلك أكد بقوله « هم فيها خالدون » .

(٣-٢) ليست في ظ .

(٤) سورة ١٠٢ آية ٦ ، ٧ .

(٥) سورة ٤ آية ٤٦ .

(٦) في ظ : رسل .

لكافهم - انتهى . يعنى فهم المرادون بهذا بالقصد الاول ، وهو شامل
 لغيرهم ، ومراد به ذلك الغير بالقصد الثانى ، 'وهنا آخر الآيات الخاصة
 بالنعم العامة لجميع بنى آدم دالة على التوحيد من حيث أنها حادثة فلها
 محدث ، وعلى النبوة من حيث أنه صلى الله عليه وسلم أخبر عنها موافقا
 لما فى التوراة والإنجيل من غير تعلم ، وعلى المعاد من حيث أن من
 قدر على خلقها ابتداء قدر على إعادتها - ذكره الأصفهاني عن الإمام .
 / وفى الآية إشارة إلى الكتاب الذى هو هدى للتقين المشتمل على الأحرف
 السبعة التى^١ من أقبل على حرف منها حق الإقبال كفاه ، ومن اشتغل
 عنها بالمنازع الأدنى خسر ديناه وأخراه .

/ ٦٣

١٠ قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى التمهيد لشرط^٢ ٣ مثال القراءة
 لحروفه السبعة وعلما والعمل بها : اعلم أن الله سبحانه خلق آدم بيده
 ونفخ فيه من روحه ورزقه نورا من نوره ، فلأنه خلقه بيده كان فى
 أحسن تقويم خلقا ، ولأنه نفخ فيه من روحه كان أكمل حياة قبضا
 وبسطا ، ولأنه رزقه نورا من نوره كان أصنى عقلا وأخلص لبا
 ١٥ وأفصح نطقا وأعرب يانا جمعا وفصلا ، و^٣ اطلعه على ما كتب من
 حروف مخلوقاته إدراكا وحسا ، وعقله^٤ ما أقام من أمره فيها وعلما ،

(١) العبارة من هنا إلى « عن الإمام » ليست فى ظ .

(٢) زيد فى ظ : هـى .

(٣) فى ظ : شرط .

(٤) ليس فى ظ . (٥) فى ظ : عليه .

ونبهه على ما أودعه في ذاته عرفانا ووجدا؛ ثم جعل له فيما سخر له من خلقه متاعا وأنسا فأناسه^١ ورددته من^٢ بين إقبال وإدبار وقبول وإعراض، فمن شغل بالاستمتاع الأدنى عن الاطلاع الأعلى كان سفيها، ومن شغله الاطلاع الأعلى عن الاستمتاع الأدنى كان حنيفا. الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى^٣، ومن يرغب عن ملة إبراهيم^٤ إلا من سفه نفسه^٥، «ان إبراهيم كان^٦ أمة قاتلة لله حنيفا». ولما كان متاع الخلق في الأرض إلى حين وشغل أكثرهم أكلهم وتمتعهم وألهام أملهم عن حفظهم من الخنيفة بما أوتي العقل من التبليغ عن الله نظرا واعتبارا اصطنع الله سبحانه من الخنفاء منبهين على النظر الذي اشتغل عنه المعرضون وأنق منه واستكبر عنه المدبرون، وأكدوا تنبيههم بما أسمعهم من^٧ نبأ ما وراء يوم الدنيا من أمر الله في اليوم الآخر وما تبادى^٨ إليه أيام الله، وذكروهم بما مضى من أيام الله، وأنزل الله سبحانه معهم كتباً يتلونها عليهم ويبينونها لهم علما وعملا وحالا، فقبل ما جاؤا به وصدقه واستبشر به الخفيفون وأنذر به المدبرون والمعرضون، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، آمن من تنبه للنظر والاعتبار وألقى السمع وهو شهيد، ١٥

(١) في ظ: ناسه.

(٢) ليس في ظ.

(٣) سورة ١٨ آية ١٠١.

(٤) سورة ٢ آية ١٣٠.

(٥) من ظ و مد والقرآن الكريم، ووقع في الأصل: كانت - خطأ.

(٦) سورة ١٦ آية ١٢٠.

(٧) في ظ: يتبادى.

وكفر من آثر متاعه بالعاجلة التي تراها الأعين على وعد الله ووعده
 في الآجلة التي إنما يعيها القلب و تسمعها الأذن ، وكما شغل المدعويين
 إلى الإسلام كفرهم و دنياهم كذلك شغل المولدين في الإسلام غفلتهم
 و دنياهم و لعبهم في صباهم و لهوهم في شبابهم و تكاثرهم في الاموال في
 ٥ اكتناهم و تكاثرهم في الأولاد في شيخهم ، فاشتراك المدعو إلى الإسلام
 و المولد فيه الغافل في عدم الإقبال و القبول في ترك الاهتمام في الآجلة
 و اختصارهما على الاهتمام بالعاجلة ، وكلاهما جعل القرآن وراء ظهره
 المدعو لفظا و علما و المولد الغافل علما و عملا ، فلم يسمعه المدعو و لم يفهمه
 الغافل فجعله بالحقيقة وراء ظهره ، و من جعل القرآن خلفه ساقه
 ١٠ إلى النار ، و إنما جعله أمامه من قرأه ' علما و حالا و عملا ، و من جعل
 القرآن أمامه قاده إلى الجنة ؛ ولما قامت الحجة عليهم بقراءته إذا لم يجاوز
 حناجرهم كانوا أشد من الكفار عذابا في النار - أكثر منافق ' أمتي
 قراؤها ، و ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، فإذا لا بد في قراءة
 القرآن من تجديد إقبال و تهيؤ لقبول و تحقيق تقوى لأنه إنما هو هدى
 ١٥ للتقين ، و إجماع على الاهتمام ، وكما أن أمور الدنيا لا تحصل لأهلها

(١) في ظ : الموكدين .

(٢) في ظ : اكتناهم - كذا .

(٣) في ظ : عملا - كذا .

(٤) في ظ : قرا .

(٥) في ظ : منافقوا .

(٦) سورة ٤ آية ١٤٥ .

إلا على قدر عزائمهم واهتمامهم فأجرى أن لا يحصل أمر الأخرى إلا بأشد
عزيمة وأجمع اهتمام ، فلا يقرأ القرآن من لم يقبل عليه بكلية ظاهره
ويجمع اهتمامه له بكلية باطنه وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة
وتفصيلا لكل شيء ، فخذها بقوة ، ويحيني خذ الكتب بقوة ، فاستم
كما امرت و من تاب معك ، فشرط منال قراءته اهتمام القلب بفهمه ه
و إقبال الحس على استماعه وتدبره ؛ ولكل حرف شرط يخصه - انتهى .
ولما أقام سبحانه دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أولا وعقبها بذكر
الإنعامات العامة داعيا للناس عامة لاسيما بنى إسماعيل العرب الذين هم قوم
الداعى صلى الله عليه وسلم وكان أحق من دعى بعد الأقارب وأولاه بالتقدم
أهل العلم الذين كانوا على حق فزاعوا عنه ولا سيما إن كانت لهم قرابة ١٠
لأنهم جديرون بالمبادرة إلى الإجابة بأدنى بيان وأيسر تذكير ، فان رجعوا
اقتدى بهم الجاهل فسهل أمره وانحسم شره ، وإن لم يرجعوا طال جداهم
فبان للجاهل ضلالهم فكان جديرا بالرجوع والكف عن غيه والنزوع ،
وعرفت من تمادى الكلام معهم الأحكام وبان الحلال والحرام ؛
فلذلك لما فرغ من دعوة العرب الجامعة لغيرهم باختصار وختم بأن وعد في ١٥

(١) سورة ٧ آية ١٤٥ .

(٢) سورة ١٩ آية ١٣ ، وهذه الآية ليست في ظ .

(٣) سورة ١١ آية ١١٢ .

(٤) في مد : مثال .

(٥) العبارة من هنا إلى « وسلم » ليست في ظ .

(٦) في ظ : ولذلك .

اتباع الهدى وتوعد شرع سبحانه يخص العلماء من المناققين بالذكر وهم من كان أظهر الإسلام من أهل الكتاب على وجه استلزم عموم المصالحين منهم بالكفر، إذ كانوا من أعظم من يخص باتيان ما أشار إليه من الهدى والبيان بما فيه الشفاء، و كان كتابهم المشتمل على الهدى من أعظم الكتب وأشهرها و أجمعها فقَص عليهم ما مثله يلين الحديد ويخضع
 ه الجلاميد فقال تعالى 'مذكرا لهم بنعمه الخاصة بهم' / : «يبنى إسرائيل، ويجوز أن تقرر' المناسبات ٣ من أول السورة على وجه آخر فيقال: لما

/ ٦٤

(١ - ١) ليست في ظ .

(٢) من مد، وفي الأصل وظ : قرر - كذا .

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط : هذا افتتاح الكلام مع اليهود والنصارى ، و مناسبة الكلام هنا ظاهرة ، وذلك أن هذه السورة افتتحت بذكر الكتاب وأن فيه هدى للؤمنين ، ثم أعقب ذلك بذكر الكفار المختوم عليهم بالشقاوة ، ثم بذكر المناققين و ذكر جهل من أحوالهم ، ثم أمر الناس قاطبة بعبادة الله ، ثم ذكر إعجاز القرآن - إلى غير ذلك مما ذكره ، ثم نبههم بذكر أصلهم آدم و ما جرى له من أكله من الشجرة بعد النهى عنه وأن الحامل له على ذلك إبليس ، وكانت هاتان الطائفتان أعني اليهود والنصارى أهل كتاب مظهرين اتباع الرسل والافتداء بما جاء من الله تعالى وقد اندرج ذكرهم عموما في قوله «يا أيها الناس اعبدوا» فجرد ذكرهم هنا خصوصا ، إذ قد سبق الكلام مع المشركين والمناققين و بقي الكلام مع اليهود والنصارى فتكلم معهم هنا ، وذكروا ما يقتضى لهم الإيمان بهذا الكتاب كما آمنوا بكتبهم السابقة - إلى آخر الكلام معهم على ما سيأتي جملة مفصلة ؛ وناسب الكلام معهم نصة آدم عليه السلام لأنهم بعد =

كان الكفار قسمين: قسم متحضر كفره، و قسم شابه بنفاق و خداع،
و كان الماحض قسمين: قسم لا علم له من جهة كتاب سبق و هم مشركو
العرب، و قسم له 'كتاب يعلم الحق منه، ذكر تعالى قسم الماحض بما يعي
قسميه العالم و الجاهل فقال: «ان الذين كفروا سواء عليهم، إلى آخره،
ثم اتبعه قسم المنافق، لأنه أهم بسبب شدة الاختلاط بالمؤمنين و إظهارهم
أهم منهم ليكونوا من خداعهم على حذر، فقال: «و من الناس من
يقول 'منا'، إلى آخره؛ و لما فرغ من ذلك و بما استتبعه من الأمر
بالوحدانية و إقامة دلائلها و إفاضة فضائلها، و من التعجيب بمن كفر
مع قيام الدلائل، و التخويف من تلك الغوائل، و الاستعطاف بذكر
النعم، شرع في ذكر قسم من الماحض هو كالمنافق في أنه يعرف الحق و يخفيه ١٠

= ما أوتوا من البيان الواضح و الدليل اللائح المذكور ذلك في التوراة
و الإنجيل من الإيذاء بالعهد و الإيمان بالقرآن ظهر منهم ضد ذلك بكفرهم
بالقرآن و من جاء به، و أقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسامع ما يرد عليهم من الأوامر
و النواهي و قد تقدمت الإشارة إلى ذلك - انتهى كلامه .

(١) من مد و ظ، و في الأصل: لهم .

(٢) وقع في ظ: 'امن - خطأ . (٣) و في ظ: ما .

(٤) قال البيضاوي: و اعلم أنه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد و النبوة و المعاد
و عقبها تعداد النعم العامة تقريراً لها و تأكيداً فإنها من حيث أنها حوادث محكمة
تدل على محدث حكيم له الخلق و الأمر وحده لا شريك له من حيث ان...
هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها و لم يمارس شيئاً منها إخبار بالغيب
معجز تدل على نبوة المخبر عنها، و من حيث اشتغالها على خلق الإنسان و أصوله
و ما هو أعظم من ذلك تدل على أنه قادر على الإعادة كما كان قادراً على =

فالمناقق الف الكفر ثم أفلح عنه وأظهر التلبس بالإسلام واستمر على الكفر باطنا ، وهذا القسم كان على الإيمان بهذا النبي قبل دعوته ، فلما دعاهم نحو الإيمان الذي كانوا متلبسين به وأظهروا الكفر واستمرت حالتهم على إظهار الكفر وإخفاء المعرفة التي هي مبدأ الإيمان ، فخالهم ٥ كما ترى أشبه شيء بحال المناققين ، ولهذا تراهم مقررين بهم في كثير من القرآن ، وأخرهم أطول قصتهم وما فيها من دلائل النبوة وأعلام الرسالة بما أبدى مما أخفوه من دقائق علومهم ، فان مجادلة العالم ترسل في ميادين العلم أفراس الأفكار فتُسرع في أقطار الأقطار حتى تصير كالأطيوار . تأتي يبدائع الأسرار ، ولقد نشر سبحانه في غصون مجادلتهم ١٠ و غصون^١ محاورتهم ومقاولتهم من أجل الجامعة في شرائع الدين التي فيها بغية المهتدين ما أقام البرهان على أنه هدى للعالمين ؛ هذا إجمال الأمر ، وفي تفاصيله كما سترى^٢ من بدائع الوصف أمور تجل عن الوصف ، تذاق بحسن^٣ التعليم ويشقى^٤ عني جاهلها بلطيف التكليم - والله ولي التوفيق والهادي إلى أقوم طريق .

= الإبداء ، خاطب أهل العلم والكتاب منهم وأمرهم أن يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا أول من آمن بمحمد وما أنزل عليه فقال : « يئني اسرايل »

(١) من مد ، وفي الأصل وظ : غصون .

(٢) في ظ : غصون . (٣) في ظ : ترى .

(٤) في مد : يحسن ، وفي ظ : يحسن - كذا .

(٥) من مد وظ ، وفي الأصل : تشقى .

وقال الحرالي : ثم أقبل الخطاب على بني إسرائيل متظما بإبتداء خطاب العرب من قوله : « يا أيها الناس » وكذلك انتظام القرآن إنما ينتظم رأس الخطاب فيه برأس خطاب آخر يناسبه في جملة معناه و^١ ينتظم تفصيله بتفصيله ، فكان أول و أولى من خطوب بعد العرب الذين هم ختام بنو إسرائيل الذين هم إبتداء بما هم أول من أنزل عليهم الكتاب ه الأول من التوراة التي افتتح الله بها كتبه تلو صحفه و ألواحه . ثم قال : لما انتظم^٢ إقبال الخطاب على العرب التي لم يتقدم لها هدى بما تقدمه من الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انتظم بخطاب العرب خطاب بني إسرائيل بما تقدم لها من هدى في وقتها « انا أنزلنا التوراة فيها هدى و نور »

(١) قال أبو حيان : و مناسبة الكلام مع بني إسرائيل هنا ظاهرة ، وذلك أن هذه السورة انتفعت بذكر الكتاب وأن فيه هدى للأمنين ، ثم أعقب ذلك بذكر الكفار المحتوم عليهم بالشقاوة ، ثم بذكر المنافقين و ذكر جمل من أحوالهم ، ثم أمر الناس قاطبة بعبادة الله تعالى ، ثم ذكر إعجاز القرآن إلى غير ذلك مما ذكر ، ثم نبههم بذكر أصلهم آدم و ما جرى له من أكله من الشجرة بعد النهي عنه وأن الحامل له على ذلك إبليس ، وكانت هاتان الطائفتان أعني اليهود و النصارى أهل الكتاب مظهرين اتباع الرسل و الاقتداء بما جاء عن الله تعالى وقد اندرج ذكرهم عموما في قوله « يا أيها الناس اعبدوا » بفرد ذكرهم هنا خصوصا ، إذ قد سبق الكلام مع المشركين و المنافقين و بقى الكلام مع اليهود و النصارى فتكلم معهم هنا و ذكر ما يقتضى لهم الإيمان بهذا الكتاب كما آمنوا بكتبهم السابقة . (٢ - ٢) ليست في ظ .

(٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : له تنظم .

(٤) في ظ : فيه - خطأ . (٥) سورة ه آية ٤٤ .

و بما عهد إليها من تضاعف الهدى بما تقدم لها في ارتقائه من كمال الهدى
بمحمد صلى الله عليه وسلم و بهذا القرآن ، فكان لذلك ' الأولى ' مبادرتهم
إليه حتى يهتدى^٢ بهم العرب ليكونوا أول مؤمن بما عندهم من علمه
السابق - انتهى -

٥ . و ابتداء^١ سبحانه بتذكيرهم بما خصهم به عن انواع الآدمى من النعم
التي كانوا يقابلونها بالكفران و ما عاملهم به من إهمالهم على مرتكباتهم
و معاملتهم بالعضو و الإقالة مما يبين سعة رحمته و عظيم حلمه ، و ابتداء من
أوامرهم بالإيفاء بالعهود التي من أعظمها متابعة هذا النبي الكريم و الإيمان
بكتابه الذي نفي عنه الريب فقال^٥ : « يبنى اسرائيل »^٦ أى الذى شرفته

(١) في ظ : كذلك .

(٢) في مد : اوفى .

(٣) في مد و ظ : يقتدى .

(٤) قال أبو حيان الأندلسي : و ناسب الكلام معهم قصة آدم على نبينا و عليه
السلام لأنهم بعد ما أوتوا من البيان الواضح و الدليل اللانح المذكور ذلك
في التوراة و الإنجيل من الإيفاء بالعهد و الإيمان بالقرآن ظهر منهم ضد ذلك
يكفرهم بالقرآن و من جاء به ، و أقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسماع ما يرد
عليهم من الأوامر و النواهي نحو قوله « يا أيها الناس اعبدوا » و « يا آدم اسكن » .
(هـ) و لما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد و النبوة و خاطب الناس عامة وعد^٥
إنعاماته العامة خاطب بنى إسرائيل خاصة و ذكرهم النعماء التي اختصت بهم ،
لأن السورة مدنية و كان غالب الخطاب في المدينة مع اليهود ، لأنهم كانوا أهل
علم و الناس تبع لهم فلو اعترفوا بالنبوة اعترف غيرهم بتقليدهم و كان حجة =

و شرفت بنيه من أجله « اذكروا »^١ من الذكر بالكسر والضم بمعنى واحد
 يكونان باللسان وبالجان، وقال الكسائي : هو بالكسر باللسان وبالضم
 بالقلب ، والذي بالقلب ضده النسيان ، والذي باللسان ضده الصمت -
 نقله الأصفهاني . وقال الحرالي : من الذكر وهو استحضار ما سبقه
 النسيان . « نعمتي »^٢ هي إنالة الشخص ما يوافق نفسه و بدنه وعند
 المتفطن ما يوافق باطنه و ظاهره بما بين قلبه و شعوبه^٣ من أهله و حشمه
 « التي »^٤ في منها إشارة لباطن نازل متخيل مبهم تفسره صلته بمنزلة [ذى -^٥]
 وال منها إشارة لذلك المعنى بالإشارة المتخيلة - انتهى . « انعمت »^٦ أى
 بها و دلت^٧ على شرفها باضافتها إلى « عليكم »^٨ و تلك النعمة الشريفة هي

= على غيرهم فقال « يبني اسرائيل » - التفسير المظهرى ج ١ ص ٦٠ .

(٦) قال على المهاشمي : أى يا أولاد صفوة الله أو عبد الله يعقوب المطيعين على نصرة
 آدم وعهده - « اذكروا نعمتي التي انعمت » على أسلافكم فكان في معنى
 الإنعام « عليكم » من لدن آدم بقبول توبته إلى زمن موسى بخلق البحر لكم
 وإغراق أعدائكم و تظليل النمام وإنزال المن والسلوى عليكم وإنزال التوراة
 فانها كرامات مثل كرامة آدم بإيجاد الملائكة له وإدخاله الجنة - انتهى .

(١) العبارة من هنا إلى « الاصفهاني و » ليست في ظ .

(٢) ليس في ظ .

(٣) في مد : سوبه ، وفي ظ : - به .

(٤) زيد من مد و ظ .

(٥) في ظ : ذلت - كذا .

(٦) قال أبوحيان : قال بعض العارفين : عبيد النعم كثيرون وعبيد النعم قليلون ، =

الإتيان بالهدى من الكتب والرسل الذى استنقذتكم به من هوان الدنيا والآخرة « وافرأوا » من الوفاء وهو عمل لاحق بمقتضى تقدم علم سابق - قاله الحرالى . « بهدى » أى الذى أخذته عليكم فى لزوم ما أنزل إليكم من متابعة نبيكم ومن آمركم باتباعه من بعده ، والعهد التقدم فى الشيء خفية . اختصاصا لمن يتقدم له فيه - قاله الحرالى ، وقال الأصفهاني : حفظ الشيء .

= قاله تعالى ذكر نبي اسرائيل نعمه عليهم ، ولما آل الأمر إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ذكر النعم فقال « اذكرونى اذكركم » فدل ذلك على فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم . قال البيضاوى : تقييد النعمة بهم لأن الإنسان غيور وحسود بالطبع فاذا نظر إلى ما أنعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط ، وإن نظر إلى ما أنعم به عليه حمله حب النعمة على الرضاء والشكر . (١) « اوفوا بعهدى » بالإيمان والطاعة « اوف بعهدكم » بحسن الإثابة والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهد ولعل الأول مضاف إلى الفاعل والثانى إلى المفعول فانه تعالى عهد إليهم بالإيمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وإنزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم . وقال المهاشمي : « وافرأوا بعهدى » بالإيمان بكل هدى تحقق مجيئه منى سيما هدى محمد صلى الله عليه وسلم المأخوذ فيه ميثاق الأنبياء عليهم السلام فانه ليس بأقل من عهد آدم فى الشجرة وما أخذ عليه فى ذريته بعد الهبوط « اوف بعهدكم » بآزالة الخوف والحزن وتكفير السيئات وتضعيف الحسنات ورفع الآصار والأغلال - انتهى كلامه . وقال النسفى : وقال أهل الإشارة : « افرأوا » فى دار محنتى على بساط خدمتى بحفظ حرمتى « اوف » فى دار نعمتى على بساط كرامتى بسرور رؤيتى - انتهى .

(٢) العبارة من هنا إلى « والعهد به » ليست فى ظ .

ومراعاته حالا فخالا ، قال الخليل : أصله الاحتفاظ بالشئ ، وإجداد العهد به ،
 « اوف بعهدكم ، أى فى جعلكم من لا خوف عليهم و لا حزن بسعة العيش
 و النصر على الأعداء كما يأتى عن نص التوراة فى مظانه من هذا الكتاب
 « و اياى ، أى خاصة « فارهبون » ، أى و لا تزولوا أجمعكم فى مصير الكافرين
 بعد الضرب بأنواع الهوان فى الدنيا ، و الرهب ' حذر النفس بما شأنها منه ه
 الهرب لأذى تنوقه ، و خوطبوا بالرهبة لاستبطانها فيما يختص لمخالفة ' العلم ،
 قال الحرالى : و أطال سبحانه فى حجاجهم جريا على قانون النظر فى جدال
 العالم الجاحد و خطاب المنكر المعاند ، و فى قوله تعالى « و آمنوا بما أنزلت » ٣

(١) قال المهاشمى : « و » لا تخافوا فوات جاهكم و رشاكم بل « اياى فارهبون »
 فى كل ما تأتون و تزدرون ، و الرهبة خوف مع تحرز . و قال البيضاوى :
 و خصوصا فى نقض العهد ، و هو أكد فى إفادة التخصيص من « اياك نعبد »
 لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول ، و الفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام
 معنى الشرط كأنه قيل : ان كنتم راهبين شيئا فارهبون . والآية متضمنة
 للوعد و الوعيد دالة على وجوب الشكر و الوفاء بالعهد و أن المؤمن ينبغى أن
 لا يخاف أحدا إلا الله .

(٢) فى ظ : لمخاطبة .

(٣) افراد للايمان بالأمر به و الحث عليه لأنه المقصود و العمدة للوفاء بالعهود
 و تقييد المنزل بأنه مصدق لما معهم من الكتب الإلهية من حيث أنه نازل حسب
 ما نعت فيها أو مطابق لما فى القصص و المواعيد و الدعاء إلى التوحيد و الأمر
 بالعبادة و العدل بين الناس و النهى عن المعاصى و الفواحش و فيما يخالفها من
 جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأعصار فى المصالح من حيث أن كل واحدة منها
 حق بالإضافة إلى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم =

أى أوجدت إزاله ، مصدقا لما معكم ، تقرير لذلك الكتاب لا ريب فيه ،
و أمروا كما قال الحرالى تجديد الإيمان بالقرآن لما فيه من إنباء بأمور من المغيبات
التي لم تكن في كتابهم كتفاصيل أمور الآخرة التي استوفاهم القرآن ، لأنه
خاتم ليس وراءه كتاب ينظر فيه يان ، وقد أتى لكل كتاب قبله
بقية أحيل فيها على ما بعده - ليتناهى البيان إلى غاية ما أنزل به القرآن
حين لم يعهد إليهم إلا في أصله على الجملة - انتهى . وفي قوله : « ولا تكونوا
أول كافر به » معنى دقيق في تكبيتهم وأمر جليل من تعنيفهم ، وذلك
أنه ليس المراد من « أول »^١ ظاهر معناه المتبادر^٢ إلى الذهن^٣ فإن العرب

= في أيام التأخر لنزل على وقته ، ولذلك قال عليه السلام : لو كان موسى
حيما لا وسعه الا اتباعى ، تنبيه على أن اتباعها لا ينافى الإيمان به بل يوجبه ولذلك
عرض بقوله « ولا تكونوا أول كافر به » انتهى ما في البيضاوى .

(١) من مد و ظ ، وفي الأصل : بغيتهم .

(٢) انظر تاويل معنى اول في البحر المحيط لأبى حيان قد استوفى ما ذكر فيه
إلى أن قال : وقبل ذكر الأولية تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول مؤمن
به لمعرفة به وبصفته ولأنهم كانوا هم البشرين بزمانه والمستفتحين على الذين
كفروا به ، فلما بعث كان أمرهم على العكس ، قال تعالى « فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به » ، وقال القشيري : لا تسنوا الكفر سنة فان وزر المبتدئين فيما
يسنون أعظم من وزر المقتدين فيما يتبعون . قال البيضاوى : فان قيل : كيف
نہوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب ؟ قلت : المراد به التعريض
لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك : أما انا فليست بجاهل ؛ أو لا تكونوا =

كثيرا ما تطلق الأول ولا تريد حقيقته بل المبالغة في السبق ، كما قال
مقيس بن صباية ' وقد قتل شخصا من الصحابة رضوان الله عليهم كان قتل
أخاه خطأ ورجع إلى مكة مرتدا :

حللت به وترى و أدركت ثورتى

وكت إلى الاوثان أول راجع

هذا في جانب الإثبات ، فاذا نقيت ناهيا فقلت : لا تكن أول
فاعل لكذا ، فعمناه انك إن فعلت ذلك لم تكن صفتك إلا كذلك ،
فهو خارج مخرج المبالغة في الذم بما هو صفة المنهى فلا مفهوم له ،
وعبر به تنبيها على أنهم لما تركوا اتباع هذا الكتاب [كانوا - ٢] لما
عندهم من العلم بصحته في غاية اللجاجة فكان عملهم في كفرهم وإن تأخر ١٠

= أول كافر من أهل الكتاب أو من كفر بما معه ، فإن من كفر بالقرآن
فقد كفر بما يصدقه ، وأول أفعل لا فعل له ، وقيل : أصله اوال من وال فأبدلت
همزته واوا تحقيقا غير قياسي ، أو اءول من آل فقلبت همزته وأدغمت - انتهى .
وقال القاضي ثناء الله قلت : أو المراد بالأولية الأولية بالذات يعنى كونهم سببا
لكفر غيرهم ، فإن إيمان العلماء والأجبار والرؤساء سبب لإيمان غيرهم وكفرهم
سبب لكفر غيرهم ، فلذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ! إن شر
الشرار شرار العلماء وإن خير الخياري خيار العلماء - رواه الدارمي من حديث الأحوص
ابن حكيم عن أبيه ؛ والمعنى لا تكونوا سببا لكفر أتباعكم فيكون عليكم إثم الأريسين ،
و أول كافر خبر من ضمير الجمع بتأويل أول فريق . (هـ - هـ) ليس في مد .

(١) العبارة من هنا إلى « وترى » ليست في ظ .

(٢) ليس في ظ .

(٣) زيد من مد و ظ .

عمل من يسابق شخصا إلى شيء ، أو يكون المعنى أنهم لم يمنهم من الإيمان به جهل بالنظر و لا عدم اطلاع على ما أتى به أنبيائهم من البشر بل مجرد الحسد للعرب أن يكون منهم نبي المستلزم لحسد هذا النبي بعينه ، لأن الحكم على الأعم يستلزم الحكم على الأخص بما هو من أفراد الأعم ، فصارت رتبة كفرهم قبل رتبة كفر العرب الجاهلين به أو الحاسدين له صلى الله عليه وسلم بخصوصه لا لعموم العرب ، فكان أهل الكتاب أول كافر به لا يمكن أن يقع كفرهم إلا على هذا الوجه الذي هو أقبح الوجوه ، فالعنى لا تكفروا به ، فانه إن وقع منكم كفر به كان أول كفر ، لأن رتبته أول رتب الكفر الواقع عن سواكم فكنتم أول كافر فوقتم في ١٠ أقبح وجوه الكفر ،^١ ولذا أفرد ولم يقل : كافرين^٢ - والله أعلم ٣ .

ولما نهام عن الكفر بالآيات نهام عن الحامل عليه لقوله : « ولا تشتروا »

(١) في ظ : و .

(٢-٣) ليست في ظ .

(٣) قال أبو حيان الأندلسي في النهر اللاد من البحر : « ولا تكونوا أول كافر به » لا مفهوم لقوله : أول ، فيكون قد أبيح لهم ثانيا أو آخر ، فمفهوم الصفة غير مراد ، وإنما ذكرت الأولية لأنها ألغش لما فيها من الابتداء بالكفر ، ونظيره قول الشاعر :

من أناس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء جزع
فعاجل لا مفهوم له ، وأضيف إلى مفرد وإن كان قبله جمع لأن المفرد إذا كان صفة جاز أن يطابق وإن يفرد وقد جاء ذلك في قوله :

وإذا هم طعموا فالأم طاعم وإذا هم جاعوا فشر جياع
أفرد في طاعم وطابق في جياع ، فقدره الفراء الأم من طعم ، وقدره =

أى تكلفوا و^١ تلحوا فى أن تستبدلوا^١ «بائتى» أى التى تعلونها فى الأمر
باتباع هذا النبى الكريم «ثمنا قليلا»^٢ وهو رياسة قومكم و ما تأخذونه
من الملوك وغيرهم على حمل الشريعة ، و القلة ما قصر عن الكفايه - قاله
الحزالى . « و اياى » أى خاصة «فاتقون» ، أى اجعلوا لكم وقاية من إنزال
غضبى ، فالتقوى نتيجة الرهبة كما أن هذه الأفعال نتيجة ما فى آية الرهبة ، «
«ولا تلبسوا»^٣ و اللبس^٣ إبداء الشئ فى غير صورته ، ومنه اللباس

= غيره ألأم فريق طاعم ، وهنا يتقدر على قول الفراء : أول من كفر ، وعلى
غيره أول حزب كافر ، و به عائد على المنزل - انتهى كلامه .

(١ - ١) هكذا فى الأصل ومد غير أن فى مد «او» مكان «و» ، و فى ظ : الشراء
قاله الحزالى .

(٢) و لا تستبدلوا بالإيمان بها و الاتباع لها حظوظ الدنيا فانها و إن جلست قليلة
مستردلة بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان ، قيل :
كان لهم رياسة فى قومهم و رسوم و هدايا منهم ، تخافوا عليها لو اتبعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختاروها عليه ، و قيل : كانوا يأخذون الرشى
فيحرفون الحق و يكتُمونه ؛ « و اياى فاتقون » بالإيمان و اتباع الحق و الإعراض
عن الدنيا . و لما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادئ لما فى الآية الثانية
فصلت الرهبة التى هى مقدمة التقوى و لأن الخطاب بها لما عم العالم و المقلد أمرهم
بالرهبة التى هى مبدأ السلوك و الخطاب بالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى
الذى هو منتهاه . و اللبس الخلط و قد يلزمه جعل الشئ مشتبهًا بغيره ، و المعنى
لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه و تكتبونه حتى لا يميز بينهما ، و فيه
إشعار بأن استباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق - أنوار التنزيل للبيضاوى

. ٥٢ / ١

(٣-٣) ليس فى ظ .

لإخفائه الأعضاء حتى لا تبين هيئتها - قاله الحرالي : « الحق ، أى بما تقرون به على ما هو عليه من التوراة والإنجيل بما لا غرض لكم فى تبديله « بالباطل ، بما تحرفونه منهما ، و الحق قال الحرالي ما يقر و يثبت حتى ' يضمحل مقابله ، فكل زوجين فأثبتهما حق و أذهبهما باطل ، و ذلك الحق فالباطل هو ما ٥ أمد إدالته قصير بالإضافة إلى طول أمد زوجه القار - انتهى . ٣ ولما كان اللبس قد يفارق الكتان بأن يسأل شخص عن شئ فيديه ملتبسا بغيره أو يكتمه و هو عالم به قال : « و تكتموا ' الحق ، أى * عن لا يعلمه « و اتم تعلمون » ، أى مكلفون ، و جعله الحرالي على ظاهره فقال : لما طلبهم تعالى بالوفاء بالعهد نهاهم عن سوء العمل و ما لبسوا به الأمر عند ١٠ اتباعهم من ملتهم و عند من استرشدهم من العرب ، فلبسوا باتباعهم حق الإيمان بموسى عليه الصلاة و السلام و التوراة ياطل ما اختدوه من كتابهم من إثبات الإيمان لمحمد صلى الله عليه و سلم و بالقرآن ، فكتموا الحق

(١) فى مد و ظ : لايتين .

(٢) فى مد : حين .

(٣) العبارة من هنا إلى « قال » ليست فى ظ .

(٤) قال البيضاوى : جزم داخل تحت حكم النهى كأنهم أمروا بالإيمان و ترك

الضلال و نهوا عن الإضلال بالتلبيس على من سمع الحق و الإخفاء على من

لم يسمعه ، أو نصب باضمار أن على أن الواو للجمع أى لاتجمعوا لبس الحق بالباطل

و كتابه ، « و اتم تعلمون » عالمين بأنكم لا بسون كاتون ، فانه أقيح إذ الجاهل

قد يعذر ، و لذا قال عليه السلام : للجاهل ويل ، و للعالم سبعون ويلا .

(٥) زيد فى مد : الذى لا لبس فيه .

التام الجامع و لبسوا الحق الماضي المعهود بالباطل الأعرق الأفرط ، لأن
باطل الحق الكامل باطل مفرط معرق بحسب مقابله ، و عرفهم بأن ذلك
منهم كتمان^١ شهادة عليهم بعلهم بذلك إفهاما ، ثم أعقبه بالشهادة عليهم
بالعلم تصريحاً - انتهى .

و في هذه الآية أعظم زاجر لأهل الكتاب عما أظهروا فيه من ه
العناد ، و من لطف الله تعالى زجر القاسي البعيد و نهى العاصي القلق إلى
ما دون ذلك من تنبيه الغافل و زيادة الكامل . قال الإمام أبو الحسن
الحرالي في كتاب العروة : وجه إنزال هذا الحرف - يعنى حرف النهى -
كف الخلق عما يهلكهم في أخراهم و عما يخرجهم عن السلامة في موتهم
و بعثهم مما رضوا به و اطمأنوا إليه و آثروه من دنياهم ، فتوجهه للطن ١٠
بدنيه المعرض عن داعيه إلى اجتناب ما هو عليه يسمى زجرا ، و متوجهه
للتلف^٢ المستشعر ببعض الخلل فيما هو عليه يسمى نهيا ، و هما يجتمعان في
معنى واحد و مقصود واحد إلا أنه متفاوت ، و لذلك^٣ ردهما النبي صلى الله
عليه و سلم على المعنى الجامع في هذا الحديث يعنى المذكور^٤ أول البقرة ،
و أولاهما^٥ بالبدئية في الإنزال الزجر / لأن النبي صلى الله عليه و سلم^٦ إنما ١٥ / ٦٦

(١) في الأصل و مد و ظ : كتبا ، وليس في م .

(٢) في ظ و مد : للتفت .

(٣) في ظ : كذلك

(٤) في ظ : المذكورة .

(٥) في ظ : و أولى .

(٦ - ٦) ليست في ظ .

بعث الله^١ حين انتهى الضلال المبين في الخلق و نظر الله سبحانه إلى جميع
 أهل الأرض فمقتهم عربهم و عجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، كما
 ورد في الحديث الصحيح إسنادا و متنا ، و لذلك كان أول منزل الرسالة
 سورة^٢ : يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * و الرجز
 ٥ فاهجر^٣ ، و هى أول قوارع الأمر كما أن فجاء الساعة أول قوارع
 الخلق ، و لذلك انتظم ذكرهما في قوله تعالى : فاذا نقر في الناقور * فذلك
 يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير^٤ ، و للزجور حالان إما
 أن ينفر عند الزجرة توحشا كما قال تعالى : كأنهم حمر مستنفرة * فرت
 من قسورة^٥ ، و إما أن يدبر بعد فكره تكبرا كما قال تعالى : ثم نظر *
 ١٠ ثم عبس و بسر * ثم ادبر و استكبر^٦ ، و ربما شارف أن يبصر فصرف ، قال
 عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لكنها^٧ عقول كادها باربها ، ساء صرف
 عن ألتى الذين يتكبرون في الارض بغير الحق و ان يروا كل آية

(١) زيد في ظ : تعالى .

(٢) ليس في ظ .

(٣) سورة ٧٤ آية ١ - ٥ .

(٤) سورة ٧٤ آية ٨ - ١٠ .

(٥) سورة ٧٤ آية ٥٠ و ٥١ .

(٦) سورة ٧٤ آية ٢١ - ٢٣ .

(٧) في ظ : لكنه .

لا يؤمنوا بها'، صرفوا عن آيات الحق السماوية على ظهورها عقوبة على
 ذنب تكبرهم على الخلق مع الإحساس بظهور آية انضمام الأرحام في
 وضوحها وكل قارعة لنوعى الكافرين النافرين و المدبرين من هذا الحرف
 وتام هذا المعنى ينهى' المتأنس المحاصر عن الفواحش الظاهرة والباطنة
 الضارة في العقبى وإن تضرروا بتركها في الدنيا نحو قوله تعالى « ولا تقربوا » ه
 في ٣ أكل مال اليتيم' والزنا' وإتيان الحائض^٦ - إلى ما دون ذلك من النهى
 عما يعدونه في دنياهم كيسا، نحو قوله^٧ ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل^٨ ،
 « ولا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة^٩ » ولا تجسسوا ولا يقتب بعضكم بعضا^{١٠} ،
 « ولا يسخر قوم من قوم^{١١} » ، وما لحق بهذا النمط - إلى ما دون ذلك
 على اتصال التفاوت^{١٢} من النهى^{١٣} عن سوء التأويل لطية غرض النفس ١٠

(١) سورة ٧٤ آية ١٤٦ .

(٢) في مد : بنهى ، وفي ظ : يُلهى .

(٣) زيد في ظ : آية .

(٤) سورة ٦ آية ١٥٢ وسورة ١٧ آية ٣٤ .

(٥) سورة ١٧ آية ٣٢ .

(٦) سورة ٢ آية ٢٢٢ .

(٧) انتهت سقطت م إلى هنا كما نبهنا عليها في صفحة ٢٩٥ .

(٨) سورة ٢ آية ١٨٨ .

(٩) سورة ٣ آية ١٣٠ .

(١٠) سورة ٤٩ آية ١٢ .

(١١) سورة ٤٩ آية ١١ .

(١٢-١٣) ليس في مد .

نحو قوله تعالى : « ولا تقولوا لمن أتى اليكم السلم لست مؤمنا بقتنوا عرض
الحياة الدنيا » - إلى ما دون ذلك من النهي عما يقدر في الفضل وإن كان
من حكم العدل نحو قوله تعالى : « ولا ياتل أولو الفضل منكم والسعة أن
يؤتوا » أولى القرني^١ والمسكين والمهجرين في سبيل الله^٢ ، إلى تمام^٣
هـ ما لا تحصل السلامة إلا به من النهي عما زاد على الكفاف و البلغة في الدنيا
الذي به يصح العمل بالحكمة نحو قوله تعالى : « ولا تمش في الأرض
مرحاً - إلى قوله : ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة » ، ونحو قوله
تعالى : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا
لنفتنهم فيه » ، لأن كل زائد على الكفاف فتنة ، وهذا هو أساس ما به
١٠ تفاوت درجات العلم في الدنيا ودرجات الجنة في الآخرة ، ولا تصح
الوجوه والحروف التي بعده أي وهي سائر الحروف علماً وعملاً وثباتاً
وقبولاً عند التمييز إلا بحسب^٤ الإحكام في قراءة هذا الحرف وجمعه وبيان

(١) سورة ٤ آية ٩٤ .

(٢) من م ومد و ظ والقرآن الكريم ، ووقع في الأصل : ياتوا - خطأ .

(٣) سورة ٢٤ آية ٢٢ .

(٤-٤) في ظ : اتمام .

(٥) في م فقط : يصلح .

(٦) سورة ١٧ آية ٣٧ - ٣٩ .

(٧) سورة ٢٠ آية ١٣١ .

(٨) في ظ : بسبب .

لأنه ظهور^١ لما بعده من صلات حرف الأمر و ما قَصَّر بعشرات فرق
الآمة إلا التقصير في حرف النهي ، لأن الملة الخفيفة مبنية على الاكتفاء
بالبسير من المأمورات و المبالغة في الحمية من عموم ما لا يتناهى^٢ من المنهيات
لكثرة مداخل الآفات منها على الخلق فيما بعد الموت و يصعب هذا الحرف
على الخلق بما^٣ استقر في أوهامهم أن دنياهم لا تصلح إلا بالمثابرة على^٥
صنوف المنهيات لنظرهم لجدواها في الدنيا و عمام عن وبالها في الأخرى^٤
و ما حوِّظ على الرياضات و التأديبات و التهذبات إلا بوفاء الحمية منها ،
و الحمية أصل الدواء ، فمن لم يحتم^٥ عن المنهيات لم ينفعه تداويه بالمأمورات ،
كالذى يتداوى^٦ و لا يحتجى بخسر الدواء و يتضاعف الداء^٧ ، هل انبئكم
بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحينونة الدنيا و هم يحسبون أنهم^{١٠}
يحسبون صنعا^٨ ، و^٩ جاؤا بحسنات كالجبال و كانوا يصومون و يصلون
و يأخذون و هنا من الليل لكن ذلك تداو بغير حمية لما لم يحتموا من الدنيا

(١) من ظ ، و في الأصل : ظهور - بالطاء الهملة .

(٢) في ظ : لا يتناهى .

(٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : ما .

(٤) في م : الآخرة .

(٥) في م : يحتم .

(٦) زيد في م : قل .

(٧) سورة ١٨ آية ١٠٣ و ١٠٤ .

(٨) زيد حرف العطف من ظ .

التي نهوا عن زهرتها، فكانوا إذا لاحت لهم وثبوا عليها فيصيرون منها
الشهوات ويعملون المعصيات فلم ينفعهم^١ المداواة، فمن احتسب فقد قرأ
هذا الحرف وهو حسبه فاقروا ما تيسر منه، أحب العبادات إلى الله ترك
الدنيا وحمة النفس من هوى^٢ جاهها وما لها - بل نينا عبدا أجوع يوما
ه وأشبع يوما، ومن رغب عن سنتي فليس مني^٣، والقرآن حجة لمن عمل
به فصار إمامه يقوده إلى الجنة. وحجة على من لم يعمل به يصير خلفه^٤
فيسوقه إلى نار الجبة^٥ التي في جب^٦ وادي جهنم التي تستعيز جهنم منها
والوادي والجب^٧ في كل يوم سبع مرات ولكن جعلته نورا
نهدي به من نشاء من عبادنا^٨، ويضل به كثيرا ويهدي به كثيرا^٩،
١٠. ولا يزيد الظالمين الا خسارا^{١٠}، أعوذ بعفوك من عقوبتك، وبرضاك

(١) في ظ: فلم ينفعهم كذا.

(٢) ليس في ظ.

(٣) هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) في ظ: خلقه.

(٥) في مد: الحية.

(٦) في ظ: خبء.

(٧-٧) كذا في الأصل ومد، وفي م: والجب والوادي، وفي ظ: والوادي

والجبء، والظاهر: ووادي الجب.

(٨) سورة ٤٢ آية ٥٢.

(٩) سورة ٢ آية ٢٦.

(١٠) سورة ١٧ آية ٨٢.

من سخطك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

ثم قال فيما 'تحصل به' قراءة حرف النهى : اعلم أن الموفى بقراءة حرفي الحلال والحرام المنزلين لإصلاح أمر الدنيا وتحسين حال الجسم والنفس تحصل له عادة بالخير تيسر عليه قراءة حرفي صلاح الآخرة ٥ من الأمر والنهى ، ولما اقتضت الحكمة والعلم إقامة / أمر الدنيا بقراءة حرفي صلاحها تماما اقتضى الإيمان بالغيب وتصديق الوعد والوعد تجارة اشتراء الغيب الموعود من عظيم خلاق الأخرى بما ملك العبد من منقود متاع الدنيا ، فكل الحلال ما عدا الكفاف بالسنة 'متجر' للعبد ، إن أنفقه ربحه وأبقاه فقدم عليه ، وإن استمتع به أفناه فقدم عليه ، فاستمتعوا ١٠ بخلقهم فاستمتعتم بخلقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلقهم ، ولولا آخرتي إلى أجل قريب فاصدقوا ، أكن من الصالحين ، لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، ذلك مال راجح ذلك مال راجح ، وكما أن حرف الحلال موسع ليحصل به الشكر فحرف النهى مضيق لمتسع حرف الحلال ليحصل به الصبر ليكون به العبد شاكرا صابرا ، فالذى يحصل به قراءة حرفي النهى ١٥

(١-١) في م ومد : به تحصل .

(٢) ليس في ظ .

(٣) في م : متجرد .

(٤) سورة ٩ آية ٦٩ .

(٥) سورة ٦٣ آية ١٠ .

(٦) سورة ٣ آية ٩٢ .

أما من جهة القلب و رؤيا الفؤاد فشاهدة^١ البصيرة لموعود الجزاء حتى كأنه
 ينظر إليه لترتاح^٢ النفس بخيره و ترتاع من شره، كما قال حارثة: كأنى أنظر إلى
 أهل الجنة في الجنة ينعمون و إلى أهل النار في النار يعذبون، فأمر له ذلك
 ما أخبر به عن نفسه^٣ في قوله^٤: و عَزَّ قَت^٥ نفسى^٦ عن الدنيا فاستوى عندي^٧
 ٥ ذهبها و خزفها، و خصوصا من أيد بالمبشرات من الرؤيا الصالحة و الكشف
 الصادق ليدع الغاني للباقي على يقين و مشاهدة^٨؛ و أما^٩ من جهة حال
 النفس فالصبر بحبسها عما تشهيه طبعاً مما هو محلل لها شرعاً، قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه لما رثى لحاله: أما ترضى أن تكون
 لهم الدنيا و لنا الآخرة؟ و استعينوا بالصبر^{١٠}، و صبر النفس عن شهواتها
 ١٠ و إن كانت حلالاً هو حقيقة تركيتها، و قتلها باضنائها منها هو حياتها،

(١) في م: غشاً هذه .

(٢) في م: لترجاج - كذا .

(٣-٣) ليس في ظ .

(٤) عزفت نفس فلان عن الشيء تعزف و تعزف عزفاً و عزوفاً زهدت فيه
 و انصرفت عنه أو ملته نهى عزوف عنه - قطر المحيط ١٣٥٤/٣، و في م: غرقت،
 و هي محرفة .

(٥) زيد في الأصل فقط: خصوصاً، و لم تكن الزيادة في م و بسد و ظ
 لحذفناها .

(٦) ليس في ظ .

(٧) في م: اصله .

(٨) سورة ٢ آية ٤٥ .

وإطلاقها ترتع في شهواتها هو تدسيثها، « قد افلح من زكّنها » و قد خاب من دسّنها^١ ، و النفس مطية يقويها انضاؤها ، و يضعفها استمتاعها ، و حبسها عن ذلك شائع في جهات وجوه الحلال كلها إلا في شيئين : في النساء بكلمة الله ، لأنهن من ذات^٢ نفس الرجال ولسن غيرا لهم « هو الذي خلقكم من نفس واحدة و جعل^٣ منها زوجها ليسكن اليها »^٥ و « اتيتهم احدهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا^٤ » ، و الثاني في الطيب ، لأنه غذاء للروح^٥ و تقوية للحواس و نسمة من باطن الملكوت إلى ظاهر الملك ؛ و ما عداهما فالاستمتاع به و اتباع النفس هواها فيه علامة^٦ تكذيب^٧ وعد الرحمن و تصديق وعد الشيطان « و زين لهم الشيطان اعمالهم فصدم عن السبيل فهم لا يهتدون^٨ » « يعدم و يُمنّهم و ما يعدم الشيطان الا غرورا^٩ » ؛^{١٠} هذا من جهة النفس ؛ و أما من جهة العمل و تناول اليد فرفعها عما زاد

(١) سورة ٩١ آية ٩ و ١٠ .

(٢) في ظ : ذوات .

(٣) وقع في م فقط : خلق - كذا خطأ ؛ راجع القرآن الكريم سورة ٧ آية ١٨٩ .

(٤) سورة ٤ آية ٢٠ .

(٥) وقع في مد : للزواج - كذا مصحفا .

(٦) ليس في ظ .

(٧) في م : التكذيب .

(٨) سورة ٢٧ آية ٢٦ .

(٩) سورة ٤ آية ١٢٠ .

على الكفاف و تخليته لذرى الحاجة ليتخذوه معاشا ، و أن يكون التمول
من غير القوام تجارة نقل و ضرب فى الأرض و إرصاد لوقت حاجة
لا حكرة و تضيقا ، اتخاذ أكثر من لبستين^١ للهنه و الجمعة علامة لضعف
الإيمان و خلاف السنة ، انقطاع عن آثار النبوة و عدول عن سنة الخلفاء
و ترك لشعار^٢ الصالحين ، و كذلك تصفية لباب الطعام و قصد المستحسن
فى الصورة دون المستحسن فى العلم و إثثار الطيب فى المطعم على الطيب
فى الورع و تكثير الأدم و تلوين الأطعمة ، و كذلك اتخاذ أكثر من
مسكن واحد و أكثر من مزدرع^٣ كاف و رفع البناء و الاستشراف
بالمباني ، امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من رد السلام على رجل اتخذ
١٠ قبة فى المدينة حتى هدمها وسواها مع بيوت أهل المدينة ، وإنما الدنيا
للؤمن سجن إن شعر به و ضيق فيه على نفسه^٤ طلبت السراح^٥ منه إلى
الآخرة فسعد ، و إن لم يشعر بأنها سجن فوسع فيها على نفسه طلب البقاء^٦
فيها و ليست بياقية^٧ ، و الخيل ثلاثة^٨ : أجر للجاهد ، و وزر على المباهى ،

(١) فى مد : نسبتي - كذا .

(٢) فى م : لشعار .

(٣) فى ظ : مزرع .

(٤) العبارة من هنا إلى " فيسعد " ليست فى م و مد .

(٥) فى ظ : الراح .

(٦ - ٦) فى م : طلبا للبقاء .

(٧) فى م : باقية .

(٨) هذا مأخوذ مما رواه الإمام البخارى فى صحيحه ١ / ٤٠٠ عن أبى هريرة =

و عفو للمستكنى بها فيما يعنيه من شأنه ، و الزيادة على الكفاف من النعم
السائمة انقطاع عن آثار القوة و تضيق على ذوى الحاجة و تمول لما
وضع لإقامة المعاش و أن يتخذ منه الكفاف ، قال صلى الله عليه وسلم :
لنا غم مائة ^١ لا نريد أن تزيد ، فاذا ولد الراعى بهمة ^٢ ذبحنا مكانها شاة .
و الطعام لا يتمول و كذلك ما اتخذ للقوام لا يحتكره ^٣ إلا خاطئ - من ه
احتكر طعاما أربعين يوما فقد برئ من الله و برئ الله منه . فالأمتعة تجلب
و تحتزن ^٤ و يستنى فيها ^٥ الدينار و الدرهم ، و الطعام و القوام يجلب
و لا يخزن ^٦ فيستنى فيه ^٧ الدينار و الدرهم ، و من اختزنه يستنى فيه
الدينار و الدرهم فقد احتكره ؛ و ما منع فيه من مدّ العين فأحرى أن يمنع
فيه مد اليد لا تمدن عينك إلى ما متعنا به أزواجا ، الآيتين ^٨ ؛ فهذه ١٠

= أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الخيل لثلاثة (و في رواية : ثلاثة ، كما
هنا) لرجل أجر ، و لرجل ستر ، و على رجل وزر - الحديث .

(١) في م وظ : يعينه .

(٢ - ٣) في مد : لا تريد أن تزيدوا .

(٣) في م : بهيمة .

(٤) في ظ : لتحكيه .

(٥) في مد : تحتزن - كذا .

(٦) زيد في م : في .

(٧) في ظ : لا تخزن .

(٨) في ظ : فيها .

(٩) زيد في م وظ : منهم . سورة ١٥ آية ٨٨ .

(١٠) ليس في ظ .

الأمور من إيمان القلب ورؤية القواد و صبر النفس و كف اليد عن
الانبساط في التمول فيما به القوام تحصل قراءة حرف النهى ، والله ولى
التأييد - انتهى .

و لما فرغ سبحانه من أمر أهل الكتاب بالإيمان بالله و النبی و الكتاب
الذى هو من الهدى الآتى إليهم المشار إلى ذلك كله بالإيفاء بالعهد عطف
بقوله : « و اقيموا الصلوة » أى 'حافظوا على العبادة' المعهود بها فى كل
يوم 'بجميع شرائطها و أركانها' « و اتوا الزكاة » أى ٣ المفروضة فى
كل حول لتجمعوا أوصاف المتقين المهديين بهذا / الكتاب « الذين

/٦٨

(١) قال على المهاشمي : « و » لا يكفيكم العمل بالنسوخ من التوراة وإن لم تغيروه
و لم تلبسوا فيه و لم تكتموا بل « اقيموا الصلوة و اتوا الزكاة » بمقتضى هذا
الكتاب « و » اعملوا بفضائله و إن لم تكن ناسخة لما فى كتابكم لذلك « اركعوا
مع الراكعين » أى صلوا بالجماعة إذ فضلت على صلاة الفرد فى هذه الملة بسبع
و عشرين درجة فأتوا بفضائل هذا الكتاب سيما التى بها تظاهر النفوس على
الخيرات . و قال البيضاوى : يعنى صلاة المسلمين و زكاتهم ، فان غيرهما كلا
صلاة و لا زكاة ، أمرهم بفروع الإسلام بعد ما أمرهم بأصوله ؛ و الزكاة
من زكا الزرع إذا نما ، فان إخراجها يستجلب بركة من المال و يثمر للنفس
فضيلة الكرم ، أو من الزكاة بمعنى الطهارة ، فانها تطهر المال من الخبث و النفس
من البخل .

(٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣) ليس فى م .

(٤) فى م : المهديين .

يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلوة و يمارز قنهم^١ بنفقون هـ ، المحسنين بذلك فيما بينهم و بين الحق و فيما بينهم و بين الخلق ، و هاتان العبادتان إما العبادات البدنية و المالية فخصا بالذكر ، لأن من شأنهما استجرار سائر العبادات و استتباعها ، و الزكاة قال الحرالي^٢ نماء في ظاهر حس و في باطن ذات نفس ، و واركعوا ، من الركوع و هو توسط بين قيام و سجود هـ يقع في ظاهر من القامة و في حال من القلب ، تخص به الأمة المتوسطة الجامعة للطرفين ، مع ، معناه الصحبة من الأعلى بالحياطة^٣ ، و من الأدنى^٤ بحسن التبع ، و من المماثل بحسن النصفة - انتهى . و قوله : « الركعين هـ ، مع مصحوبه^٥ تأكيد لأمر الصلاة و أمر بالكون في هذا الدين مع الذين اتبعوا محمدا صلى الله عليه و سلم ، فان صلاة اليهود لا ركوع فيها ، ١٠ كما سيأتى بيانه في سورة آل عمران إن شاء الله تعالى .

و قال الحرالي : و المتسق بذلك أى بما مضى خطاب إفهام يفهمه^٦ عطف^٧ إقامة الصلاة التى هى تلو الإيمان ، فكان خطاب الإفهام :

(١) في ظ و م و مد : رزقوا .

(٢) العبارة من هنا إلى « استتباعها » ليست في ظ .

(٣) ليس في ظ .

(٤) في م : للحياطة .

(هـ) من م و ظ ، و لا يتضح في مد ، و في الأصل : الأعلى - كذا .

(٦-٦) في م : مع مصحوبة ، و في ظ : بجملته - كذا .

(٧) في م و مد : تفهمه .

(٨) و قال أبو حيان الأندلسى : و في هذه الجملة و إن كانت معطوفات بالواو =

فارجعوا واستدركوا وأعلنوا بما كنتم و بينوا ما لبستم وانصحو من استنصحكم وأقيموا وجهتكم لله بالصلاة وتعطفوا على الاتباع بعد تعليمهم بالزكاة وكملوا صلاتكم بما به كمال الصلاة من الركوع العدل في الفعل بين حال قيام الصلاة وسجودها المظهر آية عظمة الله مع الراكعين ٥ الذين هم العرب الذين وضعت أول صلاتهم على كمال - انتهى . ٣ ويحوز

= التي لا تقتضي في الوضع ترتيبا ترتيب عجيب من حيث الفصاحة وبناء الكلام بعضه على بعض ، وذلك أنه تعالى أمرهم أولا بذكر النعمة التي أنعمها عليهم إذ ما في ذلك يدعو إلى محبة المنعم وجوب إطاعته ، ثم أمرهم بإيفاء العهد الذي التزموه للنعم ، ثم رغبتهم بترتيب إيفائه هو تعالى بعهدهم في الإيفاء بالعهد ، ثم أمرهم بالخوف من نعماته إن لم يوفوا ، فاكتنف الأمر بالإيفاء أمر بذكر النعمة والإحسان وأمر بالخوف من العصيان ، ثم أعقب ذلك بالأمر بإيمان خاص وهو ما أنزل من القرآن ورغب في ذلك بأنه مصدق لما معهم فليس أمرا مخالفا لما في أيديهم لأن الانتقال إلى الموافق أقرب من الانتقال إلى المخالف ، ثم نهاهم عن استبدال الخسيس بالنفيس ، ثم أمرهم تعالى باتقائه ، ثم أعقب ذلك بالنهي عن لبس الحق بالباطل وكتان الحق تركا للاضلال ، ولما كان الضلال ناشئا عن أمرين : إما تمويه الباطل حقا إن كانت الدلائل قد بلغت المستتبع ، وإما عن كتمان الدلائل إن كانت لم تبلغه ، أشار إلى الأمرين بلا تلبسوا وتكتموا ، ثم قبح عليهم هذين الوصفين مع وجود العلم ، ثم أمرهم بعد تحصيل الإيمان وإظهار الحق بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة - من شاء الاطلاع على ما بعدها فلي نظر في البحر المحيط ١٨٠/١ .

(١) ليس في ظ .

(٢) في م : او .

(٣) العبارة من هنا إلى « بالجماعة » ليست في ظ .

أن يكون المراد بالركوع الصلاة، عبر عنها به لما ذكر من خصوص هذه الأمة^١ به، فكأنه قيل: وصلوا مع المصلين جماعة، لمزيد التوصية بالجماعة.

ولما أمر علماءهم بما تركوا من معالي الأخلاق^٢ من الإيمان و الشرائع بعد أمرهم بذكر ما خصهم به من النعم، ونهاهم عما ارتكبوا من هـ
فسافها^٣ من كفر النعم^٤ ونقض العهود و ما تبع ذلك^٥ وكانوا يأمرون

(١) من م ومد، وفي الأصل: الآية.

(٢) العبارة من هنا إلى « النعم » ليست في ظ.

(٣) العبارة من هنا إلى « ذلك » ليست في ظ.

(٤) زيدت في م: ونهاهم عما ارتكبوا من - مكررة.

(هـ) قال المهائمي: ثم أشار إلى أنهم لا يأتون بأصل أعمال البر من كتابهم فضلا عن فضائل كتابكم فقال « اتامرون الناس بالبر » وهو التوسع في الخيرات أو مراعاة الأقارب أو حسن معاملة الناس « وتنسون أنفسكم » أي تتركونها ترك المنى فلا تاتون بشيء من الخيرات فضلا عن الفضائل. وفي التفسير المظهرى: قال البغوى: نزلت في علماء اليهود و ذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم: اثبت على دينه فإن أمره حق وقوله صدق. وكذا أخرج الواحدى عن ابن عباس، وقيل: هو خطاب لأخبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة وهم خائفوا التوراة وغيروا نعت محمد صلى الله عليه وسلم فيه. وقال البيضاوى: « اتامرون » تقرير مع توبيخ و تعجيب، والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء يتناول كل خير، لذلك قيل: البر ثلاثة: بر في عبادة الله، وبر في مراعاة الأقارب، وبر في معاملات الأجانب.

غيرهم بما يزعمون أنه تزكية و ينهونه^١ عما يدعون^٢ أنه تردية ، أنكر عليهم^٣
 ترغيبا فيما نذبتهم إليه و حثهم عليه و توبيخا على تركه بقوله : « اتامرون » ،
 من الأمر و هو الإلزام بالحكم^٤ - قاله الحرالي . « الناس بالبر » و هو
 التوسع في أفعال الخير « و تنسون »^٥ و النسيان السهو الحادث بعد حصول
 العلم ، « انفسكم » أى تتركون حملها على ذلك ترك الناسى ، و لعله عبر به
 زيادة في التنفير عن هذا الأمر الفظيع الذى دل العقل دلالة بينة على
 فحشه ، لأن المقصود من أمر الغير بالبر النصيحة أو الشفقة ، و ليس من
 العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو ينصح غيره و ينسى نفسه ، و الظاهر
 أن المراد^٦ به حكم التوراة ، كانوا يحملون عوامهم عليه و هم يعلمون
 ١٠ دون العوام أن من حكم التوراة^٧ اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد نسوا
 أنفسهم من الأمر بأساس البر الذى لا يصح^٨ منه شيء إلا به .
 و قال الحرالي : ولما كان فيهم من أشار على من استهداه بالهداية

(١) فى م : تهونه .

(٢) « عما يدعون » ليس فى م .

(٣) العبارة من هنا إلى « تركه » ليست فى ظ .

(٤) فى م : بالحكم .

(٥) العبارة من هنا إلى « العلم » ليست فى ظ .

(٦) العبارة من هنا إلى « و ينسى نفسه » ليست فى ظ .

(٧) من م و ظ ، و فى الأصل : للراد .

(٨) ليس فى ظ .

(٩) فى م : لا يصلح .

لاتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولم يهدوا أنفسهم لما أُرشدوا إليه غيرهم
أعلن تعالى عليهم بذلك ' نظما لما 'تقدم من' نقض عهدهم ولبسهم
وكتبتهم بما 'ظهر من' نقض عقولهم في أن يظهر طريق الهدى لغيره
ولا يتبعه فأخرجهم بذلك عن حد العقل الذى هو أدنى أحوال المخاطبين ،
و^٢زاد في تبيكتهم بجملة حاله حاكية^٣ تلبسهم بالعلم والحكمة الناهية عما هم^٥
عليه فقال : « واتم تتلون الكتب » ، من التلاوة ، وهو تتبع قول قائل

(١) وقال أبو حيان : وقال السلبى : أنطايون الناس بحقائق المعاني وأنتم قلوبكم
خالية عن ظواهر رسومها . وقال القشيري : أن تحرضون الناس على البدار وترضون
بالنخلف ، وقال : أن تدعون الخلق إلينا وتعدون عنا وألفاظا من هذا المعنى .
والأقنص هنا ذواتهم ، وقيل : جماعتهم وأهل ملتهم - انتهى .

(٢-٢) ليس في ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ .

(٤) ليس في م .

(٥) قال المايمى : « واتم تتلون الكتب » أى التوراة نفقكم أن تسبقوا الناس
بالعمل بما فيه ليقنذى الناس بكم ويعتمدوا على أقوالكم « ا » رضىتم بهلاك
أنفسكم مع صلاح غيركم . وقال البيضاوى : تبيكت كقوله تعالى « واتم تعلمون »
أى تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل « افلا
تعقلون » قبح صنيعكم فيصدكم عنه ، أو أفلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة
عاقبه ؛ والآية ناعية على من يعط غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه
وأن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالى عن العقل ، فإن الجامع بينهما
يأبى عنه شكيمته ، والمراد بها حث الواعظ على تركية النفس والإقبال عليها
بالتكامل ليقوم فيقيم ، لامنح الفاسق عن الوعظ فان الإخلال بأحد الأمرين
الأمور بهما لا يوجب الإخلال بالآخر - انتهى .

أول من جهة أوليته - قاله الحرالي . وهذه الجملة الحالية أعظم منبه على أن من حكم التوراة اتباعه صلى الله عليه وسلم ، ومشير إلى أن المعصية من العالم أقبح . قال ' الحرالي : فيه إشعار بأن أمر النبي صلى الله عليه وسلم في منطوق تلاوته ليس في خفي إفهامه ، فكان في ذلك خروج عن حكم نور العقل - انتهى .

ولما كان هذا في كتابهم وهم به يأمرن وعنه معرضون سبب سبحانه عنه الإنكار في قوله : « افلا » ٢ أى أتلقونه فلا ٣ « تعقلون » ، إشارة إلى أن ما هم عليه من هذا لا يفعله ذو مسكة ، والعقل إدراك حقائق ما نال الحس ظاهره - قاله الحرالي . « سعى عقلا لأنه يعقل عن ١٠ التورط في الهلكة .

ولما أنكر عليهم اتباع الهوى أرشدهم إلى دوائه بأعظم أخلاق النفس وأجل أعمال البدن فقال عاطفا على ما مضى من الآوامر . وقال الحرالي : فكأنهم إنما حملهم على مخالفة حكم العقل ما تعودت به أنفسهم من الرياسة والتقدم فلما ٤ في ذلك عليهم من المشقة أن يصيروا أتباعا

(١) في م : قاله .

(٢) ليس في ظ .

(٣-٣) ليست في ظ . وفي م : تتلون - مكان : تتلقونه .

(٤) في ظ : ذوا .

(٥) العبارة من هنا إلى « الملكة » ليست في ظ .

(٦) زيد في م : سبحانه .

(٧) كذا ، والظاهر : لا .

للعرب بعد ما كانوا يرون أن جميع الأرض تبع لهم نسق^١ بخطابهم في ذلك الأمر بالاستعانة بالصبر الذي يُكره أنفسهم على أن تصير تابعة بعد أن كانت متبوعة فقال تعالى - انتهى . « واستعينوا » أى على إظهار الحق والالتقياد له وهو معنى ما مضى من الأوامر والنواهي « بالصبر » أى على مخالفة الهوى، والصبر حبس النفس عن حاجتها وعاداتها وعلى إصلاحها وتزكيتها، وهو ضياء للقلوب تبصر به ما يخفيه عنها الجزع من الخروج عن العادة فيما تنزع إليه الأنفس - قاله الحرالي . وهو عام ٣ في كل صبر الصوم وغيره ٢، « والصلوة » أى الموصلة إلى المقام الأعلى،

(١) نسق الدر ينسقه نسقا: نظمته على السواء، والكلام: رتيبه وعطف بعضه على بعض على نظم واحد - قطر المحيط ٤/٢١٦٥ .

(٢) قال البيضاوى: متصل بما قبله كأنهم لما أمروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والإعراض عن المال عولجوا بذلك، والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجاح والفرج توكلوا على الله، أو بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس، والتوسل بالصلاة والالتجاء إليها، فإنها جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه إلى الكعبة والعكوف للعبادة وإظهار الخشوع بالحوارج وإخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس من الأطييين حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب، روى أنه عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، ويجوز أن يراد بها الدعاء - انتهى .

(٣ - ٢) ليست في ظ .

(٤) قال أبو حيان: وقدم الصبر على الصلاة قيل لأن تأثير الصبر في إزالة =

وفيه التفات إلى « و اياك نستعين » وإشارة إلى أن من لم تنته صلاته عن ركوب الباطل و التهادى فيه وتأمره بلزوم الحق و الرجوع إليه فليس بمصل، فكأن المراد بالصبر تخليص النفس من أشراك الهوى وقسرها على الإخلاص، فمن صلى على هذه الصفة كان لا محالة من الناجين؛
 ٥ و ثنى بالصلاة لأنها استرزاق يغنيهم^٢ عن اشتراء ثمن كانوا يأخذونه من أتباعهم في اللبس و الكتمان « و امر اهلك بالصلوة و اصطر عليها لا نستلك رزقا نحن نرزقك^٣ » قاله الحرالي^٤ . و يصح أن يراد بها الدعاء ، فمن صبر عن الدنيا و على المكارة^٥ و أنهى صبره إلى الصوم فأزال عنه كدورات

= ما لا ينبغي وتأثير الصلاة في حصول ما ينبغي ، و النفي مقدم على الإثبات ، و يظهر أنه قدم الاستعانة به على الاستعانة بالصلاة لأنه سبق ذكر تكاليف عظيمة شاق فراقها على من ألفها و اعتادها من ذكر ما نسوه و الإبقاء بما أخلفوه و الإيمان بكتاب متجدد و ترك أخذهم الرشا على آيات الله و تركهم إلياس الحق بالباطل و كم الحق الذي لهم بذلك الرياسة في الدنيا و الاستعجاع لعوامهم و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة ، و هذه أمور عظيمة ؛ فكانت البداءة بالصبر لذلك . و لما كان عمود الإسلام هو الصلاة و بها يتميز المسلم من المشرك أتبع الصبر بها اذ يحصل بها الاشتغال عن الدنيا .

(١) زيد في ظ « و » كذا خطأ .

(٢) في م : يعينهم . (٣) سورة ٢٠ آية ١٣٢ .

(٤) العبارة من هنا إلى « نهاية البر » ليست في ظ . و في م مكررة فانها قدمت فيه (مع ما بعدها إلى « فقال ») على العبارة السابقة التي أولها « و هو عام في كل صبر - الخ » .

(٥) عكذا في الأصل و مد ، و في م : المكارم .

حب الدنيا وأضاف إلى ذلك الصلاة استتار قلبه بأنواع المعارف، فإذا
ضم إلى ذلك الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى بلغ نهاية البر .
ولما أمر ونهى بما ختمه بالصلاة حث على التفاؤل لعظمته [سبحانه]
[بتخصيصها بالضمير - ٢] فقال : « وانها لكبيرة » أى ثقيلة جدا ، و « الكبير »
ما جل قدره أو مقداره في حس* ظاهر أو في معنى باطن - قاله الحرالي . ه
« الا على الخشعين » أى المحبتين الذين هم في غاية السهولة واللين والتواضع
لربهم بحيث لا يكون عندهم شيء من كبر* وينظرون عواقب الأمر وما

(١) زيد من م ومد .

(٢) العبارة زيدت من م ومد ولكن قدمت في م على « حث » ؛ و زيدت
في مد بعد « الصلاة » العبارة التالية « وكانت الصلاة صبرا لا حظ للنفس فيه
لأنها عبادة محضة » .

(٣) قال المهازمي « و » لكن الاستعانة بها شاقة « انها لكبيرة » أى شاقة في نفسها
تقتضى الصبر على الطاعات « الا على الخشعين » الخائفين السالكين إلى الله فانها
لا تشق عليهم ، فلا تشق الاستعانة بها في حقهم على الصبر عن الشهوات ، لذلك
كانت في حقهم « تنهى عن الفحشاء والمنكر » كيف وهى في حقهم قرة أعينهم
لشاهدتهم الحق ! فان لم يشاهدوه فلا أقل من أن يكونوا هم « الذين يظنون »
أى يعتقدون اعتقادا راجحا « انهم ملقوا ربه » فيشاهدهم . وقال البيضاوى :
وتخصيصها برد الضمير إليها لعظم شأنها واستجباؤها ضروريا من الصبر أو جملة
ما أمروا بها ونهوا عنها . وذكر أبو حيان سبعة أقوال في الضمير العائد في
« وانها » مع الاستشهاد وأطال البحث فليراجع إليه ١٨٥/١ .

(٤) في م : الكثير .

(٥) في م : حسن - كذا .

(٦) العبارة من هنا إلى « غير رغبة » ليست في ظ .

أعد عليها من الآجر ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : وجعلت قرة عيني
 في الصلاة . وغيرهم يمنعهم ثقلها من فعلها ، وإن فعلها فعلى غير رغبة .
 قال الحرالي : وهو أى الخشوع هدوء الجوارح والخواطر فيما هو الأهم
 في الوقت ، وأنبأ تعالى بكبر قدر الصلاة عن أن يتناول عملها إلا خاشع
 ٥ خرج عن حظ نفسه وألزم نفسه ذل العبودية التى ختمت بها النبوة ،
 وفى إشارة كمال الصلاة إشعار بصلاة العصر ٣ التى هى صلاة النبي الخاتم
 الذى ٣ زمنه وقت العصر وحالة العبودية ، وذلك بما يكبر على من قرن
 بنبوته وبملكته الملك إلا أن يخشع لما يكبر على النفس ، وخصت الصلاة
 بالكبر* دون الصبر لأن الصبر صغار للنفس والصلاة وجهة* للحق
 ١٠ والله هو العلى الكبير - انتهى . « الذين يظنون » من الظن وهو رجحان
 فى اعتقاد مع بقاء منازع من^٦ مقابله - قاله الحرالي ٨ . « انهم ملقوا بهم »^٩

(١) فى م ومد : يمنعه .

(٢) فى مد : الزل .

(٣-٣) فى ظ : النبي الخاتم التى .

(٤) فى ظ : يمثله .

(٥) ليس فى م .

(٦) زيد فى ظ : الحق .

(٧) فى مد : فى .

(٨) قال أبوحيان : وإنما لم تشق على الخاشعين لأنها منظوية على أوصافهم متحلون
 بها لخشوعهم من القيام لله والركوع له والسجود له والرجاء لما عنده من
 الثواب ، فلما كان مآل أعمالهم إلى السعادة الأبدية سهل عليهم ما صعب على غيرهم
 من المناقيق والمرائين بأعمالهم الذين لا يرحون لها نفعا . ومعنى « يظنون » =

أى المحسن إليهم ، وعبر بالظن 'عن العلم' تهويلا للأمر وتنبهها على أنه يكفي العاقل فى الحث على ملازمة الطاعة ظن لقاء الملك المطاع المرجو المخوف فكيف والأمر متيقن لا مرأى فيه ولا تطرق للريب إليه ! ويجوز أن يراد ظن الموت فى كل لحظة ، فانه إذا كان على ذكر من الإنسان أوجب له السعادة .

٥

ولما كانت هذه الجملة مشيرة مع الترهيب لذرى الهمم العلية والآفة والحية من الوقوع فيما يلم بعيب أو يقع فى عتب ٣ إلى الاستجاء من المحسن الذى ما قطع إحسانه ساعة من الدهر زاد فى الترهيب بقوله : « وانهم إليه ، أى وحده » راجعون ، ، والرجوع معاد الذهاب على

= يوقنون - قاله الجمهور ، لأن من وصف بالخشوع لا يشك أنه ملاق ربه ، ويؤيده ما فى مصحف عبد الله « يعلمون » . قال ابن عطية : قد يقع الظن موقع اليقين فى الأمور المتحققة . لكنه لا يقع فيما قد خرج إلى الحس .
(٩) إضافته إليه وإضافته إلى الرب وإضافة الرب إليهم فى غاية من الفصاحة ، وذلك أن الرب على أى محامله حملته فيه دلالة على الإحسان لمن يربه وتعطف بين لا يدل عليه غير لفظ الرب .

(١-١) ليس فى ظ .

(٢) العبارة من هنا إلى « السعادة » ليست فى ظ .

(٣) فى ظ : عيب .

(٤) قال أبو حيان : اختلف فى الضمير فى « إليه » على من يعود ، فظاهر الكلام والتركيب الفصيح أنه يعود إلى الرب وأن المعنى وأنهم إلى ربهم راجعون ، =

مدارج مذهبه وترقيه على معارج مهبطه - قاله الحرالي . وعبر بذلك وإن كانوا لم يزالوا في قبضته ، لأن اسمه الظاهر سبحانه يكون في تلك الدار 'لاقطاع الأسباب' في غاية الظهور لا يكون لأحد معه نوع ظهور أصلا ، لا 'كهذه' الدار التي الغالب فيها معنى اسمه الباطن إلا عند أولى البصائر ؛ وفي الآية تبكيت لأهل الكتاب بأنهم مع تحققهم للبعث يعملون عمل من لا يظنه فضلا عن أنه يعلمه . وقال الحرالي : ولما كان في الصلاة مناجاة لله 'على الغيب كانت إنما تيسر على من يظن القبول الذي يشعر به اللقاء لربه بعد موته وذلك حال من رجحت الآخرة

= وهو أقرب ملفوظ به ، وقيل : يعود على اللقاء الذي يتضمنه ملقوا ربهم ، وقيل : يعود على الموت ، وقيل : على الإعادة وكلاهما يدل عليه « ملقوا » وقيل بالقول الأول وهو أن الضمير يعود على الرب فلا يتحقق الرجوع فيتحقق في تحققه إلى حذف مضاف التقدير إلى أمر ربهم راجعون ، وقيل : المعنى بالرجوع الموت ، وقيل : راجعون بالإعادة في الآخرة ، وهو قول أبي العالية ، وقيل : راجعون فيجزئهم بأعمالهم ، وقيل : راجعون إلى أن لا يملك أحدهم ضرا ولا نفعا لغيره كما كانوا في بدء الخلق . وقال على المهانمي : « وأنهم إليه راجعون » فيتوقعون في مقابلتها ما يستحق لأجله مشاقها ويستلذ حتى تنفص الشهوات عندهم ، فأى استعانة للعب عنها أعظم منها في حقهم - انتهى .

(١-١) في م : لا .

(٢) في م : لاقطاع الأسباب .

(٣) في مد : لهذه .

(٤) زيد في م ومد : تعالى .

على الدنيا في عمله ' و حاله ، فكان حاله وعمله حال الظان إبقاء على
أحوال من دون رتبة اليقين ، ومقصود اللقاء ليس البعث لأنهم هم ' من
المؤمنين بالبعث ولكنه من معنى القبول بعد البعث ، ٣ وفيه إشارة إلى
حال الموت ويوم البرزخ وهو الجزء الأول فعطف على المرجع الآخر
بعد البعث ٢ - انتهى .

ولما كان الغالب على أكثر الناس الجود كرر النداء لهم بمبالغة
في اللطف بهم إثر الترجية والتخويف فقال ' ينبغي اسرايل ، أى الذى
أكرمته وأكرمت ذريته من بعده بأنواع الكرامة ' اذكروا نعمتى
ونعم أمرها بقوله : ' التى انعمت عليكم ' أى باتزال الكتب وإرسال
الرسل وغير ذلك ' وانى فضلتكم ، والتفضيل * الزيادة من خطوة ١٠
جانب القرب والرفعة فيما يقبل الزيادة والتقصان منه - قاله الحرالى .
' على الثقلين ' وهم من كان قد برز إلى الوجود فى ذلك الزمان بالتخصيص

(١) فى م و ظ : عليه .

(٢) ليس فى ظ .

(٣-٢) ليست فى م .

(٤) قال أبو حيان : وأعيد نداؤهم ثانيا على طريق التوكيد ولينبهوا لسماع ما
يرد عليهم من تعداد النعم التى أنعم الله بها عليهم وتفصيلها نعمة نعمة ، فالنداء
الأول للتنبيه على طاعة المنعم ، والنداء الثانى للتنبيه على شكر المنعم .

(٥) فى م : التفضل .

(٦) كتب فوته فى الأصل : أى مكانه .

بذلك دونهم ، ولا يدخل في هذا من لم يكن برز إلى الوجود في ذلك الزمان كما يأتي تحقيقه عن الحرالي قريبا^١ ، وما يوجب القطع به قوله تعالى لنا : « كنتم خير امة اخرجت للناس »^٢ .

ولما ذكرهم بتخصيصهم بالكرامة^٣ ونهاهم عن المخالفة وكانت المخالفة مع عظيم النعمة أقبح وأشد وأخش^٤ حذرهم يوما لا ينجي أحدا فيه إلا تقواه فقال . وقال الحرالي : لما دعاهم إلى الوفاء بالعهد تنبيها لهمة من له فضل باطن يرجع إلى فضائل النفس فأجاب من وفق وتمادى على حاله من^٥ خذل ثنى الخطاب لهم بالتنبيه على النعمة الظاهرة^٦ ليتنبه لذلك من يخاف تغيير النعمة الظاهرة^٧ حين لم يخف السقوط عن رتبة / الفضيلة في الخطاب فذكرهم بالنعمة والتفضيل الذي فضلهم به على العالمين^٨ وهم

/٧٠

(١) قال القشيري : أشهد بنى إسرائيل فضل أنفسهم فقال : « واني فضلتكم على العالمين » وأشهد المسلمين فضل نفسه فقال « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا » فستان بين من مشهودة فضل ربه ومن مشهودة فضل نفسه ، فالأول يقتضى الثناء والثاني يقتضى الإعجاب - انتهى . وقال البيضاوي : كرده للتوكيد وتذكير التفضيل الذي هو من أجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها وأخل بحقوقها .

(٢) سورة ٣ آية ١١٠ .

(٣-٤) ليست في ظ .

(٤) زيد في الأصل : وقف ، وقد ضرب عليه .

(٥) قال أبو حيان الأندلسي : قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم : عالمي زمانهم . أو على كل العالمين بما جعل فيهم من الأنبياء وجعلهم =

من ظهرت أعلام وجودهم في زمانهم ، وكذلك كل تفضيل يقع في القرآن والسنة ، إنما العالم من شمله الوجود لا ما أحاط به العلم بعد ، لأن ذلك لم يرفع في الشهود علم وجوده ؛ وفيه إشعار بأنهم كما فضلوهم على عالمي زمانهم فليس ذلك بمقصود عليهم بل كذلك يفضل الله العرب في زمان نبوتها على بني إسرائيل وعلى جميع الموجودين في هـ زمانهم ، وحيث انتهى الخطاب إلى تذكر ظاهر النعمة بعد التذكير ' يباطن الفضيلة لم يبق وراء ذلك ' إلا التهديد بوعيد الآخرة عطفًا على تهديد تقتضيه ٣ الافهام بتغيير ' ما بقى عليهم من النعمة في الدنيا ؛ فكان

= ملوكا وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ، وذلك خاصة لهم دون غيرهم ، فيكون عاما والنعمة مخصوصة ، قالوا : ويدفع هذا القول « كنتم خيرامة » أو على الجمل الغير من الناس ، يقال : رأيت عالما من الناس ، يراد به الكثرة ؛ وعلى كل قول من هذه الأقوال الثلاثة لا يلزم منه التفضيل على هذه الأمة ، لأن من قال بالعموم خص النعمة ، فوجه عدم التفضيل مطلقا ظاهر - انتهى . وقال الشريفي الخطيب :

أى عالمي زمانهم بما منحهم الله من العلم والإيمان والعمل وجعلهم أنبياء وملوكا مقسطين ، وذلك التفضيل وإن كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف في الأبناء ، واستدل بذلك على أن الأصل لا يجب على الله ، لأن تفضيلهم أو وجب عليه لم يجوز جعله منة عليهم ، لأن من أتى بما وجب عليه لا منة له به على أحد - انتهى . وفيه رد على المعتزلة فيما يزعمون أن الأصلح واجب على الله تعالى شأنه .

(١) في م : التذكر .

(٢) العبارة من هنا إلى « من النعمة » ليست في م .

(٣) من ظ ، وفي مد : يقتضيه ، وفي الأصل : يقتضيه - كذا .

(٤) في ظ : بتغيير - بالعين المهملة .

مفهوم الخطاب : فاحذروا أن يصيكم مثل ما أصاب المؤاخذين في الدنيا - انتهى . « و اتقوا » . ' و لما كان المتقى إنما هو الجزاء الواقع في يوم القيامة حذفه و أقام اليوم مقامه تفخيما له و تنبيها على أن عقابه لا يدفع كما يدفع ما في غيره بأنواع الحيل فقال : « يوما » ، هو من العظمة بحيث « لا تجزى » ٢ أى ' تقضى و تغنى ' فيه « نفس » ، أى نفس كانت ' عن نفس » ٥

(١) قال المصنف : « و اتقوا » إذا تركتم البر بأنفسكم اكتفاء بأمره غيركم « يوما لا تجزى نفس » أنت بالبر الأمور في حق الآمرة به « عن نفس » أى أمرتها بالبر إذا تركته . و قال أبو حيان : « و اتقوا يوما » أمر بالالتقاء و كأنهم لما أمروا بذكر النعم و تفضيلهم فاسب أن من أنعم عليه و فضل يكون محصلا للتقوى فأمروا بالإدانة على التقوى ، أو بتحصيل التقوى إن عرض لهم خلل ؛ وانتصاب يوما إما على الظرف ، و المتقى محذوف تقديره : اتقوا العذاب يوما ، وإما على المفعول به اتساعا ، أو على حذف مضاف أى عذاب يوم أو هول يوم . قال القشيري : العوام خوفهم بعذابه فقال « و اتقوا يوما » « و اتقوا النار » والخواص خوفهم بصفاته فقال « و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله » « و ما تكون في شأن » الآية ، و خواص الخواص خوفهم بنفسه فقال « و يحذركم الله نفسه » .

(٢) ' العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ .

(٣) قال البيضاوى : لا تقضى عنها شيئا من الحقوق أو شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر ، و قرئ « لا تجزى » من اجزأ عنه إذا أغنى عنه ، و على هذا تعين أن يكون مصدرا . و إرادته منكرا مع تنكير النفسين للتعميم و الإنفاط الكلى ، و الجملة صفة ليوم ، و العائد منها محذوف تقديره : لا تجزى فيه .

(٤ - ٤) ليست في ظ .

كذلك ' وشيئا ، من الجزء .

قال الحرالي : والنفس لكل امرئ لزمته تقاسة على غيره ، فهؤلاء الذين لا يقنى بعضهم عن بعض بخلاف ' من أثر غيره وذهبت تقاسة نفسه ، فانه يقنى عنمن دونه بالشفاعة والإحسان في الدنيا والآخرة ؛ وفيه إعلام بأن ضعة النفس مبدأ التوفيق و تقاستها مبدأ الخذلان ه
' اذلة على المؤمنين ' فذل العبد - بالضم - لله ، وزله - بالكسر - لعباد الله بشرى فوزه ، واعراضه عن ذكر الله وصعر خده للناس ' نذارة ' هلاكة - انتهى .

١ ' و لما كان الإجزاء قد يكون بنفس كون المجزئ موجودا و هو بحيث يخشى أن يسعى في الفكك بنوع حيلة فتحرك القلوب لإجابته ١٠ وفك أسيره فيحمل ذلك من أسره على إطلاقه ، وقد يحتال بالفعل في التوصل إلى فكك في خفية بسرقة أو فتح سجنه أو نحو ذلك ، و كانت وجوه الإجزاء المشهورة ثلاثة ٢ عطفها على الإجزاء الأعم منها فقال :

(١) ليس في م و ظ .

(٢) في ظ : و .

(٣) سورة ه آية ٤ ه .

(٤) بهامش ظ : ومنه «ولا تصعر خدك للناس» ولكن وقع فيه : ولا تصاعر - كذا .

(ه) من م و مد ، وفي الأصل : نذارة ، وفي ظ : نذار .

(٦) العبارة من هنا إلى «قال» ليست في ظ .

(٧) قال البيضاوي : وكأنه أريد بالآية نفى أن يدفع العذاب أحد عن أحد من

كل وجه محتمل ، فانه إما أن يكون قهرا أو غيره فالأول النصرة والثاني إما =

« ولا يقبل منها » ، أى النفس الأولى أو ' الثانية ' ، شفاعة ، أى لم يؤذن فيها وهى من الشفع وهو إرفاد الطالب بتثنية الرغبة له فيها رغب فيه ليصير كالإمام له فى ٣ وجهة حاجته ٣ - قاله الحرالى . « ولا يؤخذ منها عدل » ، تبذله غير الأعمال الصالحة ، وهو ما يعدل الشيء و يكون معه ه كالعدلين المتكافئ* القدر على الحولة ، فكأن العدل - بالكسر - فى الشيء المحسوس ، و العدل - بالفتح - فى الشيء المعقول ، وكذلك عادة العرب تفرق بين ما فى الحس وما فى المعنى بعلامة إعراب فى ذات نفس الكلمة لا فى آخرها - قاله الحرالى .

١ « ولما كان عدم النصرة للجمع يستلزم عدمها للفرد بطريق الأول

= أن يكون مجانا أو غيره والأول أن يشفع له والثانى إما بإداء ما كان عليه وهو أن يجزى عنه أو بغيره وهو أن يعطى عنه عدلا ، و الشفاعة من الشفع كانت المشفوع له فردا بفعله الشفيع شفعا بضم نفسه إليه ، و العدل القدية ، وقيل : البذل وأصله التسوية سمي به القدية لأنها سويت بالمقدى - انتهى . قال أبو حيان : وقد اختلف المفسرون فى فهم هذا على ستة أقوال : الأول أنه لفظ عام لمعنى خاص والمراد الذين قالوا من بنى إسرائيل : نحن أبناء الله وأبناء أنبيائه وأنهم يشفعون لنا عند الله ، فرد عليهم ذلك و أوسوا منه لكفرهم ، وعلى هذا تكون النفس الأولى مؤمنة و الثانية كافرة والكافر لا تنفعه شفاعة لقوله تعالى « ما تنفعهم شفاعة الشفيعين » و الأقوال الخمسة تنظر فى البحر المحيط ١/ ١٩١ .

(١ - ١) ليست فى ظ ، وفى مد « و » مكان « او » .

(٢) ليس فى ظ .

(٣ - ٣) فى مد : جهة حالته .

(٤) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

جمع فقال: « ولا هم ينصرون » أي يتجدد لهم نصر يوما ما بمن ينقذهم
 قهرا^١ كائنا من كان^٢ ، والنصر تأيد المقاوم في الأمر بما هو أقوى من
 مقاومه وهما طرفان^٣ ليصير كالمقدم له بحكم استقلاله فيما يتوقع عجز
 المنصور^٤ فيه - قاله الحرالي . فاتفق بذلك جميع رجوه الخلاص التي يطمع
 فيها الظالم في الدنيا .

(١) قال الخطيب الشربيني : و تذكر الضمير في « ولا هم ينصرون » مع أن
 الضمير راجع للنفوس وكان المناسب من لتأويل النفوس بالأشخاص أو الرجال .
 وقال القاضي ثناء الله : والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في
 سياق النفي الدالة على العموم والكثرة . أريد بالآية نفي أن يدفع العذاب عن أحد
 من الكفار أحد بوجه من الوجوه . قال أبو حيان : أتى بالضمير مجموعا على معنى
 نفس لأنها نكرة في سياق النفي فتعم كقوله تعالى « فما منكم من أحد عنه حاجزين »
 وأتى به مذكرا لأنه أريد بالنفوس الأشخاص كقولهم : ثلاثة أنفس ، وجعل
 حرف النفي منسحبا على جملة اسمية ليكون الضمير مذكورا مرتين فيتاكد ذكر
 المنفى عنه النصر بذكره مرتين . وفي معنى النصر للفسرين هنا ثلاثة أقوال :
 أحدها أن معناها لا يمنعون من عذاب الله ، الثاني لا يجدون ناصرا ينصرهم ولا
 شافعا يشفع لهم ، الثالث لا يعاونون على خلاصهم وفكاكهم من موبات
 أعمالهم ؛ و ثلاثة الأقول هذه متقاربة المعنى .

(٢ - ٣) ليست في ظ .

(٣) في ظ : طرفان .

(٤) في م : المقصور .

(٥) في ظ : إلى ما يتقى .

قال الحرالي : ولما كانت أسباب النجاة للرب بأحد ثلاث^١ : إما شفاعته من فوقه ' في العلم ' و ٣ الفضل ، وإما نصرة من فوقه في الأيد والقوة ، وإما فكك من يده لنفسه إذ مَنْ هو مثله لا يغنى وأخرى من هو دونه ؛ استوفى الخطاب جميع الوجوه الثلاثة ليسد على ذى النفس المستمسك

هـ بنفاسه جميع الوجوه الثلاثة من الشفاعته و الفدية و النصرة - انتهى .

ولما تقدم أنه فضلهم وعاهدهم^٢ وأن وفاهه^٣ بعهدهم مشروط بوفائهم بعهدته^٤ ناسب تقديم الشفاعته^٥ ويأتى إن شاء الله تعالى في الآية

(١) زيد في م : ثلاث - مكررا .

(٢-٣) في ظ : بالعلم .

(٣) في ظ : او .

(٤) ليس في م .

(٥) في م : وفا .

(٦) قال أبو حيان : و ترتيب هذه الجمل في غاية الفصاحة وهي على حسب الواقع في الدنيا ، لأن المأخوذ بحق إما أن يؤدي عنه الحق فيخلص أو لا يقضى عنه فيشفع فيه أو لا يشفع فيه فيفدى أو لا يفدى فيتعاون بالإخوان على تخليصه ، فهذه مراتب يتلو بعضها بعضا ؛ فلهذا والله أعلم جاءت مرتبة في الذكر هكذا ، ولما كان الأمر مختلفا عند الناس في الشفاعته و الفدية فن يغلب عليه حب الرئاسة قدم الشفاعته على الفدية ، و من يغلب عليه حب المال قدم الفدية على الشفاعته جاءت هذه الجمل هنا مقدما فيها الشفاعته ، وجاءت الفدية مقدمة على الشفاعته في جملة أخرى ليدل ذلك على اختلاف الأمرين ، وبدئنا هنا بالشفاعة : لأن ذلك أليق بعلو النفس ، وجاء هنا بلفظ القبول وهناك بلفظ النفع إشارة إلى انتفاء أصل الشيء وانتفاء ما يترتب عليه . وبدئنا هنا بالقبول لأنه أصل الشيء المترتب =

الثانية ما يتم به البيان ، ولما وصف ذلك اليوم بأنه لا ينفع^١ فيه حيلة
لذى ملكة المتردى^٢ بالكبرياء المتجلل بالعظمة ذكرهم بما أنعم عليهم
من إنجائهم لهم بموسى و هارون عليهما السلام حيث شفعا عند الملك
الذى كان استعبدهم و سامهم سوء العذاب ، فلما لم يشفعهما فيهم قاهره
فاتصرا عليه بأيدي ملكهم و استنقذاهم^٣ منه بسطوة معبودهم . وقال ه
الحرالى : ولما استوفى خطاب النداء لهم وجهى التذكير بأصل فضيلة
النفس الباطنة بالوفاء و غرض النفس الظاهر فى النعمة و الرئاسة جاء
ما بعد ذلك من تفاصيل النعم عطفًا من غير تحديد نداء إلى منتهى خاتمة
الخطاب معهم حيث ثنى لهم^٤ الخطاب الأدنى بالتذكير بالنعمة ختمًا لمتسق
خطابه بما تضمنه تذكيرهم بتكرار قوله : وإذ وإذ ، واحدة بعد أخرى ١٠
إلى جملة منها ، ولما ذكرهم بالنعمة الظاهرة فانتبه من تداركه الهداية^٥
و تمادى من استحق العقوبة ذكر^٦ أهل الاستحقاق بما عوقبوا به بما يستلزمه
= عليه فأعطى المتقدم ذكر المتقدم وجودا ، و آخر هناك النفع إعطاء للتأخر
ذكر المتأخر وجودا - انتهى كلامه .

(١) فى مد : تنفع .

(٢) وفى م : المتردى .

(٣) من م و ظ ، وفى الأصل و مد : فاستنقذاهم - كذا بالبدال المهمة .

(٤) زيد فى م و مد و ظ : هذا .

(٥) وفى ظ : العناية .

(٦) فى م : ذكره .

معنى النجاة وبما فسره بما أخذوا به على ذنوب تشاكل ما هم عليه في معاندتهم القرآن ، فحين لم ينفع فيهم التذكيران بالعهد والنعمة هددوا بتقريرهم على مواقع ما أصيبوا به^١ من البلاء من عدوهم لما اقترفوه / من ذنوبهم^٢ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينت فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا^٣ ، فكان في تكذيبهم بالرسالة الاولى وشكهم ما أصابهم من العقوبة من آل فرعون^٤ حتى أنقذهم الله بموسى عليه السلام فقال تعالى : « واذ ، أى واذكروا^٥ إذ «نجيكم» وهو من التنجية وهى تكرار النجاة ، والنجاة معناه رفع على النجوة وهو المرتفع من الأرض الذى هو مخلص مما^٦ ينال من فى الوهاد وخبت^٧ الأرض من هلاك بسيل ماء ونحوه^٨ من

(١) ليس فى ظ .

(٢) سورة . ٤ آية ٣٤ .

(٣) قال المائى : « و » اذكروا من جملة تلك النعم « اذ نجيناكم » أى وقت إنجائنا إياكم « من » أشد عذاب و « ال » أى أهل « فرعون » هو لقب من ملك العاقلة ككسرى وقيصر والنجاشى لمن ملك الفرس . و قال البيضاوى : تفصيل لما أجمله فى قوله « اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم » وعطف على « نعمتى » عطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة ؛ وأصل آل أهل لأن تصغيره أهيل ، وخص بالإضافة إلى أولى الخطر كالأنبياء والملوك ؛ ولعوتهم اشتق منه : تفرعن الرجل ، إذا عتا .

(٤) فى م : خبت .

ال، آل الرجل من ٢ تبدو فيهم ٢ أحواله وأعماله وأفعاله حتى كأنهم هو في غيبه ٣ من معنى الآل الذي هو السراب الذي يظهر فيه ما بعد ويتراعى ما لم يكن يرى لولاه، «فرعون» اسم ملك مصر في الجاهلية، علم جنس للوكها بمنزلة أسماء الأجناس في ٢ الحيوان وغيره - انتهى .
[والمراد بالآل فرعون وأتباعه ٤ فان الآل ٥ يطلق على الشخص نفسه ٥ وعلى أهله وأتباعه وأوليائه - قاله في القاموس ؛ قال : ولا يستعمل إلا فيما فيه شرف غالباً - ٦] ثم بين ما أنجاهم منه بقوله «يسومونكم سوء

(١) في مد : اى .

(٢-٢) من مد وظ وم ، غير أن فيها : تبدوا - كذا ؛ وفي الأصل : تبدونهم .

(٣) في مد : من .

(٤) قال أبو حيان : وآل فرعون هنا أهل مصر - قاله مقاتل ، أو أهل بيته خاصة - قاله أبو عبيد ، أو أتباعه على ذنبه - قاله الزجاج ، ومنه «واغرقنا آل فرعون» وهم أتباعه على ذنبه . قال السهيلي : فرعون اسم لكل من ملك القبط ومصر واسمه الوليد بن مصعب ، السوم بمعنى التكليف أو الإبلاء - وذكر فيه أقوال المفسرين ؛ وسوء العذاب الأعمال القذرة - قاله السدي ، أو الحرث والزراعة والبناء وغير ذلك - قاله بعضهم . «يذبحون» قراءة الجمهور بالتشديد وهو أولى لظهور تكرار الفعل باعتبار متعلقاته ، وفي سبب الذبح والاستحياء أقوال وحكايات مختلفة الله أعلم بصحتها ومعظمها يدل على خوف فرعون من ذهاب ملكه على يد مولود من بني إسرائيل .

(٥) في م : الأول - كذا .

(٦) العبارة المحجوزة زيدت من م ومد ، وليست في ظ ، وفي الأصل بالهامش

ولا تنضح .

العذاب ، سماه بذلك لأنه أشد البلاء على النفس لما فيه من استحقارها ، من السوم و هو تعذيب بتهاون بالمعذب ، و السوم ما يشتد ، تنكر النفس له و تكرهها ؛ ثم فسر هذا بقوله « يذبحون » من التذبيح و هو تكرار الذبح ، و الذبح قطع بالغ في العنق - قاله الحرالي .

٥ ' و لما كان كل من ذبح الابن و حياة المرأة بغير رجل أخش و كانت البنت اذا بقيت صارت امرأة عبر بالأبناء و النساء فقال « أبناءكم » أى سوقا لكم مساق البهائم « و يستحيون »^٢ قال الحرالي : من الاستحياء و هو استبقاء الحياة « نساءكم » من معنى الاتخاذ للتأهل للملابس فى معنى ما جرى منه اشتقاق الإنس و الإنسان و النسوة باشتراكها^٣ فى أحد ١٠ الحروف الثلاثة من الهمزة أو الواو أو الياء مع اجتماعها^٤ فى النون والسين - انتهى . ثم نبههم على ما فيه من العظم بقوله و « فى ذلكم »^٥ فأشار

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٢) معنى « يستحيون » يتركون بناتكم أحياء للخدمة أو يفتشون أرحام نساءكم ، و قد قيل إن الاستحياء هنا من الحياء الذى هو ضد القحة و معناه أنهم يأتون النساء من الأعمال بما يلحقهم منه الحياء - البحر المحيط ١ / ١٩٤ .

(٣) فى ظ : باشتراكها .

(٤) فى ظ : اجتماعها .

(٥) هو إشارة إلى ذبح الأبناء واستحياء النساء ، والمراد بالبلاء الشدة والمكروه ، و قيل يعود إلى معنى الجملة من قوله « يسومونكم » مع ما بعده فيكون معنى البلاء ما تقدم ، و قيل يعود على التنجية و هو المصدر المفهوم من قوله « نجينكم » فيكون البلاء هنا النعمة و يكون « ذلكم » قد أشير به إلى أبعد مذكور ، =

بأداة البعد مقرونة بالميم «بلاء» أى اختبار «من ربكم» أى المحسن إليكم فى حال الشدة والرخاء «عظيم» قال الحرالى : البلاء الاختبار وهو إبداء خبرة الشيء بشدة وحنّة، وفيه إشعار باستحقاقهم ذلك واستصلاحهم بشدته دون ما هو أسر منه، وذكره بالعظم لشياعه فى الأجسام والأنفس والأرواح، وذكر معنى النجاة ثم فصله تفصيلا .
 لكيفيته بعد ذلك تعدادا لنعمة النجاة التى هى تلورحة الإنعام التى هى ' تلورفة التقدم بالعهد ؛ فاتتهى الخطاب نهايته فى المعنى يعنى فلما ' قرهم تعالى على ما اقترفوه قبل موسى عليه السلام حين أصابهم من آل فرعون ما أصابهم استجدّ لهم تذكيرا بنعمة نجاته من عقوبة متقدم أعمالهم - انتهى .

١٠

٢ ولما كان ما فعل بهم فى البحر إهلاكا للرجال وإبقاء للنساء

= «من ربكم عظيم» دليل على أن الخير والشر من الله تعالى بمعنى أنه خالقهما، ووصفه بعظيم ظاهر، وكونه عظيما هو بالنسبة للخاطب والسامع لا بالنسبة إلى الله لأنه يستحيل عليه اتصافه بالاستعظام .

(١) فى ظ : هو .

(٢) قال القشبرى من صبر فى الله على بلاء الله عوضه الله صحبة أوليائه . هؤلاء بنو إسرائيل صبروا على مقاساة الضر من فرعون وقومه بفعل منهم أنبياء وجعل منهم ملوكا واتاهم ما لم يؤت احدا من العالمين - انتهى . ولم قل النعم تمحو آثار النقم - من البحر المحيط ١/ ١٩٤ .

(٣) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

طبق ما فعلوا بنى إسرائيل عقبه به فقال « واذ ، أى واذكروا إذ » فرقنا ،
من الفرق وهو إفراج الواحد لحكمة إظهار التقابل - قاله الحرالى .
'فصارت لكم مسالك على عدد أسباطكم' « بكم » أى بسبيكم عقب إخراجنا لكم
من أسر القبط « البحر » . قال الحرالى : هو المتسع الرحب البراح ، مما
هو ظاهر كالماء ، و مما هو باطن كالعلم الذى منه الخبر ، تشاركا بحروف
الاشتقاق فى المعنى . « فأنجينكم » من الإنجاء وهو الإسراع فى الرفة
عن الهلاك إلى نجوة الفوز - انتهى . ومن عجائب ذلك أنه كما كان
الإنجاء منه كان به . قال الحرالى : وجعل البحر مفروقاً بهم كأنهم

(١) فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك اسلوكم فيه أو بسبب
إنجائكم أو ملتبساً بكم كقوله شعر :

تدوس بنا الجاهم والتربيا

و قرئ فرقنا على بناء التكثر لأن المسالك كانت اثني عشر بعدد الأسباط -
تفسير البيضاوى ص ٤٤ . وقال المهانمى « و » اذكروا المعرفة عظم نعمة التنجية حتى
أفردت بالذكر بعد التعميم « و اذ فرقنا » أى فصلنا « بكم » أى بسبب وصولكم .
(٢-٣) ليست فى ظ .

(٣) البراح المتسع من الأرض لا زرع بها ولا شجر ، أو الأرض التى لا بناء فيها
ولا عمران - قطر المحيط ٨٨/١ . وقال أبو حيان : البحر مكان مطمئن من
الأرض يجمع المياه ، وأصله قيل الشق ، وقيل السعة ، فمن الأول البحيرة
وهى التى شقت أذنفاً ، ومن الثانى البحيرة المدينة المتسعة ؛ البحر قيل بحر القلزم
من بحار فارس وكان بين طرفيه أربعة فراسخ ، وقيل بحر من بحار مصر يقال
له اساف ويعرف الآن ببحر القلزم ، قيل وهو الصحيح .

سبب فرقة ، فكأن نجاتهم هي السبب و ضرب موسى ' عليه السلام ' بالعصاة ' هي الأمانة و العلامة التي انفلق البحر عندها بسيبهم ، و جعل النجاة من بلاء فرعون تنجية لما كان على تدرج ، و جعل النجاة من البحر إنجاء لما كان وحيًا في سرعة وقت - انتهى . « و اغرقنا آل فرعون » فيه و به « و اتم تنظرون » ، إسرعه إليهم في انطباقه عليهم ، و هذا مثل ما خاض العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه البحر الملح في ناحية البحرين أو انحسر له على اختلاف الروايتين ، و مثل ما قطع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الدجلة في وقائع الفرس عوما ٣ بالخيول بجميع عساكره و كانوا زيادة على ثلاثين ألفا لم يُقصد منهم أحد ، و كان الفرس إذا تعب و ثب فصار واقفا على ظهر الماء كأنه على صخر ، فاذا استراح عام . ١٠ قال الحرالي : « و اغرقنا » من الغرق و هو البلاغ في الشيء إلى غايته بحسه ، فان كان في الهلاك فهو غاية و ظهر معناه في الماء و البحر لبعده قعره ، و هو في الماء بمنزلة الخسف في الأرض ؛ و النظر التحديق للصورة من غير تحقق و لا بصر - انتهى . فذكرهم سبحانه بنعمة الإنجاء منه

(١-١) زيد من م .

(٢) العصاة : العصا ، عراقية - قطر المحيط ١٣٧٨ ؛ وفي ظ : العصا ، وفي م : العصي .

(٣) في م : غوصا .

(٤) في م : الفارس .

(٥) في ظ : و تب - كذا .

(٦) قال أبو حيان : و ناسب نجاتهم من فرعون بالقائهم في البحر و خروجهم =

بالرحيل عنه أولا ، ثم باغراقه الذي هو أكبر من ذلك ثانيا بما كان
 بعينه سبب سلامتهم واستمر يذكرهم بما تابع لهم من النعم حيث كانوا
 يستحقون النقم . قال الحزالي : وقررهم على نظرهم إليهم ، وفيه إشعار بفقد
 بصرهم لضعف بصرهم من حيث لم يقل : وأتم تبصرون ، ولذلك عادوا
 بعدها إلى أمثال ما كانوا فيه من الشك والإباء على أنبيائهم بعد ذلك - انتهى .
 و لما كان ' فرق البحر للابقاء البدني و كان إزال الكتاب للابقاء
 الديني عقبه به و كان الطبع السليم و المزاج المستقيم يقتضي إحسان العمل

= منه سالمين نجاة نبيهم موسى على نبينا وعليه السلام من الذبح بالقائه وهو طفل
 في البحر و خروجه منه سالما ، و لكل أمة نصيب من نبيها ، و ناسب هلاك
 فرعون و قومه بالفرق هلاك بني إسرائيل على أيديهم بالذبح ، لأن الذبح فيه
 تعجيل الموت بانهار الدم ، والفرق فيه إبطاء الموت و لادم خارج ، و كان ما به
 الحياة « وجعلنا من الماء كل شيء حي » سببا لإعدامهم من الوجود ، و لما كان الفرق
 من أعسر الموتات و أعظمها شدة جعله الله تعالى نكالا لمن ادعى الربوبية فقال
 « انا ربكم الاعلى » اذ على قدر الذنب يكون العقاب ، و يناسب دعوى الربوبية
 و الاعتلاء انحطاط المدعى و تغييبه في قعر الماء ؛ « و انتم تنظرون » جملة حالية ،
 و هو من النظر بمعنى الإبصار ، و المعنى و الله أعلم أن هذه الخوارق العظيمة
 من فرق البحر بكم و إنجائكم من الفرق و من أعدائكم و إهلاك أعدائكم بالفرق
 وقع و أنتم تعانون ذلك و تشاهدونه و لم يصل ذلك إليكم بنقل بل بالمشاهدة التي
 توجب العلم الضروري بأن ذلك خارق من عند الله تعالى على يد النبي الذي جاءكم -
 و التفصيل في البحر المحيط ١٩٨/١ .

(١) العبارة من هنا إلى « عقبه به » ليست في ظ

٧٢ /

زمن^١ المواعدة واستعطاف المواعد والترفق له والتعلق^٢ بما تحقق الرجاء
 في إنجاز/ وعده لا سيما بعد بليغ إحسانه بالإنجاء من العدو وإهلاكه نعى
 عليهم عملهم بخلاف ذلك بقوله^٣ « واذ^٤ » و^٥ قال الحرالي: لما ذكرهم
 تعالى بأمر الوفاء بالعهد الذى هو خاتمة أمرهم وبالفضل الذى كان بادية
 أمرهم نظم ذلك بالأمر المتوسط بين الطرفين الذى أعلاه مواعدة موسى^٥
 عليه السلام^٥ ربه الذى النعمة عليه نعمة عليهم فقال: « وإذ وعدنا^٦ » من

(١) في م : من .

(٢) في ظ : القلق .

(٣) قال البيضاوى: واعلم أن هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله به على بني إسرائيل
 ومن الآيات الملقحة إلى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام،
 ثم إنهم اتخذوا العجل وقالوا « لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة » ونحو ذلك،
 فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن أمة محمد صلى الله
 عليه وسلم فانهم اتبعوا مع أن ما تواتر من معجزاته أمور نظرية دقيقة يدركها
 الأكدياء وإخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره .

(٤) ليس في م .

(٥ - ٥) زيد من م .

(٦) لما عادوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله تعالى موسى أن يعطيه التوراة
 وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعبر عنها بالليالى لأنها غرر الشهور -
 انتهى . وقال أبو حيان: قرأ الجمهور « وعدنا » وقرأ أبو عمر « وعدنا » بغير
 ألف هنا وفي الأعراف وطه، ويحتمل وعدنا أن يكون بمعنى وعدنا ويكون
 صدر من واحد، ويحتمل أن يكون من اثنين على أصل المفاعلة، فيكون الله
 قد وعد موسى الوحي ويكون موسى وعد الله المجيء للبيقات، أو يكون الوعد =

الوعد وهو الترجية بالخير ، و وعدنا من المواعدة وهي التقدم في اللقاء
والاجتماع والمفاوضة ونحوه « موسى » كلمة معربة من لفظ العبراني بما
تفسيره فيما يقال ماء و شجر ، سمي ' به لما أودع فيه من التابوت المقدوس في
اليوم « أربعين ليلة » هي كمال وقت الليل و الليل وقت انطماش المدركات
الظاهرة - انتهى . ' و خص الليل ٣ بالذكر إشارة إلى أن ألد المناجاة فيه
و إلى أنه لا نوم في تلك المدة بل المناجاة عامة لليلها و نهارها ، وانتصب
أربعين بوقوعه موقع المفعول الثاني لوعدنا أي انقضاء أربعين أي الكلام
أو إنزال التوراة عند انقضاء الأربعين ؟ وهي ذو القعدة و عشر من ذي الحجة
وقيل ذو الحجة و عشر من المحرم . قال الحرالي : وفيه إشعار بأن
١٠ المناجاة إنما يتهيأ لها لميقات حبس النفس عما به قوامها و كمال ذلك إنما

= من الله و قبوله كان من موسى و قبول الوعد يشبه الوعد .

(١) اسم أعجمي لا ينصرف للعجمة والعلمية ، يقال هو مركب من مو وهو
الماء وشا وهو الشجر ، فلما عرب أبدلوا شينه سينا ، وإذا كان أعجميا فلا يدخله
اشتقاق عربي ؟ هو موسى بن عمران بن بصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب
ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن - البحر المحيط .

(٢) العبارة من هنا إلى « و نهارها » ليست في ظ .

(٣) وكان تفسير الأربعين بليلة دون يوم لأن أول الشهر ليلة الهلال ولهذا
أرخ بالليالي ، و اعتماد العرب على الأهلة فصارت الأيام تبعاً لليالي ، أو لأن الظلمة
أقدم من الضوء بدليل « وإية لهم الليل نسلخ منه النهار » البحر المحيط ١/ ٢٠٠ .

(٤) العبارة من هنا إلى « المحرم » ليست في ظ .

هو الصوم و كمال العدد الذى هو طور ' مصير من حال إلى حال هو
 الأربعون ، و ذكر الميقات بالليالى يشعر أن مناجاته صباح من ' ظلة الكون
 في حال خصوص الحلقة من حيث أن الظلة آية على فوت مرام نور الحق
 و النهار آية على ظهور نور الحق و أول بادٍ بدأ من الحق للخلق كلامه
 لمصطفى من خلقه بغير واسطة و هو بعد في دنياه و في أرضه التى كانت هـ
 بجنا ، فلما جاءها الحق لعبد من عبيده ٣ مناجيا له كما يأتيها يوم الجزاء
 بعد البعث صارت موطن رحمة و هدى و نور و هو يحىء الله سبحانه من
 سيناء المذكور في الكتاب الأول - انتهى . و هذا دون قصة المعراج
 التى كانت لنبينا صلى الله عليه و سلم في اختراق السماوات العلى إلى سدرة
 المنتهى إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى و سمع الكلام من غير واسطة و رجع ١٠
 إلى بيته في ليله و قد قطع من المسافات ما مسيره خمسون ألف سنة
 كما سأبينه إن شاء الله تعالى في سورة السجدة .

ولما كانت الأقس الآية و المهم العلية تقتضى النفرة من الظالم
 و الاتقة من كل ما ينسب إليه و يذكر به و كانوا قد اتخذوا من آثار
 آل فرعون من حلهم ما دخلوا في رقه و عبوديته و كانت مشاهدتهم ١٥
 لما رأوا من الآيات مقتضية لغاية البعد من الكفر عبر عن مواقفهم له

(١) في ظ : ظهور .

(٢) في ظ : به .

(٣) في ظ : عباده .

(٤) في ظ : المظالم .

ثم فقال: ثم اتخذتم، قال الحرالي: من الاتخاذ وهو ائتمال بما منه
 المواخذة كأنه الوخذ، وهو تصيير في المعنى نحو الاخذ في الحس، وفيه
 تكلف؛ والعجل، وذكر في هذا التقرير أصل المواعدة وذكر الميقات
 وتجاوز الخطاب ما بعد ذلك 'من مهل' حسب ما تفهمه كلمة ثم، فاقضى
 ٥. إفهام ذلك ما نالوه من الخير ثم تعقبوا ذلك بالتزام عاداتهم في معاودة
 ما اعتادوه من أعمالهم إلى أدنى عمل من لا عقل له' ولا بقية نظر له
 من اتخاذ جسد عجل الها بعد معرفة آثار الإلهية على الغيب، فقيه تعجيب
 من أن موسى عليه السلام ٣ إنما واعده الله بالمناجاة بعد ميقات أربعين
 صوما ونسكا وتحنثا' وانقطاعا إلى ربه ثم يرونهم أنهم شهدوا الإله
 ١٠. مصورا محسوسا على أن موسى الذي ناجاه ربه منع الرؤية فكيف

(١ - ١) ليس في ظ .

(٢) ليس في م ومد وظ .

(٣ - ٣) زيد من م ومد .

(٤) في م: تحنثا .

(٥) في التفسير المظهرى : لما عادوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى
 أن ينزل عليه التوراة فقال موسى : إني ذاهب إلى ربي ، و واعدتهم أربعين
 ليلة واستخلف هارون وجاء جبرئيل على فرس الحياة لا يصيب شيئا إلا أحياء
 ليذهب بموسى إلى ربه ، فلما رأى السامري موضع الفرس يخضر وكان رجلا
 صائغا من أهل باجرى وقيل من أهل كرمان وكان منافقا أظهر الإسلام وكان
 من قوم يعبدون البقر أخذ من تربة حافر فرس جبرئيل وكان بنو إسرائيل
 استماروا حليا كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعله =

بهم^١ و ذلك هو ظلمهم ، فوضعوا الإله محل الشيء المحسوس و هو تعالى قد تعالى عن أن يراء صفيه الذى ناجاه فى دنياه و إنما ناجاه بعد ميقاته ، و هم يهمون فى تأله مرتى من غير مواعدة و لا اختصاص ! و فى قوله تعالى « من بعده » أى من بعد إتيانه لميعادنا^٢ إضممار لذكر^٣ موسى عليه السلام تقريراً لما كان ينبغى أن يكونوا عليه من الارتقاب لما يأتهم به موسى^٤ .

= عرس لهم فأهلك الله فرعون و بقيت الحلى عندهم ، فلما فصل موسى قال السامرى : إن الحلى التى استعرت من قوم فرعون غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفرة و ادفنوا فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه ، فأخذ السامرى و صاغها بعملا فى ثلاثة أيام و أتى فيها القبضة التى أخذها من تراب حافر فرس جبرئيل ، فخرجت بعملا مرصعا بالجواهر يخور خورة و يمشى ، فقال السامرى : هذا الحكم وإله موسى فنسى ، و كان موسى وعد لهم ثلاثين ليلة ، ثم زيدت العشرة ، و فيها فتنهم و أضلهم السامرى فعبدوا العجل - كذا روى الخطيب الشربيني و أشار أبوحيان إلى هذه القصة .

(١) ليس فى م .

(٢) قال المهاشمى : أى من بعد خروج موسى الزاجر عن عبادة فرعون والأوثان « و انتم ظلمون » مثل ظلم آل فرعون بل أشد ، لأنه بعد الإيمان . و قال أبوحيان : قيل بوضع العبادة فى غير موضعها ، و قيل بتعاطى أسباب هلاكها ، و قيل برضاكم فعل السامرى فى اتخاذ العجل و لم تنكروا عليه . و قال : و من أغرب ما ذهب إليه فى هذا العجل أنه سمي بعملا لأنهم عجلوا به قبل قدم موسى فاتخذوه إلهاً - قاله أبو العالية ، أو سمي هذا بعملا لقصر مدته - انتهى .

(٣) فى م : لذكرى .

(٤) زيد فى م : عليه السلام .

من فوائد المناجاة ، كما يكون من تعلق قلبه بمن هو قدوته ؛ والبعد
بعد عن حد يتخذ مبدأ ليكون سابقه قبل ولاحقه بعد ٣ - انتهى .
و إثبات الجار لأن اتخاذه ذلك لم يستغرق زمان البعد ، و اتم ظلمون هـ ،
فاعلون فهل من هو في أظلم الظلام بعد أن جاءكم موسى بالنور المبين .
و لما كان ذلك مقتضيا لأعظم السخط المقتضى من القادر للعاجلة هـ
بالأخذ ذكرهم نعمة الإمهال بعده فقال مشيرا إلى عظم الذنب و النعمة
بأداة التراخي : « ثم عفونا » . و قال الحرالي : ثم تجاوز الخطاب ما
أصابهم من العقوبة على اتخاذهم إلى ذكر العفو^٧ تقريرا^٨ على تكرار

(١) في م : قدرته .

(٢) في ظ : تتخذ .

(٣) في م : بعده .

(٤-٤) ليست في ظ .

(٥) زيد في م : عليه السلام .

(٦) و قال أبو حيان : و قال قوم : لا يستعمل العفو بمعنى الصفح إلا في الذنب ،
فإن كان العفو هنا بمعنى الترك و التسهيل فيكون « عنكم » عام اللفظ خاص المعنى ،
لأن العفو إنما كان عمن بقى منهم ، و إن كان بمعنى المحو كان عاما لفظا و معنى ،
فانه تعالى تاب على من قتل و على من بقى ، قال تعالى : « فاقتلوا انفسكم ذلك خير
لكم عند بارئكم فتاب عليكم » و روى أن الله أوحى إلى موسى بعد قتلهم أنفسهم
أني قبلت توبتهم ، فمن قتل فهو شهيد ، و من لم يقتل فقد ثبت عليه و غفرت له .

(٧) العبارة من هنا إلى « باسم العفو » ليست في ظ .

(٨) في مد : تقريرا .

تلافيهم' حالا بعد حال وقتا بعد وقت ، كلما أحدثوا خطيئة تداركهم منه عفو، وخصه باسم العفو لما ذكر ذنوبهم، لأن المغفور له لا يذكر ذنبه ، فإن العفو رفع العقوبة دون رفع ذكرها ، والغفر إماتة ذكر الذنب مع رفع العقوبة - انتهى . « عنكم »^١ ولم نعالجكم بالأخذ، وفي قوله تعالى « من بعد ذلك » أى الذنب العظيم إشعار بما أصابهم من ه العقوبة و خطاب لبقية المعفو عنهم، لينتهى الأمر فيهم إلى غاية يترجى معها لبقيتهم الشكر - قاله الحرالى ١٠ / ٣ وكان الإشعار من جهة إدخال 'من' على الظرفية^٢ ، فاقضى مهلة بين العفو و الذنب لم يشملها العفو بل كان فيها عقوبة، كما اقتضى قوله: من بعده، مهلة بين اتخاذهم العجل و أول ذهاب موسى عليه السلام للناجاة؛ و يجوز أن يكون أفرد حرف ١٠ الخطاب إشارة إلى أنه لا يعلم جميع ما فى دينهم من الشناعة إلا إمام أهل التوحيد النبى صلى الله عليه وسلم « لعلكم تشكرون »^٣ أى

(١) فى م ومد: تلافيهم .

(٢) زيد فى مد: أى .

(٣) العبارة من هنا إلى « النبى صلى الله عليه وسلم » ليست فى ظ .

(٤) فى م ومد: الظرف .

(هـ) تثنون عليه تعالى بإسدائه نعمه إليكم و تظهرون النعمة بالثناء، وقالوا: الشكر باللسان وهو الحديث بنعمة المنعم و الثناء عليه بذلك، وبالقلب وهو اعتقاد حق المنعم على المنعم عليه، وبالعمل « اعملوا آل داود شكرا »؛ ومعنى « لعلكم تشكرون » أى عفو الله عنكم، لأن العفو يقتضى الشكر - قاله الجمهور . وذكر أبو حيان أقوالا - إلى أن قال : قال القشيري: سرعة العفو عن عظيم =

ليكون ' حالكم حال من يتوقع منه الشكر .

قال الحرالي : و هو ظهور بركة الباطن على الظاهر ، يقال : دابة شكور ، إذا أنجح ماكلها بظهور سمنها ؛ و فيه إشعار بأن منهم من يشكر و فيهم ' من يتمادى بما في ترجى كلمة ' لعل ' من الإيهام المشعر بالقسمين • و المهيئ لإمكان ظهور الفريقين حتى يظهر ذلك لميقاته ، لأن كل ما كان في حق الخلق ترددا فهو من الله سبحانه إيهام لمعلومه فيهم ؛ على ذلك تجرى كلمة لعل ' و عسى ' و نحوها - انتهى .

= الجرم دالة على حقارة العفو عنه ، يشهد لذلك « من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » و هؤلاء بنو إسرائيل عبدوا العجل فقال تعالى « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك » ، و قال لهذه الأمة : « و من يعمل مثقال ذرة شرا يره » انتهى كلامه . و ناسب ترجى الشكر إثر ذلك العفو لأن العفو عن مثل هذه الزلة العظيمة التي هي اتخاذ العجل إلها هو من أعظم إسداء النعم ، فلذلك قال « لعلكم تشكرون » البحر المحيط ١ / ٢٠٢ . و في التفسير المظهرى : قال البغوى : حكى عن موسى قال : إلهى ! أنعمت علىّ النعم السوانغ و أمرتنى بالشكر و إنما شكرى إياك نعمة منك ، قال الله تعالى : يا موسى ! تعلمت العلم الذى لا يفوقه علم ، حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهو منى . و قال داود : سبحانه من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة - انتهى كلامه .

(١) في م : لتكون .

(٢) في م : منهم .

(٣-٣) ليس في ظ .

ولما كان في ذلك دليل على سوء طباعهم وعكس مزاجهم وأنهم لا يحفظون عهدا ولا يستقيمون على نهج ذكرهم بنعمة الكتاب الذي من شأنه الضبط في جميع الأحوال بالرجوع إليه عند الضلال فقال . وقال الحرالي : لما ذكر تعالى أمر موسى عليه السلام وهو خاص أمرهم فصل لهم أمر ما جاء به موسى^١ وما كان منهم فيما جاء به - انتهى . فقال « واذ ٥ اتينا ، أى بما لنا من العظمة » موسى الكتب ، أى الكامل في نفسه الجامع لكم على طريق الحق . ٣ ولما كان الكتاب مع كونه جامعا لما أريد منه فارقا بين الملابس وصفه بقوله ٣ « والفرقان ، أى^٢ المبين للأشياء على ما هي عليه من غير أن يدع في شيء لبسا^٤ . قال الحرالي : فقررهم على أمرين من الكتاب الذي فيه أحكام الأعمال والفرقان الذي فيه أمر ١٠ العلم وهما ملاك حال^٥ إقامة الدين بالعلم والعمل ؛ و'الفرقان' فُعلان

(١) في ظ : التى .

(٢) زيد في م ومد : عليه السلام .

(٣-٣) ليست في ظ .

(٤) ليس في ظ .

(٥) قال أبو حيان : 'الكتب' هو التوراة بإجماع المفسرين ، و'الفرقان' هو التوراة ، ومعناه أنه آتاه جامعا بين كونه كتابا وفرقا بين الحق والباطل . وذكر في تفسير الفرقان اثنتي عشرة مقالة للمفسرين . وقال المهاشمي : « و » اذكروا « اذ اتينا الكتب » الجامع لقواعد الشرع ليقوم به الشاكرون « والفرقان » أى الفرق بين الحق والمبطل « لعلكم تهتدون » لما هو شكر الحق والمبطل - انتهى .

(٦) في ظ : حاله .

لفظ مبالغة يفهم استغراقا وامتلاء و عظما فيما استعمل فيه و هو في هذا اللفظ من الفرق و هو إظهار ما ألبسته الحكمة لظاهرة ^٢ 'اللاعين بالتيان' لفرقان لبسه بما ^٣ تسمعه الأذن ، وجاء فيه بكلمة 'لعل' إشعارا بالإيهام في أمرهم و تفرقتهم بين مثبت لحكم الكتاب عامل به عالم بطية الفرقان .
 ٥ خبير به و بين تارك لحكم الكتاب غافل عن علم الفرقان - انتهى . فقال تعالى « اعلمكم تهتدون » ، أى ليكون^٥ حالكم حال من ترجى^٦ هدايته فيغلب حله جهله و عقله شهوته ، و لهذا الختم تلاه بما هداكم به بما ألزمهم من

(١-١) في ظ : هو .

(٢-٢) في ظ : بالاعين للتيان .

(٣) في ظ : ما .

(٤) من م ومد ، وفي الأصل وظ : اشعار .

(٥) في مد : لتكون .

(٦) ترجية لهدايتهم ، تقرر في النحواته إن كان متعلق اعل محبوبا كانت للترجى ، فان كان محذورا كانت للتوقع كقولك : لعل العدو يقدم ، و الشكر و الهداية من المحبوبات ، فينبغى أن لا يعبر عن معنى لعل إلا بالترجى . قال القشيري : فرقان هذه الأمة الذى اختصوا به نور في قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل - استفت قلبك ، اتقوا فراسة المؤمن ، المؤمن ينظر بنور الله « ان تنقوا الله يجعل لكم فرقانا » و ذلك الفرقان ما قدموه من الإحسان - انتهى كلامه . و ناسب ترجى الهداية إثر ذكر إتيان موسى الكتاب والفرقان ، لأن الكتاب به تحصل الهداية « انا أنزلنا التوراة فيها هدى و نور » « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى » « و اتيناه الانجيل فيه هدى و نور » من البحر المحيط لأبي حيان ٢٠٣/١ .

النقمة الزاجرة عن مثل ذلك من قتل الأنفس فقال^١ : « واذ » .
 قال الحرالي : لما تكمل إقبال الخطاب عليهم مرات بما تقدم من
 ندائهم و العطف على ما في صلته صرف الحق وجه الخطاب عنهم إلى ذكر
 خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم لهم ، فإن الله يخاطب العباد بأسقاط
 الوساطة بينه وبينهم ترفيعاً لأقدارهم لديه ، فيرفع من شاء فيجيبه بما شاء ، هـ
 و يوقف من شاء فيجعل بينه وبينه^٢ في الخطاب واسطة من نبيه ، فلما
 قررهم بما مضى من التذكير^٣ على ما واجههم به الحق تعالى ذكر في هذه
 الآية تقريرهم على ما خاطبهم به نبيهم^٤ حين أعرض الحق عن خطابهم

(١) ليس في ظ .

(٢) في م : بينهم .

(٣) قال أبو حيان الأندلسي : و جاء ترتيب هذه النعم متناسفا يأخذ بعضها بعنق
 بعض ، وهو ترتيب زمني و هو أحد الترتيبات الخمس التي مر ذكرها في هذا
 الكتاب (البحر المحيط) ، لأن التفضيل أمر حكى فهو أول ، ثم وقعت النعم
 بعده و هي أفعال يتلو بعضها بعضها ، فأولها الإنجاء من سوء العذاب ذبح الأبناء
 و استحياء النساء باخراج موسى إياهم من مصر بحيث لم يكن لفرعون و لا لقومه
 عليهم تسليط بعد هذا الخروج و الإنجاء ، ثم فرق البحر بهم و إرائهم عيانا هذا
 الخارق العظيم ، ثم وعد الله لموسى بمناجاته وذهابه إلى ذلك ، ثم اتخذهم العجل
 ثم العفوعتهم ، ثم إتياء موسى التوراة ، فانظر إلى حسن هذه الفصول التي انتظمت
 انتظام الدر في أسلاكها و الزهر في أفلاكها ، كل فصل منها قد ختم بمناسبة
 و ارتقى في ذروة الفصاحة إلى أعلى مناصبه و اردا من الله على لسان محمد أمينه لسان
 من لم يتل قبل كتابا و لا خطه يمينه - انتهى .

(٤) زيد في م : صلى الله عليه وسلم .

بما أصابوه من قبيح خطيئتهم - انتهى . فقال « واذ قال موسى لقومه ^١ العابد للعجل و الساكت عنه ، و القوم قال الحزالي اسم من لهم مته في القيام بما هم مذكورون به ، و لذلك يقابل بلفظ النساء ^٢ لضعفهن فيما يحاولنه ؛ و فيه تخويف لهذه الأمة أن يصيبهم مثل ما أصابهم في خطاب ربهم فيعرض عنهم - انتهى . « يقوم » و أكد لعراقتهم في الجهل بعظيم ما ارتكبوه و تهاونهم به لما أشربوا في قلوبهم من الهوى فقال ^٣ « انكم ظلمتم انفسكم . ظلما يستحقون به العقوبة » باتخاذكم العجل ، أى الها من دون الله ، فجعلتم انفسكم متذلة لمن لا يملك لها شيئا و لمن هى أشرف منه ، فأنزلتموها من رتبة عزها ^٤ بخضوعها لمولاهما الذى لا يذل من والاه و لا يعز من عاداه إلى ذلها بخضوعها لمن هو دونكم أتم ، هذا هو أسوأ الظلم ، فان المرء لا يصلح أن يتذلل و يتعبد لمثله فكيف

(١) قال المهازمي : « و » من تلك الهداية التوبة ، فهذه التوبة من شكر الحق ، لأنه عرف قدر نعمتها حتى آثرها على الحياة الدنيا بقتل الأنفس حدا على اتخاذ العجل ، فاذكروا « اذ قال موسى لقومه » من إفراط شفقتة عليهم : « يقوم » إن من شفقتى عليكم أن أخلصكم من عقوبة ظلمكم « انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل » الذى هو أبعد من فرعون عن الإلهية .

(٢) بهامش الأصل : قوله و لذلك تقابل بلفظ النساء إشارة إلى قوله أن عرا قوم الحصن أمر نساء .

(٣) ليس فى م و ظ .

(٤) زيد فى م : اليه .

لمن 'دونه من حيوان! فكيف بما يشبه بالحيوان من جماد الذهب الذي هو من المعادن وهو أخفض المواليد رتبة حين لم تبلغها حياتها أن تبدو فوق الأرض كالنبات من النجم والشجر و' لما فيه من الارتفاع بما يكون^٣ من الحب و الثمر الذي يُنتفع به غذاء و دواء و المعادن لا ينتفع بها إلا آلات و تقود^٤ منفعتهما إخراجها لا إثباتها - 'قاله الحرالي^٥ . . فتوبوا^٥ إلى بارتكم^٦ الذي فطركم من قبل أن تتخذوا العجل^٧ بريئين من العيب

(١) في م: بمن - كذا .

(٢) ليس في ظ .

(٣) زيد في ظ: فيه، وفي م: منه .

(٤) في م: تقود .

(٥ - ٥) ليست في ظ .

(٦) قال أبو حيان: ولما لم يكمل وصف هذه النعمة إلا بمقدمة ما تسببت عنه قدم ذكر ذلك، وهذا الخطاب هو محاورة موسى لقومه حين رجع من الميقات ووجدهم قد عبدوا العجل، واللام في قوله «لقومه» للتبليغ وإقبال موسى عليهم بالنداء، وندأؤه بلفظ «ينقوم» مشعر بالتحنن عليهم وأنه منهم وهم منه، ولذلك أضافهم إلى نفسه، فيكون ذلك سببا لقبول ما يلقي إليهم، بخلاف أن لو ناداه بالاسم أو بالوصف القبيح الصادر منهم، وفي ذلك أيضا هزلهم لقبولهم الأمر بالتوبة بعد تقييعهم بأنهم ظلموا أنفسهم و أي ظلم أعظم من اتخاذ إله غيره «ان الشرك لظلم عظيم» ونص على أنهم ظلموا أنفسهم بذلك لأنه أفحش الظلم، لأن نفس الإنسان أحب شيء إليه فإذا ظلمها كان أفحش من أن يظلم غيره . ولما كان السامري قد عمل لهم من حايهم عجلا قيل لهم: توبوا إلى بارتكم أي منشكم و موجدكم من العدم إذ موجد الأعيان هو الموجد حقيقة، وأما عمل =

مع إحكام الخلق' على الأشكال المختلفة . وقال الحرالي : البارئ اسم قائم بمعنى البرء و هو إصلاح' المواد للتصوير ، كالذى يقطع الجلد و الثوب ليجمعه خفا و قيصا ، و كالذى يطحن القمح و يعجن الطين ليجمعه خبرا و فخارا' و - نحو ذلك ، و معناه التدقيق للشيء بحسب التهيؤ لصورته - انتهى .

و لما كانت توبتهم بقتل أقاربهم و إن / كانوا آباء أو أبناء عبر عنهم بالنفس لذلك و إشارة إلى خبث ما ارتكبوا ° فقال « فاقتلوا انفسكم » أى التى أوجدها فتقادتكم إلى غيره . قال الحرالي : و القتل' فصل الحيوان قبل انتهاء قوته بمنزلة فصل الزرع قبل استحصاده - انتهى . و لما كان

٧٤ / ٥

= العجل و اتخاذه فليس فيه إبراز الذوات من العدم ، إنما ذلك تأليف تركيبى لا خلق أعيان ، فنبهوا بلفظ البارئ على الصانع أى الذى أوجدكم هو المستحق للعبادة لا الذى صنعه مصنوع مثله فلذلك واقه أعلم كان ذكر البارئ هنا (٧) العبارة من هنا إلى « المختلفة و » ليست فى ظ .

(١) ليس فى م .

(٢) فى م : اصطلاح .

(٣) فى م : لجمعه ، و بهامشه بعلامة الفسحة : ليجمعه .

(٤) فى ظ : فخارة ، و فى م : فخا - كذا .

(٥) فى م : ارتكبوه .

(٦) قال أبو حيان الأندلسي : القتل إزهاق الروح بفعل أحد من طعن أو ضرب أو ذبح أو خنق أو ما شابه ذلك ، و أما إذا كان من غير فعل فهو موت و هلاك . « خير » هى أفضل التفضيل حذفت همزتها شذوذا فى الكلام فنقص بناؤها فانصرفت . قال المصائمي : « فتوبوا الى بارئكم » الذى خلقكم برآء من الشرك والمعاصي و يرجى تبرئكم عن هذا الظلم الذى لا يسمعى هيئته عن قلوبكم لإفراط =

ما أمرهم به أمرا لا يكاد يسمح به عظم الرغبة فيه بقوله « ذلكم ، أى
الامر العظيم ' وهو القتل ' خير لكم ، والخير قال الحرالى ما يصلح
فى الاختيار من محسوس الأشياء وما هو الأصلح وما هو الأخير ، وربما
استعملت منه خيراً محدودة فيقال : هو خير فى نفسه ، أى بما يختار ، ويقال :
هذا ' خير من هذا ، أى أخير منه أى أصلح فى الاختيار ، وكذلك لفظ هـ
شر فى مقابلة وهما مشعران بمتوسط من الأشياء لا يختار لأجل زيادة
صلاح ولا يطرح لأجل أذى ولا مضرة . وعند . كلمة تفهم اختصاص
ما أضيفت إليه بوجه ما عام ٢ وأخص منه لدن ، فلدن خاصتها وعند
عامتها ، كالذى يملك الشيء فهو عنده وإن لم يكن فى حضرته - انتهى .

= حِكْمُ إِيَّاهُ « فَاقتلوا أنفسكم » لأنه وإن كان شرا عند أنفسكم لكن « ذلكم خير لكم »
إذ يبرئكم عن جريمته التى تخلدكم فى النار ففعلتم « فتاب عليكم » أى قبل توبتكم
وإن كانت جريمتكم أعظم لكفركم بعد الإيمان . قال البيضاوى : « فَاقتلوا أنفسكم »
تماما لتوبتكم بالبغخ أو قطع الشهوات كما قيل : من لم يعذب نفسه لم ينعمها
ومن لم يقتلها لم يحياها ، « ذلكم خير لكم » من حيث أنه طهرة من الشرك ووصلة
إلى الحياة الأبدية والبهجة السرمدية « عند بارئكم » ذكر البارئ وترتيب الأمر
عليه إشعار بأنهم بلغوا غاية الجهالة والغبوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم
إلى عبادة البقرة التى هى مثل فى الغبوة وأن من لم يعرف حق منعمه حقيق
بأن يسترد منه ، ولذلك أمروا بالقتل وفك التركيب - انتهى .

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) زيد فى م : امر .

(٣) زيد فى م : او خاص .

« بارئكم ، أى القادر على إعدامكم كما قدر على إيجادكم ، وفى التعبير بالبارئ ترغيب لهم فى طاعته بالتذكير بالإحسان و ترهيب بإيقاع الهوان .
 ولما كان التقدير ففعلتم التوبة المأمور بها بأن قتل بعضهم بعضاً بتوفيقه لكم سبحانه مع ما فيه من عظم المشقة عطف عليه قوله « فتاب عليكم ، أى مع عظم جرمكم ، ولو لا توبته عليكم ما تبتم ؛ ثم علل ذلك بقوله « انه ، أى لأنه » هو التواب الرحيم ، أى ما زال هذا صفة له لا لاستحقاق منكم عليه ٣ قال الحرالى : وفى إظهار هو مفصلة من ضمير

(١) فنلخص فى قوله « فاقتلوا » ثلاثة أقوال : الأول الأمر بقتل أنفسهم ، الثانى الاستسلام للقتل ، والثالث التذليل للأهواء ؛ و الأول هو الظاهر ، وهو الذى نقله أكثر الناس ، وظاهر الكلام أنهم هم المأمورون بقتل أنفسهم فقبل وقع القتل هكذا قتلوا أنفسهم بأيديهم ، وقيل قتل بعضهم بعضاً من غير تعيين قاتل ولا مقتول ، وقيل القاتلون هم الذين اعتزلوا مع هارون والمقتولون عباد العجل . وفى ذلك من الاتعاظ والاعتبار ما يوجب مبادرة الازدجار عن مخالفة الملك القهار ؛ وانظر إلى لطف الله بهذه الملة المحمدية إذ جعل توبتها فى الإنقاذ عن الذنب والندم عليه والعزم على عدم المعاودة إليه . « عند بارئكم » والعندية هنا مجاز إذ هى ظرف مكان ، وكرر البارئ باللفظ الظاهر توكيداً وتنبهاً على أن هذا الفعل هو راجع عند الذى أنشأكم فكما رأى أن إنشاءكم راجع رأى أن إعدامكم بهذا الطريق من القتل راجع فينبغى التسليم له فى كل حال وتلقى ما يرد من قبله بالقبول والامتثال - البحر المحيط ١ / ٢٠٩ .

(٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : عظيم .

(٣) قال المصنف : « انه هو التواب » أى البالغ فى قبول التوبة حتى أنه قبلها على عمل أهلك بما دونه آل فرعون ، وإنما تاب عليكم لأنه « الرحيم » إذ رحم =

وصلها إثبات معنى الرحمة لله ثبنا لا يتبدل ولا يتغير إلا أنه من وراء
 غيب ما شاء الله من أدب و امتحان و عقاب ، فلذلك ختمه باسمه الرحيم ،
 لأن الختم أبدى إظهار للمعنى الاخفى من مضمون ما فيه الختم - انتهى .
 ولما استنبوا عن عبادة العجل^١ التي تقيدوا فيها بالمحسوس الذي
 هو مثل في الغباوة طلبوا رؤية بارئهم^٢ بالحس على ماله من صفات الكمال ه
 التي تأتي الابتذال^٣ ناسين^٤ الجميع^٥ النعم و النقم مسرعين في الكفر الذي
 هو من شأن الحائر و الحال أن الفرقان الذي لا يدع شبهة ولا يبق
 حيرة قائم بين أيديهم ، لأنهم من الجود و الوقوف مع الوهم و الحس
 بمكان عظيم ، فذكرهم سبحانه ذلك^٦ مسلما للنبي صلى الله عليه وسلم
 في إياهم للايمان به بما فعلوا مع موسى عليه السلام و هو أحدهم ١٠

= على تعذيب ساعة بكرامة الأبد، وهذه من الهداية القارعة بين الحق و المبط
 قد أخذ بها قدمائكم و أنتم لا تسمحون بمجرد القول ولا بالأعمال السمحة
 من هذه الشريعة مع وفور فضائلها .

(١) العبارة من هنا إلى « في الغباوة » ليست في ظ .

(٢) العبارة من هنا إلى « الابتذال » ليست في ظ .

(٣) في م : الاستبدال .

(٤) في م : ناشئين .

(٥) في م و مد و ظ : جميع .

(٦) العبارة من هنا إلى « أحدهم » ليست في ظ .

فقال « واذ قلتم ، أى ' بعد ما رأيتم من الآيات و شاهدتم من الأمور
البنات ' يُموسى ، فدعوتموه باسمه جفاء ، غلظة كما يدعو بعضكم بعضا
و لم تخصوه بما يدل على تعظيمه لما رأيتم من إكرام الله له ' و إكرامكم
على يده ' لن ، و هى كلمة تفهم نفي معنى باطن كأنها ' لا أن ' ، يُسر
بالتخفيف لفظها - قاله الحرالى . « تؤمن لك ، أى لأجل قولك » . قال

(١) هذه محاورة بنى إسرائيل لموسى و ذلك بعد محاورته لهم فى الآية قبل هذا ،
و الضمير فى « قلتم » قيل للسبعين المختارين - قاله ابن مسعود و قتادة ، و قيل
الضمير لساثر بنى إسرائيل إلا من عصمه الله - قاله ابن دريد ، و قيل الذين
انفردوا مع هارون و لم يعبدوا العجل ؛ و فى نداء بنى إسرائيل لنبيهم باسمه
سوء أدب منهم معه ، إذ لم يقولوا : يا نبي الله ! أو يا رسول الله ! أو يا كلم الله !
أو غير ذلك من الألفاظ التى تشعر بصفات التعظيم ، و هى كانت عادتهم معه
« يُموسى لن نصبر على طعام واحد » « يُموسى اجعل لنا الشها » « يُموسى
ادع لنا ربك » و قد قال الله تعالى لهذه الأمة : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا » من البحر المحيط ٢١٠/١ .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) فى ظ : الا انه ، وفى م : الا ان .

(٤) قال أبو حيان : « لن تؤمن لك » قيل معناه لن نصدقك فيما جئت به من
التوراة ، و لم يريدوا نفي الإيمان به بدليل قولهم « لك » و لم يقولوا : بك ، نحو
« و ما انت بمؤمن لنا » أى بمصدق ؛ و قيل معناه لن نقر لك فغير عن الإقرار
بالإيمان و عداه باللام و قد جاء « لتؤمنن به و لتنصرنه » قال القرطبي و اخذتم
على ذلك اصرى قالوا اقررنا « فيكون المعنى لن نقر لك بأن التوراة من =

الحرالى: وجاء باللام لأنهم قد كانوا آمنوا به فتوقفوا عن الإيمان له الذى يتعلق بأمور من تفاصيل ما يأتهم به ، فمن آمن لاحد فقد آمن بأمور لاجله ، ومن آمن به فقد قيل أصل ' رسالته ' يؤمن بالله و يؤمن للؤمنين ' ، ' حتى ' كلمة تفهم غاية محوطة يدخل ما بعدها فى حكم ما قبلها مقابل معنى لىكى ٣ ' نرى ' من الرؤية وهى اطلاع على باطن الشيء الذى أظهر منه مبصره ه الذى أظهره منه منظره ' ، ومنه يقال فى مطلع المنام: رؤيا ، لأن ذوات المرئى فى المنام هى أمثال باطنه فى صورة المنظور إليه فى اليقظة - انتهى .

« الله ، أى مع ماله من العظمة » جهرة ، أى عيانا من غير خفاء ولا نوع لبس . قال الحرالى: من الجهر وهو الإعلان بالشيء إلى حد الشهرة

= عند الله ، وقيل يجوز أن تكون اللام للعلة أى لن يؤمن لأجل قواك بالتوراة ، وقيل يجوز أن يراد نفى الكمال أى لا يكمل إيماننا لك كما قيل فى قوله صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله والناس أجمعين - انتهى .

(١) ليس فى م .

(٢) سورة ٩ آية ٦١ .

(٣) فى م ومد وظ : الى .

(٤ - ٤) ليست فى م .

(ه) « حتى » هنا حرف غاية أخبروا بنفى إيمانهم مستصحبا إلى هذه الغاية ، ومفهومها أنهم إذا رأوا الله جهرة آمنوا ، والرؤية هنا هى البصرية وهى التى لا حجاب دونها ولا ساتر ، وانتصاب جهرة على أنه مصدر مؤكد مزيل لاحتمال الرؤية أن تكون متناما أو علما بالقلب ، والمعنى حتى ترى الله عيانا - البحر المحيط ١ / ٢١٠ وفيه تفصيل . قال المهاشمى: « واذ قلتم ينموسى » حين اختار سبعين من خياركم =

و بلاغه لمن لا يقصده في مقابلة السر المختص بمن يقصد به، وهذا المطلوب
 بما لا يليق بالجمهور لتحقيق اختصاصه بمن يكشف له الحجاب من خاصة
 من يجوزته^١ القرب من خاصة من يقبل عليه النداء من خاصة من يقع
 عنه الإعراض، فكيف أن يطلب ذلك جهرا^٢ حتى يناله من هو في محل
 البعد والطرده! وفيه شهادة بتبليدهم عن موقع الرؤية، فان موسى عليه السلام
 قال «رب ارني^٣»، وقال تعالى «وجوه يومئذ ناضرة^٤ إلى ربها»
 ناظرة^٥، وقال عليه الصلاة والسلام: إنكم ترون ربكم. فالاسم المذكور
 لمعنى الرؤية إنما هو الرب لما في اسم الله تعالى من الغيب الذي لا يذكر لأجله
 إلا^٦ مع ما هو فوت لا مع ما هو في المعنى نيل، وذلك لسر^٧ من أسرار

= بأمر الله لتعتذروا إليه من عبادة العجل فأمرهم بالصوم والتطهر، فلما
 دنا من طور سيناء وقع عمود الغمام فدخله وأدخلهم خروا له سجدا فسمعوه يكلم
 موسى، فلما فرغ وانكشف الغمام قالوا «لن نؤمن لك»، أى لقولك إنه
 مسموع من الله «حتى ترى الله جهرة» أى رؤية ظاهرة ظهور صوت الجهر،
 فغضب الله عليكم عن قولكم «لن نؤمن لك» لا عن طلب رؤيتكم إياه إذ لا يستحيل
 كرويته إيانا - انتهى.

(١) في م: مجوزه.

(٢) في م: جبرا - كذا.

(٣) زيد في م: انظر إليك. سورة ٧ آية ١٤٣.

(٤) سقط من م.

(٥) سورة ٧٥ آية ٢٢ و ٢٣.

(٦) ليس في م.

(٧) في م: السر.

العلم بمواقع معاني الأسماء الحسنى فيما يناسبها من ضروب الخطاب والأحوال والأعمال ، وهو من أشرف العلم الذى يفهم به خطاب القرآن حتى يضاف لكل اسم ما هو أعلق فى معناه وأولى به وإن كانت الأسماء كلها ترجع^١ معاني بعضها لبعض ؛ « فآخذتكم »^٢ من الأخذ وهو تناول الشيء بمجملته بنوع بطش وقوة - انتهى . أى لقولكم / هذا لما فيه من هـ / ٧٥/ الفضاعة وانتهاك الحرمة ، « الصمعة »^٣ قيل : هى صيحة ، وقيل^٤ : نار نزلت من السماء فأحرقتهم ، ويؤيده قوله « وأنتم تنظرون » ، أى تلك

(١) فى ظ : يرجع .

(٢) استولت عليكم وأحاطت بكم ، وأصل الأخذ القبض باليد ، والصاعقة هنا هل فى نار من السماء أحرقتهم ، أو الموت ، أو جند سماوى سمعوا حسهم فأتوا ، أو الفرع قدام حتى ماتوا أو غشى عليهم ، أو العذاب الذى يموتون منه ، أو صيحة سماوية - أقوال أصحها أنها سبب الموت وإن كانوا قد اختلفوا فى السبب - قاله المحققون لقوله تعالى « فلما آخذتهم الرجفة » ؛ وأجمع المفسرون أن المدة من الموت أو الصعق كانت يوماً وليلة ، وقيل أصاب موسى ما أصابهم ، وقيل صعق ولم يمت ، قالوا : وهو الصحيح ، لأنه جاء « فلما أفاق » فى حق موسى ، وجاء « ثم بثننكم » فى حقهم ؛ وأكثر استعمال البعث فى القرآن بعث الأموات . « وأنتم تنظرون » جملة حالية ، ومتعلق النظر أخذ الصاعقة إياكم ، أى وأنتم تنظرون إلى ما حل بكم منها ، أو بعضكم إلى بعض كيف يخرميتا ، أو إلى الإحياء ، أو تعلمون أنها تأخذكم فعبّر بالنظر من العلم وفيه أقوال آخر - من البحر المحيط ٢١٢/١ .

(٣) العبارة من هنا إلى « قوله » ليست فى ظ .

(٤) زيد فى م : هى .

الصاعقه فأماتكم^١، لأنكم كنتم في طلبكم رؤيته على ضرب من حال عبدة العجل، فاماتكم كما أماتهم بالقتل .

ولما كان إحيائهم من ذلك في هذه الدار في غاية البعد و خرق العادة عبر عنه بأداة التراخي و مظهر العظمة فقال « ثم بعثكم ، أى^٢ بما ه لنا من العظمة^٣ بالإحياء^٤ . قال الحرالي : من البعث وهو الاستئارة^٥ من

(١) العبارة من هنا إلى « بالقتل » ليست في ظ .

(٢ - ٢) ليست في ظ .

(٣) قال المهاجى : « و اتم تنظرون » إليها ولم يمكنكم الفرار عنها فأحرقتم فدعا موسى وبكى و تضرع وقال : يا رب ! ما ذا أقول لبنى إسرائيل و قد أهلكك خيارهم . قال أبو حيان : و قد عدّ صاحب المنتخب هذا إنعاما سادسا و ذكر في كونه إنعاما وجوها (فليطلب من يريد الاطلاع عليها في البحر المحيط ١/١١٢) و قال قال بعضهم : لما أحلهم الله محل مناجاته و أسمعهم لذيد خطابه اشترأت نفوسهم للفخر و علو المنزلة فماملهم الله بنقيض ما حصل في أنفسهم بالصعقة التي هي خضوع و تذلل تأديبا لهم و عبرة لغيرهم « ان في ذلك لعبرة لأولى الابصار » « ثم بعثكم » دل العطف ثم على أن بين أخذ الصاعقه و البعث زمانا تتصور فيه المهلة و التأخير هو زمان ما نشأ عن الصاعقة من الموت أو الغشى ، و البعث هنا الإحياء ، ذكر أنهم لما ماتوا لم يزل موسى يناشده في إحيائهم و يقول : يا رب ! إن بنى إسرائيل يقولون : قتلت خيارنا ! حتى أحياهم الله جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون . و كان إحيائهم لأجل استيفاء أعمارهم ، و من قال : كان ذلك غشيا و هوذا كان الموت مجازا ، قال تعالى « و ياتيه الموت من كل مكان و ما هو بميت . و الذى أتاه مقدمات الموت سميت موتا على سبيل المجاز ، قال الشاعر :

و قل لهم بادروا بالعدو و التمسوا قولا يبرئكم إلى أنا الموت

جعل نفسه الموت لما كان سببا للموت .

(٤) من م و مد و ظ ، و في الأصل : الاستئارة - كذا .

غيب و خفاء، أشده البعث من القبور، و دونه البعث من النوم؛ قال:
و تجاوز الخطاب ما كان من سبب بعثهم، و كذلك كل موضع يقع
فيه 'ثم' ففيه خطاب متجاوز مديد' الأمد كثير رتب العدد مفهوم لمن
استوفى مقاصد ما وقعت كلمة 'ثم' بينه من الكلامين المتعاطفين؛ ففي 'معنى
التجاوز من الخطاب سؤال موسى عليه السلام ربه في بعثهم حتى لا يكون ه
ذلك فتنة على سائرهم - انتهى .

و لما كان ربما ظن أن البعث من غشي ونحوه حقق ٣ معناه ٤ مبينا
أنه لم يستغرق زمن البعد ٥ بقوله « من بعد موتكم، أى هذا بتلك
الصاعقه، و قال دالا على أن البعث إلى هذه الدار لا يقطع ما بنيت عليه
من التكليف ٦ لأنها دار الأكدار فلا بد من تصفيه الأسرار فيها بالأعمال ١٠

(١) من م و مد و ظ، و في الأصل: مديدا .

(٢) في م: نفى .

(٣) في ظ: بحق - كذا .

(٤-٤) سقطت من ظ .

(هـ) و قال في المنتخب: إنما بعثهم بعد الموت في دار الدنيا ليكلفهم و ليتمكنوا
من الإيمان و من تلافي ما صدر عنهم من الجرائم، أما إنه كلفهم فلقوله « لعلمكم
تشكرون »، و لفظ الشكر يتناول جميع الطاعات لقوله « اعملوا ال داود شكرا »
انتهى كلامه . و قال الماوردي: اختلف في بقاء تكليف من أعيد بعد موته
و معاينة الأهل التي تضطره و تلجئه إلى الاعتراف بعد الاعتراف فقال قوم:
سقط عنهم التكليف ليكون تكليفهم معتبرا بالاستدلال دون الاضطرار، و قال
قوم: يبقى تكليفهم لئلا يخلو بالغ عاقل من تعبد ولا يمنع حكم التكليف بدليل قوله
تعالى « و اذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » و ذلك حين أبوا أن يقبلوا التوراة =

والأذكار: د لعلكم تشكرون ٥، أى لتصير^١ حالكم حال من يصحّ رَجَى شكره لهذه النعمة العظيمة؛ وكل ما جاء من 'لعل' المعلن بها أفعال الرب تبارك وتعالى ينبغي أن تقول بنحو هذا، فإن 'لعل' تقتضى الشك لأنها للطمع والإشفاق فيطمع في كون مدخولها ويشفق من أن لا يكون، ٥ و^١ تارة^٢ يكون الشك للمخاطب وتارة^٣ يكون للتكلم، ولو قيل^٤: لشكروا، لم يكن هناك شك - قاله الرماني في سورة يوسف عليه السلام - وقال الحرالي: وفي 'لعل' إيهام معلومه فيهم بأن منهم من يشكر ومنهم من لا يشكر - انتهى - وسيأتى في سورة طه إن شاء الله تعالى عن نص سيويه في كتابه ما يؤيد ما ذكرته .

١٠ وفي هذه الآية وما تقدمها من آية د و اتقوا يوما لا تجزى نفس، تنبيه للعرب من غفلتهم في إنكار البعث وإرشاد إلى سؤال عن^٦ يغرم من أهل الكتاب بأنهم أولى بالحق من المسلمين عن هذه القصة التي وقعت لأسلافهم من إحيائهم بعد موتهم، وكذا ما أتى في محاوراتهم من قصة = فلما اتق الجبل فوقهم آمنوا وقبلوها، فكانت إيمانهم بها إيمان اضطرار ولم يسقط عنهم التكليف، ومثلهم قوم يونس في إيمانهم - انتهى كلامه .

(١) في م: ليكون .

(٢) ليس في م .

(٣ - ٣) ليست في م .

(٤) في م: قال .

(٥) في ط: يولد - كذا .

(٦) في م ومد: من .

البقرة ونحوها مما فيه ذكر الإحياء في هذه الدار أو في القيامة . قال الحرالي :
 وفيه أى هذا الخطاب آية على البعث الآخر الذى وعد به جنس بنى آدم
 كلهم فجأة صق وسرعة بعث ، فان ما صح لأحدهم ' ولطائفة ' منهم
 أمكن عمومهم في كافهم - انتهى .

ولما ذكرت الصاعقة الناشئة غالبا من الغمام كان أنسب الأشياء هـ
 إيلائها ذكر تظليل الغمام وناسب التحذير من نقمة الإحراق بالصاعقة
 والتذكير بنعمة الإيجاد من الموت الاتباع بذكر التنعيم فى الإبقاء بالصيانة
 عن حر الظاهر بالشمس و الباطن بالجوع .

وقال الحرالي : وعطف تعالى على ذكر البعث ذكر حال من
 مثل أحوال أهل الجنة الذى ينالونه بعد البعث ، فكأن ٣ عامتهم الذين ١٠
 لم يموتوا إنما شربوا هؤلاء المبعوثين لكونهم كأنهم ماتوا بموتهم وبعثوا
 ببعثهم ، فذكر ظل الغمام وهو من أمر ما بعد البعث والارزاق بغير
 كلفة وهو من حال ما بعد البعث وأفهم ذلك أمورا آخر في أحوالهم
 كما يقال إن ملابسهم كانت تطول معهم كلما طالوا فكأنهم أخرجوا
 من أحوال أهل الدنيا بالجملة إلى شبه أحوال أهل الجنة فى محل تيههم ١٥
 ومستحق منال العقوبة لهم كل ذلك إنعاما عليهم ، ثم لم يزدوا مع

(١-١) فى م : او طائفة .

(٢) فى ظ : تناولوه .

(٣) فى ظ : كأنهم .

(٤) فى م : شبهة .

ذلك إلا بعدا عن التبصرة في كل ما أبدى لهم من العجائب - حدث^١ عن
بنى إسرائيل ولا حرج فقال : « وظللنا^٢ » من الظلة^٣ وهى وقاية^٤ عما
ينزل من سماء الموقى^٥ عليكم الغمام^٦ من الغم وهو ما يغمر النور أى يغطيه -

(١) وفى الصحيح للبخارى ابياء . ه . و حدثوا .

(٢-٣) ليست فى م .

(٣) قال أبو حيان : وقيل إنه الغمام الذى أتت فيه الملائكة يوم بدر ، وهو
الذى أتى فيه ملائكة الرحمن وهو المشار إليه بقوله « فى ظل من الغمام والملائكة »
وليس بغمام حقيقة وإنما سمي غماما لكونه يشبه الغمام . وقيل الذين ظلل عليهم
الغمام بعض بنى إسرائيل وكان الله قد أجرى العادة فى بنى إسرائيل أن من عبد الله
ثلاثين سنة لا يحدث فيها ذنبا أظلمته غمامة ، وحكى أن شخصا عبد ثلاثين سنة
فلم تظله غمامة بخفاء إلى أصحاب الغمام فذكر لهم ذلك فقالوا : لعلك أحدثت ذنبا !
فقال : لا أعلم شيئا إلا أنى رفعت طرفى إلى السماء وأعدته بغير فكر ، قالوا له :
ذلك ذنبك ، وكانت فيهم جماعة يسمون أصحاب الغمام ، فامتن الله عليهم بكونهم
فيهم من له هذه الكرامة الظاهرة الباهرة - انتهى .

(٤) فى التفسير المظهرى : الغمام من الغم ، أصله التغطية وهو يغطى وجه الشمس ،
لما لم يكن لهم فى التيه كنّ يسترهم فشكوا إلى موسى عليه السلام ، فأرسل الله
غماما أبيض رقيقا أطيب من عمام المطر فظلهم من الشمس ، وجعل لهم عمدا
من نور تضيء لهم بالليل إذا لم يكن قر . « و أنزلنا عليكم المن » فى التيه ، قيل
هو الخبز الرقاق ، والأكثر على أنه الترنجيبين ، وقال مجاهد : هوشىء كالصمغ
كان يقع على الأشجار ، طعمه كالشهد ؛ فقالوا : يا موسى ! قتلنا هذا المن بحلواته
فادع لنا ربك بطعمنا اللحم ، فأنزل الله السلوى ، وهو طائر يشبه السانى . وقال
البيضاوى : وينزل بالليل عمود نار يسرون فى ضوءه ، وكانت ثيابهم لا تسخ
ولا تبل - انتهى .

انتهى . أى فعلنا ذلك لترقية ' أجسامكم وترويح أرواحكم ؛ ' وعن مجاهد أن الغمام أبرد من السحاب وأرق وأصفى ' و أنزلنا عليكم المن ، قال الحرالي : هو ما جاء بغير كلفة ؛ الكمأة من المن ٣ - انتهى . ' والسوى ، أى لطعامكم على أن المن من الغمام ، و حشر السوى إليهم بالريح المثيرة له ٤ فنظمها به على غاية التناسب . قال الحرالي : والسوى اسم صنف ه من الطير يقال هو السمانى ٥ أو غيره - انتهى . ' وسيأتى إن شاء الله تعالى فى الأعراف أنه غير السمانى وأنهم خصوا به إيدانا بقساسة قلوبهم .

وهذه الخارقة قد كان صحابة نبينا صلى الله عليه وسلم غنيين عنها بما كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما احتاجوا دعا بما عندهم من فضلات الزاد فیدعو ، فيكثره الله حتى يكتفوا من عند آخرهم ، وأعطى أبا هريرة ١٠ رضى الله عنه تمرات ٦ وأمره أن يجعلها فى مزود و قال له : أنفق ولا تنثرها ، فأكل منه سنين وأنفق منه أكثر من خمسين وسقا . و بارك / لآخر فى قليل شعير وأمره أن لا يكيله ، فلم يزل ينفق منه على نفسه ٧٦/

(١) فى ظ : لترقية .

(٢) العبارة من هنا إلى ' و اصفى ' ليست فى م و ظ .

(٣) راجع سنن ابن ماجة طب : ٨ .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) فى م : الساموى - كذا .

(٦) العبارة من هنا إلى ' للبيهقى وغيره ' ليست فى م .

(٧) فى ظ : تمرات ، والصحيح الروى ما فى الأصل و مد .

وامراته وضيغه حتى كاله قفى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو لم تكله
 لأكلتم منه ولقام لكم . وكان نحو ذلك لعائشة رضى الله عنها
 بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم . 'وكذا' لام مالك رضى الله عنها
 فى عكة سمن لم تزل تقيم لها أدمها حتى عصرتها . ومثل ذلك كثير فى
 ٥ دلائل النبوة للبيهقى وغيره . وقيل لكم 'كلوا' ، ودل على أنه أكثر
 من كفايتهم بقوله ٣ 'من طيبت' ، جمع طيبة . قال الحرالى : والطيب
 ما خالص من منازع يشارك فيه وطيته 'مَنْ سَوَى الْأَكْلِ لَهُ أَى لَمْ يَنَازِعْهُ
 وليس فيه حق لغيره ، ومنه الطيب فى المذاق وهو الذى لا ينازعه
 تكره ٦ فى طعمه ؛ وهذا زاد على ذلك بكونه لم يكن عن عمل حرث
 (١-١) ليس فى ظ .

(٢) وقال أبو حيان : المن اسم جنس لا واحد له من لفظه ، وفى المن الذى أنزله
 الله على بنى إسرائيل أقوال : ما يسقط على الشجر أحلى من الشهد وأبيض من
 الثلج وهو قول ابن عباس والشعبي ، أو صمغة طيبة حلوة وهو قول مجاهد ،
 أو شراب كان ينزل عليهم يشربونه بعد مزجه بالماء وهو قول الربيع بن أنس
 وأبى العالية - إلى أن قال : أو جميع ما من الله به عليهم فى التيه وجاءهم عفوا
 من غير تعب - قاله الزجاج ودليله قوله صلى الله عليه وسلم : الكأة من المن
 الذى من الله على بنى إسرائيل - وفى رواية : على موسى . وفى السلوى الذى
 أنزله الله على بنى إسرائيل أقوال - انظر ما فى البحر المحيط ٢١٤/١

(٣) العبارة من « ودل » إلى هنا ليست فى ظ .

(٤) والطيبات هنا قيل الحلال ، وقيل اللذيذ المشتهى ، ومن للتبويض لأن المن
 والسلوى بعض الطيبات - البحر المحيط .

(٥) فى م فقط : طيبة .

(٦) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : تكره - كذا .

ولا معاملة مع خلق - انتهى . « ما رزقكم ، أى على عظمتنا التى لا تضاهى .

ولما لم يرعوا هذه النعم أعرض عنهم للإيذان باستحقاق الغضب .
و قال الحرالى : ثم أعرض بالخطاب عنهم وأقبل به على محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه - انتهى . فقال « وما ، أى فظلموا بأن كفروا هذه ٥ النعم كلها وما « ظلمونا » بشئ من ذلك ١ » ولكن كانوا ، ٢ أى جبلة وطبعا ٣ « انفسهم » أى خاصة « يظلمون » ، لأن ضرر ذلك مقصور عليهم . قال الحرالى : وفيه إشعار بتحذير هؤلاء أن يروا نحو ما

(١) فى ظ : فكفروا .

(٢) نفى أنهم لم يقع منهم ظلم لله تعالى ، وفى هذا دليل على أنه ليس من شرط نفى الشئ عن الشئ إمكان وقوعه ، لأن ظلم الإنسان لله تعالى لا يمكن وقوعه البتة ، قيل المعنى وما ظلمونا بقولهم « ارنا الله جهرة » بل ظلموا أنفسهم بما قبلناهم من الصاعقة ، وقيل وما ظلمونا بأدبارهم المن والسلوى بل ظلموا أنفسهم بفساد طعامهم وتقليص أرزاقهم ، وقيل وما ظلمونا بابائهم على موسى أن يدخلوا قرية الجباين ، وقيل وما ظلمونا باستحبابهم العذاب وقطعهم مادة الرزق عنهم بل ظلموا انفسهم بذلك ، وقيل وما ظلمونا بكفر النعم بل ظلموا انفسهم بمحاول النقم ، وقيل وما ظلموا بعبادة العجل بل ظلموا انفسهم بقتل بعضهم بعضا ؛ واتفق ابن عطية والزحشرى على أنه يقدر محذوف قبل هذه الجملة قدره ابن عطية : فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر ، وقدره الزحشرى : فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا ، قال : فاختصر الكلام بحذنه لدلالة « وما ظلمونا » عليه - انتهى من البحر المحيط ١ / ٢١٥ .

(٣-٢) ليست فى ظ .

رأوا فينالهم نحو بما نالوه ، لأن قصص القرآن ليس مقصوده مقصورا
على ذكر الأولين فقط بل كل قصة منه إنما ذكرت لما يلحق هذه الأمة
في أمد يومها من شبه أحوال من ' قص عليهم قصصه - انتهى .
و لما كان كل من ظل ' الغمام ٣ و لزوم طعام واحد غير مألوف

(١) في م : ما .

(٢) ليس في ظ .

(٣) قال أبوحيان الأندلسي : و قد تضمنت هذه الآيات الكريمة من ذكر نبي
إسرائيل فصولا : منها أمر موسى على نبينا و عليه السلام إياهم بالتوبة إلى الله
من مقارنة هذا الذنب العظيم الذي هو عبادة العجل من دون الله و أن مثل
هذا الذنب العظيم تقبل التوبة منه ، و التلطف بهم في نذاتهم بيا قوم ، و تنبيههم
على علة الظلم الذي كان وباله راجعا عليهم ، و الإعلام بأن توبتهم بقتل أنفسهم ،
ثم الإخبار بمحصول توبة الله عليهم و أن ذلك كان بسابق رحمته ، ثم التوبيخ
لهم بسؤالهم ما كان لا ينبغي لهم أن يسألوه وهو رؤية الله عيانا لأنه كان سؤال
تعنت ؛ ثم ذكر ما ترتب على هذا السؤال من أخذ الصاعقة إياهم ، ثم الإنعام عليهم
بالبعث و هو من الخوارق العظيمة أن يحيى الإنسان في الدنيا بعد أن مات ، ثم
إسعافهم بما سألوه إذ وقعوا في التيه و احتاجوا إلى ما يزيل ضررهم و حاجتهم
من لفتح الشمس و تغذية أجسادهم بما يصلح لها فظلل عليهم الغمام و هذا من
أعظم الأشياء و أكبر المعجزات حيث يسخر العالم العلوى للعالم السفلى على حسب
اقتراحه فكان على ما قيل تظلمهم بالنهار و تذهب بالليل حتى ينور عليهم القمر ،
و أنزل عليهم المن و السلوى و هذا من أشرف المأكول إذ جمع بين الغذاء والدواء
بما في ذلك من الحلاوة التي في المن و الدسم الذي في السلوى و هما مقمعا الحرارة
ومثيرا القوة للبدن - و ما بقى من الفصول لهذه الآية الكريمة في البحر المحيط
١ / ٢١٦ راجع إليه .

لهم 'مع كونه نعمة دنيوية' وكان المألوف أحب إلى النفوس تلاه بالتذكير
 بنعمة مألوفة من الاستغلال بالآبينة والأكل بما يشتهى 'مقرونة بنعمة
 دينية'. وقال الحرالي : لما ذكر تعالى عظيم فضله عليهم في حال استحقاق
 عقوبتهم في تظليل الغمام وإزالة المن والسوى وهو مبتدأ ' أمر تيههم
 حين أبوا أن يقاتلوا الجبارين نظم به آخر أمر تيههم بعد وفاة موسى ه
 وهارون عليهما السلام حين دخولهم مع يوشع عليه السلام وما أمروا به
 من دخول البلد المقدس متذللين بالسجود الذي هو أخص رتب العبادة
 وكمال عمل العامل ودنو من الحق - انتهى . فقال تعالى « واذ قلنا ، أى
 لكم » ادخلوا هذه القرية ، إشارة إلى نعمة النصر . قال الحرالي : الدخول
 الولوج في الشيء بالكلية حسا بالجسم ومعنى بالنظر والرأى ، والقرية ٣ ١٠
 من القرى وهو الجمع للمصالح التي بها ' يحصل قوام الدنيا لقرى أهل
 الدنيا والتي تجمع مصالح أهل الآخرة ، لقرى أهل الآخرة ، قال عليه السلام :
 أمرت بقرية تأكل القرى - باستيطانها كأنها تستقرى القرى تجمعها

(١-١) ليست في ظ .

(٢) في ظ : مبدا - كذا .

(٣) الألف واللام في القرية للحضور ، وانتصاب القرية على النعت أو على عطف
 البيان ، والقرية هنا بيت المقدس في قول الجمهور - قاله ابن مسعود وابن عباس
 وقتادة وغيرهم ، وقيل أريحا وهو قول ابن عباس أيضا وهي بأرض المقدس ،
 وقيل الأردن وقيل فلسطين ؛ وقد رجح القول الأول لقوله في المائدة :
 « ادخلوا الارض المقدسة » .

(٤) في م : بهما .

(٥) راجع الصحيح للبخارى ١ / ٢٥٢ .

إليها، و قد تناوبت الياء والهمزة والواو مع القاف والراء على عام
 هذا المعنى - انتهى . و ناسب سياق النعم الدلالة على تعقيب نعمة الدخول
 بالفاء في قوله « فكلوا منها حيث شئتم » وأتم النعمة بقوله « رغدا »
 'موسعا عليكم طيبا' . قال الحرالي^١ : وفيه أى هذا الخطاب تشية ٢ في
 ذكر الأرض لما تقدم من نحوه لآدم في السماء ، فكان تبديلهم لذلك
 عن فسق لا عن نسيان كما كان أمر آدم عليه السلام ، فكانهم اقتطعوا
 عن سنته إلى حال الشيطان الذى كان من الجن ففسق عن أمر ربه ،
 فتحقق ظلمهم حين لم يشبهوا آباءهم وأشبهوا عدو أيهم وعدوهم - انتهى .
 وأمرهم^٢ بالشكر على نعم النصر والإيواء وإدراك الرزق^٣ بأمر يسير

(١-١) ليست في ظ .

(٢) قال أبو حيان : تقدم الكلام على نظير هذه الجملة في قصة آدم في قوله « وكلا
 منها رغدا حيث شئتما » إلا أن هناك انعطاف بالواو وهنا بالفاء، وهناك تقديم
 الرغد على الظرف وهنا تقديم الظرف على الرغد، والمعنى فيهما واحد إلا أن
 الواو هناك جاءت بمعنى الفاء ويدل عليه ما جاء في الأعراف من قوله « فكلا »
 بالفاء والقضية واحدة، وأما تقديم الرغد هناك فظاهر فانه من صفات الأكل
 أو الآكل فناسب أن يكون قريبا من العامل فيه ولا يؤخر عنه ويفصل بينهما
 بظرف وإن لم يكن فاصلا مؤثرا النفع لاجتماعها في العمولية لعامل واحد، وأما
 هنا فانه آخر لمناسبة الفاصلة بعده، ألا ترى أن قوله « فكلوا منها حيث شئتم رغدا »
 وقوله « وادخلوا الباب سجدا » فهما سيجتان متناسبتان فلهذا والله أعلم كان هذان
 التركيبان على هذين الوصفين - انتهى كلامه .

(٣) في مد : تنبيه .

(٤) بجاءت هذه الجمل في غاية الفصاحة لفظا والبلاغة معنى إذ جمعت الألفاظ =

من القول و الفعل ، و قدم الدخول السار للنفوس و السجود الذى هو أقرب مقرب للحضرة الشريفة لأنه فى سياق عد النعم ' على القول المشعر بالذنب فقال : و ادخلوا الباب ، ' و هو كما قال الحرالى أول مستفتح الأشياء

= المختارة و المعاني الكثيرة متعلقا أوائل أوآخرها بأواخر أوأوائلها مع لطف الإخبار عن نفسه ، فحيث ذكر النعم صرح بأن ذلك من عنده فقال ثم « بعثنكم » و قال « و وظللتنا » « و ائزلنا » و حيث ذكر النعم لم ينسبها إليه تعالى فقال « فاخذتكم الصنعة » و سر ذلك أنه موضع تعداد النعم فناسب نسبة ذلك إليه يذكرهم آلاءه و لم ينسب النعم إليه و إن كانت منه حقيقة ، لأن فى نسبتها إليه تخويفا عظيما ربما عادل ذلك الفرح بالنعم ، و المقصود انبساط نفوسهم بذكر ما أنعم الله به عليهم و إن كان الكلام قد انطوى على ترغيب و ترهيب فالترغيب أغلب عليه .

(هـ) زيد فى ظ : و .

(١) ليس فى م .

(٢) و الباب أحد أبواب بيت المقدس و يدعى الآن باب حطة - قاله ابن عباس ، أو الثامن من أبواب بيت المقدس و يدعى باب التوبة - قاله مجاهد و السدى ، سجدا نصب على الحال من الضمير فى ادخلوا ، قال ابن عباس : معناه ركعا ، و عبر عن الركوع بالسجود كما يعبر عن السجود بالركوع ، و قيل معناه خضعا متواضعين ، و قيل معناه السجود المعروف من وضع الجبهة على الأرض والمعنى ادخلوا ساجدين شكرا لله تعالى إذ ردهم إليها ، و هذا هو ظاهر اللفظ ، و ليس بمتعذر ، لأنه لا يبعد أن أمروا بالدخول وهم ساجدون فيضعون جباههم على الأرض وهم داخلون و تصدق الحال المقارنة بوضع الجبهة على الأرض إذا دخلوا . و قال الزمخشري : أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله و تواضعا . و فى كيفية دخولهم الباب أقوال ، قال ابن عباس و عكرمة : دخلوا من قبل أستاههم - من البحر المحيط . و الذى ثبت فى البخارى و مسلم أنهم دخلوا الباب يزحفون على أستاههم ، و هذا يؤيد تفسير السجود بالمعروف من وضع =

و الامور المستعلقة حسا أو معنى حال كونكم « سجدا و قولوا » اجامعين
إلى ندم القلب و خضوع الجوارح الاستغفار باللسان ، ولما كان القول
تحكى به الجمل فتكون مفعولا بها و يعمل في المفرد إذا كان مصدرا
أو صفة لمصدر كقلت حقا أو معبرا به عن جملة كقلت شعرا و ما كان على
غير هذا كان إسنادا لفظيا لا فائدة [فيه - ١] غير مجرد الامثال رفع
قوله « حطة ٢ » ، أى عظمة لذنوبنا . قال الكشف : و الأصل النصب أى حط
عنا ذنوبنا إلا أنه رفع ليعطى معنى الثبات ٣ . قال الحرالي : من الحط ٤ و هو

= الجبهة على الأرض تخالفوا عنادا و استكبارا مثل ما كان دأبهم والله اعلم .

(١) العبارة من هنا إلى « رفع قوله » ليست في ظ .

(٢) زيد من م و مد .

(٣) العبارة من هنا إلى « معنى الثبات » ليست في ظ .

(٤) في الكشف : و إنما رفعت لتعطى معنى الثبات كقوله : صبر جميل فكلانا
مبتلى ، و الأصل : صبرا - انتهى كلامه .

(هـ) قال أبو حيان : و اختلفت أقوال المفسرين في حطة ، فقال الحسن : معناها
حط عنا ذنوبنا ، و قال ابن عباس وابن جبر و وهب : أمروا أن يستغفروا ، و قال
عكرمة : معناها لا إله إلا الله ، و قال الضحاك : معناها و قولوا هذا الأمر الحق ،
و قيل معناه نحن لا نزال تحت حكك ممثلون لأمرك ، كما يقال : قد حططت في فئائك
رحلى ، و الأقرب أنهم أمروا بأن يقولوا قولاً دالا على التوبة و الندم و الخضوع
حتى لو قالوا : اللهم إنا نستغفرك و نتوب إليك لكان الخضوع حاصلًا ، لأن المقصود
من التوبة إما بالقلب فبالندم و إما باللسان فبذكر لفظ يدل على حصول الندم في
القلب و ذلك لا يتوقف على ذكر لفظة بعينها ، هذا موافق لما قال المصنف . قال أبو حيان :
و الحط الإزالة ، حططت عنه الخراج أزلته عنه ، و النزول حططت - و حكى -
بقضاء زيد : نزلت به ، و النقل من علو إلى سفلى و منه انحطاط القدر - انتهى .

وضع الحمل الثقيل بُمَنَّة وجام قوة يكون في الجسم، والمعنى أمروا بقول ما يحيط عنهم ذنوبهم التي عوّقتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من معه من المهاجرين والأنصار بشعب من الشعاب مترددا بين الحرمين الشريفين - يعنى في عمرة الحديبية - فقال قولوا: لا إله إلا الله - وعند ذلك دخول الشعب الذى هو باب المدخل من نجد الأرض إلى سهلها - فقالوها^٥ ، فقال: والذى نفسى بيده! إنها للحطة التى عرضت على بنى إسرائيل أن يقولوها فبدلوها - انتهى . وعبر بنون العظمة في قوله « نغفر لكم » إشارة إلى أنه لا يتعاضده ذنب وإن عظم كاتخاذ العجل إذا أُجِبَ بالتوبة ؛ وفي قراءة من قرأ بالتحانية و الفوقانية مبنيًا للجهول^٦ إشارة إلى تحقير الذنوب إذا أراد غفرانها بحيث أنه^٧ بأدنى أمر وأدق إشارة بمحوها وهى أقل ١٠ من أن يباشرها بنفسه المقدسة ؛ كل ذلك استعطاف / إلى التوبة . والغفر

٧٧/

(١) في م ومد: تكون .

(٢) ليس في م .

(٣) نافع بالياء مضمومة ، ابن عامر بالتاء ، أبو بكر من طريق الحنفى: يغفر ، الباقون: تغفر ؛ فمن قرأ بالياء مضمومة فلائى الخطايا مؤنث ، ومن قرأ بالياء مفتوحة فالضمير عائد على الله تعالى ويكون من باب الالتفات لأن صدر الآية « واذ قلنا » ثم قال: يغفر ، فانتقل من ضمير متكلم معظم نفسه إلى ضمير الغائب المفرد . فالغفر والغفران الستر ، والغفيرة المغفرة والغفارة السحاب وما يلبس به سية القوس وخرقة تلبس تحت الحمار ومثله المغفر ، والجماء الغفير أى جماعة يستتر بعضها بعضا من الكثرة وقول عمر لمن قال له : لم حصبت المسجد ؟ هو أغفر للنخامة ؛ كل هذا راجع لمعنى الستر والتغطية - البحر المحيط .

(٤) في م: انها .

قال الحرالي: ستر الذنب أن يظهر منه أثر على المذنب لا عقوبة ولا ذكر - ثم قال: ففي قراءة: تغفر ٣، تول من الحق ومن هو من حربه من الملائكة والرسل، وفي قراءة: تغفر، إبلاغ أمر خطايهم بما يفهمه التأنيث من نزول القدر، وفي قراءة الباء توسط بين طرفي ما يفهمه علو قراءة النون ونزول قراءة التاء، ففي ذلك بحملته إشعار بأن خطايهم كانت في كل رتبة مما يرجع إلى عبادة ربهم وأحوال أنفسهم ومعاملتهم مع غيرهم من أنبيائهم وأمثالهم حتى جمعت خطايهم جميع جهات الخطايا الثلاث، فكانهم ثلاثة أصناف: صنف بدلوا، وصنف اقتصدوا^٩، وصنف أحسنوا فيزيدهم الله ما لا يسعه القول ودهل جزاء الاحسان الا ١٠. الإحسان، انتهى. ولما كان انسياق هنا لتعداد النعم حسن أن يعبر عن ذنوبهم بجمع الكثرة فقال «خطيكم» إشارة إلى أنهم أصرروا عليها

(١) ليس في ظ .

(٢) في م: امر .

(٣) في م: تغفر - كذا .

(٤) من م ومد و ظ، وفي الأصل: خطاءهم - خطأ .

(٥) وفي ظ اقتصروا .

(-) قال أبو حيان: تقدمت أوامر أربعة: ادخلوا، فكلوا، وادخلوا الباب، وقولوا حطة؛ والظاهر أنه لا يكون جواباً إلا الآخرين وعليه المعنى لأن ترتب الغفران لا يكون على دخول القرية ولا على الأكل منها وإنما يترتب على دخول الباب لتقييده بالحال التي هي عبادة وهي السجود بقوله: وقولوا حطة، لأن فيه السؤال بحط الذنوب وذلك لقوة المناسبة والجاورة، ويدل على ترتب ذلك =

بحيث كادوا^١ أن يجعلوا بازاء كل نعمة ذنباً، والخطايا جمع خطيئة من الخطأ وهو الزلل عن الحد عن غير تعمد بل مع عزم^٢ الإصابة أو ودّ أن لا يخطئ - هكذا قال الحرالي، والظاهر أن المراد هنا ما كان عن عمد^٣ كائناً ما كان، لأن ذلك أولى بسياق الامتنان والعقوبة بالعصيان. قال في القاموس: والخطيئة الذنب أو ما^٤ تعمد منه والخطأ ما لم يتعمد، هـ جمعه خطايا، وقرئ شاذاً: خطيأتكم، بالجمع السالم الدال على القلة إشارة إلى أنها وإن تكررت فهي في جنب عفوه قليل؛ وهذا بخلاف الاعراف فان السياق هناك^٥ لبيان إسراعهم في الكفر كما سيأتى إن شاء الله تعالى، وناسب عدّ النعم العطف على ما تقدم منها بقوله «و سنزيد المحسنين»^٦ أى بعد غفران ذنوبهم^٧. قال الحرالي: جمع محسن من الإحسان ١٠

= عليها ما في الأعراف من قوله تعالى «وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر» والقصة واحدة. الخطيئة فعيلة من الخطأ والخطأ العدول عن القصد، يقال خطيء الشيء أصابه بغير قصد، وأخطأ إذا تعمد؛ وأما خطايا جمع خطيئة مشددة عند الفراء كهدية وهدايا وجمع خطيئة المهموز عند سيبويه والتحليل.

(١) في م: نادوا.

(٢) في ظ: عدم.

(٣) في م: تعمد.

(٤) ليس في ظ.

(٥) في م: هنا.

(٦) قال أبو حيان: الإحسان والإنعام والإفضال نظائر، أحسن الرجل أتى بالحسن، وأحسن الشيء أتى به حسناً، وأحسن إلى عمرو وأسدى إليه خيراً. والزيادة ارتفاع عن القدر العلوم وضده النقص «المحسنين» قيل: الذين لم يكونوا من =

وهو البلوغ إلى الغاية في حسن العمل ، فيكون مع الخلق رؤية المرء نفسه في غيره فيوصل له من البر ما يجب أن يفعل معه ، ورؤية العبد ربه في عبادته ، فالإحسان فيما بين العبد وربه أن يغيب عن نفسه ' ويرى ربه ، والإحسان فيما بين العبد و غيره أن يغيب عن غيره ' ويرى نفسه ، فمن رأى نفسه في حاجة الغير ولم ير نفسه في عبادة الرب فهو محسن ، وذلك بلوغ في الطرفين إلى غاية الحسن في العمل بمنزلة الحسن في الصورة - انتهى .

ولما كان هذا التصريح بالترغيب المتضمن للتلويح بالترهيب مقتضيا للعقل المبادرة إلى الطاعة بين أنه تسبب عنه أن بعضهم عصوا وكفروا ١٠ هذه النعمة العظيمة ولم يقتصروا على ترك هذا الأمر بل بدلوه بدخولهم كما في الحديث يزحفون^١ على أستاههم^٢ قائلين: حبة في شعرة ، أى جنس الحب في جنس الشعرة أى في الغرائر مطلوبينا لا الحطة^٣ وهى غفران

= اهل تلك الخطيئة ، وقيل : المحسنين منهم ، فقليل : معناه من أحسن منهم بعد ذلك زدناه ثوابا ودرجات ، وقيل : من كان محسنا منهم زدنا في إحسانه ومن كان مسيئا مخطئا تغفر له خطيئته ، وقيل : المحسنون من دخل كما أمر وقال : لا إله إلا الله . وقال أبو البركات النسفي : إن من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ، ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة .

(١-١) ليست في م .

(٢) في م : يرجفون .

(٣) في م : اشباههم .

(٤) زيد في ظ : فان غيرا كما - كذا .

الذنوب . قال الحرالي : أمروا بالإخلاص لله نظرا إلى حياة قلوبهم
فطلبوا الخطة نظرا إلى حياة جسومهم فقال تعالى « فبدل ، من التبديل »
وهو تعويض شيء مكان شيء - انتهى . « الذين ظلموا » وأسقط : منهم ،
لما يأتي في الأعراف ٢ « قولا ، أي مكان القول الذي أمروا به .

ولما كان التبديل وإن كان يفهم التغيير^١ لكنه يصدق بأدنى تغيير^٥ .
ولو أنه في اللفظ وإن اتحد المعنى بين أنه مضاد له بحيث لا يمكن
اجتماعهما بقوله^٦ « غير الذي قيل لهم »^٧ فإن غيرا كما^٨ قال الحرالي

(١) التبديل تغيير الشيء بآخر ، تقول : هذا بدل هذا ، أي عوضه ، ويتعدى لاثنتين
الثاني أصله حرف جر ، بدلت دينارا بدرهم أي حصلت له دينارا عوضا من
درهم « الذين ظلموا » ظاهره انقسامهم إلى ظالمين وغير ظالمين وأن الظالمين هم
الذين بدلوا ، فإن كان كلهم بدلوا كان ذلك من وضع الظاهر موضع المضمَر
إشعارا بالعلة وكأنه قيل : فبدلوا ، لكنه أظهره تنبيها على علة التبديل وهو
الظلم أي لولا ظلمهم ما بدلوا ، والمبدل به محذوف ، تقديره : فبدل الذين ظلموا بقولهم
حطة - البحر المحيط ١ / ٢٢٤ .

(٢) في م : تعريض .

(٣) زيد في م ومد : ان شاء الله تعالى .

(٤) في م : التعبير .

(٥) في م : تغيير .

(٦) قال أبو البركات النسفي : فيه حذف و تقدير : فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم
قولا غير الذي قيل لهم ، فبدل إلى مفعول واحد بنفسه وإلى آخر بالياء ، فالذي
مع الباء متروك والذي بغيرها موجود ، يعني وضعوا مكان حطة قولا غيرها
أي أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فحذفوه إلى قول ليس معناه . معنى ما =

كلمة تفهم انتفاء وإثبات ضد ما اتقى ، وقال : ذكر ' تعالى عدولهم عن كل ذلك ' واشتغالهم بيطونهم وعاجل دنياهم فطلبوا طعام بطونهم التي قد ٣ فرغ منها التقدير وأظهر لهم الغناء عنها في حال التيه بانزال المن والسلوى إظهارا لبلادة طباعهم وغلبة حب العاجلة عليهم فبدلوا كلمة التوحيد ه وهي لا إله إلا الله وهي الحطة بطلب الحنطة ه ولو أنهم ' أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ' لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ه

= أمروا به ولم يمشوا أمر الله ، وقيل : قالوا مكان حطة : حنطة ، وقيل : قالوا بالنبطية : حطاسمقانا ، أى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا - انتهى . وذكر أبو حيان الأندلسي أقوال المفسرين في القول الذي قالوه بدل أن يقولوا : حطة ، ثم قال : والذي ثبت في صحيح البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر ذلك بأنهم قالوا : حبة في شعرة ، فوجب المصير إلى هذا القول واطراح تلك الأقوال ، وأوضح شيء من الأقوال السابقة لحل اختلاف الألفاظ على اختلاف القائلين فيكون بعضهم قال كذا وبعضهم قال كذا فلا يكون فيها تضاد ؛ وكل ذلك عدم مبالاة بأوامر الله فاستحقوا بذلك النكال - انتهى كلامه .

(٧-٧) ليس في ظ ، و وقع في م : لكيا - مصحفا .

(١) ليس في ظ .

(٢) في م : ذنب .

(٣) ليس في م .

(٤-٤) في الأصول : امنوا واتقوا - كذا ، راجع القرآن الكريم سورة ه

آية ٦٦ .

«ولو ان اهل القرى 'امنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الارض' من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل 'ما أعطى السائلين - انتهى .
و بين ٣ أنه خص المبدين بالعقاب 'نعمة منه مع أن له أن يعم فقال'
'فانزلنا، أى بعظمتنا بسبب ذلك 'على الذين ظلموا، أى خاصة 'رجزا'
قال الحرالى : هو أشد العذاب ، وما جره^٦ أيضا يسمى^٧ رجزا لما يجب ٥

(١) فى الأصول : الكتاب راجع القرآن الكريم - سورة ٧ آية ٩٦ .

(٢) ليس فى م .

(٣) كتب فى الأصل فوته : سبحانه .

(٤) فى ظ و م ومد : بالعقاب .

(٥) قال أبو حيان : كرر الظاهر السابق زيادة فى تقييح حالهم وإشعارا بعلية نزول الرجز - وبعد ذكر ما قيل فى الرجز من الأقوال قال : و الذى يدل عليه القرآن أنه أنزل عليهم عذاب و لم يبين نوعه إذ لا كبير فائدة فى تعليق النوع .
أما الرجز لغة العذاب و تكسر راءه و تضم ، قيل الرجز مشتق من الرجاسة و هى صوف تزين به الموادج كأنه وسمهم ، قال الشاعر :

و لو تقفاها ضرجت بدماؤها كما ضرجت نضو القوام الرجاؤ
«من السماء» إن فسر الرجز بالثلج كان كونه من السماء ظاهرا ، وإن فسر بغيره فهو إشارة إلى الجهة التى يكون منها القضاء عليهم أو مبالغة فى علوه بالقهر والاستيلاء - اهـ . وقال البيضاوى : عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم ، و الرجز فى الأصل ما يعاف عنه ، وكذلك الرجز ، والمراد به الطاعون ، روى أنه مات فى ساعة أربعة و عشرون ألفا .

(٦) فى م : جزه .

(٧) فى م : نسمى .

أن يزجر عنه ، و الزجر كف البهائم عن عدواها - انتهى . ولما كان
 الإنزال مفهوماً للسماء حققه تعظيماً له بقوله « من السماء بما » أى بسبب
 ما « كانوا يفسقون » ، أى يحدون الخروج من الطاعة إلى المعصية فى
 كل وقت ، ففى إيفهامه أنهم يعودون إلى الطاعة بعد الخروج منها وذلك
 ٥ مقتضى لأن يكون يظلمون أشد منه كما يأتى . قال الحرالى : فبحق يجب
 على من دخل من باب جبل أو قرية أن يقول فى وصيدها : لا إله إلا الله ،
 ليحط عنه ماضى ذنوبه ، فكأن ذكر الله فى باب المدينة والشعب ذكاة
 لذلك المدخل ، فمن لم يدخله مذكياً دخله فاسقاً « ولا تاكلوا مما لم يذكر
 اسم الله عليه » ، انه لفسق ٣ ، فلذلك ما انختم / ذكرهم فى الآية بالفسق ١ -
 ٧٨ / انتهى ١٠ .

(١) فى م : وعيدها ، وهو خطأ .

(٢) سورة : آية ١٢١ .

(٣) كذا فى الأصول ، و الظاهر أن كلمة « ما » زائدة .

(٤) زيد فى ظ : هذه .

(٥) قال أبو مسلم : هذا الفسق هو الظلم المذكور فى قوله « على الذين ظلموا » وقائدة
 التكرار التأكيد لأن الوصف دال على العمية ، فالظاهر أن التبديل سببه الظلم أن
 إنزال الرجز سببه الظلم أيضاً . وقال غير أبى مسلم : ليس مكرراً الوجهين : أحدهما
 أن الظلم قد يكون من الصغار « ربنا ظلمنا » ومن الكبار « ان الشرك لظلم
 عظيم » والفسق لا يكون إلا من الكبار ، فلما وصفهم بالظلم أولاً وصفهم بالفسق
 الذى هو لا بد أن يكون من الكبار ، والثانى أنه يحتمل أنهم استحقوا اسم الظلم
 بسبب ذلك التبديل ونزول الرجز عليهم من السماء لا بسبب ذلك التبديل بل =

ولما بين سبحانه نعمته عليهم بالإمكان من القرية بالنصر على أهلها
والتمتع^١ بمنافعها و ختمه بتعذيبهم^٢ بما يميت أو يحرق و تبين من ذلك
كله أن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة كما سيأتى التصريح به من قول
الله تعالى فى قصة البقرة وأنها لا منفعة فيها اتبعه التذكير^٣ بنعمته عليهم
فى البرية بما يبرد الأكباد و يحيى الأجساد فذكر انفجار الماء من الحجر ه
الذى عمهم نفعه و أنقذهم من الموت تبعه^٤ و دلهم على التوحيد و الرسالة
أصله و فرعه بقدره الصانع و عليه جماع لهم بذلك بين نعمتى الدين و الدنيا
فقال تعالى ه واذ استسقى ، أى طلب السقى . قال الحرالى : و السقى
فعلى صيغة مبالغة فيما يحصل به الرى من السقى و السقى^٥ إحياء موات

= بالفسق الذى فعلوه قبل ذلك التبديل ؛ على هذا يزول التكرار - انتهى ما قاله
أبوحيان فى البحر المحيط ١ / ٢٢٤ . ثم ذكر احتجاج بعض الناس أن ما ورد به
التوقيف من الأقوال لا يجوز تغييره ولا تبديله بلفظ آخر و قال قوم : يجوز ذلك ،
فالتفصيل يطلب فيه .

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى م : التمتع .

(٣) زيد فى ظ : بها .

(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التذكر .

(٥-ه) ليست فى ظ .

(٦) قال أبوحيان الأندلسى : هذا هو الإنعام التاسع و هو جامع لنعم الدنيا و الدين ،
أما فى الدنيا فلأنه أزال عنهم الحاجة الشديدة إلى الماء و لولا هو لهلكوا فى التيه
و هذا أبلغ من الماء العتاد فى الإنعام لأنهم فى مفازة منقطعة ، و أما فى الدين
فلأنه من أظهر الدلائل على وجود الصانع و قدرته و علمه و على صدق موسى =

شأنه أن يطلب الإحياء حالا أو مقالا ؛ قال صلى الله عليه وسلم : اللهم اسق عبادك ! ثم قال : وأحى بلدك الميت - انتهى . « موسى لقومه ، أى لما خافوا الموت من العطش » قتلنا ، أى بما لنا من العظمة حين خفيت عنهم » اضرب ، قال الحرالي : من الضرب وهو وقع الشيء على الشيء .
 ٥ بقوة « بعصاك » ، والعصا كأنها ما يكف به العاصي ، وهو من ذوات الواو ، والواو فيه إشعار بعلو كأنها آلة تملو من قارف ٣ ما تشعر فيه الياء بنزول عمله بالمعصية ، كأن العصور أدب العصي ، يقال عصا يعصو أى ضرب بالعصا اشتقاق ثان ، وعصى يعصى إذا خالف الأمر - انتهى .
 « الحجر ، أى جنسه فـضرب حجرا » ، فاتفجرت ، * وما أنسب ذكر الانفجار هنا بعد ختم ما قبل بالفسق لاجتماعهما في الخروج عن محيط ،

== عليه السلام ، والاستسقاء طلب الماء عدمه وقلته . وذكرائه هذه النعمة من الاستسقاء غير مقيدة بمكان وقد اختلف في ذلك - ثم ذكر الاختلاف من أراد الاطلاع فليراجع إلى البحر المحيط ١ / ٢٢٦ .

(١) في م : بذلك .

(٢) العصا مؤنث والألف منقلبة عن واو ، قالوا : عصوان ، وعصوته أى ضربته بالعصا ويجمع على أفعل شذوذا قالوا : أعص ، أصله أعصو ، وعلى فعول قياسا قالوا : عصى ، أصله عصو ويتبع حركة العين حركة الصاد .

(٤) في م : قارن .

(٥) زيد في م ومد : وطوى هذا المقدر من الضرب لا بناء .

(٦) زيد في م ومد : عليه مع البلاغة وبراعة الحسن ولطافة الرونق بمجذبه والدلالة على سرعة الامتثال وعلى أن المؤثر في الحقيقة إنما هو الأمر بالضرب لأن الضرب نفسه .

(٧) في ظ : الفسق .

هذا خروج يحى وذاك خروج يميت . قال الحرالي : الانفجار ' انبعاث وحي من شيء موعى أو كأنه موعى انشق و انقلب عنه وعاؤه ومنه الفجر و انشقاق الليل عنه - انتهى . ولأن هذا سياق الامتان عبر بالانفجار الذى يدور معناه على انشقاق فيه سيلان و انبعاث مع انتشار واتساع وكثرة ، ولما لم يكن سياق الأعراف للامتان عبر بالانفجاس الذى يدور معناه على هـ مجرد الظهور والنوع ' منه ' أى الحجر الذى ضربه ' اثنتا عشرة عينا ، لكل سبط عين ، والعين قال الحرالي هو باد نام ٣ قيم يبدو به غيره ،

(١) قال أبو حيان الأندلسي : الانفجار انصداع شيء من شيء ومنه انفجر والفجور وهو الانبعاث فى المعصية كالماء وهو مطاوع فعل بفجره فأنفجر . « فأنفجرت » الغاء للعطف على جملة محذوفة التقدير : فضرب فأنفجرت ، كقوله تعالى « ان اضرب بعصاك الحجر فانفلق » أى فضرب فانقلب ويدل على هذا المحذوف وجود الانفجار مرتباً على ضربه ، إذ لو كان ينفجرون الضرب لما كان للأمر فائدة ولكان تركه عصياناً وهو لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام . « منه » متعلق بقوله « فأنفجرت » و « من » هنا لا ابتداء الغاية ، والضمير عائد على الحجر المضروب ، فأنفجار الماء كان من الحجر لا من المكان كما قال تعالى « وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهر » وجاء هنا « انفجرت » وفى الأعراف « انبجست » فقبلهما سواء ، انفجر وانبجس وانشق مترادفات ، وقيل بينهما فرق وهو أن الانبجاس هو أول خروج الماء و الانفجار اتساعه وكثرته ، وقيل الانبجاس خروجه من الصلب و الانفجار خروجه من اللين ، وقيل الانبجاس هو الرش و الانفجار هو السيلان ، و ظاهر القرآن استعمالهما بمعنى واحد لأن الآيتين قصة واحدة - انتهى كلامه ، أما ما ذكره المصنف له معنى باعتبار المحل و السياق فتدبر .

(٢) فى ظ : النوع - انتهى .

(٣) فى م : نام ، وفى مد : نام - كذا .

فما أجزأ من الماء في رى أو زرع فهو عين، وما مطر من الساء فأغنى
 فهو عين، يقال إن العين مطر أيام لا يقلع وإنما هو مطر يغنى وينجع،
 وما تبدو به الموزونات عين، وما تبدو به المراثيات من الشمس عين، وما
 تنال به الأعيان من الحواس عين، والركية وهي بئر السقيا عين، وهي
 التي يصحفها بعضهم فيقول: الركبة - بالباء - يغنى الموحدة - وإنما هي
 الركبة - بالياء المشددة - كذا^١ قال، وقد ذكر أهل اللغة عين الركبة؛
 وعدّ في^٢ القاموس المعاني التي لهذا اللفظ نحو أربعين^٣، منها نقرة^٤ الركبة

(١) في م: فقال .

(٢) ليس في م ومد .

(٣) قال أبو حيان: العين لفظ مشترك بين منبع الماء والعضو الباصر والسحابة
 تقبل من ناحية القبلة والطريق يطر خمساً أو ستاً لا يقلع ومن له شرف في الناس
 والثقب في المزادة والذهب وغير ذلك، وجمع على أعين شاذاً وعيون قياساً،
 وقالوا في الأشراف: أعيان، وجاء ذلك قليلاً في العضو الباصر قال الشاعر:

أسمل أعيانا لها وما قيا

« عينا » منصوب على التمييز وكان هذا العدد دون غيره لكونهم كانوا اثني
 عشر سبطاً وكان بينهم تضاعف وتنافس فاجرى الله لكل سبط منهم عينا يردّه
 لا يشركه فيه أحد من السبط الآخر، وذكر هذا العدد دون غيره يسمى التخصيص
 عند أهل علم البيان وهو أن يذكر نوع من أنواع كثيرة لمعنى فيه لم يشركه
 فيه غيره ومنه قوله تعالى « وانه هو رب الشعري » قال بعض أهل اللطائف:
 خلق الله الحجارة وأودعها صلابة يفرق بها أجزاء كثيرة مما صلب من الجوامد
 وخلق الأشجار رطبة العصون ليست لها قوة الأحجار فتؤثر فيها تفرقاً بأجزائها
 ولا تفجير العيون ماءها بل الأحجار تؤثر فيها، فلما أيدت بقوة النبوة انفلقت =

أى بالوحدة ، و منها مفجرا ماء الركية بالتحانية مشددة .
ولما توقع السامع إخبار المتكلم هل كانت الأعين موزعة بينهم
معروفة أو ملبسة قال « قد علم كل اناس ، أى منهم . قال الحرالى :
و هو اسم جمع من الانس - بالضم ، كالناس اسم جمع من النوس ، قال :
فلم يسمهم باسم من أسماء الدين لان الاسماء تجري على حسب الغالب على
المستمين بها من أحوال تدين أو حال طبع أو تطبع « مشربهم » مكتفاهم
من الشرب المردد مع الأيام و مع الحاجات فى كل وقت بما يفهمه
المفعل اسم مصدر ثان مشتق من مطلق الشرب أو اسم محل يلزمه
= بها البحار و تفرقت بها أجزاء الأحجار و سالت بها الأنهار إن فى ذلك لعبرة
لأولى الأبصار - انتهى كلامه . قال على الهائى : ثم أشار إلى أن النعم الإلهية
لو لم تكن فى حقهم سبب الكفر فلا أقل من أن تكون سبب التفرقة فقال « و اذ
استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر » و كانا من الجنة حملها آدم
فتوارثها الأنبياء عليهم السلام حتى وصلا إلى شعيب فأعطاها موسى عليه السلام ،
و كان مكعبا ينبع من كل وجه ثلاث أعين يسيل كل عين فى جدول ، و لا يبعد
من قدرة الله أن يجعل الحجر جاذبا للهواء مقبلا لها بقوة تبريده بالماء « فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا » عدد قبائلهم « قد علم كل » قبيلة « اناس مشربهم » المعين
إذ لا يجتمعوا على مشرب واحد فلم يجتمعوا فى حياة موسى الجامع لهم على مشرب
واحد فكيف يجتمعون بعده على شريعة واحدة - انتهى كلامه .

(٤) فى م : بعدد .

(١) زيد فى م : او .

(٢) فى ظ : و .

التكرار عليه و التردد ، فجعل سبحانه سقيام آية من آياته في عصاه ،
كما كانت آيته في عصاه على عدوه الكافر ، فكان فيها نقمة ورحمة ؛ و ظهر
بذلك كمال تمليكك تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم حين كان ينبع من
بين أصابعه الماء غنيا في نبوعه عن آلة ضرب أو حجر ، و تملك الماء
من أعظم التمكين ، لأنه تمكين فيما هو بزر كل شيء و منه كل حي
و فيه كل مجعول و مصور - انتهى . يعني أن هذه الخارقة دون ما ينبع
للنبي صلى الله عليه وسلم من الماء من بين أصابعه ، و دون ما ينبع بوضع
أصحابه سهما من سهامه في بئر الحديدية و قد كانت لا ماء فيها ، و نحو
ذلك كثير .

١٠. و لما 'كان السياق للامتان' ٣ و كان ٢ الإيجاد لا تستلزم التحليل
للتناول قال زيادة على ما في الاعراف ممتا عليهم بنعمة الإحلال بعد
الإيجاد على تقدير القول لأنه معلوم تقديره* : «كلوا و اشربوا من رزق الله ،

(١) في م : برز .

(٢ - ٢) ليست في ظ .

(٣ - ٣) ليس في م .

(٤) في م : تمنا .

(هـ) قال أبو حيان : هو على إضمار قول أي و قلنا لهم ، و هذا الأمر أمر إباحة .
قال السلمي : مشرب كل أحد حيث أنزله رائده ، فن رائده نفسه مشربه الدنيا ،
أو قلبه مشربه الآخرة ، أو سرّه مشربه الجنة ، أو روحه مشربه السلسيل ،
أو ربه مشربه الحضرة على المشاهدة حيث يقول : « و سقاهم ربهم شرابا
طهورا » طهرهم به عن كل ما سواه ؛ و بدى بالأكل لأنه المقصود أولا ، =

أى الذى رزقكموه ' من له السكال كله ' من غير كد ولا نصب ' .
قال الحرالى : لما لم يكن فى مأكلهم ومشربهم جرى العادة حكمته فى
الأرض فكان من غيب فأضيف ذكره لاسم الله الذى هو غيب . ولا

= وثنى بالشرب لأن الاحتياج إليه حاصل عن الأكل ولأن ذكر المن والسلوى
متقدم على انفجار الماء ، « من رزق الله » ، ولما كان مأكلهم ومشربهم حاصلين
لهم من غير تعب منهم ولا تكلف أضيفا إلى الله تعالى وهذا التفات إذ تقدم
« قلنا اضرب » والرزق هنا هو الرزوق وهو الطعام من المن والسلوى
والمشروب من ماء العيون .

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) قال أبو حيان الأندلسى : ولما كان مطعومهم ومشربهم بلا كلفة عليهم
ولا تعب فى تحصيله حسنت إضافته إلى الله وإن كانت جميع الأرزاق منسوبة إلى الله
تعالى سواء كانت مما تسبب العبد فى كسبها أم لا ، واختص بالإضافة للفظ الله
إذ هو العلم الذى لا يشركه فيه أحد الجامع لساير الأسماء « الله الذى خلقكم ثم
رزقكم » « قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله » « امن يبدؤا الخلق ثم
يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض - انه مع الله » وفى هذه الآية دلائل على
جواز أكل الطيبات من الطعام وشرب المستلذ من الشراب والجمع بين اللونين
والمطعومين وكل ذلك بشرط الحل . وقال المصنف : « واشربوا » من المشارب
حال كونها « من رزق الله » فلا تستعينوا به على معصية الله بل اجعلوه عوناً
على طاعته واستدلوا به على عنايته بكم « ولا تعثوا » أى لا تفسدوا فساداً سارياً
« فى الأرض » حال كونكم « مفسدين » بالفرقة فلا تريدوا عليها ، فعلم أن نعم الله
لم تزل فى حقهم سبباً لمزيد فسادهم ، لذلك زادوا فساداً يبعثه مجد صلى الله عليه
وسلم - انتهى .

تعثوا، من العثو وهو أشد الفساد و كذلك العثى إلا أنه يشعر هذا
التقابل بين الواو والياء، إن العثو إفساد أهل القوة بالسطوة والعثى إفساد
أهل المكر بالحيلة - انتهى . « في الأرض » أى عامة ، لأن من أفسد
في شيء منها بالفعل فقد أفسد فيها كلها بالقوة ، و اتباع ما معناه الفساد
ه قوله « مفسدين » دليل على أن المعنى ولا تسرعوا إلى فعل ما يكون
فسادا قاصدين به الفساد ، فان العثى والعيث الإسراع فى الفساد ، لكن
قد يقصد بصورة الفساد الخير فيكون / صلاحا فى المعنى ، كما فعل الخضر
عليه السلام فى السفينة والغلाम ، وليس المراد بالإسراع التقيد بل الإشارة
إلى أنه ملائمة للهوى لا يكون إلا كذلك ؛ وسيأتى له فى سورة هود
١٠ عليه السلام إن شاء الله تعالى مزيد بيان ' . قال الحرالى : وفيه إشعار

/ ٧٩

(١) قد فسر أبوحيان العثو والعثى مثل ما فى هذا الكتاب مع مزيد بيان - إلى
أن قال : لما أمروا بالأكل والشرب من رزق الله ولم يقيد ذلك عليهم بزمان
ولا مكان ولا مقدار من ما كول أو مشروب كان ذلك إنعاما وإحسانا جزيلا
واستدعى ذلك التبسط فى المأكول والمشروب وأنه ينشأ عن ذلك القوة التضيية
و انقوة الاستعلائية نهامهم عما يمكن أن ينشأ عن ذلك وهو الفساد حتى لا يقابلوا
تلك النعم بما يكفرها وهو الفساد فى الأرض . ويكون فسادهم فيها من جهة
أن كثرة العصيان والإصرار على المخالفات والبطر يؤذن بانقطاع الغيث
وقحط البلاد وزرع البركات وذلك انتقام يعم الأرض بالفساد . قال القشيري
فى قوله تعالى « واذ استسقى » الآية : إن الذى قدر على إخراج الماء من الصخرة
الصماء كان قادرا على إدوائهم بغير ماء ولكن لإظهار أثر المعجزة فيه واتصال
عمل الاستعانة إليه وليكون لموسى عليه السلام فى فضل الحجر مع نفسه شغل
ولتكليفه أن يضرب بالعصا نوع من المعالجة ثم أراد أن يكون كل سبط =

بوقوع ذلك منهم، لأن في كل نهى إشعاراً بمخالفته، إلا ما شاء الله، وفي كل أمر إشعاراً بموافقته إلا ما شاء الله، لأن ما جبل عليه المرء لا يؤمر به لاكتفاء إجباره فيه طبعاً عن أمره، وما منع منه لا ينهى عنه لاكتفاء إجباره عن أمره، وإنما مجرى الأمر والنهى توطئة لإظهار الكيان في التفرقة بين مطيع وعاص، فكان منهم لذلك من العنى ما ه أوجب ما أخبر به الحق عنهم من الهوان، وأشد الإفساد إفساد ببيان الحق الذى خلقه يده وهى مباني أجساد بنى آدم فكيف بالمؤمنين منهم

== جارياً على سننه غير مزاحم لصاحبه وحين كفاهم ما طلبوه أمرهم بالشكر وحفظ الأمر وترك احتقاب الوزر فقال « ولا تعثوا » والمناهل مختلفة وكل يرد مشربه، فشرب فرات ومشرب أجاج ومشرب صاف ومشرب رنق، وسباق كل قوم يقودهم فالنفوس ترد مناهل المنى، والقلوب ترد مشارب التنقى، والأرواح ترد مناهل الكشف، والمجاهدات والأسرار ترد مناهل الحقائق بالاختطاف من حقيقة الوحدة والذات - انتهى كلامه ملخصاً. قال البيضاوى : « ولا تعثوا فى الارض مفسدين » لا تعتدوا حال إفسادكم، وإنما قيده لأنه وإن غلب فى الفساد فقد يكون منه ما ليس بفساد، كقابلية الظالم المعتدى بفعله، ومنه ما يتضمن صلاحاً راجعاً كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة؛ ويقرب منه العيث غير أنه يغلب فيما يدرك حساً. ومن أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهل بالله وقلة تدبره فى عجائب صنعه، فانه لما أمكن أن يكون من الأحجار ما يخلق الشعر وينفر الحل ويجذب الحديد لم يمتنع أن يخلق الله حجراً يسخره لجذب الماء من تحت الأرض أو لجذب الهواء من الجوانب وتصويره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك - انتهى .

(١) زيد فى م : و .

فكيف بالأنبياء منهم - انتهى .

ولما امتنّ عليهم بهذه النعمة العظمى من أكل المن
والسلوى و شرب هذا الماء الرباني بين أنهم كفروها بالتضجر منها و طلب
غيرها وباليه كان قريبا منها بل كما أن هذه في غاية العلو كان مطلوبهم
ه في غاية الدناءة^١ و السفل فقل تعالى « و اذ قلتم ، أى بعد هذه النعم كلها
« يـمـوسى » منادين له باسمه من غير تعظيم « لن نصبر ، أى طويلا « على طعام ،
قال الحرالى : الطعام^٢ ما يقوت المتطعم و يصير جزاء منه « فلينظر الانسان
إلى طعامه^٣ » الآية - انتهى . « واحد ، أى لا يتبدل و إن كان متعددا^٤ »

(١) زيد في م : سبحانه .

(٢) في م : النداء - كذا .

(٣) قال أبو حيان : الطعام اسم لا يطعم كالعطاء اسم لا يعطى وهو جنس ، الواحد
الذى لا يتبعص والذى لا يضم إليه ثان ، يقال وحيد وحدا وحدة إذا انفرد ،
الدعاء التصويت باسم المدعو على سبيل النداء ، الإنبات الهمة فيه للنقل وهو
الإخراج لما شأنه النمو ؛ لا سئموا من الإقامة في التيه والمواظبة على ما كـول
واحد لبعدهم عن الأرض التى ألفوها وعن العوائد التى عهدوها أخبروا عما
وجدوه من عدم الصبر على ذلك وتشوئهم إلى ما كانوا يألّفون وسألوا
موسى ان يسأل الله لهم لما كان سؤال النبي أقرب للإجابة سأله عن ذلك ،
ولأن النوع الواحد أربعين سنة يمل ويشتهى إذ ذاك غيره ، وذكر تسعة
أقوال في معنى قوله « على طعام واحد » راجع إلى البحر المحيط ١ / ٢٣٢ .

(٤) سورة ٨٠ آية ٢٤ .

(هـ-هـ) ليست في ظ .

وإن كان شريفا لا تعب فيه ، فادع لنا ، قال الحرالي : من الدعاء وهو نداء لاقتضاء غلبة لما تدعو الحاجة إليه ' من القائم على الداعي بتذل وإفقار وهو في مقابلة الأمر من الأعلى ، لأنه اقتضاء لما لا تدعو إليه حاجة من الأمر لأن الأمر بالحقيقة إنما هو الغنى لا الفقر لما يقتضيه - انتهى . و ربك . مضيفين لهذا الاسم إليه دون أنفسكم مع كثرة ه تجليه لكم بهذا الوصف الناظر إلى الإحسان ويخرج لنا ، أى وإن كنت أنت غير ملتفت إلى ذلك ، مما تنبت ، من النباتات وهو التغذية والتمية - قاله الحرالي . والارض ، ثم بينوا ٣ ما أرادوا بقولهم ، من بقلها ، أى

(١) قدمه في م على « الحاجة » .

(٢) ليس في ظ .

(٣) في ظ : يلبوا - كذا .

(٤) البقل جنس يندرج فيه النبات الرطب مما يأكله الناس والبهائم ، يقال منه بقلت الأرض وأبقلت أى صارت ذات بقل ومنه الباقلاء - قاله ابن دريد ، والمراد بالبقل هنا أطايب البقول التى يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهاها - قاله الزمخشري . القناء ، اسم جنس واحد قناء بضم القاف وكسرهما وهو هذا المعروف ، وقال الخليل : هو الخيار ، القوم قال الكسائى والفراء والنضر بن نعيم وغيرهم هو الثوم ، أبدلت الناء فاء كما قالوا فى مغفور : مغثور ، وفى جندف : جدث . وقال أبو مالك وجماعة : القوم الحنطة ، وقال ابن تيمية والزجاج : هى الحبوب التى تؤكل وقيل الحبوب التى تحبز . وقال قطرب : القوم كل عقدة فى البصل وكل قطعة عظيمة فى اللحم وكل لقمة كبيرة ؛ وأحوال =

خضرها . قال الحرالي : البقل ما يكثر به الأدم ، والأدم الأشياء الدسمة
فما يصلح معها من نجم الأرض فهو بقل - انتهى . « وقائها وفومها ،
أى الحنطة . وقال الحرالي : يقال هو الحب الذى يخبز - انتهى . « وعدسها
و بصلها ، فكأنه قيل إن هذا العجب منهم فـ ' قال ' ؟ فقيل قال « قال ٢ ،
منكرًا عليهم « استبدلون ، أى تأخذون « الذى هو ادنى ، ' أى منزلة '
« بالذى هو خير ، أى بدله ، فالباء داخلة هنا على المتروك وهذه المادة
أعنى الباء والبدال المهملة واللام بهذا الترتيب لها استعمالات كثيرة يختلف
معناها معها فيشكل فهمها بسبب ذلك ، فانه قد يذكر معها المتقابلان
فقط ، وقد يذكر معها غيرها ، وقد لا يكون كذلك ، وقد يكون
١٠ ذلك مع التبدل والاستبدال مصحوبا أحدهما بالباء ، وقد لا يكون
كذلك ، وقد يذكران مع التبديل والإبدال ، وتارة تكون الباء
داخلة على المتروك ، وتارة على المأخوذ ، وقد يعدى الفعل بنفسه إلى
المفعولين ، وتارة يقتصر به على مفعول واحد ؛ ولبعض الاستعمالات
= هذه الخمسة التى ذكروها مختلفة ، فذكروا أولا ما هو جامع للحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة - من البحر المحيط ملخصا ١ / ٢٣٢ .

(١) فى م : فيما .

(٢) فى ظ : قاله .

(٣) قال المهانى : أى أتطلبون أدنى الأشياء قدرا ونفعاً ولذة بدل أعلاها

ولذلك استبدلوا الدنيا بالآخرة و شريعتهم بهذه الشريعة - انتهى .

(٤-٤) ليس فى ظ .

معنى غير معنى الآخر و سياتى تحريره إن شاء الله تعالى فى سورة سبأ
فكانه قيل : فهل أجاهم إلى سؤلهم ؟ قليل : نعم ، قال : اهبطوا مصرا ،
أى من الأمصار ، قال الحرالى : المصر هو البلد الجامع لما يتعاون عليه
من أمور الدنيا الذى يجمع هذه المطالب التى طلبوها لأن مادون الأمصار
لا يكون فيها إلا بعضها ، ومنه سميت مصر لجامع أمر ما فى الدنيا فيها هـ

(١) قال أبوحيان الأندلسى : المصر البلد مشتق من مصرت الشاة أمصرها
مصرأ حلبت كل شئ فى ضرعها ، وقيل : المصر الحد بين الأرضين وهجر ،
يكتبون : اشترى الدار بمصورها ، أى بمحدودها ، وقال عدى بن زياد :

وجاعل الشمس مصرا لاخفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا
والجمهور على صرف مصرا هنا ، وقرأ الحسن و طلحة و الأعمش و أبان بن
معلى بغير تنوين ، فأما من صرف فانه يعنى مصرا من الأمصار غير معين ،
وأما من قرأ مصر بغير تنوين فالمراد مصر العلم وهى دار فرعون - انتهى
ملخصا . وقال البيضاوى : انحدروا إليه من التيه ، يقال هبط الوادى إذا نزل
به ، وهبط منه إذا خرج منه ، وقرئ بالضم ، والمصر البلد العظيم وأصله
الحد بين الشيتين ، وقيل أراد به العلم وإنما صرفه لسكون وسطه أو على تأويل
البلد ويؤيده أنه غير متون فى مصحف ابن مسعود وقيل أصله مصرايم فحرف
- انتهى . وقال أبو البركات النسفى : مصرا من الأمصار أى انحدروا إليه من
التيه و بلاد ما بين المقدس إلى قنشرين وهى اثنا عشر فرسخا فى ثمانية فراسخ ؛
أو مصر فرعون - انتهى .

(٢) فى ظ : الذى .

(٣) فى ظ : بعضا .

و غرابة سقيها ، وإن وافق ذلك ما يقال إنها سميت مصر باسم رجل
 فالوفاق في حكمة الله ، لأن كل دقيق و جليل فيها جارٍ بعلم الله و حكمته
 حيث كانت من وراء حجاب يخفيها أو ظاهرة بادية لأهل النظر
 و الاستبصار - انتهى . « فان لكم ، أى فيه » ما سألتم ، ' و ينقطع عنكم المن
 ه و السلوى ، و السؤال قال الحرالى طلب ما تدعو إليه الحاجة و تقع به
 الكفاية ، قال : و ذكر تعالى أن مطلبهم إنما يجدونه فى الأمصار التى
 أقر فيها حكمته لا فى المفاوز التى تظهر فيها كلمته ، و لذلك كثيرا ما تنخرق
 العادة لأولياء هذه الأمة فى المفاوز و قل ' ما تنخرق فى الأمصار و القرى ،
 لما فى هذه الآية مضمونه^٢ ، و لذلك حرص السالكون على السياحة و الانقطاع
 ١٠ عن العمار ، لما يجدون فى ذلك من روح رزق الله عن كلمته دون
 كلفة حكمته .

و لما نظم سبحانه نبأ موسى عليه السلام ما كان من نبأهم مع يوشع

(١) قال المهاشمي : « فان لكم » فيه « ما سألتم » من غير دعاء أحد و لا يليق بى
 أن أدعوا لتزليكم . و قال النسفى : « فان لكم » فيها « ما سألتم » أى فان الذى
 سألتم يكون فى الأمصار لا فى التيه . قال أبو حيان : السؤال الطلب و الطنوب ،
 هذه الجملة جواب للأمر كما يجاب بالفعل المجزوم ، والمعنى ما سألتم من القول
 و الحبوب التى اخترتموها على المن و السلوى ، و قيل ما سألتم من اتكالكم على
 تدبير أنفسكم فى مصالح معاشكم و أحوال أقواتكم - انتهى .

(٢) فى م : قيل ، و هو كما ترى .

(٣) فى م : مضمونة - كذا .

عليه السلام 'بعده' نظم في هذه الآية بخطاب موسى عليه السلام ما كان
منهم بعد يوشع عليه السلام ' إلى آخر اختلال أمرهم وانقلاب أحوالهم
من حسن المظاهرة لنيهم إلى حال الاعتداء والقتل لأنبيائهم عليهم السلام ،
وفي جملة 'إشعار بأن ذلك لم يكن منهم إلا لاجل إثارة الدنيا [و-٣]
رئاستها وما لها على الآخرة إثارة للعاجلة على الآجلة ، وفي طيه أشد ه
التحذير لهذه الأمة في اتباعهم لسنن أهل الكتاب في مثل أحوالهم ؛
ولذلك انتظم بها الآية الجامعة وابتدأ بذكر الذين آمنوا من هذه
/ الأمة ثم استوفى الملل التي لها صحة على ما يذكر آتفا إن شاء الله تعالى
- انتهى . ولما كان التقدير ففعلوا ما أمروا به من هبوط المصر فكان ما
وعدوا به عطف عليه قوله « وضربت عليهم الذلة ، ملازمة لهم بحيطه ١٠
بهم من جميع الجوانب كما يحيط البيت المضروب على الإنسان به ، وهي
اسم من الذل ' وهو صغار في النفس عن قهر وغلبة . قال الحرالي : وفي

(١-١) ليست في ظ .

(٢) في ظ : جملة ذلك ، وفي م : حمته - كذا .

(٣) زبدت الواو من م .

(٤) الذل الخضوع وذهاب الصعوبة والذلة كأنها هيئة من الذل كالجلسة ،
معنى الضرب هنا الإلزام والقضاء عليهم ، من ضرب الأمير البعث على الجيش
وضرب الدهر ضرباته أي ألزم لإلزاماته ، وقيل معناه الإحاطة بهم والاشتغال
عليهم ، مأخوذ من ضرب القباب ؛ وقيل معناه التصقت بهم ، من ضربت
الحائط بالطين ألصقته به ، أما الذلة ففيل هي هوانهم بما ضرب عليهم من الجزية
التي يؤدونها عن يد وهم صاغرون ، وقيل : فقر النفس وشحها فلا ترى ماله من =

عطفه إفهام لمجاوزة أنباء عديدة غايتها في الظهور ما عطف عليها كأن الخطاب يفهم فأنزلناهم حيث أنزلوا أنفسهم ومنعناهم ما لا يليق عن حاله مثل حالهم فظهر منهم وجوه من الفساد ، فسلط عليهم العدو فاستأصل منهم من شاء الله ومن بقي منهم أخذوا بأنواع من الهوان - انتهى .

هـ « والمسكنة » أى كذلك مناسبة لحساسة ما سأله . قال الحرالي : وهى ظهور معنى الذل أو التذلل على ظاهر الهيئة والصورة سكونا وانكفاف حراك - انتهى . « وباهوا » أى رجعوا ٣ وكانوا أحقاء ٣ « بغضب »

= الملل أذل وأحرص من اليهود . والمضروب عليهم الذلة والمسكنة اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم - قاله الجمهور ، أو الذين كفروا بآيات الله وقتلوا الأنبياء بغير حق والقائلون : ادع لنا ربك ، ومن تابعهم من أبنائهم أقوال ثلاثة - فاختص من البحر المحيط ١ / ٢٣٦ .

(١) فى مد : فانزلنا .

(٢) قال المهاشمي : « و » لما مالوا إلى الأدنى « ضربت عليهم الذلة والمسكنة » أى جعلت كالقبة المضروبة عليهم فى الإحاطة بهم فلا يكاد ترى يهوديا إلا ذليلا ومسكينا فى نفسه أو فيما يظهر من حاله مخافة أن يستتراد فى الجزية ، وفيه إشارة إلى أنهم ليس لهم إذلال هذا الدين أصلا « و » ليس تذللهم ومسكنتهم محمدا يفيد رضا الله بل لذلك « باهوا » أى رجعوا إلى ذلة أنفسهم ملتبسين « بغضب » عظيم « من الله » بتسليط قهره موضع لطفه ، ولذلك سلط عليهم الكفر ومنعهم الإيمان وليس بمجرد استبدالهم الطعام المحل لهم . قال أبو حيان : باء بكذا أى رجع - قاله الكسائي ، أو اعترف - قاله أبو عبيدة ، واستحق - قاله أبو روق ، أو نزل وتمكن - قاله البرد ، أو تساوى - قاله الزجاج ، وأنشدوا لكل قول =

'من بآء فلان بفلان إذا كان حقيقاً بأن يقتل به لمساواته له'. قال
الحرالى : معناه اجماع القاهر على الانتقام فى حق مراغمة - انتهى .
« من الله » ، 'الملك الأعظم' لجرأتهم على هذا المقام الأعظم مرة بعد
مرة وكرة إثر كرة . قال الحرالى : وفيه تهديد لهذه الأمة بما غلب
على أهل الدنيا منهم من مثل أحوالهم باستبدال الأدنى فى المعنى من ه
الحرام والمتشابه بالأعلى من الطيب والطيب المأخوذ عفواً واقتناعاً -
اتهى .

ثم ذكر سبب هذا وقال الحرالى : ولما كان الغضب إنما يكون على من
راغم الجليل فى معصيته ٣ وقعت منهم المراغمة فى معصيتهم واعتدائهم
ذكر فعلهم - انتهى . فقال « ذلك » ، ٤ أى الأمر العظيم الذى حل بهم من ١٠
الغضب وما معه ، ويجوز أن يرجع إلى اهتمامهم بأمر معاشهم وعنايتهم
بأحوال شهواتهم على هذا النحو الأخس الأدنى « بأنهم » أى بسبب أنهم
= ما يستدل به من كلام العرب . وباء يستعمل فى الخير وفى الشر ، فى الحديث :
أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي . (٣-٣) ليست فى ظ .

(١-١) ليست فى ط .

(٢) زيد : فى مد : أى .

(٣) فى م : معصية .

(٤) الإشارة إلى الباءة بالغضب أو الباءة والضرب ، و الباء للسبب ، أى ذلك

كأن بكفرهم وقتلهم ، الايات : المعجزات التسع وغيرها التى أتى بها موسى

أو التوراة - من البحر المحيط ١ / ٢٢٦ .

« كانوا » ، أى جبلة وطبعاً ، « يكفرون » ، أى مجددين مستمرين ، « بآيات الله » ،
 أى يسترون إذعانهم و تصديقهم بسبب آيات الله الذى له جميع العظمة
 كتبنا عن لا يعلم الآيات و تليسا ، و كان تجديد ذلك و الإصرار عليه
 ديدنا ٢ لهم و خلقا قائما بهم . قال الحرالى : و الكفر بالآيات أبعد الرتب
 من الإيمان ، لأنه أدنى من الكفر بالله ، لأن الكفر بالله كفر بغيب و الكفر
 بآيات الله كفر بشهادة « و الذين كفروا بآياتنا » هم اصحاب المشيمة ، انتهى .
 « و يقتلون النبيين » ، أى كان ذلك جبلة لهم ° و طبعا . قال الحرالى : و هذا
 جمع نبيء . و هو من النبأ و هو الإخبار عن غيب عجز عنه المخبر به من
 حيث أخبر - انتهى ٦ .

(١-١) ليس فى ظ ، و فى م و مد : مستهزئين - مكان : مستمرين .

(٢) فى ظ : تلبيا .

(٣) فى الأصل : ديدنا - و هو محرف .

(٤) وقع فى ظ : بآيات الله - خطأ ؛ راجع القرآن الكريم سورة ٩٠ آية ١٩ .

(٥) ليس فى ظ .

(٦) قال أبو حيان : النبي مهموز من أنبا فعيل بمعنى مفعّل كسميع من أسمع ، و جمع

على النبأ و مصدره النبوءة و تنبأ مسيما ، كل ذلك دليل على أن اللام هزلة .

و حكى الزهراوى أنه يقال نبؤ إذا ظهر ، و بذلك سمي الطريق الظاهر نبئاً ؛

و من لم يهمز فليل أصله الهمز ثم سهل و قيل مشتق من نبا ينبو إذا ظهر و ارتفع .

قال الكسائى : النبي الطريق سمي به لأنه يهتدى به ، و سمي الرسول لأنه طريق

إلى الله . قتالوا يحيى و شعيا و زكريا ، و روى عن ابن مسعود قتل بنو إسرائيل =

ولما كان النبي معصوما دينا ودنيا قال « بغير الحق »^١ أى الكامل
تنبيها على أن قتله لا يقع إلا كذلك^٢، لكن هذا لا يننى أن يكون ثم
شبهة كظن التنبؤ فالذم على الإقدام على إراقة الدم بدون الوضوح
التام وفاقا لنهى « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق »^٣، فهو أخف
بما فى آل عمران^٤ . ثم علل هذه الجراءة فقال « ذلك » أى الأمر الكبير
من الكفر والتخل الذى هو من أعظم الكفر « بما عصوا » وهو من
العصيان . قال الحرالى : « هو مخالفة الأمر - انتهى . » « كانوا » أى جلبة
و غريزة « يعتدون » أى يتجاوزون الحدود على سبيل التجدد والاستمرار،
فإن من فعل ذلك مرد عليه و مرن فاجترأ على العظام^٥ . قال الحرالى :

== سبعين نبيا، وفى رواية : ثلاثمائة نبي . وعلى هذا يتوجه قراءة من قرأ يقتلون
بالتشديد .

(١) تقتلونهم مبطلين أو قتلا بغير حق، لأن النبي معصوم من أن يأتى أمرا
يستحق عليه فيه القتل ، وإنما جاء هذا القيد على سبيل التشجيع لقتلهم والتبجيل لفعالهم
مع أنبيائهم أى بغير الحق عندهم . قال ابن عباس وغيره : لم يقتل نبي قط من الأنبياء
إلا من لم يؤمر بقتال ، وكل من أمر بقتال نصر - تلخص من البحر المحيط ١/١٣٧ .

(٢) فى ظ : قتلهم .

(٣) وفى ظ : لذلك .

(٤) سورة ١٧ آية ٣٣ .

(٥) قال المهازمي « و » لكفرهم كانوا « يقتلون النبيين » شعيا و زكريا و يحيى
و غيرهم عليهم السلام مع علمهم أنه « بغير حق » أى الموجب له ثابت شرعا
و كذلك بالآيات الظاهرة على يدي محمد صلى الله عليه وسلم و يريدون قتله « ذلك »
الكفر و الاجترأ على قتل الأنبياء « بما عصوا » فإن المعاصي تجر إلى الكفر
لأنهم أصروا على الصغائر أو اكتسبوا الكبائر على التدور - انتهى كلامه .
(٦ - ٦) ليست فى ظ .

وهو أى الاعتداء تكلف العداء، والعداء مجازة الحد، فيما يفسح فيه إلى حد لا عذر لمجاوزه من حيث فسح له سعة ما فسح وحُدَّ له ما حُدَّ - انتهى . وقد جاء نظم هذه الآيات من قصصهم على غير ترتيبها في الوجود، وفي التوراة لما ذكرت من هذه المناسبات العظيمة والله أعلم شرح أمرها ه من التوراة قال في آخر السفر الرابع منها في 'النسخ الموجودة' بين أظهر اليهود الآن في هذا القرن التاسع فيما قرأته في نسخة مترجمة بالعربية وخطها كذلك . وعليها آثار قراءتهم لها وبيان الأوقات التي يقرأ فيها كل فصل منها ثم قابلتها بالمعنى كما مضى مع شخص منهم وكان هو القارئ ما نصه: وهذه مظاعن بني إسرائيل حيث خرجوا من أرض مصر ١٠ بأجنادهم على يدى موسى وهارون عليها السلام وكتب موسى مخارجهم ومراحلهم عن قول الرب ظعنوا من رَعْمِيس - وفي نسخة: من عين شمس - في خمسة عشر يوما من الشهر الأول من غد الفصح - ٣ وفي نسخة:

(٧) قال أبو حيان الأندلسي: ولما ذكر تعالى حلول العقوبة بهم ضرب الذلة والمسكنة والمبادة بالفضب بين علة ذلك فبدأ بأعظم الأسباب في ذلك وهو كفرهم بآيات الله، ثم تلى بما يتلو ذلك في العظم وهو قتل الأنبياء، ثم أعقب ذلك بما يكون من المعاصي وما يتعدى من الظلم - قال معنى هذا صاحب المنتخب .

(١ - ١) في م: الفصح الموجود - كذا .

(٢) في ظ: بأخبارهم .

(٣) والفصح عند اليهود عيد تذكار خروجهم من مصر عند أكلهم الحروف والمرأوهم مستعدون للسفر. وعند النصارى عيد تذكار قيامة المسيح من الموت، ويعرف بالعيد الكبير، وهو تعريب فسح بالعبرانية ومعناه اجتياز وعبور أو نجاة، أي يوم فصح أى بلاغيم ولا برد - قطر المحيط ١٥٩٩/٢ .

بعد الفصح يوم - و المراد بالشهر الأول عندهم نيسان^١ و هو شهر الفريك،
 و خرج بنو إسرائيل بقوة عظيمة تجاه جميع^٢ أهل مصر كانوا^٣ مشاغيل
 بدفن الأبنكار الذين قتلهم الرب،^٤ و بما انتقم الرب^٥ من آلهتهم، فظعن
 بنو إسرائيل من رعسيس - و في نسخة: عين شمس - و نزلوا ساحوت
 و ارتحلوا من ساحوت و نزلوا آثم^٦ - و في نسخة: اثم^٧ - التي في أقاصى ه
 المفازة و ظعنوا من اثم^٨ و نزلوا في فوهة الخندق الذى فى جبال بعلصفون
 و نزلوا بازاء مغدول - و في نسخة: مجدول - و ارتحلوا من فوهة الخندق
 و جازوا^٩ في وسط^{١٠} البحر إلى القفر - و في نسخة: بين^{١١} البحر و القفر -
 و ساروا مسيرة ثلاثة أيام في برية / اثم^{١٢} و نزلوا مررا^{١٣} - و في نسخة: ٨١ /
 الحريرة^{١٤} و أتوا آليم^{١٥} و في نسخة: و نزلوا في المراير^{١٦} و ارتحلوا من ١٠

(١) نيسان و نيسان اسم شهر بين آذار و ايار ايامه ٣ يوما سريانية - نظر المحيط

٢٢٦٣/٢ .

(٢) ليس في ظ .

(٣) في ظ : كان .

(٤ - ٤) ليست في م .

(٥) في م : آيم .

(٦ - ٦) ليست في ظ .

(٧) في م و مد : ايام .

(٨) من م و مد و ظ ، و في الأصل : الى .

(٩) في مد : مرر ، و في ظ : مرت .

(١٠) العبارة من هنا إلى « آليم » ليست في م .

(١١) في ظ : المرا .

المراير و صاروا إلى آليم - و كان^١ في آليم اثنتا عشرة عينا^٢ من ماء و سبعون
نخلة و نزلوا هناك على الماء^٣ و ارتحلوا من آليم^٤ و نزلوا ساحل بحر سوف -
و في نسخة^٥: على البحر الأحمر - و ظعنوا من شاطئ بحر سوف - و في
نسخة: من البحر الأحمر - و في أخرى: بحر القلزم - و نزلوا بركة سينين^٦
٥ و ارتحلوا من قفر سينين^٦ و نزلوا ذفقا^٧ و ظعنوا من ذفقا^٧ و نزلوا آلوش^٨
و ارتحلوا من آلوش^٨ و نزلوا رفيدين - و في نسخة: رفيديم - ولم يكن
هناك ماء يشرب الشعب و ظعنوا من رفيدين - و في نسخة: رفيديم -
فنزّلوا بركة - و في نسخة: قفر سيناء^٩ و ظعنوا من قفر سيناء^٩ و نزلوا الموضع
المعروف بقبور الشهوة و ارتحلوا من مقبرة الشهوة - و في نسخة: قفر
١٠ قبور الشهوة - فنزلوا حصروث^{١٠} و ظعنوا من حصروث^{١٠} فنزلوا رثما -

(١) في م: كانوا .

(٢) ليس في م .

(٣) ليس في ظ .

(٤ - ٤) في ظ: فنزلوا .

(٥) زيد في ظ: فارتحلوا من مقبرة الشهوة و في نسخة قفر قبور الشهوة .

(٦) من ظ ، و في الأصل: سييشين ، و في م و مد: سين .

(٧) في ظ: ذفقا ، و في م و مد: ذفقا .

(٨) في م و مد: آلوس .

(٩) زيد في م: و نزلوا .

(١٠ - ١٠) ليست في ظ .

(١١) في ظ: حضر موت .

وفي نسخة: الرامة^١ - وارتحلوا من رثما - وفي نسخة: الرامة^٢ - فزلوا
رثمون^٣ فيرص^٤ .

وقال في السفر الثاني عند ذكر الإنعام عليهم باستنقاذهم من أيدي
القبط بتلك الآيات العظيمة التي ستشرح إن شاء الله تعالى في سورة
الأعراف فقال موسى للشعب: اذكروا هذا اليوم الذي خرجتم فيه من ٥
مصر من العبودية والرق، لأن الرب أخرجكم من ههنا يد منيعة
فلا يؤكل الخبز في هذا اليوم وهو ذا أتم خارجون في شهر الفقاخ^٥ -
وفي نسخة: الفريك - فاذا أدخلكم الرب إلى أرض الكنعانيين والحيثانيين
والامورانيين والجارانيين واليابسانيين والفرزانيين* كالذي أقسم لأبائكم
أن يعطيكم الأرض التي تغل السمن والعلل، تعملون هذا العمل ١٠
في هذا الشهر، كلوا الفطير سبعة أيام ولا يوجدن^٦ الخبز عندكم؛
وتعلون أبناءكم في ذلك اليوم وتقولون لهم إن الله فعل بنا هذا الفعل
إذ أخرجنا من أرض مصر، ولكن ذلك آية على يدك وعلامة
بين عينك لتكون سنة الرب وشريعته على لسانك لأن الرب
أخرجك من مصر يد عزيزة منيعة واحتفظ بهذا وهذه الوصية من ١٥

(١) في م: رثما .

(٢) في م: رموت .

(٣) في م: بفرض، وفي مد: قرص .

(٤) في ظ و م و مد: الفقاخ - بالحاء المهملة .

(٥) في م: الفرزانيين .

(٦) في م: لا يوجدون - كذا .

سنة إلى سنة في وقته ، وإذا أدخلك الرب إلى ' أرض السكتانيين التي أقسم لك و لآبائك أن يعطيها فيز كل ذكر بفتح ' الرحم للرب وكل ذكر من البهائم التي تكون لك يفتح الرحم يكون خاصة للرب تفتديه بحمل ٣ ، فإن لم تفتده ' فاذبحه ، وتفتدى كل بكر ذكر من أولادك ، ٥ فاذا سألك ابنك غدا و قال لك : ما هذا العمل ؟ فقل : إن الرب أخرجنا من أرض مصر من العبودية والرق بيد منيعة عزيزة ، لأن فرعون قسا وفظ وأبى أن يرسلنا ، فقتل الرب جميع أبكار أرض مصر من بكر البشر إلى بكر البهائم ، فن أجل ذلك أذبح للرب كل ذكر بفتح الرحم وأفتدى ' جميع ' أبكار ولدى ' ، فيكون ذلك علامة على يدك وذكرنا بين ١٠ عينيك ، لأن الرب أخرجك من مصر بيد منيعة عزيزة . فلما أرسل فرعون الشعب وانطلقوا لم يرسلهم الله تعالى في طريق أرض فلسطين ، لأنه كان قريبا ولأن الله قال : لعل الشعب إذا ما عاينوا القتال أن يخافوا ويرهبوا فيرجعوا إلى مصر ، فساس الله الشعب في طريق بربة بحرسوف ، وخرج بنو إسرائيل من أرض مصر وهم متسلحون ، وحمل ١٥ موسى عليه السلام عظام يوسف عليه السلام معه ، لأنه أقسم على

(١) في ظ : في ، وليس في م ومد .

(٢) في م : يفتح .

(٣) في م : بحمل .

(٤) من م ومد و ظ ، وفي الأصل : لم تفتديه - كذا .

(٥) في م : افدى .

(٦-٦) في م : ابكارى لى .

بنى إسرائيل بأيمان وقال : إن الله سيذكركم فأصعدوا عظامي معكم من ههنا ،
 فظفروا من ساحوت و نزلوا ائام^١ التى فى أقطار البرية ، وكان الرب
 يسير أمامهم^٢ بالنهار فى عمود السحاب ليسكنهم فى الطريق وبالليل
 فى عمود نار ليضىء لهم وكان يسير أمامهم^٣ بالليل و النهار ، ولم يكن
 عمود الغمام يزول بالنهار و عمود النار بالليل من بين يدي الشعب ، وكلم ه
 الرب موسى وقال له : قل لآل إسرائيل أن يرجعوا فينزلوا على شاطئ
 الحندق وما بين مغرول^٤ و البحر أمام بعلصفون ، انزلوا هناك إزاء البحر
 حتى يقول فرعون إن بنى إسرائيل غرباء فى الأرض ، فيظن أنهم قد تاهوا
 فى القفر و أن البر قد انقلب^٥ عليهم ؛ وقال الرب لموسى : أنا أقسى قلب
 فرعون فيسير فى طلبكم فأجحد بفرعون و جميع جنوده ، فيعلم أهل مصر ١٠
 أنى أنا الرب ، ففعلوا كذلك ؛ فأسف فرعون و عبيده لإرسال الشعب
 و ندموا ، فألجم خيله و سار فى جميع شعبه و ظعن فى ستمائة ألف راكب
 مختارة و جميع مواكب المصريين أيضا و الرجال - و فى نسخة : و القواد -
 على جميعها ، فسار المصريون فى طلبهم فرهقوهم^٦ و هم حلول على المهرقان ،
 فحرب^٧ فرعون و رفع بنو إسرائيل أبصارهم فأروا المصريين و هم فى ١٥

(١) فى م : أيام .

(٢-٣) ليست فى ظ .

(٣) فى م : مغدول ، و فى مد و ظ : معدول .

(٤) فى مد : انقلب .

(٥) فى مد : فرهقوا .

(٦) فى م : بقرب .

طلبهم يخافوا خوفا شديدا ، فصلى بنو إسرائيل بين يدي الرب و قالوا
لموسى : ألقا القبور بمصر أخرجتنا لموت^١ في البرية ؟ لم فعلت بنا هذا
الفعل و أخرجتنا من مصر؟ أليس هكذا كنا نقول لك ونحن بمصر :
دعنا نتعبد للمصريين كان خيرا لنا أن نتعبد للمصريين من الموت في هذا
القفرة ؟ فقال موسى للشعب : لاخوف عليكم ! انتظروا فأبصروا خلاص
الرب إياكم في هذا اليوم ، لأنكم عايتم المصريين يومنا هذا ، لا تعودون
أن تعانواهم أيضا إلى الأبد ، والرب يجاهد عنكم إذا تم في هدوء و طمأنينة ؟
فصلى موسى بين يدي الرب فقال : مُر بنى إسرائيل أن يظعنوا و أنت
فارفع عصاك واضرب ماء البحر ، فيسير آل إسرائيل في البحر في اليبس ،
١٠ و ها أنا ذا أقسى قلوب المصريين و أغلظها ليتبعوهم^٢ ، فأجد فرعون وجميع
جنوده و بمواكبه^٣ و فرسانه / ، فيعلم أهل مصر أنى أنا الرب إذا مجدت
بفرعون و بجميع جنوده ، فظعن ملك الله الذى كان يسير أمام عسكر
بنى إسرائيل فصار على ساقهم ، فاحتمل السحاب الذى كان أمامهم
فوقف خلفهم و دخل بين عسكر المصريين و محلة بنى إسرائيل ، وكان
١٥ السحاب و الجندس تلك الليلة بأسرها وكان^٤ الضياء و النور لبنى
إسرائيل تلك الليلة كلها ، فلم يقدرُوا على الدنو إليهم تلك الليلة . فرفع

/ ٨٢

(١) فى م : للموت .

(٢) فى م : ليتبعوكم .

(٣) فى ظ : مواكبه .

(٤) فى ظ : فان .

موسى يده على البحر فزجر الرب البحر برمح سموم - وفي نسخة :
 قبول عاصف - أيل^١ أجمع ، فصير ماء البحر في اليبس^٢ وانقسم الماء ،
 فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر في اليبس^٣ ، فصارت المياه كالسور
 بين ميامنهم ومياسرهم ، فسار المصريون فدخلوا في طلبهم فصار خيل
 فرعون وجميع مواكبه في البحر ، فلما كان عند حريم الغداة تراءى ه
 الرب^٤ لعسكر المصريين في عمود نار ومزقة غمامة ، فأرجف^٥ عسكر المصريين
 وأقته وربط مواكبهم وحبسها وجعلوا هم يُعْنَقُونَ بالسير عليها ،
 فقال المصريون : سيروا بنا لنهرب^٦ بين يدي آل إسرائيل ، لأن الرب حارب
 عنهم بمصر ، فقال الرب لموسى : ابسط يدك على المهرقان فتوول المياه
 على المصريين فتطفح على مواكبهم وفرسانهم ، فرفع يده على البحر ، ١٠
 فرجع البحر عند وقت الغداة إلى موضعه والمصريون جعلوا يهربون
 إزاءه ، فعذب الرب المصريين في البحر وأكذبهم ، فجرت المياه وطفقت
 على المواكب والفرسان وعلى جميع جنود فرعون الذين دخلوا في البحر
 في طلبهم ، ولم ينج منهم^٧ واحدا^٨ ، فخلص^٩ آل إسرائيل في ذلك اليوم
 من أيدي المصريين ، فنظر بنو إسرائيل إلى المصريين موتى على شاطئ ١٥
 المهرقان ، وعان آل إسرائيل النعمة العظيمة التي أنزلها الله بالمصريين ،

(١) من ظ ، وفي بقية الأصول: الليل (٢-٢) ليست في ظ (٣) زيد في م : اى .

(٤) أرجفت القوم : خاضوا في أخبار الفتن ونحوها على أن يقعوا في الناس

الاضطراب من غير أن يصح عندهم شيء . (٥) زيد في م : من (٦) زيد في

الأصول كلها : ولا - كذا (٧) في ظ : واحدا (٨) زيد في ظ : الرب .

و خاف الشعب الرب وآمنوا به و صدقوا^١ قول موسى عبده ، حيث^٢
 سبح موسى و بنو إسرائيل بهذا التسبيح و قالوا : نسبح الرب ذا الجلال
 الذى تعالى على المواكب و غرق فرسانها فى البحر المتسع ، و المحمود
 الرب الازلى ، فكان^٣ لى^٤ منجيا ، هذا إلهنا فلنحمده و لنمجده ، إله آبائنا
 ٥ فلنعظمه و لنجله ، الرب ذو الملاحم ، جبار اسمه ، لأنه قذف بمواكب^٥ فرعون
 و جنوده فى البحر و غرق جبابرة فى بحر سوف و غطتهم الأمواج
 و هبطوا فى القعر فرسبوا مثل الجنادل ، يمينك يا رب بهية بالقوة ، يمينك
 يا رب أهلك أعداءك بعظم عزك ، كتبت شاتك^٦ أرسلت غضبك
 فأحرقهم^٧ كالسهم بريح وجهك ، و أمرك جمدت المياه و وقف جريها
 ١٠ كأنه الأطواد ، و رسب الأغمار فى قعر البحر كالرصاص فى الماء المتسع ؛
 فمن مثلك و من يفعل كافعالك أيها البهى فى قدسه المرهوب^٨ المحمود
 مظهر العجائب ، سُئِلَتْ^٩ بنعمتك هذا الشعب الذى خلّصت ، فبلغ ذلك
 الشعوب فارتجفوا^{١٠} و قلقوا و غشى الخوف و الرعب سكان فلسطين ،
 عند ذلك ذعر أشراف ادوم^{١١} و غشى الرعدة و الازتعاش رجال^{١٢} مؤاب
 ١٥ و انكسر جميع سكان كنعان^{١٣} فانهزموا فليزل بهم الخوف و القلق و الرجفة
 بعظمة ذراعك ، يغرقون كالجنادل حتى يبحوز شعبك الذى خلّصت ،

- (١) فى م : صدق (٢) فى م : حين - كذا (٣) فى م و ظ : كان (٤) ليس فى م .
 (٥) زيد فى م : و (٦) زيد فى مد : آل (٧) فى م : شاتك (٨) فى م : فأحرقهم .
 (٩) فى م : الموهوب (١٠) فى م : شئت (١١) فى ظ : فارتجعوا (١٢) فى م :
 ادوم (١٣) ليس فى ظ (١٤) فى ظ : عنكان - كذا .

تقبل بهم فتقدسهم في جبل ميراثك^١ ، الرب يملك^٢ إلى أبد الآبدين ؛
وظعن موسى ببني إسرائيل من بحر سوف ، فخرجوا حتى انتهوا إلى برية
أسود ، ثم ساروا في البرية مسيرة ثلاثة أيام فلم يجدوا هناك ماء ، ثم
انتهوا إلى مورث فلم يقدروا على أن يشربوا ماء مورث ، لأنه كان
مراً فتذمر^٣ الشعب على موسى وقالوا له : ما الذي نشرب الآن ؟ فصل ٥
موسى بين يدي الرب ، فأظهر الرب له^٤ عودا فألقاه في الماء ، فغذب الماء
هناك ، علمه السنن والاحكام ، فأتوا حتى انتهوا إلى آليم^٥ وكان هناك
اثنتا عشرة عينا من ماء وسبعون نخلة قزلوا هناك على الماء ، ثم ظعنوا
من آليم فأتوا برية سينين التي بين آليم^٦ وسينين في خمسة عشر من
الشهر الثاني من الزمان الذي خرجوا من مصر ، فتذمر^٣ جميع جماعة ١٠
بني إسرائيل على موسى وهارون وقالوا لهما : قد كنا نحب أن نتوفى^٧
في أرض مصر إذ كنا جلوسا بين أيدينا مراجل اللحم وكبار الخبز
ونفضل^٨ فأخرجتنا إلى هذه البرية^٩ لتقتلنا جماعة بني إسرائيل بالجوع
فقال الرب لموسى : ها أنا ذا مهبط^{١٠} لكم الخبز من السماء فليخرج الشعب
(١) في م : ميراثك (٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل : ملك - كذا (٣) في م :
فتذمر - بالذال المهملة ، والصواب بالذال المعجمة من ذمره يذمره ذمرا لامة
وحضه و تهدده ، و تذمر الرجل لام نفسه على فائت ، و فلان تغضب ، وعلى
فلان تنكره أو عده - قطر المحيط ١/٦٩٩ (٤) ليس في مد (هـ-هـ) ليست في ظ .
(٦) من م ومد وظ ، وفي الأصل : تتوفى (٧) في م : القرية (٨) في الأصول :
مهبطا - كذا .

فليلتقطوا^١ طعام يوم يوم لكي أمتحنهم هل^٢ يسرون بوصاياي و سئني
ويحفظونها أم لا ، فإذا كان اليوم السادس فليعدوا فضلا على ما يأتون به
و ليسكن ذلك ضعف ما يلتقطون في كل يوم ، فقال موسى و هارون لجميع بني
إسرائيل عند الأصيل : تعلمون أن الرب أخرجكم من أرض مصر و بالغداة
٥ تعانون مجد الرب ، لأن تدمركم^٣ بلغ^٤ الرب ، ونحن فن نحن إذ تدمرون
علينا ، و قال لهم موسى : إن الرب قد أعطاكم لحما عند الأصيل لتأكلوا
ورزقكم خبزا بالغداة لتشبعوا ، لأنه قد بلغ الرب تدمركم الذي تراطنون^٥
عليه ، ونحن فن نحن و ليس إنما تدمرون علينا بل على الرب ، و قال
لهارون : مرجع جماعة بني إسرائيل أن يدنوا فيقفوا بين يدي الرب ،
١٠ فلما قال هارون ذلك لجميع جماعة بني إسرائيل التفتوا فإذا مجد الرب قد
اعتلن في السحاب و قال الرب لموسى : قد بلغني تدمر بني إسرائيل فقل :
عند مغارب^٦ الشمس تأكلون اللحم و بالغداة شرقا^٧ تشبعون من الخبز
فتعلمون^٨ أني أنا الرب إلهكم ، فلما كان عند الأصيل صعدت
السَّيَّانُ^٩ فتعشت^{١٠} العسكر ، و كان بالغداة ضبابة تقطر المن فأحاطت بالعسكر ،
(١) من مد ، و في الأصل : فليلتطفوا (٢) في مد : حتى (٣) من م و مد و ظ ،
و في الأصل : تدمركم - بالبدال المهملة (٤) في م : قد بلغ (٥) في ظ : تواطنون .
(٦) في متن م : غروب ، و بهامشه بعلامة النسخة : مغارب (٧) في ظ : سدقا .
(٨) ليس في ظ (٩) من ظ غير أن فيه : السَّيَّان ، و كتب فيه فوه : يعني السلوى ؛
و في الأصل : السَّيَّار ، و في م : السَّيَّات ، و في مد : السَّيَّ (١٠) في مد و ظ :
فتعشت - كذا .

فارتفعت الضبابه فاذا على وجه الأرض دقيق يتقشر^١ و كان شبه^٢ صفائح
الجليد^٣ على الأرض، فقال موسى: هذا الخبز الذى أعطاكم الرب لتأكلوا،
وهذا قول الرب الذى أمر به / ليلتقط المرء^٤ على قدر قوته مكيالا
لكل نفس على عدد رؤوسكم ليأخذ المرء لكل من كان فى خيمته،
فصنع بنو إسرائيل كما أمرهم موسى والتقطوا، فمنهم من أخذ كثيرا^٥
ومنهم من تناول قليلا وكالوا ذلك، فلم يفضل الذى أخذ الكثير و الذى
أخذ القليل لم يعدمه، فقال لهم موسى: لا تبقيين منه للغد شيئا، فلم يطيعوا
موسى فأفضل^٦ رهط منهم للغد، فذب فيه الدود وأتت، فغضب موسى،
فجدلوا يلتقطونه فى كل غداة كل امرئ على قدر قوته، وكان إذا جميت^٧
عليه الشمس يبيع، فلما كان اليوم السادس التقطوا من الخبز ضعفي^٨
ما كانوا يتناولون كل رجل مكيالين، فأتى جميع أشياخ الجماعة فأخبروا
موسى، فقال لهم: هكذا قال الرب، إن السبت راحة ودعة وغدا^٩
يوم قدس الرب؛ وقال فى موضع آخر: لا تعملوا فيه عملا بل يكون
سبتا للرب فى جميع مساكنكم، وكل ما أردتم أن تحتبزو^{١٠} فاختبزو^{١١}
واطبخوا ما أردتم طبخه واحتفظوا بما تفضلون باردا للغد، فأبقوا^{١٢}
منه للغد كما أمر موسى، فلم ينتن ولم يدب فيه الدود فقال لهم موسى:

(١) فى م: متقشر (٢) فى م: مثل (٣) الجليد: الضريب والسقيط وهو ما يسقط
على الأرض من الندى فيجمد ج جلد و جلاد و جلداء - قطر المحيط ١/ ٣٩٤ .
(٤) ليس فى ظ (٥) فى ظ: فأفضله (٦) فى م: جيئت (٧) فى م: غذا (٨) فى م:
فأخبزوا - بدون الضمير .

كلوه يومكم هذا ، لأن اليوم يوم السبت للرب و لستم تقدرون عليه
اليوم في الحقل ، كونوا تلتقطونه ستة أيام و اليوم السابع هو سبت لا يؤخذ
فيه ، فلما كان اليوم السابع خرج رهط من الشعب ليلتقطوا فلم يجدوا
فقال الرب لموسى : حتى متى يأتوا أن يقبلوا وصاياى و سنتى ، فاستراح
الشعب في اليوم السابع . فسماه بنو إسرائيل المن ، و هو كعبة الكزبرة
و طعمه كشهد العسل . و قال في السفر الرابع : و المن كان يشبه حبة
الكزبرة و كان منظره أبيض كالمها ، و كان الشعب يرددون و يلتقطونه
و يطحنونه في الرحى و يهرسونه في المهراس و يطبخونه في القدور
و يصيرون منه مليلاً^٢ و يصير طعمه مثل طعام الخبز الذى يعجن دقيقه بالزيت .
١٠ رجع إلى الثانى قال : فأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة و لم يزالوا
يأكلون المن حتى انتهوا^١ إلى أقطار الأرض ذات السكنى و حتى انتهوا
إلى أقطار أرض كنعان ، و كان ذلك المكيال عشر جريب^٥ أى عشر وية^٤ ،
و إن جماعة بنى إسرائيل ظعنوا من برية سينين في مظاعنهم كما أمر الرب
فوردوا رفدين و لم يكن للشعب ماء يشربون ، فضج الشعب على موسى
(١) في ظ : ياتوا (٢) في م : كعبة - كذا (٣) الليل الخبز و اللحم المدخل في
الملة . . . و هى الرماد الحار و الجمر . يقال أطعمنا خبزاً مليلاً و خبزة مليلاً ، من
من اشىء في الجمر أدخله فيه - قطر المحيط ٢ : ٨٩ - ٣ : (٤) في ظ : انتهى (٥) الجريب
الزرعة و الوادى و مكيال قدر أربعة أفترة و هو المراهنا ، ج أجرية و جربان ،
و مقدار معلوم من الأرض و هو ما يحصل من ضرب ستين في نفسها (٦) الوية
انثان أو أربعة و عشرون مدًا ، ج ويات .

وقالوا له: اعطنا ماء للشرب، فقال: ما بالكم تضجون وكم تجربون الرب؟
 'واشد' عطش الشعب هناك فتذمروا على موسى وقالوا له: لم أصعدتنا
 من أرض مصر لتقتلنا وأبناءنا ومواشينا بالعطش؟ فصلى موسى أمام
 الرب وقال: ما أصنع بهذا الشعب؟ إنهم كادوا أن يرجوني، فقال الرب
 لموسى: 'جز قدام الشعب وانطلق ببعض أشياخ بني إسرائيل والعصا
 التي ضربت بها البحر قفلته، خذها بيدك وانطلق وها أنا ذا واقفا' بين
 يديك على حجر الظّرّان^٢ بجوريب^١ فاضرب عند ذلك الظران فيخرج الماء
 ويشرب الشعب، فصنع موسى هذا الصنيع بين أشياخ بني إسرائيل،
 فسمى ذلك الموضع التجريب والتذمر^٣، لأن بني إسرائيل تنازعوا
 واصطخبوا^٤ ولأنهم جربوا الله وقالوا: هل الله بينا أم لا؟ ولما كان ١٠
 في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من مصر انتهوا إلى بركة سيناء
 إذ ظعنوا من ريفدين فأتوا بركة سيناء وحل هناك إسرائيل قبالة^٥ الجبل،
 فصعد موسى إلى الجبل^٦ فدعاه الله^٧ من الجبل وقال: هكذا قل^٨ لآل يعقوب:
 قد رأيتم ما صنعت بالمصريين وحملتكم كأنكم على أجنحة النسور وأقبلت
 بكم إلى^٩، فان أتم الآن أطعتم قولي وحفظتم عهدي فأنتم أحب^{١٠} إلى من

(١-١) في ظ: فاشتد (٢) في ظ: وقفا (٣) الظرو والظرة الحجر أو المدور
 المتحد منه أو هو حجر له حدتكد السكين ج ظران وظران (٤) في م: بجوريب.
 (٥) في م: الذمر (٦) صحب الرجل يصحب صحبا صات شديدا، تصاحب القوم
 تصاحبوا وتضاربوا واصطبخت الطير وغيرها اختلطت أصواتها. وفي ظ:
 اصطبخوا - كذا مصحفا (٧) في ظ: قبالتي (٨-٨) في م: فناداه (٩) في م: قال.

جميع شعوب الارض ، فأثنى موسى فدعا بأشياخ الشعب فقص عليهم
جميع هذه الآيات التي أمره بها الرب ، فأجاب الشعب كلهم جميعا وقالوا :
نحن فاعلون جميع ما أمرنا به الرب ، فرد موسى جواب الشعب على الرب
فقال الرب لموسى : ها أنا ذا مناجيك في سحابة مظلة لكي يسمع الشعب كلامي
٥ إذا كلمتك فيقبلوا كلامك و يصدقوك إلى الأبد ، فقال الرب لموسى : انطلق
إلى الشعب و طهرهم اليوم و غدا و ليبيضوا ثيابهم و يرحضوها^١ و ليستعدوا
في اليوم الثالث فنادى الشعب و تقدم إليهم و قل لهم : احذروا أن
تصعدوا إلى الجبل و لا تقربوا إلى حافته ، و من دنا من الجبل فليقتل
و لا تصييه أيدي الناس بل يرحم رجما و يقذف به إلى أسفل به^٢ بهيمة
١٠ كان أو إنسانا ، فاذا صممت أصوات القرون فأتم في حل من الصعود إلى
الجبل ؛ فبط^٣ موسى من الجبل إلى الشعب فطهر الشعب و يبيضوا ثيابهم ،
و قال موسى للشعب : كونوا مستعدين في اليوم الثالث ، لا تقتربن إلى امرأة ،
فلما كان في اليوم الثالث باكروا غلسا ، فاذا هم بأصوات قرون و بروق
و إذا هم أيضا بسحابة عظيمة قد حلت على الجبل ، فاشتد صوت القرن
١٥ جدا و اشتد فزع من كان في العسكر ، و أخرج موسى الشعب إلى لقاء
الرب من العسكر فقاموا في حافات الجبل و كان جبل سيناء يخرج منه
الغبار و الدخان ، لأن الرب هبط عليه بالنار و ارتفع غباره كغبار
الآتون و تزلزل الجبل زلزلة شديدة و اشتد صوت القرن ، و دعا الرب

(١) رَحَضَ الثوبَ يَرْحُضُهُ رَحَضًا غَسَّه ، اِرْحَضِ الثوبَ غَسْلَهُ . و في م :
يرخصوها (٢) ليس في ظ و م (٣) بهامش الأصل و ظ « و اذا اتينا موسى الكتب » .

موسى إلى رأس الجبل ، فصعد موسى و قال له ^١ الرب : انزل فأنتد
 بنى إسرائيل و أنذرهم أن لا يتزحزحوا ^٢ عند النظر بين يدى الرب فيهلك
 منهم كثير ، و كان جميع الشعب يسمعون الأصوات و يرون المصاييح
 و يسمعون أصوات القرون و يرون الدخان يخرج من الجبل . فرأى ذلك
 الشعب قهزعا و وقفوا من بعيد و قالوا لموسى : كلنا أنت حتى نسمع ه
 و لا يكلمنا الله لكيلا نموت ، فقال موسى : لاخوف عليكم ، لأن الله إنما
 كلمكم ليمتحنكم و يجربكم لكي تخافوه و ترهبوه و لا تخطئوا و لا تأثموا ، فوقف
 الشعب من بعيد و دنا موسى من الضباب التى اعتلن الله فيها ، و قال الرب
 لموسى : هكذا قل لآل إسرائيل : قد رأيتم و علمتم أنى ^٣ كلمتكم من
 السماء ، لا تتخذوا معى آلهة من ذهب و لا / تعملوا لكم آلهة من فضة ، ١٠ / ٨٤
 ثم قال : ها أنا ذا مرسل إليك الملك بين يديك ليحفظك فى سفرك
 و يوردك البلد الذى أنقنت - و فى نسخة : الذى هياته - فاحذره و اسمع
 منه ، لأن اسمى حال عليه ، فان ^٤ أنت قبلت قوله و أطعت أمره و عملت
 بكل ما يأمرك به أبغض مبغضيك و يسير ملكى أمامك فيدخلك على
 الامورانيين - و ذكر بعدهم خمس فرق - فأقتلهم و أيدهم و أرسل الرعب ١٥
 و الخوف و الجزع بين يديك و أيدهم جميع الشعوب الذين تسير إليهم
 و لا أيدهم فى سنة واحدة لكي لا تخرب الأرض بل رويدا رويدا حتى
 تعز ^٥ - و فى نسخة : تكثر - فتصير ذا بطش قترت الأرض و اجعل
 (١) ليس فى م (٢) فى ظ : لا يتزحزحوا - كذا (٣) فى م : اى (٤) من ظ ، و فى
 بقية الأصول : التى - كذا (٥) و فى م : التى (٦) فى م : فاذا (٧) فى ظ : تغتر .

تخومك من بحر سوف^١ إلى فلسطين و^٢ من البرية^٣ حتى النهر - وفسره
 في موضع آخر بالفرات - وقال الرب لموسى : اصعد إلى الجبل أنت
 وهارون وناذاب و آييهوا^٤ وسبعون^٥ رجلا من أشياخ بنى إسرائيل
 ويسجدون من بعيد ، ويقرب^٦ موسى وحده إلى الرب وهم لا يقتربون
 ٥ ولا يصعد الشعب معه^٧ . فجاء موسى وقص على الشعب جميع عهود
 الرب وجميع أحكامه ، فنادى الشعب كلهم بصوت عال وقالوا : نحن
 نفعل ما أمرنا الرب ، وكتب موسى جميع كلام الرب ، وغدا باكرا
 فبنى مذبحا في حافة الجبل ونصب اثنتي عشرة نضبة لأسباط بنى إسرائيل -
 ثم ذكر ذبائح وقرايين وغير ذلك ثم قال : ثم أخذ سفر العهد قتلاه^٨
 ١٠ على الشعب ، فقالوا : نحن سامعون فاعلون ما أمرنا به الرب ، فتناول موسى
 ذلك الدم - يعنى دم القربان - فرشه على الشعب^٩ وقال : هذا دم العهد
 الذى عاهدكم فى جميع هذه الآقاويل ، وصعد موسى ومن ذكر معه
 ثم تركهم فى مكان من الجبل ثم قال لهم : امكثوا ههنا ، فصعد موسى
 إلى الجبل وتغشا^{١٠} السحاب وحل مجد الله على جبل سيناء وستره^{١١}
 ١٥ السحاب ستة أيام ، ودعا الرب موسى فى اليوم السابع من^{١٢} جوف
 السحاب ونظر إلى مجد الرب مثل نار توقد^{١٣} فى رأس الجبل أمام جميع
 (١) فى ظ : سوفك . وزيد بعده فى الأصول : و (٢) ليس فى م ومد (٣) زيد
 بعده فى الأصول : و (٤) فى مد : ايهو (٥) فى م : سبعين (٦) من م ومد و
 ظ ، وفى الأصل : وتقرب (٧) زيد بعده فى م : احد (٨) فى ظ : ثم تلاه .
 (٩-١٠) ليست هذه العبارة فى ظ (١٠) فى ظ : يغشا (١١) فى ظ : سترة (١٢) فى
 ظ : فى (١٣) فى ظ : يتوقد .

بنى إسرائيل ، فدخل موسى في جوف السحاب وصعد إلى الجبل فكث
 موسى في الجبل ' أربعين يوما نهارا و ' أربعين ليلة ' ، وكلم الرب موسى
 وقال له : قل لبني إسرائيل : فليخصوا لى تزكية أموالهم ، وخذ ذلك
 من كل رجل بلغ أشده - ثم ذكر الأموال التى تزكى إلى أن قال :
 ويتخذون لى مظهرها حتى أحل ٣ بينهم كل شىء أريكه شبه القبة وجميع ٥
 متاعها كذلك فليصنعه ٤ - ثم قال : واعمل على المثال الذى أريكه فى
 الجبل وليتخذوا ٥ تابوتا من خشب الشمشاد ٦ طوله ذراعان ونصف
 وسمكه ذراع ونصف ، وصقحه بصفائح الذهب الإبريز من داخله
 ومن خارجه ، واتخذ له طوقا من ذهب يحيط به ، وضع له أربع
 حلقات من ذهب وسمرها فى أربع زوايا التابوت حلقتين فى شق واحد ١٠
 وحلقتين فى الجانب الآخر ، واتخذ أصدارا ٧ من خشب الشمشاد ٨
 وصفحها بالذهب ، وصير الأصدار ٧ فى الحلق فى جانبي التابوت ليحل
 بها ، وليكن الأصدار ٧ فى حلق التابوت ولا ينزع منها ، وتضع الشهادة
 التى أعطيك فى التابوت ، وسمى هذا تابوت الشهادة ٩ ، واتخذ كرويين أى
 شخصين من ذهب اتخذهما مفرعين ٩ مصبوبين فيكونا على جانبي التطهير ١٥

(١-١) ليست فى م (٢) بهامش الأصل وظ « أربعين ليلة » (٣) فى الأصل :
 أحل (٤) فى م : فليصنعه ، وفى مد : فليصنوه (٥) فى الأصول كلها : يتخذوا .
 (٦) فى النسخ كلها : الشمار كذا (٧) صطره صطرا و صطرا بمعنى سطره
 بالسين (٨) فى م : السادة (٩) فى وم فقط : مفرعين .

وتكون أجنحة الكرويين مبسوطة^١ تظل من فوق فتظل بأكتافها^٢ على
التطهير ، وليكن وجه كل واحد منها إزاء صاحبه وليكن وجهها
الكرويين من فوق التطهير ؛ وقال : واتخذوا^٣ دارا للعبة من مهب الجنوب
واستمر يصف له عمل هذه القبة وأعمدها وستورها وآلاتها وخدمها
٥ وما يقرب فيها ومحل ضربها من العسكر وعلى أى كيفية فى نحو خمس
عشرة ورقة وسماها قبة الزمان ، ثم أمره تعالى فى آخر هذا السفر الثانى
بأشياء مما يتصل بامتعتها وسرادقاتها وغير ذلك فى أزيد من عشر ورقات
كما سيأتى ؛ وقال فى تضاعيف ذلك : وتصير الشهادة التى أعطيك فى
التابوت وأواعدك إلى هنالك وأكلمك فوق التطهير من بين الكرويين
١٠ الذين فوق تابوت الشهادة بجميع ما أمرك فى بنى إسرائيل وقال : ويتخذوا
هذا القربان دائما فى كل حين فى أحقابكم على باب قبة الزمان قدام الرب .
وأواعدكم إلى هناك لأكلكم وأواعد بنى إسرائيل إلى هناك فأقدس
بكرامتى وأحل بين بنى إسرائيل فيعملون أنى أنا الرب إلههم الذى
أخرجهم من أرض مصر ، ثم قال^٤ : فليؤد المرء منهم الزكاة عن نفسه
١٥ إذا عددتهم لكيلا ينزل بهم الوباء ، ثم ذكر له تفاصيل ما يودى
وأن الزكاة على الغنى والمسكين ، وكلم الرب موسى وقال له : اعلم
أنى قد اتخبت بصليال بن أورى بن حور من سبط يهودا وأسبغت عليه
روح الله وملائته من الحكمة والعلم فى كل علم ليعلم الصناعات فى
(١) فى م : مبسوطين (٢) فى م : بأكتافها (٣) فى م : اتخذوا (٤) ليس فى ظ .
(٥) فى م : على .

عمل^١ آنية الذهب والفضة والنحاس وفي رندجة^٢ الحجارة ونظمها
 وكألها وفي تجارة الخشب ليحل كل عمل^٣ وقد ضمت إليه ألسهب^٤
 ابن اخسمخ^٥ من سبط دان^٦ وأحلت الحكمة والفهم في قلوب ذوى
 الحكمة والعقل ليعملوا جميع ما أمرتك به من عمل قبة^٧ الأمد وتابوت
 الشهادة والتطهير الذى فوقها وجميع متاع قبة المائدة وجميع متاعها^٨
 والمنارة وجميع آنيها ومذبح البخور^٩ ومذبح القرايين وجميع آنيها^{١٠}
 والسطل وأسفله ولباس التضائد ولباس القدس لهارون الكاهن
 يعنى الإمام وكسوة بنيه ليكهنوا ودهن المسح^{١١} وبخور الطيب
 للقدس فليعملوا جميع ما أمرتك به - إلى أن قال: ودفع إلى موسى:
 لما^{١٢} فرغ من كلامه له فى طور سيناء لوحى الشهادة لوحى حجارة مكتوب^{١٣}
 عليهما يد الله، فرأى الشعب أن موسى قد أبطأ عن النزول من الجبل
 فاجتمع الشعب يعنى وقالوا: تتخذ لنا آلهة تسير أمامنا، لأن الرجل موسى
 الذى أخرجنا من أرض مصر لا علم لنا ما صار من أمره - فذكر اتخاذهم
 العجل^{١٤} وأنهم ذبحوا له الذبائح وجلسوا^{١٥} يأكلون ويشربون وقاموا
 يلعبون ويتسافهون وأن هارون عليه السلام دُعر من ذلك وفزع^{١٦} ٥١

(١) فى م: علم (٢) رديج رديجنا بمعنى درج درجنا - تظر المحيط .
 ومعنى رندجة الطى والداخل (٣) فى ظ: اخسمخ (٤) فى مد: داني (٥) فى
 م: فيه (٦) كتب فوقها فى الأصل و بهامش ظ: أى البكور (٧) فى مد:
 آنيها (٨) زيد فى م: أن (٩) بهامش الأصل « اتخذتم العجل » (١٠) زيد
 فى ظ: له .

و إنما لم أُسْقِ نص التوراة عن هذا بلفظه لأن في أول عبارته ما رأيته
غضا بالنسبة إلى مقام هارون عليه السلام و حاشاه عما يوم تقصا فجوزت
أن يكون مما بدلوه ثم تأملت ما رواه النسائي و أبو يعلى و ابن أبي حاتم
و ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما في 'حديث الفتون' فوجدته
ليس بعيدا من تأويله و قد ذكرت محل الحاجة منه في سورة طه و الله
الموفق؛ ثم قال فقال الرب لموسى: اهبط من ههنا لأن شعبك^٢ الذين
أخرجتهم من أرض مصر أفسدوا سيرتهم و صدوا و شيكا عن الطريق
الذى أمرتهم أن يسلكوه فاتخذوا لهم عجلا مفترغا^٣ و سجدوا له بين
يديه و ذبحوا له الذبائح و قالوا: هذا الهك يا إسرائيل الذى أخرجك
١٠ من أرض مصر، و قال الرب لموسى: إني قد رأيت هذا الشعب قاسية
قلوبهم فدعنى الآن فيشتد غضبي عليهم فأقتلهم و أيدهم و أصيرك إلى
شعب عظيم، فصلى موسى بين يدي الإله^٤ و قال: كلا يا رب! لا يشتد
غضبك على شعبك الذين^٥ أخرجتهم من مصر بقوتك المنية و بذراعتك
العلية الرفيعة و لا يقول أهل مصر: إنك إنما أخرجتهم لهلاكهم لتقتلهم
١٥ بين الجبال و تستأصل شأفتهم^٦ و تبديد خضراءهم عن جديد الأرض يا رب
ليسكن غضبك و رجزك و اغفر ذنب شعبك اذكر إبراهيم و إسحاق
و يعقوب عبيدك و الايمان التى أقسمت بها لهم و قلت: إني مكثرتنسلكم
(١) في م: من (٢) كذا، و الظاهر: القتن (٣) في م: قومك (٤) في ظ و م:
مفرغا، و في مد: مفرغا (٥) في م: الهه (٦) في م: الذى (٧) في ظ و م:
شاءفهم.

مثل نجوم السماء وجميع الأرض التي وعدت بها نسلهم أن تعطيهما
فيرثوها إلى الأبد ؛ فعفا^١ الرب عن شعبه ولم ينزل بهم الشر ، فزل
موسى وهبط من الجبل و آوْحا الشهادة في يده لآوْحان كتب عليهما
في الوجهين^٢ جميعا واللوْحان^٣ من عمل الله جل ثناؤه وخط الله مكتوب
عليهما ، فلما دنا^٤ من العسكر نظر العجل والصنوج فاشتد غضب موسى ه
فرمى باللوحين^٥ من يده^٦ فكسرها في سفح الجبل ، ثم أخذ العجل
الذى اتخذوه فأحرقه بالنار وسحله بالمبرد حتى صيره مثل التراب وثر
سحاله على وجه الماء ، فوقف موسى على باب قبة الزمان وقال : من
كان من حزب الله فليقبل إلى^٧ ، فأنحاز إليه بنو لاوى^٨ بأجمعهم فقال لهم
موسى : هكذا يقول الرب إليه إسرائيل ليتقلد المرء منكم سيفه وجوزوا^٩
من باب إلى باب وجولوا العسكر وليقتل المرء منكم أخاه وصاحبه
وقرابه ، فصنع بنو لاوى^{١٠} كما أمرهم موسى ، فقتل^{١١} من الشعب في ذلك
اليوم نحو من ثلاثة آلاف رجل فقال لهم موسى : كفوا أيديكم يومكم
هذا من الحمية للرب لتحل عليكم البركة يومنا هذا ، فلما كان الغد من ذلك
اليوم قال موسى للشعب : أتم خطتكم وارتكبتم هذه الخطيئة العظيمة ا
فأما الآن فاني أصعد إلى الرب لعله أن يغفر لكم ذنوبكم وإنيكم ، فرجع

(١) بهامش الأصل و ظ : « ثم عفونا عنكم » (٢) في مد : وجهان (٣) في ظ :
اللون (٤) زيد في ظ : هو (٥) زيد في م و مد : موسى (٦-٧) ليست
في م (٧) العبارة ساقطة من هنا إلى « بنو لاوى » الآتي من ظ (٨) في
الأصل : جوزا (٩) بهامش الأصل : « فاقتلوا انفسكم » .

موسى إلى الرب وقال: أطلب إليك بالتضرع^(١) اللهم ربى حقا لقد أخطأ
 هذا الشعب وارتكب إثما عظيما واتخذوا آلهة من ذهب، فالآن إن
 أنت غفرت خطاياهم وإلا فأخنى من سفرك الذى كتبت، فقال الرب:
 أنا^٢ أمحو من سفرى من أخطأ و أذنب، فأما الآن فانطلق بهذا الشعب
 ٥ إلى الموضع الذى أقول لك وهذا ملاكى ينطلق أمامك إلى الأرض
 التى تغل السمن و العسل، لأنى لا^٣ أصعد معكم، لأنهم شعب قاسية
 رقابهم^٤ ولعل غضبى أن يشتد عليهم فأقتلهم فى الطريق، فسمع الشعب
 هذا القول الفظيع فحزنوا، فلم يتسلح المرء منهم بسلاحه، فأخذ موسى
 خيمته فصبها خارجا من العسكر وأبعدها من المحلة وسماها قبة الزمان،
 ١٠ وكان من سأل الرب أمرا يخرج إلى قبة الزمان، وكان إذا خرج موسى
 إلى قبة الزمان كان جميع الشعب يقفون ويستعد كل امرئ منهم على
 باب خيمته ينظرون إلى موسى من خلفه حتى يدخل إلى القبة، وإذا
 دخل موسى إلى القبة كان ينزل عمود السحاب فيقف على باب القبة
 ٥ ويكلم موسى، وكان جميع الشعب ينظرون إلى عمود السحاب واقفا
 ١٥ على باب القبة^٥ وكان يقف جميع الشعب ويصلى كل امرئ منهم على
 باب خيمته، وكلم الرب موسى مواجهة كما يكلم المرء أخاه وصاحبه،
 وكان يرجع إلى العسكر وكان خادمه يشوع بن نون الغلام لم يكن

(١) فى ظ و م: التضرع (٢) فى م: أما، وهو المناسب هنا (٣) ليس فى م وظ .

(٤) كذا و اعله: قلوبهم، وقد مر قبل، وزيد بعده فى م: قلوبهم، ولكن

ضرب عليه (هـ - هـ) ليست فى م .

يفارق القبة ، وقال موسى للرب : أنت يارب أمرتني أن أصعد بهذا
الشعب ولم تطلعنني على من ترسل معي و قلت : إني قد اطلعتك على جميع
خلاتي و مجدي و ظفرت أيضا مني برحمة و رأفة ، فالآن إن كنت قد
ظفرت منك برحمة و رأفة فأرني طريقك حتى أعرفك ، فقال الرب
لموسى : سر أمامي فأواعدك و أريحك ، فقال له : إن أنت لم تصعد ه
يننا فلا تصعدنا من ههنا ، فيما ذا يعرف أنى قد ظفرت منك برحمة و رأفة
أنا و شعبك إلا إذا سرت يننا فتكون أنا و شعبك منفصلين معروفين من
جميع الشعوب الذين على / وجه الأرض ، فقال الرب لموسى : إني فاعل
ما سألت ، لأنك ظفرت مني برحمة و رأفة ، و أصير اسمك معروفا شهيرا
إلى الأبد ، فقال له : أرني مجدك ، فقال : أنا أجيز جميع مجدى و كرامتى ١٠
بين يديك و يذكر اسم الرب أمامك و أتحنن على من أردت التحنن
عليه و أرحم من أردت أرحم ، وقال : إنك لا تقدر على النظر إلى
وجهي ، لأنه لا يرانى بشرى فيحيى ، وقال الرب لموسى : انقر لوحى
حجارة مثل اللوحين الأولين اللذين كسرتهما و كن مستعدا بالغداة و اصعد
باكرا إلى الجبل جبل سيناء وقف هنالك على رأس الجبل ، ٣ و لا يصعدن ١٥
أحد معك ، و لا يرى أحد فى جميع الجبل ٣ ، و لا ترتعى الغنم و البقر قبالة
ذلك الجبل ، فنقر موسى لوحين آخرين من حجارة مثل الأولين و غدا
باكرا فصعد إلى طور سيناء كما أمره الرب و أخذ اللوحين فى يده فزل
(١) زيد فى مد : له (٢) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : الذين (٣-٣) ليست
فى م .

استعلان الرب أمامه ، فقال موسى : يا رب ! اللهم ربى الرؤف الرحيم
الطويل الأناة ' والمهل الكبير ' نعمته وقسطه حافظ النعمة والعدل إلى
ألف حقب و تغفر الذنوب والإثم والخطايا ، فاستعجل موسى نحر على
وجهه على الأرض ساجدا وقال : إن ظفرت يا رب منك برحمة
ه و رأفة فليسلك الرب الآن بيننا . لأن هذا الشعب هو شعب قاسية
رقابهم ، واغفر ذنوبنا و خطايانا و خبث نياتنا ؛ فقال له : ها أنا ذا
أعهد عهدا أمام جميع الشعب و أظهر عجائب لم أظهر مثلها فى الأرض
كلها و فى جميع الشعوب فىرى ذلك جميع هذا الشعب الذى أنت فيه
فعل الرب الذى أمرك به أنه مخوف مرهوب ، احتفظ بما أمرك به فى
١٠ هذا اليوم ، ها أناذا أقبل و أيد من بين يديك من الكنعانيين - و سعى
من تقدم ، وكرر النهى عن السجود لغيره سبحانه ، وأوصى بأشياء
منها الفطير فقال : واحتفظ بعيد الفطير سبعة أيام كما أمرتك فى
أوان شهر الفقاج ٣ - وفى نسخة : الفريك - لأنك إنما خرجت من مصر فى
شهر الفقاج ٣ ، ثم قال : فكث هناك عند الرب أربعين يوما و لياليها
١٥ لم يأكل طعاما ولم يشرب شرابا ، و كتب الله على لوحى الحجارة كلام
العهد* و هو العشر الآيات ، فلما هبط موسى من جبل سيناء كان لوحا الشهادة
فى يده ولم يعلم موسى أن بشرة وجهه قد جللت بالبهاء إذ كله الله
فنظر هارون و جميع بنى إسرائيل إلى وجه موسى فقزعوا أن يقتربوا
(١) ليس فى مد (٢) فى ظ وم ومد : الكثير (٣) فى ظ : القحاح (٤) فى هامش
الأصل وظ : « أربعين ليلة » (٥) فى م : كلام العبد .

إليه، فدعاهم فأتاه هارون وجميع عظماء الجماعة وكلمهم موسى، فلما فرغ من كلامه لهم^١ بسط على وجهه جلبابا وكان إذا دخل إلى الرب ليكلمه يسفر عن وجهه حتى يخرج، وكان يخرج فيأمر بني إسرائيل بما يؤمر به، وقال لهم: إن الرب أمر أن تعمل عملك ستة أيام واليوم السابع يكون مخصوصا مقدسا، السبت يوم راحة قدس^٥ الرب، ومن عمل فيه عملا فليقتل، ولا تشعلوا^٦ النار في جميع مساكنكم يوم السبت، ثم أمرهم تعالى بالزكاة من الذهب والفضة والنحاس والقر والجلود وغير ذلك وبأشياء يزيدونها في قبة الزمان في^٢ أكثر من عشر ورقات، وقال في آخر ذلك^٣: وقال الرب لموسى: انصب قبة الزمان في أول يوم من الشهر الأول؛ وصير تابوت الشهادة هنالك، وأسبل^{١٠} الجلال على التابوت - إلى أن قال: وادن بهارون وبنه إلى باب قبة الأمد واغسلهم^٤ بالماء، وألبس هارون لباس القدس وامسحه فليكن لي، وادن بنه وألبسهم السراويل وامسحهم كما مسحت هارون أخاك فليكنوا لي، وليكن لهم مسحهم للكهنة إلى الأبد لأحقابهم، فصنع موسى كما أمره الله، فلما كان أول يوم من الشهر الأول من^{١٥} السنة الثانية نصب القبة يوم الأحد وضرب أوتادها وركب ألواحها

(١) ليس في ظ (٢) في ظ: ولا تشعلوا (٣) ليس في م (٤) من ظ ومد،

وفي الأصل: اغسلهم.

وزرقت^١ عوابرها وركز أعمدها وستر الست^٢ على القبة وجللها من فوقها كما أمر^٣ الرب ، و تناول الشهادة فوضعها في التابوت ، وصير الدهوق^٤ في التابوت ، ووضع التطهير على التابوت من فوق ، وأدخل التابوت إلى^٥ القبة ، وأخذ حجاب وجه الباب فجعل تابوت الشهادة ٥ كما أمر الرب ، ونصب المنارة عند حافات القبة مما يلي مهب الشمال خارجا من الحجاب ، ونضد عليها صفوف الخبز بين يدي الرب كما أمر الرب موسى ، ونصب المنارة إزاء المائدة في حافات القبة مما يلي مهب الجنوب ، ودلوا مصايحها قدام الرب كما أمر الرب موسى ، ونصب مذبح الذهب في قبة الزمان خارجا من الحجاب ، وبخر عليه بخور الطيب كما أمر الرب ، وأسبل الست على باب القبة ، ونصب مذبح ١٠ القرايين على الباب ، وقرب عليه القرايين^٦ كما أمر الرب ، ووضع السطل بين قبة الزمان والمذبح وسكب عليه ماء الغسل ، وكان هارون وبنوه^٧ يغسلون أيديهم وأقدامهم إذا أرادوا الدخول إلى قبة الزمان ، وكانوا إذا دنوا من المذبح يغسلون أيضا كما أمر الرب موسى ، ونصب دارا ١٥ تحيط بالقبة والمذبح ، وأسبل الست على باب الدار ، وكل موسى عملها ؛ وتغشت السحابة قبة الزمان وامتلات القبة مجد الرب وكرامته ، ولم يقدر موسى على الدخول إلى قبة الزمان ، لأن السحاب حلت عليها ،

(١) في ظ : زرقت - بالقاف ، وهو خطأ (٢) في ظ : الستور (٣) في م : امره .

(٤) في مد : الدهون (٥) في ظ : على (٦) زيد في ظ : على الباب (٧) في مد : بنيه .

'وامتلأت القبة مجد الرب وكرامته' . فكان إذا ارتفع السحاب عن
 القبة كان بنو إسرائيل يظعنون في جميع مظاعنهم ، وإن لم ترتفع الغمامة
 لم يظعنوا إلى اليوم الذي ترتفع فيه ، لأن سحاب الرب كان يغشى القبة بالنهار
 وكانت النار تضيء عليها بالليل وتزهر وتير / أمام جميع بني إسرائيل في
 جميع مظاعنهم ٥٣ . وقال في أول السفر الرابع : أمر الله بإحصاء بني إسرائيل ٥
 فكانوا من أبناء عشرين سنة إلى ما فوقها ، من خرج منهم للحرب في الأجناد
 ستمائة ألف و ثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين دون سبط لاوى ، فانهم لحفظ
 قبة الزمان و خدمتها ، و تكون منازلهم حولها محدة بها ، وهم من ابن شهر
 إلى ما فوقه اثنان وعشرون ألفاً ؛ ثم قال : وكلم الرب موسى وقال له :
 إذا أتى على الرجل من اللاويين خمسة وعشرون^٢ سنة يتقوى على أن يعمل ١٠
 العمل في قبة الزمان ، فإذا أتت عليه خمسون سنة يخرج من العمل ولا يعمل
 عملاً في قبة الآمد ، وكان ينزل بنو إسرائيل حول بني لاوى بأزال الله
 تعالى لهم ، كل له محل من القبة على الاستدارة ، وكان ينزل من مشارقتها
 موسى و هارون و بنوه ليحفظوا حفاظ القدس و القرايين على بني إسرائيل
 و من دنا من قبة الزمان وأعمالها من الغرباء يؤمر بقتله ، فقد علم من ١٥
 هذا وما قبله من أن كلا يصلى على باب خيمته أن قبلتهم^٣ وهم في
 التيه قبة الزمان ، و في اليوم الذي نصب فيه الخباء أى في قبة الزمان
 تغشت سحابة من عند الرب قبة الزمان و حجاب باب الشهادة و كانوا يرون
 (١-١) كذا في الأصول كلها ، ولعلها مكررة و زيد بعدها في ظ : و لم يقدر
 موسى (٢) في ظ : يرتفع (٣) في م : مظانهم - كذا (٤) من م و مد و ظ ، و في
 الأصل : عشرين (٥) في م : قبلهم .

' في الحباء عند المساء نارا تنوقد إلى الصباح ، كذلك كان يكون ' في الحباء^٢
 دائما وكانت تغشاه سحابة بالنهار و تُرى فيه نار بالليل ، فاذا ارتفعت
 السحابة^٣ عن القبة ارتحل بنو إسرائيل من مواضعهم و حيث ما نزلت
 السحابة^٣ هناك كان ينزل بنو إسرائيل ، وإنما كان ارتحال بنو إسرائيل
 ٥ عن قول الرب وبأمره ، فرما مكثت السحابة على القبة من المساء حتى
 الصباح وترتفع^٤ بعد الصبح فيرتحلون ، وربما مكثت الليل والنهار وربما
 مكثت أياما وأشهرا وربما مكثت سنة^٥ ، وكلم الرب موسى وقال له :
 اتخذ قرنين من فضة يكونان عند حضور الجماعة و ارتحال العسكر يهتف بهما
 الكهنة ، فتحشد إليك جماعة بنو إسرائيل أجمعون إلى باب قبة الزمان ،
 ١٠ وإن نفخ في واحد اجتمع إليك القواد و^٦ رؤساء الألوف ؛ ولما كان
 في السنة الثانية في عشر خلون من الشهر الثاني ارتفعت السحابة عن قبة
 الشهادة ، و ارتحل بنو إسرائيل من بركة سيناء . ونزلت السحابة في قفر
 فاران ؛ ثم قال : و ارتحلوا من عند جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام ، فأما
 تابوت عهد الرب فظعن قبلهم مسيرة يوم ابهي منزلا ، وكانت تظلمهم
 ١٥ سحابة من قبل الرب إذا ارتحلوا لئلا تؤذيهم حرارة الشمس^٧ ، فلما ارتحل

(١ - ١) ليست في ظ ، وفي م : الماء - مكان : المساء (٢) من م ومد وظ ، وفي
 الأصل : الحباء - كذا (٣ - ٣) ليست في ظ (٤) في م : المساء (٥) في ظ : يرتفع .
 (٦ - ٦) موضعها في ظ : وربما مكثت السحابة على القبة من المساء حتى الصباح
 وترتفع بعد الصبح فيرتحلون - مكورة (٧) ليس في م (٨) بهامش الأصل
 وظ : « وظللنا عليهم الغمام » .

حاملو التابوت قال موسى : انهض إلينا يا رب لينكسر شاتك^١ ويبيد
 أعدائك من بين يديك ، وإذا نزل حملة التابوت قال : أقبل يا رب
 إلى ألوف بني إسرائيل ، فتدمر^٢ الشعب وساء الرب ذلك وغضب وسمع
 توشوشهم^٣ فاشتد غضبه عليهم واشتعلت^٤ فيهم نار من قبل الرب ،
 فأحرقت الذي في أطراف العسكر و حوله ، وضج الشعب على موسى ه
 "فصلي موسى" أمام الرب وخمدت النار ، ودعا اسم ذلك الموضع الاحتراق ،
 لأن نار الرب اشتعلت فيهم وأحرقتهم هناك ، واشتهى الخلط الذين
 كانوا فيهم من الشعوب شهوة وأقبلوا على بني إسرائيل وقالوا : ليت
 أنا وجدنا من يطعمنا لحما ! ذكرنا السمك الذي كنا نأكله بمصر وأكلنا
 القثاء و البطيخ و السكرات و البصل و الثوم و الآن أنفسنا قرمة^٦ - أي ١٠
 يابسة - لا تقدر على شيء نأكله^٧ ما^٨ خلا هذا المن الذي قدام أعيننا ،
 وسمع موسى الشعب سيكون في قبائلهم ، كل إنسان على باب خيمته ،
 واشتد غضب الرب ، وشق ذلك على موسى أيضا ؛ ثم قال من أين
 أقدر أعطى هذه الأمة كلها لحما ؟ إنها تبكي عليّ و تقول : أعطنا

(١) في ظ : شاتيك (٢) من م ومد وظ ، وفي الأصل : فتدمر - بالبدال المهمة .
 (٣) في ظ : توشوشهم (٤) في ظ : اشتعل (ه - ه) ليست في م (٦) كذا في
 الأصول كلها ، وفي قطر المحيط ١/٢٠٩٩ : قرم الرجل الى اللحم يقرم قرما اشتدت
 شهوته له ، وكثر حتى قيل فرمت إلى لقائك إذا اشتقت إليه ، فتفسير المصنف :
 يابسة ، محل تأمل ، لعلها : شائعة ، أو : يائسة ، كما تدل عليه العبارة التالية .
 (٧) في م وظ : نأكله (٨) ليست في ظ .

لحما^١، لست أقدر أحتمل^٢ هذه الأمة كلها وحدى، لأنها أقوى منى،
 إن كان فعلك هذا بى فاقتلنى قتلا^٣ إن^٤ وافيت منك رحمة ولا أعين
 شرا ولا أرى سوء، فقال الرب لموسى: اجمع سبعين شيخا من أشياخ
 بنى إسرائيل الذين^٥ تعلم أنهم رؤساء الشعب وكتّابه وانطلق بهم إلى قبة
 ٥ الزمان فأنزل إليك^٦ وأكلمك هناك وأقص من عطية الروح التى
 عليك وأصيره عليهم ليحملوا أثقل هذا الشعب ولا يتركوك وحدك^٧،
 ثم قال موسى^٨ للشعب: تهيئوا غدا لتأكلوا لحما، لأنكم بكيتم أمام^٩
 الرب^{١٠} وقلت^{١١}: ليت من يطعمنا لحما! وإن الموت بأرض مصر خير
 لنا، فسيعطيك الرب لحما وليس إنما تأكلون منه يوما أو يومين بل تأكلون
 ١٠ منه شهرا حتى يخرج من أنوفكم وتصيكم منه نخمة، وجمع سبعين
 شيخا^{١٢} من مشايخ الشعب وأقامهم حول الخباء، ونزل الرب سبحانه
 وكله وأخذ من الروح الذى عليه وصيره على السبعين، ودخل موسى
 العسكر هو وأشياخ بنى إسرائيل، وهبت ريح من قبل الرب وأصعدت
 السلوى من البحور وألقته على العسكر^{١٣} ومسيرة يوم يمته ويسرة حول

(١) بهامش الأصل و ظ : « لن نصبر على طعام واحد » (٢) فى م : احمل .
 (٣) ليس فى ظ (٤) فى ظ : الذى (٥) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : لموسى .
 (٦) فى ظ : امانف - كذا (٧-٧) ليست فى ظ (٨) بهامش الأصل و ظ
 « سبعين رجلا » وزيد بعده فى ظ « ليقاتنا » (٩) كذا فى الأصول كلها ،
 و اعلمها مقحمة .

العسكر و كان مرتفعاً من الأرض نحو ذراعين، و جمعوا و نشروا حول
العسكر ليكون لهم قديداً، فبينا اللحم بين أسنانهم قبل أن ينقطع اشتد
غضب الرب عليهم و ضرب الشعب ضربة عظيمة جداً و دعا اسم ذلك
الموضع قبور الشهوة، و ارتحل الشعب من قبور الشهوة فأتوا حصروث^١
و نزلوها، و ذكر أنهم مكثوا هنالك سبعة أيام ثم قال: ثم ارتحل الشعب هـ
من حصروث^٢ و نزلوا مفازة فاران و كلم الرب موسى و قال له: أرسل
قوما يُحسبون^٣ الأرض التي أعطى بنى إسرائيل - فذكر إرسال النقباء
الاثني^٤ عشر كما سيأتي / إن شاء الله تعالى في سورة المائدة ثم قال :
و رجعوا إلى موسى بعد أربعين يوماً، فأتوا موسى و هارون و جماعة
بنى إسرائيل إلى بركة فاران إلى رقيم - انتهى شرح ما أشير إليه في هذه ١٠
السورة من قصص بنى إسرائيل من التوراة .

و لما بين سبحانه أنهم لما تغتوا على موسى عليه السلام كما مر و يأتي
عن نصوص التوراة مرة بعد مرة أورثهم كفراً في قلوبهم فردوا على
العصيان و التجرؤ^٥ على مجاوزة الحدود ف ضرب عليهم الذلة و المسكنة

(١) في ظ فقط حصروث - كذا بالناء المثناة (٢) وفي م: مُحسبون، وأحسبه أرضاء
أو أعطاه ما يرضيه وكفاه حتى قال حسبي و تقول أعطى فأحسب أى أكثر -
حسبه يحسبه حسباً وحسباناً وحساباً وحسبة وحسابة عدته - قطر المحيط .
(٣) من م ومد، وفي الأصل: لاثني، وفي ظ: الاثنا (٤) كذا في الأصول كلها،
والظاهر: الاجترأ، أى التشجع، وفي قطر المحيط: جرؤ الرجل يحجره جرأة
وجرة بمحذف الهمزة و جرأة شجع جرأه تجرئاً شجته، واجترأ اجترأه تشجع،
واستجرأ تكلف الشجاعة والإقدام؛ ولم يذكر من باب التفعّل .

و أحلهم الغضب، و كان فى ذلك تحذير لمن طلب سلوك ذلك الصراط
المستقيم من حالهم، و إعلام بأن المتقين المستجاب لهم فى الدعاء بالهداية
ليسوا فى شئ من ذلك بل قالوا: اهدنا، عن يقين و إخلاص متبرئين
من الدعاوى و الاعتراض على الرسل نبه على أن من عمل ضد عملهم
٥ فآمن منهم أو من غيرهم من جميع الملل كان على ضد حالهم عند ربهم
فلا يغضب عليهم بل يوفيهم أجورهم و يورثهم الأمن و السرور المتضمنين
لضد الذلة و المسكنة فقال تعالى: ان الذين آمنوا، أو ' يقال إنه سبحانه
لما علل إهانة بنى إسرائيل بعصيانهم و اعتدائهم كان كأنه قيل: فما لمن
أطاع؟ فأجيب بجواب عام لهم ولغيرهم، أو يقال إنه لما أخبر تعالى
١٠ بأنهم ألزموا الحزى طوق ' الحماسة و كان ذلك ٢ ربما أوهم أنه لا خلاص
لهم منه وإن تابوا ' . كانت عادته سبحانه جارية بأنه إذا ذكر وعدا
أو وعيدا عقبه حكم ضده ليكون الكلام تاما، اعلوا أن باب التوبة
مفتوح و الرب كريم على وجه عام . و قال ' الحزالي: لما أنهى الحق

(١) فى م ومد: و (٢) فى م: طرق (٣) ليس فى م (٤) العبارة من هنا إلى
« تاما » ليست فى م وظ (٥) قال المايمى: ثم أشار إلى أن الإصرار على الكبائر
وإن كان يجر إلى الكفر فالإيمان بالله و اليوم لاخر يمحو كل ما مضى من
ذلك و العمل الصالح يزيل الخوف و الحزن فقال « ان الذين آمنوا » باللسان
دون القلب و إن خادعوا الله و المؤمنين « و الذين هادوا » و إن كثرت قبائحهم
« و النصرى » و إن قالوا بالنهي المسيح « و الصبئين » و إن عبدوا الكواكب
و « من آمن » منهم مخلصا ١/٤٧. و ذكر أبو حيان: و مناسبة هذه الآية لما قبلها =

تعالى نبأ أحوال بني إسرائيل نهايته مما بين أعلى تكرمهم بالخطاب الأول إلى أدنى الغضب عليهم بهذا النبأ الآخر عنهم إعراضاً في مقابلة ذلك الإقبال الأول وكانوا هم أول أهل كتاب أشعر تعالى بهذا الختم أن جميع من بعدهم يكون لهم تبعاً لنحو مما أصابهم من جميع أهل الملل الأربعة - انتهى . فقيل « ان الذين آمنوا ، أى ٣ ادعوا » الإيمان بما دعا ه إليه محمد صلى الله عليه وسلم « و الذين هادوا ، أى ادعوا أنهم على دين موسى عليه السلام » . قال الحرالي : « هو من اليهود و هو رجوع بالباطن »

= أنه لما ذكر الكفرة من أهل الكتاب و ما حل بهم من العقوبة أخبر بما للؤمنين من الأجر العظيم دالاً على أنه يجزى كلا بفعله .

(١) ليس في ظ (٢) في ظ : ما (٣) و الذين آمنوا مناقفوا هذه الأمة أى آمنوا ظاهراً و لهذا قرنهم بمن ذكر بعدهم ثم بين حكم من آمن ظاهراً و باطناً - قاله - فيان الثورى . ثم ذكر أبو حيان الأندلسى في تفسيره المسمى بالبحر المحيط ٢٤١ / ١ سبعة أقوال في المعنى بالذين آمنوا (٤) زيد في م : الى (٥) قال أبو حيان ٢٤١ / ١ : هاد آله منقلبة عن واد و المضارع يهود و معناه تاب ، أو عن ياء و المضارع يهيد إذا تحرك ، و الأولى الأول لقوله تعالى « انا هدنا اليك » ؛ و قرأ الجمهور هادوا بضم الدال ، و قرأ أبو الساك العدوى بفتحها من المهاداة ، قيل أى مال بعضهم إلى بعض . و قال القاضى ثناء الله في التفسير المظهرى ٧٧ / ١ : هادوا أى تهودوا ، يقال هاد إذا دخل في اليهودية ، و يهود إما عربى من هاد بمعنى تاب ، سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل ، أو لقولهم « انا هدنا اليك » و إما معرب يهودا ، سموا بذلك اسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام (٦) في ظ : الباطن .

و ثبات فيه - انتهى . و قال أبو عمر : ابن العلاء لأنهم يهودون أى يتحركون عند 'قراءة التوراة و يقولون : إن السماوات و الأرض تحركتا حين آتى الله عزوجل التوراة لموسى عليه السلام ' و النصرى ، المدعين أنهم تبعوا^٢ المسيح عليه السلام^٣ . قال الحرالى : جمع نصران فان كان هـ من النصره^٤ فهو فملان .

ولما كانت هذه السورة فى استعطاف بنى إسرائيل ترغيبا و ترهيبا قرن هنا بين فريقهم ، و لما كانت ملة الصابئة^٥ جامعة لما تفرق من أصول أديان أهل الشرك تلاهم بهم^٦ مريدا كل مشرك فقال « و الصبئيين »^٧ المنكرين للرسالة فى الصورة البشرية القائلين بالآلئان السماوية و الأصنام

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى ظ : يتبعوا (٣) قال أبو حيان (٢٣٩/١) : و النصرى جمع نصران و نصرانة مثل ندمان و ندمانة . قال سيبويه و أنشد :

وكلناهما خرت و اسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحف

و قال الخليل : واحد النصرارى نصرى كهرى و مهارى ، قيل و هو منسوب إلى نصره قرية نزل بها عيسى ، و قال قتادة : نسبوا إلى ناصرة و هى قرية نزلوها ، فعلى هذا يكون من تغيرات النسب (٤) فى ظ : النصر (٥) فى م : الصابئين (٦) فى م : به (٧) الصابئون قبل الخارجون من دين مشهور إلى غيره من صبوء السن و النجم ، يقال صبأت النجم طلعت و صبأ ثنية الغلام خرجت و صبأت على القوم بمعنى طرأت . قال الحسن و السدى : هم بين اليهود و المجوس ، و قال قتادة و الكلبي : هم بين اليهود و النصرارى يخلقون أو ساط رؤسهم و يجبون مذاكيرهم - البحر المحيط ٢٣٩/١ ، و فيه أقوال العلماء ، من أراد الاطلاع عليها فليراجع إليه .

الأرضية متوسطين إلى رب الأرباب ، قال الحرالي : بالهمز من صباً يصبأ
صباً و بغير همز من صبا يصبو صبوا ، تعاقبت الهمزة و الباء مع الصاد
و الباء لعام معنى هو عود إلى حال صغر بعد كبر - انتهى . و من آمن ،
أى منهم ^٢ بدوامه على الإيمان ^٣ إن كان آمن قبل ذلك ، و دخوله في
الإيمان إن كان كافراً فيكون من الاستعمال في الحقيقة و المجاز ، و باقته ، هـ
أى لذاته ، و اليوم الآخر ، ^٤ الذى الإيمان ^٥ به متضمن للإيمان بجميع
الصفات من العلم و القدرة و غيرهما و حاث على كل خير و صاد عن
كل ضير ، و عمل صالحاً ، أى ^٦ و صدق ما ادعاه من الإيمان باتباع
شرع الرسول الذى فى زمانه فى الأعمال الظاهرة و لم يفرق بين أحد
من الرسل و لا أدخل بشيء من اعتقاد ما جاءت به الكتب من الصلاح . ١٠
قال الحرالي : و هو العمل المراعى من الخلل ، و أصله الإخلاص فى النية
و بلوغ الوسع فى المحاربة بحسب علم العامل و إحكامه ، و قال : و العمل
ما دبر بالعلم - انتهى .

(١) فى ممد : الواو (٢) العبارة من هنا إلى «والمجاز» ليست فى م و ظ (٣) زيد
فى ممد : و (٤) قال البيضاوى (٥٨/١) : من كان منهم فى دينه قبل أن يفسخ مصداقاً
بقلبه بالمبدأ و المعاد عاملاً بمقتضى شرعه ، و قيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيماناً
خالصاً و دخل الإسلام دخولاً صادقاً (٥) زيد فى م : أى (-) زيد فى ظ : منه .
(٦) هو عام فى جميع أفعال الصلاح و أقوالها و أداء الفرائض أو التصديق بمحمد
صلى الله عليه و سلم - أقوال ، الثانى يروى عن ابن عباس - البحر المحيط

١. ولما كان الأفراد أدل على تخصيص كل واحد بما له والجمع أدل على إرادة العموم و أقطع للتعنت أفراداً أولاً و جمع هنا فقال « فلهم اجرهم » الذى وعدوه على تلك الأعمال المشروطة بالإيمان، وهو فى الأصل جعل العامل على عمله، كائناً « عند ربهم » فهو محفوظ لا يخشى عليه نسيان ولا يتوجه إليه تلف « ولا خوف عليهم » من آت يستل على عليهم من جميع الجهات « ولا هم يحزنون » على شئ. فات بل هم فى أعظم السرور بما ٣ لهم من العز والجدة ضد ما للعتدين من الذل والمسكنة، و حسن وضع هذه الآية فى أثناء قصصهم^٥ أنهم كانوا مأمورين بقتل كل ذكر بمن^٦ عداهم، وربما أمروا بقتل النساء أيضاً، فربما ظن ١٠ من ذلك أن من آمن من غيرهم لا يقبل^٧ . قال فى التوراة فى قصة

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى م و ظ (٢) فأفرد الضمير فى « آمن » و « عمل » ثم قال « فلهم اجرهم » بجمع حملا على المعنى، وهذان الحملان لا يتان إلا باعراب من مبتدأ وأما على إعراب من بدلا فليس فيه إلا حمل على اللفظ فقط - البحر المحيط ١ / ٢٤٢ (٣) فى م : وربما (٤) فى م : المجد . (٥) قال أبو حيان : (و مناسبة ختم هذه الآية بها ظاهرة) لأن من استقر أجره عند ربه لا يلحقه حزن على ما مضى ولا خوف على ما يستقبل . قال القشيري : اختلاف الطرق مع اتحاد الأصل لا يمنع من حسن القبول ، فمن صدق الله فى إيمانه وآمن بما أخبر به من حقه و صفاته فاختلف وقوع الاسم غير قادح فى استحقاق الرضوان (٦) فى ظ : بما (٧) فى مد : لا يقتل .

مدین: و قتلوا کل ذکر فیها، ثم قال: و غضب موسى فقال لهم: لما ذا
أبقيتم على الإناث؟ و هن كن عشرة لبنی إسرائيل عن قول بلعام و مشورته -
یعنی بما أفضی إلى الزنا، ثم قال: و قال الرب لموسی: کلم بنی إسرائيل
و قل لهم: أنتم جائزون الأردن لتهلكوا جميع سكان الأرض و نحو
هذا بما لعل بعضه أصرح منه و قد ذکر منه في سورة المائدة، و في هـ
وضعها أيضا في أثناء قصصهم إشارة إلى / تكذيبهم في قولهم: «ليس
علينا في الامین سبیل»^١، و ان المدار في عصمة الدم و المال إنما هو الإيمان
و الاستقامة و ذلك موجود في نص التوراة في غير موضع، و فيها تهديدهم
على المخالفة في ذلك بالدلة و المسكنة، و سیأتی بعض ذلك عند قوله
«لا تعبدون الا الله»^٢، الآية^٣، بل و فيها ما يقتضی المنع^٤ من مال المخالف^٥
في الدين فانه قال في وسط السفر الثاني: و إذا لقيت ثور عدوك^٦ أو حماره
و عليه حمولة فارددها إليه، و إذا رأيت حمار عدوك جائئا تحت حملة فهممت
أن لا توازره فوازره و ساعده، ثم رجع إلى قصصهم على أحسن وجه
فانه لما ذکر تعالى للمؤمنين هذا الجزاء الذي نغم^٧ أمره ترغيبا باهمامه
و نسبته إلى حضرة الرب المحسن بأنواع الترية و أنه لا خوف معه و لا حزن^٨
تلاه بأنهم لم يؤمنوا بعد رؤية ما رأوا من باهر الآيات حتى رفع فوقهم
الطور و علموا^٩ أنه دافعهم إن عصوا، فكان قبوله من أعظم النعم
عليهم، لأن حقه الرد، لانه كالإيمان عند رؤية البأس لا إيمان بالغيب،

(١) في ظ: ما (٢) سورة ٣ آية ٧٥ (٣) ليس في م (٤) سورة ٢ آية ٨٣ .
(٥) في ظ: التمتع (٦) في ظ: ابيك (٧) في ظ: نغم (٨) في م: عملوا .

ثم ذكر أنه لما أفلح عنهم تولوا عن الحضرة الشريفة إلى حضرات الشيطان فأكرموا المعاصي إشارة إلى أنهم أغلظ الناس أكبادا وأكثرهم جرأة وعتادا لا يردون^١ لرغبة ولا يثبتون لرغبة فقال تعالى «واذ^٢ وأخصر^٣ من هذا أن يقال إنه لما قرر سبحانه قوله^٤ للعالم العامل المذعن كائنا من كان تلاه بما لليهود من الجلالة الداعية إلى النفور عن خلال السعادة التي هي ثمرة^٥ للعلم وما^٦ له سبحانه من التطول عليهم باكراههم على ردهم إليه فقال واذا أي اذكروا يا بني إسرائيل اذناخذنا، بما لنا من العظمة «ميثاقكم» بالسمع والطاعة من الوثيقة وهي تثنية العهد تأكيداً كإثباته بالكتاب - قاله الحرالي .

١٠. «ورفعنا» و^٧ لما كان الجبل قد صار فوقهم كالظلة عاما لهم بحيث أنه إذا وقع عليهم لم يفلت منهم إنسان^٨ نزع الجار فقال^٩ «فوقكم الطور»

(١) في ظ و م ومد: فاكثروا (٢) في م: لا يردون (٣) العبارة من هنا إلى «فقال واذا» ليست في ظ (٤) في م ومد: قبوله (٥) ليس في م (٦) في م: بما. وقال المهائمي: ثم أشار إلى أنهم لا يعملون ذلك العمل ما لم يشدد عليهم هذا الميثاق فقال «واذا اخذنا ميثاقكم» أي عهدكم الوثيق يتحمل الأحكام الشاقة من التوراة فأبتم فشددنا عليكم ١ / ٤٧ . وقال أبوحيان: هذا هو الإنعام العاشر لأنه إنما أخذ ميثاقهم لمصلحتهم، والميثاق ما أودعه الله تعالى العقول من الدلائل على وجوده وقدرته وحكمته وصدق أنبيائه ورسله، أو قوله «لا تعبدون إلا الله» ذكر ما بينهما أقوالاً أربعة آخر ١ / ٤٣ (٧) العبارة من هنا إلى «نزع الجار فقال» ليست في ظ (٨) من م ومد، وفي الأصل: انسا (٩) سبب رفعه امتناعهم من دخول =

ترهيباً لكم لتقبلوا الميثاق الذى هو سبب سعادتكم، و'عن ابن عباس رضى الله
عنها أنه كل جبل ينبت، وكل جبل لا ينبت فليس بطور'،^١ وقلنا ٣ لكم
وهو مظل فوقكم 'خذوا ما أنيئكم' من الكتاب للسعادة بطاعتي والتزام
أحكامي الموجبة للكون في حضرتي 'بقوة' 'أى بجد و اجتهاد'، والقوة
باطن القدرة، من القوى وهى طاقات الجبل التى يمتن بها ويؤمن انقطاعه - ه
قاله الحرالى . ' واذكروا ما فيه ' من التمسك به و الانتقال عنه عند مجيء

'الناسخ المنعوت فيه ذكرا يكون' بالقلب فكروا وباللسان ذكرا . ولعلمكم

= الأرض المقدسة أو من السجود أو من أخذ التوراة و التزامها - أقوال ثلاثة،
روى أن موسى لما جاء إلى بنى إسرائيل من عند الله بالألواح فيها التوراة قال لهم:
خذوا و التزموها، فقالوا: لا، إلا أن يكلمنا الله بها كما كلمك، فصعقوا ثم أحيوا
فقال لهم: خذوها، فقالوا: لا، فأمر الله تعالى الملائكة فاقطعت جبلا من جبال
فلسطين طوله فرسخ في مثله وكذلك كان عسكرهم يفعل عليهم مثل الظلة، وأخرج
الله تعالى البحر من ورائهم، وأضرم نارا بين أيديهم فاحتاط بهم غضبه فقبل لهم:
خذوها وعليكم الميثاق أن لا تضعوها ولا تسقط عليكم الجبل وغرقكم البحر وأحرقتمكم
النار، فسجدوا توبة لله وأخذوا التوراة بالميثاق وسجدوا على شق، لأنهم كانوا يرقبون
الجبل خوفا، فلما رحمهم الله قالوا: لا سجدة أفضل من سجدة تقبلها الله و رحم بها،
فأمروا سجدوهم على شق واحد - البحر المحيط ٢٤٣/١ (١ - ١) ليست في
ظ (٢) الطور أصله الناحية ومنه طوار الدار، وقال مجاهد: هو جنس الجبل
بالسريانية (٣) من م ومد و ظ، وفي الأصل: قلت (٤) في ظ: فاقوة، والقوة
الشدة، وهذه المادة قليلة وهى أن تكون العين واللام واوين - قاله أبوحيان .

تتقون هـ^١ أى لتكونوا على رجاء من أن تتقوا موجبات السخط .
 'ولما كان التقدير' : فأخذتم ذلك و أوثقتم العهد به^٢ خوفا من أن يذهبكم^٣
 بالجبل عطف عليه وأشار إلى أنه كان من حقه البعد عن تركه بأداة
 البعد^٤ قوله « ثم توليتكم » 'والتولى' قال الأصفهاني : أصله الإعراض عن
 الشيء بالجسم ، ثم استعمل في الإعراض عن الأمر و الدين - انتهى .
 و هو هنا الإعراض المتكلف بما يفهمه الفعل - قاله الحرالي .^٥ وذلك
 لأن النفوس إذا توطنت على أمر الله فرأت محاسنه فرجعت بذلك إلى
 نحو من الفطر الأولى لم ترجع عنه إلا بمنازعة من الهوى شديدة^٦ .

(١) أى رجاء أن يحصل لكم التقوى بذكر ما فيه ، وقيل معناه لعلمكم فتزعمون
 عما أنتم فيه ، والذي يفهم من سياق الكلام أنهم امتثلوا الأمر و فعلوا مقتضاه ، يدل
 على ذلك « ثم توليتكم من بعد ذلك » فهذا يدل على القبول و الالتزام لما أمر و ا به ،
 و ظاهر هذا الإجلاء ، و المختار عند أهل العلم أن الله تعالى خلق لهم الإيمان و الطاعة
 في قلوبهم وقت السجود حتى كان إيمانهم طوعا لا كرها - البحر المحيط ١/٤٤٤هـ .
 (٢ - ٣) ليست في ظ (٣) العبارة من هنا إلى « عطف عليه » ليست في ظ .
 (٤) في م : نذبتكم (٥) زيد في ظ : في (٦-٧) ليس في ظ ، وفي م : أى التوقى . قال
 أبو حيان : التولى الإعراض بعد الإقبال ، وهذا أوضح و يدل عليه « ثم » والذي
 يفهم من السياق أنهم امتثلوا الأمر و فعلوا مقتضاه ، يدل على ذلك « ثم توليتكم
 من بعد ذلك » فهذا يدل على القبول و الالتزام لما أمر و ا به ، وفي بعض القصص
 أنهم قالوا لما زال الجبل : يا موسى ! سمعنا و أطعنا ، ولولا الجبل ما أطعناك ، و قد
 علم أنهم بعد ما قبلوا التوراة تولوا عنها بأمور خفروها و تركوا العمل بها وقتلوا
 الأنبياء و كفروا بالله و عصوا أمره .

« ولما كان توليهم لم يستغرق زمن البعد أدخل الجار فقال ^١ : من بعد ذلك ، ^٢ أى التأكيد العظيم ^٣ عن ^٤ الوفاء به ^٥ ، فلو لا ، أى فتسبب عن ^٦ توليكم أنه لو لا فضل الله ، ^٧ أى الذى له الجلال والإكرام مستعل ^٨ عليكم ورحمته ^٩ ، بالعفو والتوبة ، والإكرام بالهداية والنصر على الأعداء ^{١٠} ، لكنتم من الخسرين ^{١١} ، بالعقوبة ، تأبد الغضب ، وأيضاً فلما ^{١٢} »

(١ - ١) ليست فى ظ (٢ - ٢) فى مد : الوقاية (٣) زيد فى ظ : ذلك .
(٤) الفضل الإسلام ، و الرحمة القرآن - قاله أبو العالية ، أو الفضل قبول التوبة و الرحمة العفو عن الزلة - من البحر المحيط ١ / ٢٤٤ (٥) الخسران هو النقصان ، ومعناه من المالكين فى الدنيا والآخرة ، ويحتمل أن يكون كان هنا بمعنى صار . قال القشيري : أخذ سبحانه ميثاق المكلفين ولكن قوما أجابوه طوعاً لأنه تعرف إليهم فوجدوه ، وقوما أجابوه كرهاً لأنه ستر عليهم فوجدوه ، ولا حجة أقوى من عيان ما رفع فواتهم من الطور ولكن عدموا نور البصيرة فلم ينفعهم عيان البصر ، قال تعالى « ثم توليتم » أى رجعت إلى العصيان بعد مشاهدتكم الإيمان بالعيان ، ولو لا حكمة بامهاله وحكمه بإفضاله لعاجلكم بالعقوبة ولحل بكم عظيم المصيبة . وقال بعض أهل اللطائف : كانت نفوس بنى إسرائيل من ظلمات عصيانهم تحبط فى عشواء حالكة الجلباب وتحطر من غلوائها وعلوها فى حلقى كبر وإعجاب ، فلما أمروا بأخذ التوراة ورأوا ما فيها من أقال التكليف ثارت نفوسهم الآبية ، فرفع الله عليهم الجبل فوجدوه أثقل مما كلفوه ، فهان عليهم حمل التوراة مع ما فيها من التكليف والنصب إذ ذاك أهون من الهلاك قال الشاعر :

إلى الله يدعى بالبراهين من أبى فإن لم يجب نادته بيض الصوارم

من بحر المحيط ١ / ٢٤٠ .

كان يمكنهم أن يدعوا الإيمان والعمل الصالح عقت^١ تلك بآية الميثاق إشارة إلى أنه ليس المنجى الإيمان في الجملة بل الإيمان بجميع ما أخذ عليهم به الميثاق ، وهو جميع ما آتاهم في التوراة إيماناً مصحوباً بالقوة ، وما آتاهم صفة عيسى ومحمد عليهما السلام والأمر باتباعهما ، فهو بما أخذ عليهم به العهد وقد كفروا به فلم يصح^٢ لهم إيمان ولا عمل ، لأن التفرقة بين ما أتى منه سبحانه زندقه .

ثم جاءت قصة المعتدين في السبت مؤكدة لذلك . إذ كان حاصلها أنهم لما ضيعوا أمراً واحداً من أوامره واستخفوا به وهو تحريم السبت عذبهم بعذاب لم يعذب به أحداً من العالمين فقال : لقد^٣ وأقرب من ذلك أن يقال إنه سبحانه لما ذكرهم بنعمة العفو الحافظ لهم من الخسران قرعهم بحلقة أخرى لهم خذل بها فريقاً منهم حتى غلبهم الخسران^٤ فما ضرروا^٥ إلا أنفسهم مقسماً على أنهم بها عالمون ولها مستحضرون فقال تعالى^٦ عاطفاً على ما تقديره : لقد علمتم جميع ذلك من عبودنا وما ذكرنا من الإيفاء بمن نقض^٧ من شديد وعيدنا ومن التهديد على ذلك بضرب الذلة وما تبعها من أنواع النكال^٨ وقد^٩ أي وعزى لقد^{١٠} علمتم الذين اعتدوا ، أى تعمّدوا العدوان^{١١} منكم في السبت^{١٢} بأن^{١٣} استحلوه ، أصل السبت القطع للعمل وبحوه^{١٤} فقلنا^{١٥} أى فتسبب عن اعتدائهم أن قلنا^{١٦} بما لنا من العظمة^{١٧}

(١) في ظ : عقيب (٢) في م : لم يصلح (٣ - ٢) في م : فاضروا ، وفي مد : فاضرا - كذا (٤) العبارة من هنا إلى «النكال» ليست في ظ (هـ) في م : نقص . (٦) في م : اى (٧) ريد في م : لهم (٨ - ٨) ليست في ظ .

« لهم » كونوا ، بارادتنا^١ ، « قردة خسئين »^٢ ، أى صاغرين مطرودين جمع
خاسي^٣ من الخسئ وهو طرد بكره واستخبات^٤ ، وسبب ذلك^٥ أن الله
تعالى أمرهم يوم الجمعة فأبوا^٦ إلا السبت ، فألزمهم الله إياه وجعله لهم
محبة و حرم عليهم فيه العمل ، فاصطادوا على تهب و خوف من العقوبة ،
فلما طال زمن^٧ عفوهم عنهم وحله سبحانه فتجاهروا بالمعصية مسخ منهم^٨
من عصى بالمباشرة و من سكت عن النهي عن المنكر « فجعلناها » أى قسب
عن قولنا^٩ أنهم كانوا قردة كما قلنا ، فجعلنا^{١٠} هذه العقوبة « نكالا »^{١١}
أى قيدا مانعا « لما بين يديها »^{١٢} من المعاصي^{١٣} من أهل عالمها / الشاهدين لها
« و ما خلفها » بمن جاء بعدهم^{١٤} ، روى معناه عن ابن عباس رضى الله عنهما^{١٥} ،

(١) ليس في م (٢) ليس في ظ (٣) العبارة من هنا إلى « عن المنكر » ليست في
ظ (٤) قال أبو حيان : والاعتداء كان على ما نقل من أن موسى أمره الله بصوم
يوم الجمعة وعرفته فضله كما أمر به سائر الأنبياء فذكر ذلك لبنى إسرائيل وأمرهم
بالتشرع فيه فأبوه و تعدوه إلى يوم السبت فأوحى الله إلى موسى أن دعهم
وما اختاروه و امتحنهم فيه بأن أمرهم بترك العمل و حرم عليهم فيه صيد
الحيتان فكانت تأتى يوم السبت حتى تخرج إلى الأفنية فإذا ذهب السبت ذهبت
الحيتان ، فلم يظهروا للسبت الآخر فبقوا على ذلك زمانا حتى اشتبهوا الحوت ،
فعمد رجل يوم السبت فربط حوتا بخزمة و ضرب له و تدا بالاحل فلما
ذهب السبت جاء فأخذه ؛ فكان هذا من أعظم الاعتداء (٥) في ظ : قولهم لنا .
(٦) في ظ : فجعلناها أى (٧) قال البيضاوى : عبرة تنكل المعتبر بها أى تمنعه ، ومنه
النكل للقيد (٨-٨) ليست في ظ .

و النكال إبداء^١ العقوبة لمن يتعظ بها ، و اليد^٢ ما به تظهر أعيان الأشياء
و صورها أعلاها و أدناها ، فلذلك ثبت لأنها يد عليا هي المعنى^٣ و يد
دنيا هي اليسرى ، و الخلف ما يخلفه المتوجه في توجهه^٤ فينطمس عن حواس
إقباله شهوده - قاله الحرالي . و قال^٥ : و موعظة ، من الوعظ و هو
دعوة الأشياء بما فيها من العبرة للانقياد للآله الحق بما يخوفها في مقابلة
التذكير^٦ بما يرجيها^٧ . و يبسطها^٨ . و للتقنين^٩ ، و قد أشعر هذا أن التقوى
عصمة من كل محذور و أن النقم تقع في غيرهم و عظام لهم .

و لما بين تعالى قساوتهم في حقوقه عامة ثم خاصة اتبعه^{١٠} بيان
جساوتهم^{١١} في مصالح أنفسهم لينتج أنهم أسفه الناس فقال^{١٢} و اذ قال
١٠ موسى لقومه ، بنى إسرائيل ، إن الله ، "أى الذى له الأمر كله" ، يأمركم

(١) في م : انداء - كذا (٢) قال أبو حيان : قد استعملت للنعمة والإحسان ، وأما
الأيادى فهو في الحقيقة جمع جمع واستعماله في النعمة أكثر من استعماله للجراحة كما أن
استعمال الأيدى في الجراحة أكثر منه في النعمة ؛ خلف ظرف مكان مبهم وهو
متوسط التصرف ويكون أيضا وصفا ، يقال رجل خلف بمعنى ردى ؛ موعظة
مفعلة من الوعظ والوعظ الإذكار بالخير بما يرق له القلب (٣) في م : العليا .
(٤) في م : توجيهه (٥) ليس في ظ (٦) من م و مد وظ ، وفي الأصل : التذكر .
(٧) في م : يرهبا (٨-٨) ليس في م (٩) قال المصنف : ثم أشار إلى أن إعراضهم
عن أمر الله لم يتأخر إلى عصر المعتدين في السبب بل كان في عصر موسى مرارا
في أمر واحد قصدوا ذلك وإن فعلوه آخر - ٨/١ (١٠) كذا في الأصول كلها ،
و بهامش ظ : أى غلظتهم وجفاءهم (١١-١١) ليست في ظ .

ان تذبحوا بقرة^١ ، لتعرفوا بها أمر القتل الذى أعياكم أمره^٢ ، وتأوها ليست للتأنيث الحقيقى بل لأنها واحدة^٣ من الجنس فتقع على الذكر والأثني^٤ .
ولما كان من حقهم^٥ المبادرة إلى الامثال والشكر فلم يفعلوا بين فظاظتهم على طريق الاستئناف معظما لها بقوله حكاية عنهم^٦ « قالوا اتخذنا هزرا^٧ ،
أى مكان هزء ومهزوا بنا حين نسألك عن قتل فأمرنا بذبح بقرة^٨ » ،
فجمعوا إلى ما أشير إليه^٩ من اساءتهم سوء الأدب^{١٠} على من ثبتت^{١١} رسالته بالمعجزة فرد كلامه كفر^{١٢} ، فذكرهم بما رأوا منه من العلم بالله المنافى للهزء بأن قال^{١٣} « اعوذ بالله ، أى أعصم بمن^{١٤} لا كفوء له من^{١٥} » ان
أكون من الجهلين^{١٦} ، فانه لا يستهزئ إلا جاهل ، و العوذ اللجاء من

(١) قال البيضاوى : أول هذه القصة قوله تعالى « واذ قتلنا نفسا فادراهم فيها » وإنما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساوئهم وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء فى السؤال وترك المسارعة إلى الامثال ، وقصة أنه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه طمعا فى ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه ، فأمرهم أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحبي فيخبر بقاتله . وقال أبو حيان : ووجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تقدم ذكر مخالفتهم لأنبيائهم وتكذيبهم لهم فى أكثر أنبيائهم فناسب ذلك ذكر هذه الآية لما تضمنت من المراجعة والتعنت والعداوة بعد مرة (٢-٣) ليست فى ظ (٣) فى الأصول واحد . (٤) فى م : حقه (هـ) فى ظ : اليهم (٦) قال البيضاوى : لأن الهزء فى مثل ذلك (أى مقام الإرشاد وبيان الأحكام) جهل وسفه ، نفى عن نفسه ما رمى به على طريقة البرهان وأخرج ذلك فى صورة الاستعاذة استفظاعا له .
(٧) فى ظ : به .

متخوّف لكاف يكفيه، و الجهل التقدم في الأمور المنهمة بغير علم - قاله
الحرالي . « قالوا ، تماديا في الغلظة » ادع لنا ربك ، « أى المحسن إليك »
فكان تخصيصهم له بالإضافة غاية في الجفاء « بين ، من التبيين و هو اقتطاع
الشيء ، و المعنى بما ٣ يلابسه و يداخله - قاله » الحرالي . و المراد المبالغة
ه في البيان بما يفهمه صيغة التفعيل « لنا ما هي ، تلك البقرة » قال انه يقول : « .
و لما كانوا يعتنون^٢ أكد فقال « انها بقرة لا فارض ، أى مستنة^٤
فرضت سنها^٥ أى قطعتها « ولا بكر ، أى قتيّة صغيرة « عوان ، أى
نصف^٦ « و هو خبر مبتدأ محذوف ، و بين هذا الخبر بقوله « بين ذلك »^٧
أى سنى^٨ « الفارض و البكر » فافعلوا ما تؤمرون^٩ ، « فان الاعتراض
١٠ على من يجب التسليم له كفر^{١٠} فلم يفعلوا بل « سألو ايان اللون بعد ايان
السن بأن^{١١} » قالوا ادع لنا ربك ، تماديا في الجفاء بعدم الاعتراف
(١) قال المهانمي : فلما علموا أنه عزم من الله وأرادوا التخلص باستيصافها بأوصاف
لا توجد بقرة تتصف بها أصلا « قالوا » الآية (٢-٣) ليست في ظ (٣) زيد في م :
لا (٤) في ظ : قال (٥) في ظ ومد : تفهمه ، وفي م : تفهمه (٦) العبارة من
هنا إلى « فقال » ليست في ظ (٧) في م ومد : يعتنون (٨) العبارة من هنا إلى
« قطعتها » ليست في ظ (٩) في الأصل و م : سنيتها ، وفي مد : سنيتها (١٠) العبارة
من هنا إلى « بقوله » ليست في ظ (١١) قال البيضاوي : أى ما ذكر من الفارض
و البكر ، و لذلك أضيف إليه بين فانه لا يضاف إلا إلى متعدد ، وعود هذه
الكنايات و إجراء تلك الصفات على بقرة يدل على أن المراد بها معينة ويلزمه
تأخير البيان عن وقت الخطاب (١٢) ليس في ظ .

بالإحسان « بين لنا ما لونها ، بعد بيان سنّها ١ ، واللون تكيف ظاهر
 الأشياء في العين - قاله الحرالي . « قال ٢ ، « وأؤكد لما مضى من تلدهم
 فقال ٣ ، « انه يقول ، ٤ « وأكد إشارة إلى مزيد نعتهم فقال ٥ ، « انها بقرة
 صفراء . ٦ « وأكد شدة صفرتها بالعدول عن فاقعة إلى قوله معبرا باللون ٧
 « فاقع لونها ، أى خالص في صفرتها . قال الحرالي : نعت ٨ تخليص اللون ٩
 الأصفر بمنزلة قاتن في الأجر فهي إذن متوسطة اللون بين الأسود
 والإبيض كما كانت متوسطة السن ، « تسر النظرين ١٠ » ، أى تبهج نفوسهم ١١
 بأنك إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدّها -
 قاله وهب ١٢ « قالوا ادع لنا ربك ١٣ » المحسن إليك بالإجابة في كل ما سألته
 « بين لنا ما هي ١٤ » ثم عللوا تكريرهم لذلك بقولهم « إن البقر ، أى ١٥
 الموصوف بما قدمته « تشابه ١٦ » ، أى وقع تشابهه ١٧ « علينا ١٨ » وذكر الفعل
 لأن كل جمع حروفه أقل من حروف واحد فان العرب تذكره

(١) قال أبو حيان : لما تعرفوا سن هذه شرعوا في تعرف لونها ، وذلك كله
 يدل على نقص فطرتهم وعقولهم ، إذ قد تقدم أمران : أمر الله لهم بدبح بقرة
 وأمر المبلغ عن الله الناصح لهم المشفق عليهم بقوله « فافعلوا ما تؤمرون » ومع
 ذلك لم يرتدعوا عن السؤال عن لونها (٢) ليس في (٣-٢) ليست في م وظ .
 (٤-٤) ليست في ظ (٥) في م : انه نعت ، وفي مد : انه نعت (٦) قال اليباضى :
 والسرور أصله لذة في قلب عند حصول نفع أو توقعه من السر (٧) العبارة من
 هنا إلى « وهب » ليست في ظ (٨) زيد في م : أى (٩) اعتذار عنه أى إن البقر
 الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا - قاله اليباضى (١٠-١٠) ليست
 في م (١١) العبارة من هنا إلى « سبيويه » ليست في ظ .

نقل عن سيويه ؛ ثم أدركتهم العناية فقالوا « وانا ان شاء الله ، أى
الذى له صفات الكمال و أكدوا لما أوجب توقعهم من ظن عنادهم و قدموا
التبرك بالمشية لذلك على خبر إن ' « لمهتدين » ، أى إلى المراد ' فتركوا
بما لا تكون بركة إلا به « قال انه يقول انها ، أى هذه البقرة التى أظلمت
التعنت فى أمرها « بقرة لاذلول » ٣ من الذل و هو حسن الاقياء - قاله
الحرالى ؛ ثم وصف الذلول بقوله ؛ « تثير الارض » ، أى ايتجدد منها
إثارتها بالحرث ' كل وقت ' من الإثارة ' قال الحرالى : وهى إظهار
الشيء من الثرى ، كأنها تخرج الثرى من محتوى ' اليبس ؛ ولما كان الذل
وصفا لازما عبر فى وصفها باتفائه ' بالاسم المبالغ فيه ، أى ليس الذل
١٠. وصفا لازما لها لأنها بحيث لا يوجد منها ذل أصلا ، فانها لو كانت
كذلك كانت ' وحشية لا يقدر عليها أصلا ٨ .

(١-٢) ليست فى ظ (٢) إلى المراد ذبحها أو إلى القاتل ، فى الحديث لو لم يستثنوا
لما بينت لهم آخر الأبد (٣) وقال صاحب المدارك : « لاذلول » صفة لبقرة بمعنى
بقرة غير ذلول يعنى لم تذلل للكراب وإثارة الأرض « ولا تسقى الحرث »
ولاهى من النواضع التى يسنى عليها لسقى الحرث ، ولا الأولى نافية والثانية
مزيدة لتوكيد الأولى ، لأن المعنى لاذلول تثير الأرض أى تقلبها للزراعة
وتسقى الحرث على أن الفعلين صفتان للذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية -
انتهى (٤-٤) ليست فى ظ . وفى م : الذل - مكان : الذلول (ه) فى م :
موضع (٦) فى م : بالانتقام (٧) ليس فى م (٨) قال أبوحيان : « لاذلول » صفة
للبقرة على أنه من الوصف بالمفرد و « تثير الارض » صفة للذلول وهى صفة =
ولما

ولما كان لا يتم وصفها بانتفاء الذل إلا بنفى السقى عنها و كان
 أمرا يتجدد ليس هو صفة لازمة كالذل عبر فيه بالفعل وأصحبه لاعطفا
 على الوصف لا على تثير لثلا يفسد المعنى فقال واصفا للبقرة « ولا تسقى
 الحرث » أى لا يتجدد منها سقيه بالسانية كل وقت ، ويجوز أن يكون
 إثبات لا فيه تنبيها على حذفها قبل تثير ، فيكون الفعلان المنفيان هـ
 تفسيرا على سبيل الاستئناف للاذلول ، وحذف لا قبل تثير لثلا يظن
 أنه معها وصف لاذلول يفسد المعنى ، والمراد أنها لم تذل بحرث
 ولا سقى ومعلوم من القدرة على ابتياعها وتسليمها للذبح أنها ليست فى
 غاية الإباء^١ كما آذن به الوصف باذلول^٢ ، كل ذلك لما فى التوسط من
 الجمع / لأشتات الخير « مسلة » أى من العيوب « لا شية^٣ » أى علامة ١٠ / ٩١

= داخله فى حيز النفى، والمقصود نفى إثارته الأرض أى لا تثير فتذل فهو من باب :

على لاحب لا يهتدى بمناره

اللفظ نفى الذل و المقصود نفى الإثارة فينتفى كونها ذلولا ، ولا تسقى
 الحرث نفى معادل لقوله : لا ذلول و الجملة صفة ، والصفتان منفتحتان من حيث
 المعنى كما أن لا تسقى منفى من حيث المعنى أيضا . وقال الحسن : كانت تلك
 البقرة وحشية ولهذا وصفت بأنها لا تثير الأرض بالحرث ولا يسنى عليها فنسقى .
 قال الزمخشري : لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعنى لم تذل للحرث
 وإثارة الأرض ولاهى من التواضع التى يسنى عليها بسقى الحرث ، ولا الأولى
 للنفى والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير وتسقى على أن الفعلين
 صفتان لاذلول كأنه قيل : لا ذلول مثيرة وساقية - انتهى كلامه .

(١) فى مد : لا (٢-٢) ليست فى ظ (٣) وفى البحر المحيط : أى لا بياض - قاله
 السدى ، أولا وضح وهو الجمع بين لونين من سواد وبياض ، أولا عيب فيها ، =

« فيها ، تخالف لونها ' بل هي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها ' قالوا
 الثن ، أى فى هذا الحد من الزمان الكائن الفاصل بين الماضى و الآتى
 « جئت بالحق » ٢ أى الأمر الثابت المستقر ٣ البين من بيان وصف البقرة
 فصلوها ٤ « فذبحوها » أى قسب عما تقدم كله انهم ذبحوها « وما كادوا »
 ٥ أى قاربوا قبل هذه المراجعة الأخيرة ٦ « يفعلون » ٧ قال ابن عباس
 رضى الله عنهما : لو ذبحوا بقرة ما لأجزأتهم لكنهم شددوا فى السؤال
 فشدد الله عليهم - يعنى أنهم كلفوا بالأسهل فشددوا ففسخ بالآشق ، و هو
 دليل جواز النسخ قبل الفعل ٨ ، أو يقال إنه لما كان السبت إنما وجب عليهم

= أولاً لون يخالف لونها من سواد أو يياض ، أو لا سواد فى الوجه والقوائم
 وهو الشية فى البقر ، يقال ثور موشى إذا كان فى وجهه وقوائمه سواد . قال ابن
 عطية : والثور الأشبيه الذى ظهر بقله ، يقال فرس أبيض وكبش أخرج وتيس أبرق
 وكلب أبقع وثور أشبه ، كل ذلك بمعنى البقعة - انتهى . وليس الأشياء مأخوذاً
 من الشية لاختلاف المادتين .

(١-١) ليست فى ظ ، و فى م : صفا - مكان : صفراء (٢) قال أبو جيان : و معنى
 « بالحق » بحقيقة نعت البقرة و ما بقى فيها إشكال (٣-٤) ليست فى ظ (٤) فى
 البيضاء : لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم أو لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل
 أولعلاء ثمنها إذ روى أن شيخاً صالحاً منهم كان له عجة فأتى بها الغيبة وقال :
 اللهم ! إني أستودعكها لابنى حتى يكبر ، فشبّت و كانت وحيدة بتلك الصفات
 فساوموها النيم وأمه حتى اشتروها بملاء مسكها ذهباً وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة
 دنانير ، والمعنى أنهم ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت
 تعللاتهم ففعلوا كالضطر الملتهج . إلى الفعل - انتهى كلامه (٥-٥) ليست فى ظ ،
 و فى م : العمد - مكان : الفعل .

و ابتلوا بالتشديد فيه باقتراحهم له و سؤلهم إياه بعد إبانهم للجمعة كما يأتي
 إن شاء الله تعالى بيانه عند قوله تعالى: «أما جعل السبت على الذين اختلفوا
 فيه»^١ . كان أنسب الأشياء تعقيه بقصة البقرة التي ما شدد عليهم في أمرها
 إلا لتعتهم فيه و إبانهم لذبح أي بقرة تيسرت، و يجوز أن يقال إنه لما
 كان من جملة ما استخفوا به السبت المسارعة إلى إزهاق ما لا يحصى من ه
 الأرواح الممنوعين منها من الحيتان و كان في قصة البقرة التمنت و التباطؤ
 عن إزهاق نفس واحدة^٢ أمروا بها تلاء بها، و من أحاسن المناسبات أن
 في كل من آتت القردة و البقرة تبديل حال الإنسان بمخالطة لحم بعض
 الحيوانات^٣ العجم، ففي الأولى إخراسه بعد نطقه بلحم السمك، و في الثانية
 إنطاقه بعد خرسه بالموت بلحم البقر، و لعل تخصيص لحم البقر^٤ بهذا ١٠
 الأمر لإيقاظهم من رقدتهم و تنبيههم من غفلتهم عن عظيم قدرة الله
 تعالى لينزع من قلوبهم التعجب من خوار العجل الذي عبده . و قال
 الإمام أبو الحسن الحرالي: و في ذلك تشام^٥ بين أحوالهم في اتخاذهم العجل
 و في طلبهم ذلك، و في كل ذلك مناسبة بين طباعهم و طباع البقرة
 المخلوقة للكد و عمل الأرض التي معها التعب و الذل . و انتصرف فيما ١٥
 هو من الدنيا توغلا فيها و فيه نسمة^٦ مطلبهم ما تنبت الأرض الذي هو

(١) سورة ١٦ آية ١٢٤ (٢) زيد في مد: و (٣) في م: الحيوان (٤) ليس في م.

(ه) في ظ: تشاوم (٦) كذا، و بهامش م: لعله نسيية .

أثر الحرث - يعنى الذى أبدلوا الحطة به وهو حبة فى شجرة ، فكأنهم بذلك أرضيون ترايون لا تسمو طباع أكثرهم إلى الأمور الروحانية العلوية ، فان جبلة كل نفس تناسب ما تنزع إليه و تلهج به من أنواع الحيوان « جعل لكم من انفسكم ازواجاً ومن الانعام ازواجاً » - انتهى .

٥ ولما قسمت القصة شطرين تنبيها على التعمتين : نعمة العفو عن التوقف عن الأمر و نعمة البيان للقاتل بالأمر الخارق ، ٣ و تنبيها على أن لهم بذلك تقييعين : أحدهما بإساءة الأدب فى الرمى بالاستهزاء و التوقف عن الامتثال و الثانى على قتل النفس و ما تبعه ، و لو رتب ترتيبها فى الوجود لم يحصل ذلك ٣ ، و قدم الشطر الأنسب لقصة السبب اتبعه الآخر .

(١) فى ظ : حيه - كذا (٢) فى الاصول : خلق راجع سورة ٤٢ آية ١١ (٣-٢) ليست فى ظ ، فى مد : رتب - مكان : رتب (٤) قال أبو حيان : ويجوز أن يكون ترتيب وجودهما و نزولهما على حسب تلاوتهما ، فيكون الله تعالى قد أمرهم بذبح البقرة فذبحوها و هم لا يعلمون بما له تعالى فيها من السر ثم وقع بعد ذلك أمر القتل فأظهر لهم ما كانت أخفاه عنهم من الحكمة بقوله « اضربوه ببعضها » و لاشئ يضطرنا إلى اعتقاد تقدم قتل القتل ، ثم سألوا عن تعيين قاتله إذ كانوا قد اختلفوا فى ذلك فأمرهم الله بذبح بقرة ، فيكون الأمر بالذبح متقدما فى النزول ، و التلاوة متأخرا فى الوجود و يكون قتل القتل متأخرا فى النزول ، و التلاوة متقدما فى الوجود ، ولا إلى اعتقاد كون الأمر بالذبح و ما بعده مؤخرا فى النزول ، متقدما فى التلاوة و الإخبار عن قتلهم متقدما فى النزول ، متأخرا فى التلاوة دون تعرض لزمان وجود القصة .

وقال الحرالي : قدم نبأ قول موسى عليه السلام على ذكر تدارؤهم في القتل ابتداء بأشرف المقصدين من معنى التشريع الذي هو القائم على أفعال الاعتداء و أقوال الخصومة - انتهى . فقال تعالى : واذ، أى واذكروا إذ، ' وأسند القتل إلى الكل والقاتل واحد لأن ذلك عادة العرب ، لأن عادة القبيلة المدافعة عن أحدهم ' فقال : قتلتم نفسا ، فأقبل ه عليهم بالخطاب تويخا لهم وإشارة إلى أن الموجودين ٣ منهم راضون بما مضى من أسلافهم وأن من ودّ شيئا كان من عمله .

'ولما كانوا قد أنكروا القتل سبب عنه قوله مشيرا إلى إخفائه بالادغام' ، فادراتم فيها ، ' أى تدافعتم فكان كل فريق منهم يردّ القتل إلى الآخر فكان لكم بذلك ثلاثة آثام : إثم الكبيرة وإثم الإصرار ١٠

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ (٢) وفي البحر المحيط : ونسبة القتل إلى جمع إما لأن القاتلين جمع وهم ورثة المقتول وقد نقل أنهم اجتمعوا على قتله ، أو لأن القاتل واحد ونسب ذلك إليهم لوجود ذلك فيهم على طريقة العرب في نسبة الأشياء إلى القبيلة إذا وجد من بعضها ما يذم به أو يمدح ٢٥٩/١ .

(٣) في مد : المودين (٤-٥) ليست في ظ ، وفي مد : خفايه - مكان : اخفائه (ه) قرأ الجمهور بالادغام ، وقرأ أبو حيوة : فدارأتم ، على وزن تفاعلتم وهو الأصل ، ونقل من جمع في التفسير أن أبا السوار قرأ : فدارأتم - بغير ألف قبل الراء ؛ ويحتمل هذا التدارؤ وهو التدافع أن يكون حقيقة وهو أن يدفع بعضهم بعضا بالأيدى لشدة الاختصاص ، ويحتمل المجاز بأن يكون بعضهم طرح قتله على بعض فدفع المطروح عليه ذلك إلى الطارح ، أو بأن دفع بعضهم بعضا بالتهمة والبراءة - البحر المحيط .

وإثم الاقتراء بالدفع؛ قال الكلبي: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة، كأنه يشير إلى ما ذكره عنها قريبا.

ولما كان فعلهم في المداراة فعل غافل عن إحاطة علم الخالق سبحانه قال يحكى حالهم إذ ذاك ' والله، ' أى والحال أن الذى له الأمر كله ' مخرج، بلطيف صنعه وعظيم شأنه ما كنتم تكتمون ٣٥، وفى تقديمه أيضا زيادة تبكى لهم بتوقفهم ' فى ذبح بقرة أمروا بذبحها لمصلحة لهم عظيمة بعد مبادرة بعضهم إلى قتل إنسان مثله بعد النهى الشديد عنه وقال ' منها بالالتفات إلى أسلوب العظمة على ما فى الفعل المأمور به منها ' فقلنا، أى ' بما لنا من العظمة واضربوه '.

(١-١) ليست فى ظ، وفى م: غامض - مكان: غافل (٢-٢) ليست فى ظ (٣) وقال المهازمى: « والله مخرج » من قلوبكم « ما كنتم تكتمون » من أمر القاتل وأنه لوساى موسى لكذبوه (٤) ليس فى ظ (ه) فى ظ: قوله (٦-٦) ليست فى ظ، وفى م: منها مكان: منها (٧) معطوفة على قوله « تتلثم نفسا فادراتم فيها » والجملة من قوله تعالى « والله مخرج ما كنتم تكتمون » اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه مشعرة بأن التدارؤ لا يجدى شيئا إذ الله تعالى مظهر ما كنتم من أمر القتل، والهاء فى اضربوه عائدة على النفس على تذكير النفس، إذ فيها التأنيت وهو الأشهر والتذكير أو على أن الأول هو على حذف مضاف أى وإذ تتلثم ذاتنفس الحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فروعى بعود الضمير مؤنثا فى قوله « فادراتم فيها » والظاهر أنهم أمروا أن يضربوه بأى بعض كان - قاله أبو حيان وذكر أقوالا فيه، فليراجع ثمه

١ و أضمر ذكر البقرة ولم يظهر دلالة على اتحاد هذا الشق الأول من القصة الذى جعل ثانيا بالشق الذى قبله فى أنهما قصة واحدة فقال ' وبعضها ، قال الإمام أبو على الفارسى فى كتاب الحجة : قلنا اضربوا المقتول ببعض البقرة فضربوه به فحى ، ' يعنى و الدليل على هذا المحذوف قوله ' كذلك ، ٢ أى مثل هذا الإحياء العظيم على هذه الهيئة الغريبة ٣ و يحى الله ، ٣ أى الذى له صفات الكمال ٣ ' الموتى ' ، مثل هذا الإحياء الذى ٤ عوين و شوهد - انتهى . ٥ روى أنهم لما ضربوه قام و قال : قتلنى فلان و فلان لابنى عمه ثم سقط ميتا فأخذا و قتلا و لم يورث قاتل بعد ذلك ٥ ؛ و هذه الخارقة كما أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم ذراع الشاة المسمومة بأنه مسموم لما سمته اليهودية التى كانت فى قومها هذه الآية ، و جعل هذا ١٠ التنبيه على البعث فى قصصهم ، لأنه من أعظم الأدلة عليه ، و قد وقع منهم ما ساء مع عدم منكرين و هو قولهم للشركين : دينكم خير من دين محمد ، أو ١٦ أن هذا ١٦ تنبيه مقصود به حث العرب على سؤال من

(١-١) ليست فى ظ . و أخرت فى م عن ' فضربوه به فحى ' (٢-٢) ليست فى ظ . و قدمت فى م على ' واضمر ذكر البقرة ' (٣-٣) ليست فى ظ (٤) زيد فى ظ : هو . (٥-٥) ليست فى ظ ، و فى م : اخذوا - مكان : فآخذا . قال الماوردى : كان الضرب بميت لا حياة فيه لئلا يلتبس على ذى شبهة أن الحياة إنما انقلبت إليه مما ضرب به لتزول الشبهة و تتأكد الحجة - البحر المحيط ١ / ٢٦٠ (٦) فى ظ : و . (٧) كذلك إن كان هذا خطابا للذين حضروا إحياء القتيلى كان ثم إحصاء قول أى و قلنا لهم كذلك يحى الله الموتى يوم القيامة ، و قدره الماوردى خطابا من موسى على نبينا و عليه الصلاة والسلام وإن كان لمنكرى البعث فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون من تلوين الخطاب والمعنى كما أحى قتيلى بنى إسرائيل =

استنصحوهم في السؤال عن النبي صلى الله عليه وسلم لكونهم أهل العلم الأول، فهو ملزم لهم باعتقاد البعث أو اعتقاد / كذب اليهود، وعبر بالاسم العلم لأن الإحياء من أخص الآيات بصفة الإلهية كما أن الإرزاق أخص الآيات بالروية ١، ويريكم آيته، فيما يشهد بصحته . لعلمكم تعقلون ٢، أي لتكنونوا برؤية تلك الآيات الشاهدة له على رجاء من أن يحصل لكم عقل فيرشدكم إلى اعتقاد البعث وغيره مما تخبر به الرسل عن الله تعالى .

ولما كان حصول المعصية منهم بعد رؤية هذه الحارقة مستبعد

= في الدنيا كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة، وإلى هذا ذهب الطبري؛ والظاهر هو الأول لانتظام الآي في نسق واحد ولئلا يختلف خطاب « لعلمكم تعقلون » وخطاب « ثم قست قلوبكم » قاله أبو حيان .

(١) ظاهر هذا الكلام الاستئناف، ويجوز أن يكون معطوفاً على « يحيى » والظاهر أن الآيات جمع في اللفظ والمعنى وهي ما أراهم من إحياء الميت والعصا والحجر والغمام والن والسلوى والسحر والبحر والطور وغير ذلك، وكانوا مع ذلك أعمى الناس قلوباً وأشد قسوة وتكذيباً لنبيهم في تلك الأوقات التي شاهدوا فيها تلك العجائب والمعجزات - البحر المحيط .

(٢) وقال أبو حيان الأندلسي : أي لعلمكم تمتنعون من عصيانه وتعملون على قضية عقولكم من أن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأتفس كلها لعدم الاختصاص « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » أي تخلق نفس واحدة وبعثها . وقال الزمخشري : في الأسباب والشروط حكم وفوائد وإنما شرط في ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكليف واكتساب الثواب والإشعار بحسن تقديم القرية على الطلب وما في التشديد =

'التصور فضلا عن الوقوع' أشار إليه بقوله 'ثم قست' ، 'من القسوة'
وهي اشتداد التصلب والتجبر ٣ ، 'قلوبكم' ، و لما كانت لهم حالات
يطيعون فيها أتى بالجار فقال 'من بعد ذلك' ، أى من بعد ما تقدم وصفه
من الخوارق في المراجعات و غيرها تذكيرا لهم بطول إمهاله لهم سبحانه

= عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد و المسارعة إلى
امتثال أوامر الله تعالى و ارتسامها على الفور من غير تفتيش و تكثير سؤال
ونفع الينم بالتجارة الرابحة و الدلالة على بركة البر بالأبوين و الشفقة على الأولاد
و تجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه و لا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء - قاله
أبو حيان الأندلسي . و قال البيضاوي : « لعلكم تعقلون » لكي يكمل عقلكم و تعلموا
أن من قدر على إحياء نفس قدر على الأنفس كلها أو عملوا على قضيتها و لعله تعالى
إنما لم يحبه ابتداء و شرط فيه بأشراط لما فيه من التقرب و أداء الواجب و نفع
الينم و التنبيه على بركة التوكل و الشفقة على الأولاد و أن من حق الطالب أن
يقدم قربة و المتقرب أن يتحرى الأحسن كما روى عن عمر رضى الله عنه أنه
ضحى بنجبية بثلاث مائة دينار و أن المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى و الأسباب
أمارات لا أثر لها و أن من أراد أن يعرف أعدى عدوه الساعى في إمارة الموت
الحقيقى فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شره
الصبى و لم يلحقها ضعف الكبر و كانت معجبة رائقة المنظر غير مذلة في طلب
الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها بحيث يصل أثره إلى نفسه فيجنى
حياة طيبة و تعرب عما به يتكشف الحال و يرتفع ما بين العقل و الوهم من التدار
و النزاع - انتهى كلامه ١/٦١ .

(١-١) ليست في ظ (٢-٢) ليست في م (٣) القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة
كما في الحجر و قساوة القلب مثل في نبؤه عن الاعتبار ، ثم لاستبعاد القسوة .

مع توالى كفرهم وعنادهم، وتحذيرا من مثل ما أحل بأهل السبت «فهي»
أى قسب عن قسوتها أن كانت «كالحجارة» التى هى أبعد الأشياء عن
حالتها، فان القلب أحيى حتى الحجر أجمد جامدا^١، ولم يشبهها بالحديد
لما فيه من المنافع، و^٢ لأنه قد يلين .

هـ ولما كانت القلوب بالنظر إلى حياتها أين لين وبالنظر إلى ثباتها على حالة
أصلب شيء كانت بحيث تحير الناظر فى أمرها فقال «او» . قال الحرالى :
هى كلمة تدل على بهم الأمر وخفيته فيقع الإيهام والإيهام - انتهى .

(١) قال أبو حيان الأندلسي : «فهي كالحجارة» يريد فى القسوة ، وهذه جملة
ابتدائية حكم فيها بتشبيه قلوبهم بالحجارة إذ الحجر لا يتأثر بموعظة ويعنى أن
قلوبهم صلبة لا يتخلخلها الخوارق كما أن الحجر خلق صلبا ، وفى ذلك إشارة إلى
أن اعتياص قلوبهم ليس لعارض بل خلق ذلك فيها خلقا أوليا كما أن صلابة الحجر
كذلك ؛ وجمعت الحجارة ولم تفرد فيقال كالحجر فيكون أخصر إذ دلالة المفرد
على الجنس كدلالة الجمع لأنه قول الجمع بالجمع لأن قلوبهم جمع فناسب مقابله
بالجمع ، ولأن قلوبهم متفاوتة فى القسوة ، كما أن الحجارة متفاوتة فى الصلابة ،
فلو قيل كالحجر لأنهم ذلك عدم التفاوت إذ يتوهم فيه من حيث الافراد ذلك -
انتهى كلامه . وقال المهايمى : « كالحجارة » لا كالحديد الذى يلين بالنار إذ
لا تلين بنار التخويف « او هى اشد قسوة » من الحجارة فلا تصلح لأن يكون
مشبها بها كيف « وان من الحجارة » كالحبال « لما يتفجر منه الانهر » بأن يتقلب
بعض أجزائها عواء ثم يجذب الهواء من الجوانب ويقلبها بقوة تبريدها ماء
« وان منها لما يشقق » بمدافعة الماء من خلفه (٢) العبارة من هنا إلى « قد يلين »
ليست فى ظ (٣) ليس فى م .

وهذا الإيهام بالنسبة إلى الرائي لهم من الآدميين ، و أما الله تعالى فهو العالم بكل شيء قبل خلقه كعلمه به بعد خلقه ' وزاد أشد مع صحة بناء أفعل من قسى للدلالة على فرط القسوة فقال ' «أشد قسوة» لأنها لا تلين لما حقه أن يلينها و الحجر يلين لما حقه أن يلينه و كل وصف للحى يشابه به^٢ ما دونه أقبح فيه مما دونه من حيث أن الحى مهياً لضده تلك المشابهة بالإدراك .

و لما كان التقدير فان الحجارة تفعل بالمزاولة عطف عليه ' مشيراً إلى مزيد قسوتهم و جلاقتهم بالتأكيد قوله ' «و ان من الحجارة»^٣ و زاد في التأكيد تأكيداً لذلك قوله ' «لما يتفجر» أى يتفتح بالسعة

(١-١) ليست في ظ (٢) ليس في م (٣) تبين أن قلوبهم لا تتأثر و أن الحجارة قد يوجد فيها ما يتأثر و أنها متساوية في التأثر ، و قرئ «و ان» مشددة في ثلاثتها فما اسم ان دخلت اللام عليه ، و قرئ مخففة في ثلاثتها فاحتمل أن تكون معملة و ما اسمها ، و احتمل أن تكون ملقاة نحو ان في الدار لزيد فما متبداً خبره المجرور قبله واللام هي لام الابتداء لزمت للفرق أو لام غيرها اجتلبت للفرق ؛ قولان للنحاة - من النهر من البحر لأبي حيان ٢٦٣/١ (٤) العبارة من «و زاد» إلى هنا ليست في ظ (هـ) في الأصل يفتح من الانفعال ، و في م ومد : يفتح ، من باب التفعّل ، وهو المناسب للفسر ، قال في النهر من البحر : يتفجر مضارع تفجر و ينفجر مضارع انفجر مطاوع فخر بتخفيف الجيم والتفجر التفتح بالسعة والكثرة . و قال أبو حيان في البحر : لما شبه تعالى قلوبهم بالحجارة في القسوة ثم ذكر أنها أشد قسوة على اختلاف الناس في مفهوم أو بين أن هذا التشبيه إنما هو بالنسبة لما علمه المخاطب من صلابة الأحجار وأخذ يذكر جهة كون قلوبهم =

و الكثرة « منه » الانهر ، ٢ ذكر الكثير ٣ بما يشاهد من ذلك و تذكيرا
 بالحجر المتفجر لهم منه الأنهار بضرب العصا ثم عطف على ذلك ما هو
 دونه فقال « و ان منها لما يشقق » ٤ أى يسيرا بتكلف بما يشير إليه الادغام
 و الفعل من التشقق و هو تفعل صيغة التكلف من الشق و هو مصير الشيء
 ه فى الشقين أى ناحيتين متقابلتين - قاله الحرالى . « فيخرج منه الماء ،
 الذى هو دون النهر ، ثم عطف على هذا ما هو أنزل من ذلك فقال « و ان
 منها » لما يهبط من خشية الله ، أى ينتقل من مكانه من أعلى الجبل إلى أسفله
 لأمر الملك الأعلى له بذلك و قلوبكم لاتنقاد لشيء من الأوامر فجعل
 الأمر فى حق القلوب لما فيها من العقل كالإرادة فى حق الحجارة لما
 ١٠ لها من الجادية ٥ ، و فى ذلك تذكير ٦ لهم بالحجارة المتهاقنة من الطور

= أشد قسوة والمعنى أن قلوب هؤلاء جاسية صلبة لا تلينها المواعظ ولا تنأثر
 للزواج و ان من الحجارة ما يقبل التخلخل و أنها متفاوتة فى قبول ذلك على
 حسب التقسيم الذى أشار إليه تعالى - ثم ذكر اختلاف المفسرين فى هذه الآية أهى
 على سبيل التمثيل أم على غيره فليراجع ثمة .

(١) زيد فى م : و (٢) و قرئ « منه الانهر » ومنها الأنهر حملا على المعنى - النهر
 من البحر (٣-٢) فى ظ : ذكرنا للكثير (٤) التشقق : التصدع بطول أو عرض
 فينبع منه الماء بقله و قرئ يشقق بتشديد الشين و يشقق و يشقق بنون و قافين
 و الفك شاذ (٥) زيد فى م و مد : أى الحجارة (٦) قال أبو حيان الأندلسي :
 و اختلف المفسرون فى تفسير هذا فذهب قوم إلى أن الخشية هنا حقيقة ، و اختلف
 هؤلاء فقال قوم : معناه من خشية الحجارة لله تعالى فهى مصدر مضاف للفعل ،
 و أن الله تعالى جعل لهذه الأحجار التى تهبط من خشية الله تعالى تميزا قام لها =

عند تجلى الرب . قال الحرالي : والخشية وجل نفس العالم بما^١ يستعظمه .
ولما كان التقدير : فما أعمالكم - أو : فما أعمالهم ، على قراءة الغيب -
بما^٢ يرضى الله ؟ عطف عليه « وما^٣ ، ويجوز أن يكون حالا من قلوبكم
أى^٤ قست والحال أنه ما^٥ الله ،^٥ أى الذى له الكمال كله^٥ » بغافل ،
و الغفلة فقد الشعور بما حقه أن يشعر به « عما تعملون^٦ » فانتظروا عذابا^٥
مثل عذاب أصحاب السبت إما فى الدنيا وإما فى الآخرة ، ولم أر ذكر
قصة البقرة فى التوراة فلعله مما أخفوه لبعض نجاحاتهم كما أشير إليه

= مقام الفعل المودع فيمن يعقل ، واستدل على ذلك بأن الله تعالى وصف بعض
الحجارة بالخشية وبعضها بالإرادة و وصف جميعها بالنطق والتحميد والتقديس
والتأويب والتصدع ، وكل هذه صفات لا تصدر إلا عن أهل التمييز والمعرفة ،
قال تعالى « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل^١ الآية » وان من شيء إلا يسبح بحمده^٢
« يُجبال أوبى معه والطير^٣ » وفى الحديث الصحيح : إني لأعرف حجرا كان يسلم
على^٤ قبل أن أبعث ، وإنه بعد مبعثه ما مر بحجر ولا مدر إلا سلم عليه ، وفى الحجر
الأسود أنه يشهد لمن يستلمه - وأطال البحث وأجاد فليراجع (٦) فى م : تذكيرا .
() وفى ظ : بما (٦) وفى ظ : فما (٦) العبارة من هنا إلى « انه ما » ليست فى ظ .
(٤) فى م : ان (هـ - هـ) ليست فى ظ (٦) وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة
فصولا عظيمة ومحاورات كثيرة ، وذلك أن موسى على نبينا وعليه الصلاة
والسلام شافهم بأن الله تعالى يأمرهم بذبح البقرة ، وذلك امتحان من الله تعالى
لهم ، فلم يبادروا لامثال أمر الله تعالى وأخرجوا ذلك مخرج الهزء إذ لم يفهموا
سر الأمر ، وكان ينبغي أن يبادروا بالامثال ؛ فأجابهم موسى باستعاذة بالله الذى
أمره أن يكون ممن جهل فيخبر عن الله بما لم يأمر به فرد عليهم - من البحر
المحيط ، ولزيد التفصيل فليراجع إليه .

بقوله تعالى «تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا» ، والذي رأيت فيها مما يشبه ذلك ويمكن أن يكون مسيبا عنه أنه قال في السفر الخامس منها ما نصه : فاذا وجدتم قتيلا في الأرض التي^٢ يعطيكم الله ربكم مطروحا لا يعرف قاتله يخرج أشياخكم وقضاكم و يذرعون ما بين القتل والقرية ، فأية قرية كانت قرية من القتل يأخذ أشياخ تلك القرية عجلا لم يعمل به عمل ولم يحرق به حرث ، فينزل أشياخ القرية العجل إلى الوادي الذي لم يزرع ولم يحرق فيه حرث يذبحون العجل في ذلك الوادي و يتقدم الأحبار بنو^٣ لاوى الذين اختارهم الله ربكم أن يخدموا و يباركوا اسم الرب و عن قلوبهم يقضى كل قضاء و يضرب كل مضروب ، ١٠ و جميع أشياخ تلك القرية القريبة من القتل يغسلون أيديهم فوق العجل المذبوح في الوادي و يحلفون و يقولون : ما سفكت أيدينا هذا الدم و ما رأينا من قتله فاغفر يا رب لآل إسرائيل شعبك الذين^٤ خلصت ، و لا تؤاخذ شعبك بالدم الزكي ، و يغفر لهم على الدم و أتم فاحصوا عن الدم و اقضوا بالحق و أبعدوا عنكم الإثم و اعملوا الحسنات بين يدي الله ربكم - انتهى - ٥ : و هو كما ترى يشبه أن يكون فرع هذا الأصل المذكور في القرآن العظيم و الله أعلم .

ولما بين سبحانه أن قلوبهم صارت من كثرة المعاصي و توالى التجروء على بارئها محجوبة بالرين كثيفة الطبع بحيث أنها أشد قسوة من

(١) سورة ٦ آية ٩١ (٢) في ظ : الدي (٣) في ظ : بنى (٤) في م : الدي .

الحجارة تسبب عن ذلك بعدم عن الإيمان فالتفت إلى المؤمنين يؤسهم^١
 من فلاحهم^٢ تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم عما كان يشتد حرصه عليه
 من طلب إيمانهم^٣ في معرض التنكيت عليهم و التبكيت لهم منكراً للطمع
 في إيمانهم بعد ما قرر أنه تكرر^٤ من كفرانهم^٥ فقال « افطمعون ، و الطمع^٥
 تعلق البال بالشئ من غير تقدم سبب له » ان يؤمنوا ،^٦ أى هؤلاء هـ

الذين بين أظهركم^٧ / وقد ستم ما اتفق لأسلافهم من الكشافة وهم ٩٣ /

(١) في م : يؤنبهم (٢-٢) ليست في ظ (٣) في م : تقرر (٤) قال أبو حيان :
 ثم ختم ذلك بأنه تعالى لا يغفل عما اجتروا في دار الدنيا بل يجازيهم بذلك
 في الدار الأخرى ، و كانت افتتاح هذه الآيات بأن الله تعالى يأمر و اختتامها
 بأن الله لا يغفل ، فهو العالم بمن امتثل و بمن أهمل ، فيجازى بمثل أمره بجزي ثوابه
 و مهمل أمره بشديد عقابه - انتهى كلامه (٥) الطمع تعلق النفس بأدراك مطلوب
 تعلقاً قوياً ، و هو أشد من الرجاء لأنه لا يحدث إلا عن قوة رغبة و شدة إرادة ، وإذا
 اشتد صار طمعاً ، و اذا ضعف كان رغبة و رجاء - البحر المحيط ١/ ٢٩٩ . قال على
 المهاشمي : « ا » تعلمون هذه القساوة منهم و ازدياد التعدي و التكبر و مع ذلك
 ترونها الدلائل و تجرونهم بالمواظ (٦) العبارة من هنا إلى « الا الله » ليست في ظ .
 (٧) و ذكر أبو حيان الأندلسي في سبب نزول هذه الآية أقاويل و ذكر في آخرها
 ما نصه : و هذه الأقاويل كلها لا تخرج عن ان الحديث في اليهود الذين كانوا في زمان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم الذين يصح فيهم الطمع أن يؤمنوا ، لأن
 الطمع إنما يصح في المستقل ، و الضمير في « ان يؤمنوا لكم » لليهود ، و المعنى
 استبعاد إيمان اليهود ، إذ قد تقدم لأسلافهم أفاعيل و جرى أبناؤهم عليها فبعد =

راضون بذلك و إلا لآمنوا بمجرد هذا الإخبار عن هذه القصص من
هذا النبي الأُمي الذي يحصل التحقيق بأنه لا معلم له بها إلا الله معترفين
ولكم وقد ، أى و الحال أنه قد كان فريق ،^١ أى ناس يقصدون الفرقة
و الشتات ، منهم . قال الحرالي : من الفرق و هو اختصاص برأى
وجهة عن حقّه أن يتصل به و يكون معه - انتهى . « يسمعون كلام الله ،
المستحق لجميع صفات الكمال و الكلام »^٢ . قال الحرالي : هو إظهار ما في
الباطن على الظاهر لمن يشهد ذلك الظاهر بكل نحو من أنحاء الإظهار -
انتهى . « ثم يحرفونه »^٣ أى يزيلونه عن وجهه برده على حرفه ، و في
ذكر الفريق مع المعطوفات عليه تأكيداً لعظيم تهمة عليهم في العصيان
= صدور الإيمان من هؤلاء (١) في مد : التحقيق (٢-٣) ليست في ظ . و الفريق
قبل هم الأخبار الذين حرفوا التوراة في صفة محمد صلى الله عليه وسلم - قاله مجاهد
والسدى ، و قيل جماعة من اليهود كانوا يسمعون الوحي إذا نزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيحرفونه قصداً أن يدخلوا في الدين ما ليس فيه و يحصل
التضاد في أحكامه - البحر المحيط ٢٧٢/١ (٣) قال أبو حيان الأندلسي : الكلام
هو القول الدال على نسبة إسنادية مقصودة لذاتها ، و يطلق أيضاً على الكلمة ، ويعبر
أيضاً عن الخط و الإشارة و ما يفهم من حال الشيء و تقاليبه الست موضوعة و ترجع
إلى معنى القوة و الشدة و هي كلم ، كل ، لكم ، لك ، ملك ، مكل - انتهى كلامه .
(٤) التحريف إمالة الشيء من حال إلى حال ، و الحرف الحد المائل - قاله أبو حيان .
(٥) في م : تأكيداً (٦) من همك في الأمر يهكم همك لبعجه ، تهتمك في الأمر
و انهمك حد فيه و ليج (قطر المحيط) و صلته هنا بنى شاهدة على كونه « تهتمكم » =

بأنهم كانوا بعد ما وصف من أحوالهم^١ الخبيثة^٢ فرقا^٣ في الكفر و العدوان و التبرء من جلباب الحياء، و قوله « من بعد ما عقلوه »^٤ مع كونه توطئة لما^٥ يأتي من أمر الفسخ مشيرا إلى أن تحريفهم لم يكن في محل إشكال لكونه مدركا بالبديهة،^٦ و أثبت الجار لاختلاف أحوالهم^٧.

و لما كان هذا مع أنه إشارة إلى أنهم على جبلات إبانهم و إلى هـ أن من اجتراً على الله لم ينبغ لعباد الله أن يطمعوا في صلاحه لهم، لأنه إذا اجتراً على العالم بالحقائق كان على غيره أجراً مشيرا إلى أنه لا يفعله عاقل ختمه بقوله « وهم يعلمون »^٨ أي و الحال أنهم مع العقل حاملون للعلم فاهمون له غير غافلين بل متعمدون .

^٩ و لما كان الكلام مرشدا إلى أن التقدير فهم لجرأتهم على الله ١٠

= وقع في ظ و مد : تهتكهم، و في م : تهكهم - كذا (١) في ظ و مد : أعمالهم (٢) ليس في م (٣) في ظ : فرقا - كذا (٤) أي من بعد ما ضبطوه و فهموه و لم تشبه عليهم صحته (٥) في مد : كما (٦ - ٧) ليست في ظ، و في م : اثبات (٧) و متعلق العلم محذوف أي أنهم قد حرفوه أو ما في تحريفه من العقاب أو أنه الحق أو أنهم مبطلون كاذبون، و الواو في قوله « و قد كان فريق » و في قوله « وهم يعلمون » و الحال و العامل في قوله وهم يعلمون، فقوله ثم يحرفونه أي يقع التحريف منهم بعد تعقله و تفهمه عالين بما في تحريفه من شديد العتاب، و مع ذلك فهم يقدمون على ذلك يجترؤن عليه، و الإنكار على العالم أشد من الإنكار على الجاهل - البحر المحيط ١ / ٢٧٢ (٨) قال على المأثمى : ثم أشار إلى أن هذا التحريف حيث ظهر لنا على لسان بعضهم و إلا فهم =

إذا سمعوا كتابكم حرفوه وإذا حدثوا عباد الله لا يكادون يصدقون
عطف عليه قوله « وإذا لقوا الذين آمنوا » بنينا محمد صلى الله عليه وسلم
« قالوا » تفافا منهم « آمنوا وإذا خلا بعضهم » أى المنافقين « إلى بعض
قالوا » ' لا آمن لهم ' ظنا منهم ' جهلا بالله لما وجدوا كثيرا من أسرارهم
و خفي أخبارهم بما هو في كتابهم من الدقائق وغير ذلك عند المؤمنين مع
اجتهادهم في إخفائها أن بعضهم أفشاها فعلت من قبله « اتحدثونهم » من
التحديث ٣ وهو تكرار حدث القول أى واقعه « بما فتح الله » ذوالجلال
والجمال ١ « عليكم » من العلم القديم الذى أتاكم على السنة رسلكم أو بما
عذب به بعضكم . و الفتح قال الحرالى توسعة الضيق حسا ومعنى

= مبالغون في الكتمان ويشددون على من أظهر « و » ذلك أن فريقا منهم
« إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا » أى صدقنا نبيكم فى الباطن لأنه مذكور فى
كتابنا لكن لا نترك فى الظاهر دين آبائنا خوفا من أقاربنا أو أكابرنا ولا نترك
التمسك بالتوراة « وإذا خلا بعضهم إلى بعض » فاجتمع الكاثمون مع المظهرين
مع خلو المجلس عن المؤمنين « قالوا » أى الكاثمون للمظهرين (١-١) ليست فى
ظ (٢) زيد فى ظ : و (٣) التحديث الإخبار عن حادث و يقال منه يحدث ،
وأصله من الحدوث وأصل فعله أن يتعدى إلى واحد بنفسه وإلى آخر بعن
و إلى ثالث بالباء فيقال حدثت زيدا عن بكر بكذا - قاله أبو حيان (٤) الفتح
القضاء بلغة اليمن « وهو الفتح العليم » وأصل الفتح خرق الشيء والسد ضده
والذى حدثوا به هو ما تكلم به جماعة من اليهود من صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ولزيد تفصيل فيه فليراجع إلى البحر المحيط .

« ليحاجوكم ، أى المؤمنون » به عند ربكم ، و الحاجة تثبيت ' القصد والرأى بما يصححه . ولما كان عندهم أن إفشاءهم لمثل هذا من فعل من لا يفعل قالوا إنكاراً من بعضهم على بعض « افلا تعقلون » ،^١ و يمكن أن يكون خطاباً للمؤمنين المخاطبين^٢ يتطمعون ، أى أفلا يكون لكم عقل ليردكم ذلك عن تعليق الأمل بإيمانهم^٣ . ولما كان ظنهم هذا^٤ أقبح الفساد لأنه لو لم يكن عليه من قبل الله لم يقدر غيره أن يعبر عنه بعبارة تعجز الخلائق عن مماثلتها وصل به قوله موجهاً لهم « أو لا ، أى ألا يعلمون أن علم المؤمنين لذلك لم يكن إلا عن الله لما قام عليه من دليل الإعجاز أو لا يعلمون أن الله ، الذى له الإحاطة بكل شئ ، يعلم ما يسرون ، أى يخفون من قولهم لأصحابهم ومن غيره^٥ » وما يعلنون^٦ ، أى يظهر^٧ ١٠

(١) في ظ : تثبيت - كذا . وفي البحر المحيط : الحاجة من الاحتجاج وهو القصد للغلبة ، حجة قصده أن يغلب ، و الحجة الكلام المستقيم ، مأخوذ من حجة الطريق . وقال على المهانمي : « ليحاجوكم به عند ربكم ، أى ليغلبوكم بالحجة ويشهدوا عليكم عند ربكم تلقونهم بالحجة عليكم . وقال البيضاوي : « ليحاجوكم عند ربكم » يحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه ، جعلوا حاجتهم بكتاب الله وحكمه حاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به أنه في كتابه وحكمه ، وقيل عند ذكر ربكم أو بما عند ربكم أو بين يدي رسول ربكم (٢) العبارة من هنا إلى « بإيمانهم » ليست في ظ (٣) ليس في م (٤) من م ومد ، وفي الأصل : تكون (٥) العبارة من هنا إلى « الخلائق عن » ليست في م (٦) كانت الواو زائدة هنا في الأصول لحذفت (٧) في م فقط : غيرهم (٨) والأولى حمل ما يسرون وما يعلنون على العموم إذ هو ظاهر اللفظ ، وقيل الذى أسروه الكفر ، و الذى أعلنوه الإيمان ، وقيل العداوة والصدانة ؛ قرأ ابن محيص =

من ذلك فيخبر به أولياءه .

ولما ذكر سبحانه هذا الفريق الذى هو من أعلام كفرا وأعتام
أمرا عطف عليه قسما أعتى^١ منه وأفظ لأن العالم يرجى لفته^٢ عن رأيه
أو تخجيله بالحجاج بخلاف المقلد العاتى الكثيف^٣ الجافى فقال « ومنهم
اميون^٤ » ويجوز أن يراد بهم من لا يحسن الكتابة ومن يحسنها وهو غليظ
الطبع بعيد عن الفهم ، لأن الأعمى فى اللغة من لا يكتب أو من على
خلقة الأمة لم يتعلم الكتابة وهو باق^٥ على جبلته وحال ولادته والغبي^٦
الجلف^٧ الجافى القليل الكلام ، فالمعنى أنهم قسمان : كتبة وغير كتبة ،
= « أو لا تعلمون » بالتاء ، قالوا فيكون ذلك خطابا للمؤمنين وفيه تنبيه لهم على
جهلهم بعالم السر والعانية .

(١) فى ظ : اغبي (٢) لفته : صرفه ، من لفت فلانا عن رأيه صرفه (٣) فى ظ :
الكثيف - بالتاء المثناة (٤) الأعمى الذى لا يقرأ فى كتاب ولا يكتب ، نسب
إلى الأم لأنه ليس من شغل النساء أن يكتبن أو يقرأن فى كتاب ، أو لأنه
بحال ولادته أمه لم ينتقل عنها ، أو نسب إلى الأمة وهى القامة والخلقة ، أو إلى
الأمة إذ هى ساذجة قبل أن تعرف المعارف ، ظاهر الكلام أنها أنزلت فى
اليهود المذكورين فى الكتاب فى الآية التى قبل هذه - قاله ابن عباس (من البحر
الحيط) وذكرت فيه أقوال . وقال أبو حيان بعد ذكر أقوال : والقول الأول
هو الأظهر لأن سياق الكلام إنما هو مع اليهود فالضمير لهم . وقال على المأتمنى :
« ومنهم اميون » أى باقون على ما ولدتهم أمهاتهم « لا يعلمون الكتاب
الامانى » أى أحاديث قدرها الحرفون فى أنفسهم تقدير الأمانى الكاذبة
ولا يتخلصون بذلك عن الكفر ؛ لأنهم يعلمون أنهم كذابون فلا يحصل لهم الحرم
بقولهم - انتهى كلامه (٥) ليس فى ظ (٦) فى م ومد : العبي (٧) من م وظ ،
وفى الأصل : الخلف - بالخاء المعجمة - كذا .

وهم المراد بالأميين، وهؤلاء مع كونهم لا يحسنون الكتاب يحوز أن يتعلموا القراءة تلقيناً ولا يفهمون المعاني، ويحوز أن يكون المعنى أنهم قسمان: علماء نحارير عارفون بالمعاني و جهلة غبيون لا حظ لهم من التوراة إلا القراءة الخالية عن التدبر المقرونة بالتمنى^١ و لذلك قال « لا يعلمون الكتب، أى بخلاف القسم الذى أكد فيه كونهم من أهل العلم . ٥

ولما كان المراد سلب العلم عنهم رأساً أبرز^٢ الاستثناء مع كونه منقطعاً في صورة المتصل فقال « الا امانى، جمع أمانة^٣، وهى تقدير الوقوع فيما يتراعى إليه الأمل، و يقال إن^٤ معناه يجرى في التلاوة للفظ كأنها تقدير بالإضافة لمن يتحقق له المعنى - قاله الحرالى . أى إن كانت

(١) في ظ : تلقيط (٢) قال أبو حيان الأندلسى في مناسبة ارتباط هذه الآية مانصه: انه لما بين أمر الفقرة الضالة التى حرفت كتاب الله وهم قد عقلوه و علموا بسوء مرتكبهم ثم بين أمر الفقرة الثانية المناققين وأمر الثالثة المجادلة أخذ بين أمر الفقرة الرابعة وهى العامة التى طريقها التقليد وقبول ما يقال لهم . قال أبو العالية ومجاهد وغيرهما: ومن هؤلاء اليهود المذكورون فالآية منبهة على عامتهم وأتباعهم أى أنهم لا يطمع في إيمانهم، وقرأ أبو حيوة وابن أبى عتبة « اميون » بتخفيف الميم - انتهى (٣) في ظ : برز، وفي م: ابرق - كذا (٤) وهى أفعولة: أصله أمنية، وهى من منى إذا قدر، لأن التمنى يقدر في نفسه ويحزم ما يتمناه، أو من تمنى أى كذب قال أعرابى لابن دأب في شيء حدث به: أهذا شيء رويته أم تمنيت؟ أى اختلقته . وقال عثمان: ما تمنيت ولا تمنيت منذ أسلمت، أو من تمنى إذا تلا قال تعالى « اذا تمنى اتقى الشيطان في امينته » أى إذا تلا وقرأ - البحر المحيط ١/ ٢٧٠ (٥) وفي ظ: بان .

الاماني بما يصح وصفه بالعلم فهي لهم لا غيرها من جميع أنواعه . ولما
أفهم ذلك أن التقدير ما هم^١ الا يقدرّون تقديرات^٢ لا علم لهم بها عطف
عليه قوله « وان هم الا يظنون »^٣ تأكيد لنفي العلم عنهم . ولما أثبت لهذا
الفريق القطع على الله بما لا علم لهم به وكان هذا معلوم الدم محتوم
الإثم سبب عنه الدم^٤ والإثم بطريق الأولى لفريق^٥ هو أردؤهم^٦ وأضرهم
لعباد الله وأعدام فقال « فويل »^٧ و الويل^٨ جماع الشر كله - قاله الحرالي .
« للذين يكتبون » أي منهم ومن غيرهم « الكتب » أي الذي^٩ يعلمون
أنه من عندهم لا من عند الله « بأيديهم »^{١٠} وأشار إلى قبح هذا الكذب
و بَعَدَ رتبته في الخبث بأداة التراخي فقال^{١١} « ثم يقولون ، لما كتبوه كذبا
١٠ . و بهتاننا » هذا من عند الله ،^{١٢} الملك الأعظم^{١٣} ثم بين بالعلة^{١٤} الحاملة لهم
/ على ذلك خساستهم و تراميهم إلى النجاسة و دناءتهم فقال « ليشترؤا به »
أي بهذا الكذب الذي صنعوه « ثمنا قليلا »^{١٥} ثم سبب عنه قوله « فويل

/ ٩٤

(١) في م : لهم . وقال البيضاوي : ما هم إلا قوم يظنون لا علم لهم ؛ وهذا
أوضح (٢) في م : تقديرا (٣) في ظ : الدم - بالدال المهملة (٤) في م : الفريق .
(٥) في م : اردؤهم (٦) الويل مصدر لا فعل له من لفظه و ما ذكر من قولهم
وأل مصنوع ، ولم يحجى^{١٦} من هذه المادة التي فاؤها و او وعينها ياء إلا ويل و ويح
و ويس و ويب ، ولا يفتي ولا يجمع ، و يقال و يله و يجمع على ويلات ، قال :
فقال لك الويلات انك مرجل

و الويل معناه الفضيحة و الحسرة ، وقال الخليل : الويل شدة الشر ،
و قال الأصمعي : هي كلمة تفجع وقد يكون ترعا و منه : ويل امه مسعر حرب -
البحر المحيط ١ / ٢٧٠ (٧) في م و ظ : الذين ، و الظاهر أنه تفسير الكتب .
(٨-٨) ليست في ظ (٩) في ظ : بالغلة - بالغين المعجمة .

لهم بما كتبت ايديهم . من ذلك الكذب على الله . وويل لهم مما يكسبون .
 'أى يحدون كسبه' مما اشتروه به ، ' و جرد الفعل لوضوح دلالة على
 الخبث بقرينة ما تقدم وإذا كان المجرد كذلك كان غيره أولى ' . قال
 الحرالى : والكسب ما يجرى من الفعل والقول والعمل والآثار على
 إحساس بمنة فيه وقوة عليه - انتهى . وفى هذه الآية بيان لما شرفه
 به كتابنا من أنه لإعجازه لا يقدر أحد أن يأتي من عنده بما يدسه فيه
 فيلبس به - فله المنة علينا والفضل . ولما أرشد الكلام إلى أن التقدير :
 فحرفوا كثيرا فى كتاب الله وزادوا ونقصوا ، عطف عليه ما بين به
 جراتهم وجفامهم وعدم اكترائهم بما يرتكبونه من الجرائم التى هم
 أعلم الناس بأن بعضها موجب للخلود فى النار فقال تعالى « وقالوا ١٠

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) الكسب أصله اجتلاب النفع وقد جاء فى اجتلاب
 الضر ومنه « بلى من كسب سيئة » والفعل منه يحى . متعديا إلى واحد تقول :
 كسبت مالا وإلى اثنين تقول : كسبت زيدا مالا ، وقال ابن الأعرابي : كسب
 هو نفسه وأكسب غيره وأنشد :

فاكسبني مالا وأكسبته حمدا

- قاله أبو حيان . وقال على المهاشمي : « وان هم الا يظنون » أى ما يبلغ اعتقادهم
 إلا هذا الظن الراجح إذ يظنون أنهم لا يجترون على تحريف كتاب الله فيقلدونهم
 ويتركون الأدلة القاطعة للمؤمنين لكنهم لا يبلغون مبلغ عذاب المحرفين ، « فويل للذين
 الآية المحرفة » ثم يقولون هذا « هو النازل » من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا «
 أى ليأخذوا من المؤمنين باعطاء المحرف لهم قليلا من الرشا « فويل لهم » الآية ،
 أى فلهم الويل الزائد على عذاب المؤمنين من جهتين ليستا فيهم : من جهة كتابتهم
 للمحرف ومن جهة اكتساب الرشا عليه - انتهى كلامه .

لن تمسنا ، من المس ' وهو ملاقاته ظاهر الشيء ظاهر غيره ، النار ، أى المعدة فى الآخرة . الاياما ، ولما كان مرادهم بذلك أنهم لا يخلدون فيها وكان جمع القلة وإن كان يدل على ذلك لكنه ربما استعير للكثرة فدل على ما لا آخر له أو ما يعسر عده زادوا المعنى تأكيدا وتصريحا بقولهم « معدودة » أى منقضية ، لأن كل معدود منقض . قال الحرالى :
و العد اعتبار الكثرة بعضها ببعض ، واقتصر على الوصف بالمفرد لكفايته

(١) المس الإصابة والمس الجمع بين الشئين على نهاية القرب ، والمس مثله لكن مع الإحساس ، وقد يجىء المس مع الإحساس ؛ وحقيقة المس والمس باليد ، ونقل من الإحساس إلى المعانى مثل « انى منى الشيطان » « كاذبى يتخطبه الشيطان من المس » ومنه سمي الجنون مساً ، وقيل المس والمس والجس متقارب إلا أن الجس عام فى المحسوسات ، والمس فيما يخفى ويدل كنبض العروق ، والمس والمس بظاهر البشرة ، والمس كناية عن النكاح وعن الجنون - قاله أبوحيان . وذكر فى زول الآية أن سبب زول هذه الآية أنهم زعموا أنهم وجدوا فى التوراة مكتوباً أن ما بين طرفى جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم ، قالوا : إنما نعذب حتى ننتهى إلى شجرة الزقوم فنذهب جهنم وتهلك - روى ذلك عن ابن عباس ، وقيل إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اليهود من أهل النار ، قالوا : نحن ثم تخلفوننا أنتم ، فقال : كذبتم ، لقد علمتم أنا لا نخلفكم ، فنزلت هذه الآية - ولمزيد التفصيل فليراجع إلى البحر المحيط ٢٧٨/١ (٢) قال البيضاوى : محصورة قليلة ، روى أن بعضهم قالوا : نعذب بعدد أيام عبادة العجل أربعين يوماً ، وبعضهم قالوا : مدة الدنيا سبعة آلاف وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوماً .

في هذا المعنى بخلاف ما في آل عمران .

ولما ادعوا ذلك ادعوا أن المسلمين يخلفونهم بعد ذلك فيها ، روى البخارى في الجزية^٢ والمغازى والطب والدارمى فى أول المسند عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اجمعوا لى من كان ههنا ه من يهود ، فجمعوا له فقال : إني سألتكم عن شيء فهل أتم صادق عنه ؟ فقالوا : نعم ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : من أبوكم ؟ قالوا : فلان ، فقال : كذبتكم ، بل أبوكم فلان ، قالوا : صدقت وبررت ؛ قال : فهل أتم صادق عن شيء إن سألتكم عنه ؟ قالوا^٣ : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أيننا ؛ فقال لهم : من أهل النار ؟ قالوا^٤ : نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اخسأوا فيها ! والله لا تخلفكم فيها أبدا ؛ ثم قال : هل أتم صادق عن شيء إن سألتكم عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : هل جعلتم فى هذه الشاة سما ؟ قالوا^٥ : نعم ، قال : ما حملكم على ذلك ؟ قالوا : أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك . ولما ادعوا^{١٥} ذلك^٦ كان كأنه قيل : فيما ذا نرد عليهم ؟ فقال « قل ، منكمرا لقولهم^٧ » اتخذتم ، فى ذلك « عند الله »^٨ أى الذى له الأمر كله^٩ « عهدا فلن ،

(١) زاد فى م ومد : فانه لبيان اجترائهم على العظام (٢) فى م : الخبرية ، وهى محركة (٣) فى ظ : فقالوا (٤) فى م ومد : فقالوا (٥) ليس فى م (٦) زيد فى م ومد : ذلك (٧-٧) ليست فى ظ .

أى فيتسبب عن ذلك أنه يوفى بعهده ، لأنه « لن يخلف الله » ٢ الذى له صفات الكمال « عهده ام » ٣ لم يكن ذلك فأتهم « تقولون على الله ، المحيط بكل شئ قدرة وعلما » « ما لا تعلمون » . ومعنى الإنكار فى الاستفهام أنه ليس واحد من الأمرين واقعا ، لا اتخذتم عهدا ولا قلمت ذلك جهلا ، بل قلمتموه وأتمت تعلمون خلافه ، ولما اتفق الأمران علم أن الكائن غير ما ادعوه فصرح به فى قوله « بلى » أى لتستنكم على خلاف ما زعمتموه ، فان بلى كلمة تدل على تقرير يفهم من إضراب عن نفي كأنها بلى وصلت بها الألف إثباتا لما أضرِب

(١) زيد فى م : اى (٢-٢) ليست فى ظ (٢) قال على المهاشمى : « ام » لم تتخذوه ولكن « تقولون ما لا تعلمون » صدقه من الخبر الروى عن يعقوب عليه السلام أن الله تعالى عهد إليه أن لا يعذب بنيه إلا تحلة القسم ، فان صح عنه فالمراد أولاد صلبه لا ذريته النازلة المشتمة على مؤمن وكافر ، قال عز وجل ليس كما يقولون . (٤) زيد فى م : مد : كما فى قوله تعالى « افترى على الله كذبا ام به جنة » وأم معادلة هنا للهمزة وإن اختاف الفعلان ، كما ذكر دليله فى آخر سورة ص (٥) زيد فى م و مد : ولذلك ذكرهم بتكرير الاسم الأعظم مظهرا غير مضمرا له من الحلال والجمال الذى عاينوا كثيرا منه استعطافهم إلى الخير وتخويفا (٦) من ظ ، وفى الأصل : تقدير ؛ وفى البحر المحيط : بلى حرف جواب يثبت به ما بعد النفي فلما قالوا « لن تمسنا النار » أجيبوا بقوله « بلى » ومعناه تمسك النار والمعنى على التأييد وبين ذلك بالخلود . وفى البيضاوى : « بلى » إثبات لما نفوه من مساس النارهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه أعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ، ويختص بجواب النفي .

عن نفيه - قاله الحرالي . ' و نعم جواب لكلام لا جحد فيه ' . و لما أضرب
سبحانه عما قالوه من القضاء في الأعيان قاضيا عليهم بالخسران علل ذلك
' بوصفهم ' به متلبسون^٢ معلما بأن من حق الجاهل بالغييب الحكم على
الأوصاف التي ناط علام الغيوب بها الأحكام فقال ' من كسب سيئة ،
أى عملا من حقه أن يسوء ' و احاطت به خطيئته ، بحيث لم يكن شيء هـ
من أحواله خارجا عن الخطيئة بل كانت غامرة* لكل ما سواها من
أعماله ، و لا يكون ذلك إلا للكفر الهادم لأساس الأعمال الذي لا يتأتى
بقاء الأعمال بدونه . ' و لما كان أفراد الضمير أنص على جزاء كل فرد
و الحكم بالنكال على الكل أنكأ و أروع^٦ و أقبح و أظلم و أدل على القدرة
أفرد^٨ ثم جمع فقال آتيا بالفاء دليلا أن أعمالهم سبب دخولهم النار : ١٠
' فاولئك ، ' أى البعداء البغضاء ' و اصحب النار هم ، ' خاصة ' فيها ' .
' خلدون ' ، ' .

(١-١) ليست في ظ (٢-٢) في ظ : بوصفهم (٣) في م : متلبسون (٤) زيد في ظ :
عمل (هـ) في ظ : غامرة - بالعين المهملة (٦) العبارة من هنا إلى « دخولهم النار »
ليست في ظ (٧) في م فقط : ارددع (٨) في م : فرد (٩) زيد في م : اى .
(١٠) زيد في مد : لا في غيرها لأنهم لا يخرجون منها (١١) قال البيضاوى فيمن
تحيط به خطيئته ما نصه : وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبا و لم يقطع عنه يحرم
إلى معاودة مثله و الانهالك فيه و ارتكاب بما هو أكبر منه حتى يستولى عليه
الذنوب و يأخذ بمجامع قلبه ، فيصير بطبعه مائلا إلى المعاصي مستحسنا إياها معتقدا
أن لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه منها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى « ثم كان
عاقبة الذين أساءوا السوء أى ان كذبوا بايت الله » .

ولما بان بهذا ما لهم ولكل من شاركهم في هذا الوصف 'عطف
 عليه ما لمن ادعوا أنهم يخلفونهم في النار ولكل من شاركهم في وصفهم'
 الذى استحقوا به ذلك فقال 'والذين امنوا، أى أقروا بالوحدانية
 بالسنتهم' و عملوا الصلحت، بيانا لأن قلوبهم مطمئنة بذلك 'اولئك،
 ٥ العالو المراتب الشريفة المناقب، ولم يأت بالفاء دلالة على أن سبب
 سعادتهم إنما هو الرحمة 'اصحاب الجنة، ٣ لا غيرهم ٣ دم، أى خاصة
 فيها' 'خلدون' . .

(١-١) ليست في ظ (٢) قال أبو حيان الأندلسي: المراد بالذين 'امنوا' أمة محمد صلى الله
 عليه وسلم ومؤمنو الأمم قبله - قاله ابن عباس وغيره، وهو ظاهر اللفظ .
 (٣-٣) ليست في ظ وم (٤) زيد في م و مد: أى لا فى سواها لانهم لا ييغون
 عنها حولا .

* * * *

خاتمة الطبع

تم بمئة تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الأول من تفسير « نظم الدرر
في مناسبات الآيات و السور » للشيخ العلامة أبي الحسن إبراهيم بن عمر
البقاعي الشافعي رحمه الله يوم الجمعة الحادى والعشرين من شهر صفر
المظفر سنة ١٣٨٩ هـ = ٩ / مايو سنة ١٩٦٩ م . اعتنى بتصحيحه و التعليق ٥
عليه الأستاذ الأديب فضيلة الشيخ محمد عبد الحميد شيخ الجامعة النظامية
بجدر آباد عم فيضه ، و عني بتقيقه راقم هذه الخاتمة ، تحت إشراف
الأديب الفاضل صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير
الدائرة و عميدها و رئيس قسم آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية
أبقاه الله لخدمة العلم و الدين .

١٠

و يليه الجزء الثانى إن شاء الله تعالى أوله « ثم شرع سبحانه بقيم
الدليل على أنهم ممن أحاطت به خطيئته فقال ” واذ “ - الخ ، .
و فى الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه
و يرضاه ، و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه
أجمعين و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

١٥

الفقيه إلى رحمة الله الغنى الحميد
السيد محمد حبيب الله الرشيد القادري
(كامل الجامعة النظامية)
صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية